المجلد السادس عشر ١٨٢، ١٨١ الجزء الأول والثاني

مجلة المجمع العلمي العربي

أنشئت سنة ١٣٣٩ هـ الموافقة لسنة ١٩٢١ م

تنشر في دمشق مرة في الشهر

كانون الثاني وشباط سنة ١٩٤١ م

المحرم وصفر سنة ١٣٦٠ هـ



دمشق

المجمع العلمي العربي

قيمة الاشتراك السنوي الدفع مقدماً: في سورية ولبنان ٣٠٠ قرش سوري، وفي جميع الأقطار ٤٠٠ 〃 〃

مطبعة الترقي بدمشق

مد

العودة

تعود مجلة المجمع العلمي العربي إلى الظهور بعد احتجابها بضع سنين كان السبب الأول فيه نقص مواردها . ويسرّها اليوم أن ترجع إلى اتصالها بقرائها علَى ما كانت خلال الخمس عشرة سنة التي طالعتهم فيها بأبحاثها .

يعود المجمع العلمي العربي إلى مزاولة أعمــاله وسط زعازع هذه الحرب الناشبة ، وكله أمل أن يُظلّ السلامُ العالم فيتصل بأعضائه في الغرب والشرق ، ويعود الذين حيل بيننا وبينهم الآن إلى افادتنا من دراساتهم .

يحتاج العلم الى الهدوء والاستقرار فإذا متع حَفَدته بذَرو منهما وجب عليهم ألا يتوقفوا عن بذل الجهد فيما تمحضوا له . ألسنا قد قرأنا في صحف الأقدمين أن بعض المؤلفين من أجدادنا كانوا يصنفون كتبهم والعدو يحاصر مدينتهم ، وبعضهم أنجز تأليفه والعرادات والدبابات تتعاور ضرب أسوار قلعتهم ، ما ثناهم هول الوغى عن نفع قومهم بثمرات عقولهم ، ووجدوا في العمل سلوى ، وفي بث الفكر واجباً يوفونه . والاضطرابات كالمصائب طبيعية الحدوث في هذا العالم ، وما عهد أن صفت الدنيا لأبنائها صفاءً تاماً

ولقد اطرد صدور مجلتنا هذه خلال ثورة سنة ١٩٢٥ — ١٩٢٦ والأخطار منا قاب قوسين أو أدنى فعجب رصيفنا العلامة ماكدونالد الأميركي لثباتنا في تلك الفتنة وقال إننا أحيينا سنة الجمعية الآسياوية الباريزية يوم كانت تثابر على إصدار مجلتها وباريز محصورة .

احتمل المجمع العلمي منذ نشأته ألوان المثبطات ، ولقي أيضاً شيئاً كثيراً من المنشطات . فما وهى في الأولى ولا زها في الثانية . ويغتبط اليوم أن يرجع إلى ربط ماانقطع من سند أحاديثه بفضل من مهدوا له السبيل لإتمام مقاصده ، شاكراً لهم مناصرتهم . والحق إذا خذله أعداؤه لا يعدم من أوليائه تأييداً ، والله الملهم والمسدد .

اعضاء المجمع العلمي العربي

في سنة ١٣٦٠ هـ ١٩٤١ م

عدد	الاسم	محل الاقامة	عدد	الاسم	محل الاقامة
١	السيد محمد كرد علي رئيس المجمع العلمي	دمشق	٢٦	الفيكونت فيليب دي طرازي	بيروت
٢	الدكتور أسعد الحكيم	〃	٢٧	الشيخ مصطفى الغلاييني	〃
٣	الشيخ محمد بهجة البيطار	〃	٢٨	الدكتور نقولا فياض	〃
٤	السيد خليل مردم بك	〃	٢٩	السيد عيسى اسكندر المعلوف	زحلة
٥	» رشيد بقدونس	〃	٣٠	الشيخ أحمد رضا	النبطية
٦	» سليم الجندي	〃	٣١	الشيخ سليمان ظاهر	»
٧	» شفيق جبري	〃	٣٢	» سليمان أحمد	اللاذقية
٨	» عارف النكدي	〃	٣٣	السيد ادوارد مرقص	»
٩	الشيخ عبدالقادر المبارك	〃	٣٤	الشيخ محمد زين العابدين	انطاكية
١٠	» عبدالقادر المغربي	〃	٣٥	السيد اسعاف النشاشيبي	القدس
١١	السيد عزالدين التنوخي	〃	٣٦	» عبدالله مخلص	»
١٢	» فارس الخوري	〃	٣٧	الشيخ رضا الشبيبي	بغداد
١٣	الدكتور مرشد خاطر	〃	٣٨	الأب انستاس الكرملي	〃
١٤	السيد معروف الأرناؤط	〃	٣٩	السيد كاظم الدجيلي	〃
١٥	الأمير مصطفى الشهابي	〃	٤٠	» معروف الرصافي	〃
١٦	الشيخ بدر الدين النعساني	حلب	٤١	» طه الراوي	〃
١٧	» راغب الطباخ	〃	٤٢	الشيخ مصطفى باشا عبد الرازق	مصر
١٨	» عبد الحميد الجابري	〃	٤٣	» عبد العزيز البشري	»
١٩	» عبد الحميد الكيالي	〃	٤٤	السيد خليل ثابت	»
٢٠	السيد سويريوس افرام	حمص	٤٥	أحمد بك أمين	»
٢١	الشيخ ابراهيم منذر	بيروت	٤٦	السيد أحمد حسن الزيات	»
٢٢	فؤاد باشا الخطيب	〃	٤٧	» محمد لطفي جمعة	»
٢٣	السيد بولس الخولي	〃	٤٨	الدكتور أحمد عيسى بك	»
٢٤	الشيخ عبدالرحمن سلام	〃	٤٩	أحمد لطفي السيد باشا	»
٢٥	السيد عمر الفاخوري	〃	٥٠	السيد خير الدين الزركلي	»

عدد	الاسم	محل الاقامة	عدد	الاسم	محل الاقامة
٥١	الدكتور أمين باشا المعلوف	مصر	٧٠	السيد هيس	سويسرا
٥٢	السيد خليل مطران	«	٧١	« هوتسما	هولاندة
٥٣	« عباس محمود العقاد	«	٧٢	« أراندونك	«
٥٤	الشيخ محمد الخضر حسين	«	٧٣	« كرينكو	انكلترا
٥٥	السيد حسن حسني عبد الوهاب	تونس	٧٤	« بروكلمن	المانيا
٥٦	الشيخ عبد الحي الكتاني	فاس	٧٥	« هارتمان	«
٥٧	الامير شكيب أرسلان	لوزان	٧٦	« ميتفوخ	«
٥٨	السيد عبدالعزيز الميمني الراجكوتي	الهند	٧٧	« سترستين	السويد
٥٩	الشيخ أبو عبدالله الزنجاني	ايران	٧٨	« اوستروب	الدانيمارك
٦٠	السيد عباس اقبال	«	٧٩	« موجيك	فينا
٦١	« مارسيه	تونس	٨٠	« ماهلر	بودابست
٦٢	« ماسه	الجزائر	٨١	« كوفالسكي	بولونيا
٦٣	« كي	فاس	٨٢	« كراتشكوفسكي	لينينغراد
٦٤	« دوسو	باريز	٨٣	« موزل	براغ
٦٥	« ماسينيون	«	٨٤	« ماكدونالد	اميركا
٦٦	« بوفا	«	٨٥	« هرزفلد	«
٦٧	« كولان	رباط (مراكش)	٨٦	« كرسيكو	فنلاندا
٦٨	« آسين بلاسيوس	مجريط (اسبانيا)	٨٧	« فيليب حتي	اميركا
٦٩	« لويس	لشبونة (البرتغال)			

الاعضاء الراحلون

عدد	الاسم	محل الاقامة	عدد	الاسم	محل الاقامة
١	الشيخ طاهر الجزائري	دمشق	٨	السيد سليم عنحوري	دمشق
٢	« مسعود الكواكبي	«	٩	« عبد الله رعد	«
٣	السيد مالنجو	«	١٠	السيد أمين الريحاني	بيروت
٤	الشيخ سليم البخاري	«	١١	السيد حسن بيهم	«
٥	السيد الياس قدسي	«	١٢	الأب لويس شيخو	«
٦	« أنيس سلوم	«	١٣	الشيخ عبدالله البستاني	«
٧	« جميل العظم	«	١٤	السيد جبر ضومط	«

عدد	الاسم	محل الاقامة
٥١	الدكتور أمين باشا المعلوف	مصر
٥٢	السيد خليل مطران	«
٥٣	» عباس محمود العقاد	«
٥٤	الشيخ محمد الخضر حسين	«
٥٥	السيد حسن حسني عبد الوهاب	تونس
٥٦	الشيخ عبد الحي الكتاني	فاس
٥٧	الامير شكيب أرسلان	لوزان
٥٨	السيد عبدالعزيز الميمني الراجكوتي	الهند
٥٩	الشيخ أبو عبدالله الزنجاني	ايران
٦٠	السيد عباس اقبال	«
٦١	» مارسيه	تونس
٦٢	» ماسه	الجزائر
٦٣	» كي	فاس
٦٤	» دوسو	باريز
٦٥	» ماسينيون	«
٦٦	» بوفا	«
٦٧	» كولان	رباط (مراكش)
٦٨	» آسين بلاسيوس	مجريط (اسبانيا)
٦٩	» لوبس	لشبونة (البرتقال)

عدد	الاسم	محل الاقامة
٧٠	السيد هيس	سويسرا
٧١	» هوتسما	هولاندة
٧٢	» أراندونك	«
٧٣	» كرينكو	انكلترا
٧٤	» بروكلمن	المانيا
٧٥	» هارتمان	«
٧٦	» ميتفوخ	«
٧٧	» سترستين	السويد
٧٨	» اوستروب	الدانيمارك
٧٩	» موجيك	فينا
٨٠	» ماهلر	بودابست
٨١	» كوفالسكي	بولونيا
٨٢	» كراتشكوفسكي	لينينغراد
٨٣	» موزل	براغ
٨٤	» ماكدونالد	اميركا
٨٥	» هرزفلد	«
٨٦	» كرسيكو	فنلاندا
٨٧	» فيليب حتي	اميركا

الاعضاء الراحلون

عدد	الاسم	محل الاقامة
١	الشيخ طاهر الجزائري	دمشق
٢	» مسعود الكواكبي	«
٣	السيد مالنجو	«
٤	الشيخ سليم البخاري	«
٥	السيد الياس قدسي	«
٦	» أنيس سلوم	«
٧	» جميل العظم	«

عدد	الاسم	محل الاقامة
٨	السيد سليم عنحوري	دمشق
٩	» عبد الله رعد	«
١٠	السيد أمين الريحاني	بيروت
١١	السيد حسن بيهم	«
١٢	الأب لويس شيخو	«
١٣	الشيخ عبدالله البستاني	«
١٤	السيد جبر ضومط	«

عدد	الاسم	محل الاقامة	عدد	الاسم	محل الاقامة
١٥	السيد عبد الباسط فتح الله	بيروت	٣٩	السيد اوجينيو غريفيني	مصر
١٦	السيد جرجي بني	طرابلس الشام	٤٠	〃 رفيق العظم	«
١٧	الدكتور صالح قنباز	حماة	٤١	الشيخ محمد بن أبي شنب	الجزائر
١٨	الاب جرجس شلحت	حلب	٤٢	السيد رينه باسه	«
١٩	السيد جرجس منش	«	٤٣	السيد ميشو بلير	طنجة
٢٠	السيد قسطاكي حمصي	«	٤٤	السيد زكي مغامز	الاستانة
٢١	الشيخ كامل الغزي	«	٤٥	الحكيم محمد أجمل خان	الهند
٢٢	السيد ميخائيل الصقال	«	٤٦	السيد فران	باريز
٢٣	الشيخ خليل الخالدي	القدس	٤٧	〃 كليمان هوار	«
٢٤	السيد نخلة زريق	〃	٤٨	السيد جويدي	ايطاليا
٢٥	الشيخ سعيد الكرمي	طول كرم	٤٩	السيد نلينو	«
٢٦	الشيخ جميل صدقي الزهاوي	بغداد	٥٠	السيد هومل	المانيا
٢٧	الشيخ محمود شكري الآلوسي	«	٥١	السيد ساخاو	«
٢٨	الشيخ احمد الاسكندري	مصر	٥٢	السيد هوروفيتز	«
٢٩	احمد زكي باشا	«	٥٣	السيد مرتين هارتمان	«
٣٠	احمد شوقي بك	«	٥٤	السيد مونته	سويسرا
٣١	السيد أسعد خليل داغر	«	٥٥	السيد سنوك هورغرنيه	هولاندة
٣٢	حافظ ابراهيم بك	«	٥٦	السيد مرجليوث	انكلترا
٣٣	الشيخ محمد رشيد رضا	«	٥٧	السيد بفن	«
٣٤	السيد مصطفى صادق الرافعي	«	٥٨	〃 براون	«
٣٥	أحمد كمال باشا	«	٥٩	السيد بول	الدانيمارك
٣٦	أحمد تيمور باشا	«	٦٠	السيد بدرسن	«
٣٧	السيد مصطفى لطفي المنفلوطي	«	٦١	السيد اغناطيوس غولدصهير	بودابست
٣٨	الدكتور يعقوب صروف	«	٦٢	الدكتور سعيد أبو جمرة	البرازيل

خزائن الكتب العربية في الخافقين

هذا سفر عظيم عني الأستاذ الفيكنت فيليب دي طرّازي أحد أعضاء المجمع العلميّ العربيّ بتأليفه منذ أكثر من خمسين سنة فجاء في أزيد من ألف وثلاثمائة صفحة كبيرة ، وهو يعمل فيه منذ عشر سنين ليعده للنشر ، وقد ضمنه أبحاثاً مشبعة عن خزائن الكتب العربية قديمها وحديثها ، وذكر أخبار مؤسسيها ومعزّزيها والعاملين فيها في أربعة أقطار المعمورة .

هذا كتاب فريد في بابهِ مبتكر في موضوعه لا أعلم أديباً من أدباء العرب ومؤرخيهم سبق إلى تأليف مثله ، فصنف مؤلفاً مفصلاً عن خزائننا العربية وعن مؤسسيها ومحتوياتها وعما آل اليه أمرها . ويظهر لي من لامحته أنه منطوٍ على خرائد وشوارد وعلى طرائف ولطائف ، ولقد طالع زهاء سبعمائة كتاب من مؤلفات الأوائل والأواخر ، فغربلها وانتخلها حتى صفى منها ما صفى كما يشاهد حقيقة الأمر في الهوامش التي علقها على الكتاب من بدايته إلى خاتمته . وقد سدد به ثلمةً فوهاء ، في التاريخ والأدب معاً . وانا توخيت في هذه العجالة أن أطلع أبناء الضاد على ما ملكوا في سالف الأحقاب وعلى ما يملكون اليوم من الكنوز العلمية الغالية الأثمان .

* * *

دعا المؤلف كتابه : « خزائن الكتب العربية في الخافقين » . وضمنه ١٨ باباً . قد يكون كل باب من أبوابه الواسعة كتاباً قائماً برأسه .

فالباب الأول انطوى على مقدمة وسبعة فصول ذكر المؤلف في الفصل الأول خلاصة علوم العرب في الجاهلية وصدر الإسلام ، فوصف وصفاً دقيقاً حفظهم وتدوينهم وخطوطهم وأنديتهم ومجالسهم وأسواقهم الأدبية واستفحال دولتهم .

وتبسط في الفصل الثاني في وصف القرآن الكريم وتأثيره ، واجماع الملوك

والأقطاب على تكريه وتعظيمه . وأورد خلاصة ما كتبه عنه علماء النصارى . وعدد المتاحف التي انطوت على أقدم الكتب القرآنية وأثمنها وأجملها وأغربها .

وتكلم في الفصل الثالث عن حالة البلاد الشرقية قبل الفتح العربي .

وخصص الفصل الرابع بثقافة شعوب البلاد التي فتحها العرب ولغاتهم ومدارسهم وكتبهم وخزائنهم وعدد في الفصل الخامس نقول العرب عن العلوم الدخيلة منذ عهد أمير المؤمنين عبد الله المأمون العباسي فصاعداً

وبحث في الفصل السادس مصادر العلوم الدخيلة ومشاهير نقلتها عن اللغات الهندية والفارسية واليونانية والسريانية والعبرية وغيرها . وانتقل إلى ذكر آل بختيشوع الذين كانت لهم مكانة عظيمة في بلاط الخلفاء العباسيين خلال ثلاثة قرون . ولم يغمض عن ذكر من جاراهم في هذا الميدان كأبي قرة وابن ماسويه والكندي وحنين بن اسحق وهلم جراً ، واتخذ خاتمة لهذا الفصل كلمة اثبتها في كتابي « القديم والحديث » عنوانها « فضل نقلة علوم الأعاجم » .

وختم هذا الباب بفصل سابع وصف فيه عصر النهضة العربية الذهبي . فاسترسل في ذكر ثقافة العرب وترقي العلوم بين ظهرانيهم وتأسيسهم المدارس والمراصد والمستشفيات والمتاحف . ونوه بمبالغة الخلفاء في تكريم العلماء والأدباء وعدد مشاهير الكتبة في تلك الحقبة المباركة .

هـذا هو الباب الأول ، وقد أفرغه المؤلف الفاضل في أسلوب لذيذ جذاب لا يكاد يطالع القارئ فصلاً من فصوله إلا ازداد رغبة في مطالعة بقيته ، ثم سرد المؤلف في الباب الثاني أخبار تكوين الخزائن العربية وانتشارها واندثارها ، وأشار الى حرص العرب الأقدمين على تدوين آثارهم وأخبارهم ، وتسابقهم في اقتناء المخطوطات وجمعها ، وتنافس أدبائهم وخطاطيهم ومجلديهم في تعزيز الخزائن العامة والخاصة ، وأثبت أن المؤرخين لم يتصدّوا لنشر كتاب خصوصيّ جامع يضمنونه أخبار الكتب العربية سابقًا وحاضراً .

وانتقل المؤلف الى الباب الثالث بعدّد أخبار الخزائن الإسلامية العامة ، وقد بلغ عددها في كتابه ٢٩٥ خزانة خصص لها ٣٣ فصلاً ، فذكر خزائن بغداد والبصرة وكربلا والنجف والموصل واربيل وماردين وميافارقين وآمد وحلب وحماة والمعرّة وكفرطاب . ثم أحصى خزائن دمشق وطرابلس الشام وفلسطين وشرق الأردن . وانتقل الى البلاد العربية فوصف خزائن مكة المكرمة واليمن والحجاز والحويزة . ثم راح إلى بلاد فارس فكتب عن خزائن مرو ومراغة وشيراز وجنذة وخراسان وفيروزاباد والريّ ونيسابور وطوس وازدشير وسمرقند واصبهان وخوارزم وهمذان وهراة وبخارة . ثم تكلم عن الخزائن العربية في الهند وغيرها .

وتبسط المؤلف في ذكر دور كتب القاهرة والاسكندرية وسائر الأقاليم المصرية خزانة خزانة قديمةً وحديثةً . وانتقل الى شمال افريقية فسرد أخبار خزائن تونس والقيروان والجزائر وفاس ومراكش ومكناس وسبتة والرباط . ولم يَفُتْه وصف خزائن الأندلس والإلماع الى حضارتها العربية وسابق عزها . وختم هذا الباب بذكر المخطوطات العربية في دور كتب الاستانة والروملي والاناضول الخ . ولم يغمض المؤلف في كل من هذه الفصول الممتعة عن ذكر ثروة تلك الخزائن العامة وذخائرها ومعارضها ومطبوعاتها ومديريها وخزنتها واعتناء الملوك والامراء والادباء بتعزيزها .

وفي الباب الرابع وصف المؤلف الخزانة العربية الخاصة التي أسسها افراد المسلمين وأدباؤهم ومشايخهم وعلماؤهم في مختلف الأنحاء ، فتوسع في وصفها توسعه في وصف الخزانة الاسلامية العامة ومنها خزانة أنشئت في مدن غير المدن التي أحصاها المؤلف في سياق كلامه عن الخزائن العامة . نذكر منها خزائن بيروت وجبل لبنان وجبل عامل ودوما ونابلس ويافا وعكا وخليل الرحمان الخ . ثم عدد الخزائن الخاصة في المغرب الاقصى وصحارى افريقية ، فكان مجموع ما أحصاه

٣٥٩ خزانة اسلامية خصوصية وصف كلا منها وصفاً جيداً ، وذكر أخبار مؤسسيها وأحصى عدد مجلداتها يوم عزها وما حل بها من الرزايا على كرور الازمنة .

وأخذ المؤلف بعد وصفه الخزائن الاسلامية عامة وخاصة يعدد في الباب الخامس أهم الخزائن النصرانية العربية في بلاد الشرق . فوصف مجموعات النساطرة واليعاقبة والملكيين والموارنة والاقباط ومجموعات السريان والكلدان والارمن والبرتستان ، وقد اناف عددها على ٢٠٠ خزانة أنشئت في القصور والاديار والمدارس وبيوت الافراد في مدن سورية ولبنان وفلسطين وما بين النهرين والعراق ومصر وشمال افريقية . فهناك خزائن دمشق وصيدنايا وافاميا وانطاكية وجبل سمعان ، وخزائن بيروت وبتدين والشرفة وبكركي والبلمند ، فخزائن الكرمل والقبر المقدس ودير مارسابا ودير مار مرقس ودير مار يعقوب فخزائن الاقباط بالاسكندرية والقاهرة وأديار وادي النطرون وطورسيناء ، فخزائن الرها وآمد وملطية وماردين ودير الزعفران ودارا ونصيبين وطور عبدين وسعرت فخزائن المدائن ودير قني وبغداد واورمية وقود شانيس وتكريت والموصل ودير الشيخ متى ودير الربان هرمزد ، وخزائن تونس والجزائر والمغرب الاقصى وطرابلس الغرب الخ . وقد جرى المؤلف في وصف هذه الخزائن جمعاء مجراه في وصف الخزائن العربية الاسلامية .

وتطرق المؤلف في الباب السادس لوصف خزائن بيروت العامة كخزائن الاتحاد والترقي والحرب العظمى والمجلس البلدي والقضاة وغرف القراءة ونقابة الصحافة ونقابة المحامين وغيرها .

واسترسل في الباب السابع في وصف الخزائن العربية باوربا فذكر اهتمام البابوات والملوك بتعزيز اللغة العربية بمطابعهم ، وتعليمهم اياها في جامعاتهم ، وشرائهم المخطوطات العربية أحيانا بما يوازي ثقلها ذهباً . وتجهيزهم منها مجموعات نفيسة تستحق الاعتبار ، واعتنائهم بادخار الكتب العربية اعتناءً جزيلاً . وأيد بياناته بما أثبته أنا في كتابي « خطط الشام » عن كيفية تسرب مخطوطات بلادنا الى

دول أوربا على يد فريق ممن كان يرجع اليهم أمر المدارس والجوامع ، فخانوا عهود الأمانة واستحلوا بيع ماتحت ايديهم بأبخس الأثمان .

ثم وصف المؤلف معارض المخطوطات العربية النفيسة في دور كتب أوربا ونوه بالثروة العربية في خزائن عواصمها ولا سيما دار كتب الاسكوريال باسبانيا ودار كتب الامبروسيانية في ميلانو .

وأحصى كذلك احدى عشرة خزانة عربية أنشأها فريق من السوريين في أوربا كمجموعة رشيد الدحداح وخليل غانم وجان دي طرازي بباريس وعبد الله مراش في مرسيليا وحبيب زيات في نيس ، ولويس صابونجي ورزق الله حسون بلندن . وروفائيل جروة بالبندقية الخ . وعدد كذلك عشرين خزانة أنشأها كبار المستشرقين في برلين وباريس وروما وميلانو وبالرمو واسوج ولشبونة ومدريد ، وأحصى فهارس المؤلفات العربية في دور كتب اوربا وذكر عدد مخطوطات كلّ منها .

وحصر المؤلف بحثه في الباب الثامن بذكر الخزائن العربية في أميركا ، فقال بأن الكتب العربية في خزانة نيويورك تعد أغنى دار للكتب العربية في العالم الجديد على الاطلاق لاتضاهيها في الشرق خزانة سوى دار الكتب المصرية ودار الكتب الازهرية بالقاهرة وخزانة الآباء اليسوعيين ببيروت .

وخص الباب التاسع بالخزائن الاسرائيلية ، فكشف النقاب عن جهود اليهود في خدمة اللغة العربية على عهد الخلفاء العباسيين والفاطميين . وسرد أخبار مشاهير علمائهم في العراق ومصر وفارس والاندلس . ثم تطرق لذكر خزائنهم سابقاً ولاحقاً خزانة خزانة . ووصف دار كتب الامة اليهودية والجامعة العبرية في القدس فصرح باحتوائها على أكثر من ٣٥٠٠٠٠ مجلد بينها ٥٠٠٠٠ مجلد ونيف تتضمن ابحاثاً شرقية .

وبعد مافرغ المؤلف من تعداد الخزائن العربية اسلامية ونصرانية واسرائيلية في مختلف الاقطار أخذ يدوّن في الباب العاشر أخبار غلاة الكتب وهواتها من

المسلمين . فذكر منهم ملوكاً وأمراء ووزراء وعلماء ووجهاء أربى عددهم على السبعين وكلهم رفعوا ألوية المعارف بما اكتنزوه من الاسفار العربية ، فحرصوا عليها حرصهم على أغلى الدرر واتخذوها في قصورهم وأنديتهم ومنازلهم من أحاسن الزينة وافخرها ، وأضاف المؤلف إلى ذلك نتفاً من طرائفهم وغرائبهم ، ولخص تراجمهم واحداً فواحداً وفقاً للتسلسل التاريخي بدءاً من القرن الثاني حتى القرن الرابع عشر للهجرة .

وانتقل المؤلف إلى الباب الحادي عشر فسرد فيه تراجم غلاة الكتب وهواتها من المسيحيين قديماً وحديثاً . فعدّد منهم زهاء العشرين ممن كلفوا بجمع المخطوطات منذ صدر الاسلام حتى زماننا الحاضر ، وأتى كذلك على طُرَفٍ من أخبارهم ونوادرهم .

ولما انتهى المؤلف الى الباب الثاني عشر اتسع في الكلام عن خزنة دور الكتب منذ عصر الارتقاء العربي فذكر مناقبهم وثقافتهم وخدمتهم للمعاهد الكتابية وحصر تراجمهم في عشرة فصول مبتدئاً بخزنة الكتب في سورية ولبنان فالعراق ففارس فمصر فشمال إفريقية فالاندلس فاليمن فالحجاز حتى الهند . فكان مجموع اولئك المشاهير الذين قاموا على الخزائن في تلك الأمصار أكثر من سبعين خازناً .

وأردف هذا الباب بباب ٍ ثالث عشر تحدّث فيه عن مشاهير الخزَنة الشرقيين في أوربا وأميركا ، فصرّح بتفوقهم في المعارف ، وأشار الى تعزيزهم مقام الشرق في الغرب ، وقال انهم برهنوا للعالم أجمع على أن الشرقيّ لا يقل عن الغربيّ جدارةً وكفاءةً . وقد أحصى من أولئك الجهابذة عشرة خزَنة : ثلاثة في الخزانة الواتكانية وخازنين في الاسكوريال ومدريد باسبانيا ، وخازنين في المتحف البريطاني بلندن ، وخازنين في القسطنطينية ، وخازناً في مكتبة برينستون بأميركا الشمالية .

وبحث في الباب الرابع عشر عن المخطوطات العربية والعاملين فيها ، فأفرد لذلك ١٥ فصلاً وهي ١ً : مزايا المخطوطات العربية ونفائسها ٢ً : الوراقة والوراقين

٣ و٤ : نوابغ الخطاطين والخطاطات وغرائبهم ٥ : النساخة والطباعة وبواكير المطابع والمطبوعات العربية شرقاً وغرباً ٦ و ٧ : مشاهير النساخ المسلمين والنصارى قديمًا وحديثًا ٨ : الضبط والإتقان في نساخة الكتب ٩ : التنافس في تأليف الكتب والاستكثار من نسخها تعميماً للمعارف ١٠ : صناعة تجليد الكتب وانتقالها الى أوربا على يد العرب ١١ : أشهر أسواق الكتب في البلدان العربية ١٢ : تجار الكتب ودلالوها وسماسرتها وكساد تجارتها ١٣ : عشاق المخطوطات وصرعى الكتب ١٤ : سخط أحبار النصارى على مرّاقي مخطوطاتهم ١٥ : اعارة الكتب واستعارتها وأقوال الشعراء فيها • وضمن المؤلف هذه الفصول الخمسة عشر فروعًا شتى بلغت ٨٣ فرعًا ، وانطوت تلك الفروع على موضوعات نادرة لم يتعرض لها أحد قبله •

وخصص الباب الخامس عشر بالمخطوطات العربية المصورة فوصفها في ١٨ فصلاً افتتحها بنظرة اجمالية في فن التصوير عند المسلمين وفي نشأته عند العرب • ثم أورد أسماء المخطوطات العربية المصورة هكذا : مخطوطات الكيميا المصورة • فمخطوطات الطب فالأدب فالتاريخ والرحلات فالعلوم الحربية والبحرية فالعلوم الصناعية والميكانيكية فالجغرافية فالدين الاسلامي فالدين المسيحي فالنجامة والعلوم السحرية فالهندسة فاللغة فالنبات فالفلك فالفروسية والصيد والبيطرة فالموسيقى وعلى هذا الاسلوب لم يترك المؤلف مخطوطاً عربيًا مزدانًا بالصور إلا تحرى استقصاء البحث عنه في خزائن الشرق والغرب فوصفه وصفًا مشبعًا ، ونوّه بمزاياه وأشار الى ما تفرّد به والى مكان وجوده •

واسترسل في الباب السادس عشر في تعداد الرزايا التي حلت بالكتب وخزائنها الشهيرة منذ العصور الخوالي حتى اليوم ، وخصص لها أربعين فصلاً سردها حسب تواريخها على ما يلي ١ : اجهاز البرابرة والملوك القدماء على الكتب ٢ : حريق خزائن الاسكندرية ورومة والقسطنطينية ٣ : إحراق كتب الآراميين

واشتملت هذه الفصول الأربعون على نحو ٢٥٠ فاجعة من الوف الفواجع التي الت بالكتب ، وقد وصفها المؤلف وصفاً مؤثراً وأحاط بتفاصيلها من جميع الأطراف ، ولم يشأ أن يتوسع أكثر من ذلك في سرد أمثال تلك الفواجع حباً بالاختصار .

ولم يغفل المؤلف أيضاً عن ذكر بعض الكوارث الأدبية التي حلت بالكتب ، وتكلم عنها بالتفصيل بما أوتيه من علم وطول نفس في البحث ، وبما تهيأ له من الخبرة الطويلة في إدارة دار الكتب اللبنانية مدة عشرين سنة . فأفرز الباب السابع عشر لسرد تلك الكوارث المؤلمة فأجاد وأفاد . وقد حدثنا في الفصل الأول عن أعداء الكتب والخزائن ، وذكر في الفصل الثاني لصوص الكتب ، وأنحى باللائمة في الفصل الثالث على العابثين بالكتب المخطوطة . وذمّ في الفصل الرابع تصرف الرهبان في مجموعات الأديار . واستقبح في الفصل الخامس قلة الأمانة في حفظ الكتب . واستهجن في الفصل السادس احتيال بعضهم في حرفة الأدب . وأبدى في الفصل السابع عوامل تأسفه لما فقده عالم الأدب بسبب ذلك من الكنوز .

ولهذا الباب كسائر أبواب الكتاب فروع جمة فصل فيها المؤلف ما انتاب الكتب ودورها من الكوارث . فروى كثيراً من حوادث لصوص الخزائن وخونتها ، وقرّع تقريعاً أليماً من يحرّف المخطوطات أو يعبث فيها أو ينتحلها لنفسه . وعنف تعنيفاً مراً من يتغاضى عن صيانة الكتب أو يتهاون في نظافتها . وقبح خصوصاً من يختلق المشاكل ويلفق الأكاذيب لتنكيس رايات الأدب ومناهضة المجاهدين في تعزيزها .

وقد ألحق المؤلف كتابه هذا المبتكر بباب أخير هو الباب الثامن عشر فشرح فيه فصلاً فصلاً أحوال دار الكتب اللبنانية ببيروت . وأعرب عن

جهوده المتواصلة في تكوينها وتجهيزها وادارتها ، وتكلم عن تسجيله إياها باسم الحكومة اللبنانية ، ووصف رحلاته الى مختلف البلاد حباً برقيها واعلاء شأنها ، وذكر انشاءه فيها معرضاً فنياً للتحف والمخطوطات القديمة ، وألمع الى اهتمامه بتصوير ٦٠ صورة تمثل كبار حملة الأقلام وأرباب الفنّ من المسلمين والمسيحيين في بيروت ولبنان . ثم ذكر انشاءه في سبيلها كتاباً مبتكراً عنوانه « ارشاد الأعارب الى تنسيق الكتب في المكاتب » . وأضاف الى ذلك فصلاً فيمن تبرعوا لتلك الدار وفي كبار زوّارها وفي كتابها الذهبي . وألمع باحصاءات شتى الى ادارتها وأشار الى بنايتها الجديدة وافتتاحها رسمياً . واختتم الكتاب بفصلٍ ذكر فيه اعتزاله منصب ادارة المكتبة وأقوال الجرائد في ذلك .

هذا هو الكتاب الفريد الذي جدّ صديقي العالم طرّازي في جمعه ووضعه . وأنفق الدنانير في انشائه ، وقتل الليالي في تنسيقه وضبطه . وهو بلا ريبٍ ثمرة ناضجة من ثمرات أبحاثه الدقيقة ومطالعاته المستمرة مدة تنيف على نصف قرن . ولم يتوخّ المؤلف من تعبه هذا كله الا أن يخدم العلم ويعرّف أبناء الضاد ثروةَ الآباء والأجداد . جزاه الله عن عمله أفضل جزاء ومدّ له في الحياة ليرى كتابه وقد أخرج للناس يجنون فوائده .

محمد كرد علي

أسماء منتخبة لمسميات حديثة

(١) القِنْعُ

قال في اللسان القِنع والقِناع [1] الطبقُ من عسيب النخل يوضع فيه الطعام والجمع أقناع وأقنعة وفي حديث الربيع بنت مُعوِّذ قالت أتيت النبيَّ (ص) بقناع من رطب واجرٍ من زغب قال القنع والقِناع الطبق الذي يؤكل عليه وقال غيره ويجعل فيه الفاكهة وفي النهاية أنه صلى الله عليه وسلم أتي بقناع جرد . الجرد صغار القثاء وقيل الرمان ايضاً ويجمع على أجرٍ وفي النهاية أيضاً من حديث عائشة أنه كان ليهدى لنا القناع فيه كعب من اهالة فنفرح به

وحكى ابن برى عن ابن خالويه القناع طبق الفاكهة خاصة وقيل القنع الطبق الذي يؤكل فيه الفاكهة وغيرها . فيصح اطلاق القنع أو القناع على الطبق المتخذ للفاكهة يكون على موائد الطعام واكثر ما يكون من عسب النخل أو من قصبٍ أو من خيزران

(٢) الخِفاء

في اللسان . والخفاء رداء تلبسه العروس على ثوبها فتخفيه به وكل ماستر شيئًا فهو خفاء له والأخفية الأكسية الواحد خفاء . وفي التاج وقال الليث هو رداء تلبسه المرأة فوق ثيابها وكل شيء غطيت به شيئًا من كساء ونحوه فهو خفاؤه يصح اطلاق الخفاء على الثوب الذي تلبسه المرأة فوق ثيابها وهو المسمى بالكبوت

(١) ويرى المجمع الاكتفاء بقنع وليترك القناع لما تقنع به المرأة رأسها.

(٣) المِيدَع

في اللسان · المِيدَع كل ثوب جعلته ميدعًا لثوب جديد تُودِّعه به أي تصونه ويقال مِيدَاعةٌ · وجمع الميدع موادع · واصله الواو لأنك ودَّعت به ثوبك أي رفهته به · وقال الأصمعي المِيدع الثوب الذي تبتذله وتودِّع به ثياب الحقوق ليوم الحفل وانما يتخذ المِيدعُ ليودَّعَ به المصونُ وأصله من تودَّع فلان فلانا اذا ابتذله في حاجة وتودَّع ثياب صونه اذا ابتذلها

وفي النهاية التوديع ان تجعل ثوبًا وقايةً لثوبٍ آخر او تجعله ايضًا في صوان يصونه به

يصح اطلاقه على برنس المسافر

يصون المسافر ثوبَه من غبار السفر ودعكته بثوب آخر يلبسه فوقه ليقيه به ويسمى البرْنس وبرنس السفر وهو كثير الاستعمال في هذا العصر فيصح أن يطلق عليه اسم الميدع بهذا الاعتبار

(٤) السَفَنُ

جاء في اللسان قال أبو حنيفة السَفَنُ قطعة خشناء من جلد ضب أو جلد سمكة يُسحجُ بها القدْح حتى تذهب عنه آثار المبراة وقيل السَفَن جلد السمك الذي تحك به السياط والقدْحان والسهام والصحاف ويكون على قائم السيف قال الأعشى

وفي كل عام له غزوة   تحكُّ الدوابرَ حكَّ السَّفَنْ

وقال الليث وقد يجعل من الحديد ما يُسفَن به الخشب أي يحك حتى يلين والظاهر ان اصل المعنى القشر

وقال الراغب السَّفْنُ نحت ظاهر الشيء كسَفْن الجلد والعود

وفي الأساس سفن العودَ قشرَهُ وبَرَى العودَ بالسَّفَن وهي مبراة السهام قلت التسكين للمصدر والتحريك للاسم

يصح اطلاقه على الورق الخشن في أحد وجهيه بسبب ما يلصق عليه من فتات الزجاج ونحوه ويستعمل لصقل وجه الخشب وما دهن وصبغ من ألواح ونحوه لتملاسّ وتزول خشونتها ويسمى ورق البَرْداخ وورق الزجاج وكما يقال في الفعل بَرْدَخه ينبغي أن يقال سَفَنَه

(٥) الحَسَك

جاء في التاج بعد أن قال أنه نبت «وعند ورقه شوك ملزز صعب ذو ثلاث شعب ويعمل على مثال شوكه اداة للحرب من حديد او قصب فيلقى حول العسكر وربما اتخذ من خشب فنصب حوله · زاد الصاغاني · فتبثُّ في مذاهب الخيل لتنشب في حوافرها

يصح هذا لما يسمونه الأسلاك الشائكة وهي التي يستعملونها في الحرب وفي السياج وهي كما ترى ينطبق عليها وصف الائمة للحسك إلا أنها كانت تلقى منثورة في الحرب وهذه تنصب منظومة بأسلاكها للحرب والسياج

(٦) الجناح

قال الراغب الأصفهاني في مفرداته وسمي جانبا الشيء جناحيه فقيل جناحا السفينة وجناحا العسكر وجناحا الوادي وجناحا الإنسان لجانبيه

وفي التاج الجناح الكنف والناحية والجناح الطائفة من الشيء والروشن

يصح اطلاقها على الجزء المستقل من أجزاء طبقة البيت

وهذا الاستعمال شائع ذائع في عامة البلاد العربية فيما أحسب ولكني رأيت مجمع اللغة العربية الملكي قد اختار للجزء المستقل من الطبقة في البيت اسم الشقة

لأنها متعارفة في مصر لهذا المعنى لكنها متعارفة باسم الجناح ايضاً كما رأيت في عامة بلاد العرب على ان اصل معنى الشق في اللغة الصدع والخَرْم الواقع في الشيء يقال شققته بنصفين ومن هنا اطلق الشقّ على النصف وفي اللسان الشق والشِقّة بالكسر نصف الشيء اذا شق واصل معنى جنح مالَ الى جانب والقسم المستقل من اجزاء الطبقة ناحية او طائفة منها مالت في وضعها الى جانب من جوانب الطبقة فيكون اسم الجناح اولى به

(٧) الحيفة او الطريدة

قال في اللسان وتحيَّفت الشيء مثل تحوّفته اذا تنقصته من حافاته . والحيفة الطريدة لأنها تحيَّف ما يزيد فتنقصه حكاه أبو حنيفة وقال في مادة (طرد) والطريدة قصبة فيها حُزّة توضع على المغازل والعود والقِداح فتنحت عليها وتبرى بها ، أبو الهيثم الطريدة السَفَن وهي قصبة تُجوّف ثم يُفْغَر منها مواضع (وفي التاج بنقر) فيتبع فيها جذب السهم وقال ابو حنيفة الطريدة قطعة عود صغيرة في هيئة الميزاب كأنها نصف قصبة سعتها بقدر ما يلزم القوس والسهم .

وفي التاج (و) الحيفة (خشبة) على (مثال نصف قصبة في ظهر قصبة تبرى بها السهام والقسي) وهي الطريدة سميت حيفة لأنها تحيف ما يزيد فتنقصه

وقال في مادة (طرد) نحو ما جاء في اللسان

يصح ان تطلق الحيفةُ على الاداة التي تبرى فيها الأقلام الرصاصية بادارتها فيها فيخرج القلم وقد حيفت جوانبه وبُرِيَ بَرْيَ القِداح وأنْ تطلق الطريدة على ما يسمونه بالخراطة عند النجارين وهي التي يُبرى بها العود بادارته على حدّ شفرة حادة تأخذ من حافاته وهي معروفة في بلاد الشام كثيراً ورأيت مجمع اللغة العربية الملكي وضع المبراة لاداة بري الأقلام المعروفة بالمطوه *Canif* والبرّاءة للاداة التي تبرى بها أقلام الرصاص المعروفة بالبرّاية

والوضعان المذكوران متقاربا اللفظين مع تقارب معنييهما .

ولكني ارى أن الحيفة اخف لفظاً فلندع المبراة لما وضعها له مجمع مصر ولنطلق الحيفة على المعنى الثاني تقليلاً للاشتراك ودفعاً للاشتباه

(٨) الدَسْكَرَة

قال في اللسان الدسكرة بناء كالقصر حوله بيوت الأعاجم يكون فيها الشراب والملاهي قال الاخطل

في قباب عند دَسكرة حولها الزيتون قد ينعا

(وقيل هذا البيت لأبي دهبل وقيل ليزيد وقيل للأحوص) وكيف كان فهو يذكر منزلاً في ضاحية دمشق بين الرياض والغياض وفي التاج « الدسكرة بناء كالقصر حوله بيوت ومنازل للخدم والحشم كذا في المغيث في غريب الحديث لأبي موسى قال الليث يكون للملوك ومثله في جامع القزاز ج دساكر وفي النهاية : الدَّسكَرَةُ بناء على هيئة القصر فيه منازل وبيوت للخدم والحشم وليست بعربية محضة .

ويصح أن تطلق على ما يسمونه بالڤيلاً . والدسكرة اذا صح انها غير عربية فهي معربة في الزمن الاول

وقد كان اطلق مجمع اللغة العربية الملكي على الڤيلا الطزر بعد أن ذكر ما جاء في اللسان في مادة طزر من انه البيت الصيفي وفي مادة طرز انه بيت الى الطول وانه البيت الصيفي وانه معرب تِرْز

فكان لدينا اذاً بمعنى البيت الصيفي كلمتان [طَزَر] بتقديم الزاي على الراء وزان سبب [وطِرْز] بتقديم الراء على الزاي وزان حِمل فهل هما لغتان أو احداهما محرفة من الاخرى ، قالت مجلة مجمع اللغة العربية الملكي في الجزء الثاني ص ٦٧

(وربما كانت الطِرْز محرفة عن الطَزَر لاننا اذا رجعنا الى عبارة التاج في تفسير الطَزَر وعبارة المخصص في تفسير الطرْز رأينا تماثلا تامًا في التعبير مما يدل على نقل المتأخر عن المتقدم فصاحب التاج يقول الطزَر بالتحريك البيت الصيفي بلغة بعضهم وصاحب المخصص يقول الطرز البيت الصيفي بلغة بعضهم ثم بنى المجمع على ترجيح هذا القول ووضع الطزَر للبيت الصيفي وهو ما يعرف بالڤيلا ولا يخفى أن صاحب التاج متأخر عن صاحب المخصص وصاحب التاج نقل عبارة الازهري انه معرب عن الطِرْز وانه هو البيت الصيفي وانه بيت الى الطول كل ذلك في مادة طرز بتقديم الراء على الزاي فكيف بعد هذا صح لنا أن نجعل نقل المتأخر (صاحب التاج) انما كان بتقديم الزاي على الراء ونحكم على وقوع الغلط في عبارة صاحب المخصص [إذ المفهوم من كلام المجلة والمجمع انه نقلها مصححةً بالطَّزَر] ان ذلك أراه موضع نظر وبحث ، والعجب كيف صار المجمع المصري الى اختيار الطزَر بثقلها وما صحبها من التهجان كاد يكون عامًا فيما رأيت ولم يختر الطِرْز وهو يؤدي نفس المعنى المراد وموافق للاصل الفارسي

احمد رضا

الراديو وأثره في نشر اللغة

استزارني يوماً احد مديري المدارس فرحب بي وعرّفني بالأفاضل من أساتذة مدرسته . وهناك جرى ذكر اللغة العربية ووجوب العناية بنشر الفصحى بين النشء وتعميم ملكتها في نفوسهم . وأدّى بنا الحديث الى تعداد الوسائل التي يحصل بها ما ذكر . فكان مما اتفقنا عليه أنّ (الراديو) اصبح اليوم أعظم تلك الوسائل أثراً في نشر اللغة : فإن اصغاء الجمهور اليه . واهتمامهم بتفهم أخباره . وتداول تلك الاخبار بينهم يحكيها بعضهم الى بعض ويرويها بعضهم عن بعض . كل ذلك يجعل صورة كلمات اللغة ترسخ في أذهانهم على الوجه الذي سمعوه : فان سمعوا الكلمات صواباً حفظوها وورووها صواباً . وإلا وَعوْها وأدّوها خطأ .

يسمعون من (الراديو) مثلاً قوله (بقيتْ جيوشُ اليونان وَحدُها تقاتل في تلك المنطقة) فاذا هو يلفظ كلمة (وحدُها) مرفوعةً على ظن أنها صفة للجيوش مع انها دائماً منصوبة على الحال بمنزلة قولنا (منفرداً) . ويسمعونه يقول (أغرقت الطائرات باخرةً حَمولتها خمسة آلاف طن) بفتح حاء (حَمولتها) وهو خطأ صوابه ضمها : إذ أن المراد بها الأَحمال التي تحملها الباخرة . أما الحمولة بفتح الحاء فالدابة تحمل الأحمال .

وقد وافق مدير المدرسة الفاضل على ما كان يدور في المجلس من هذا الحديث ثم أيده بملاحظاته الخاصة التي اعتاد أن يدوّنها عن تلامذته . وقال ان الكثيرين منهم اصبحوا يستعملون من فصيح الكلام وصحيح الاساليب مالم يكونوا يعرفونه لولا اصغاؤهم الى (الراديو) . كما أنهم احياناً يرتكبون اخطاء في نطق كلمات تسرّبت اليهم من فم (الراديو) ذلك المخلوق العجيب الذي اصبحت له اليد الطولى في نشر اللغات . وتصوير مختلف اللهجات

ثم خفَّ المدير الى حيث الطلاب وأتى بواحد منهم وناوله من على المنضدة جريدة يومية وقال له أسمع الاستاذ .

فانبرى الطالب يقرأ علينا بصوتٍ جهير ونبرات متزنة . وكنا نراه إذا اخطأ في نطق كلمةٍ اعتذر بأنه هكذا سمعها من الراديو . وكان مما قرأه علينا من إذاعات الراديو هذه الجملة : (قصفت الطياراتُ المدينةَ بعنفٍ وبقيت النيران مستعرة فيها طيلةَ النهار الى المساء)

ففتح الطالب وهو يقرأ الجملة نون (نَيران) وجعها على وزن حَيران . وكسر ميم (مساء) وجعلها بوزن نِساء . وشدَّد الراء من (مستعرة) وجعلها بوزن (مستمرَّة) فصححنا له خطأه الذي التي تبعته على عاتق الراديو . وقلنا له : النيران مكسورة النون جمع نار كما ان الجيران والفيران أولها مكسور وهما جمع جار وفار . وكذلك (مساء) ميمه مفتوح وكلمة (مستعرة) راؤها مخففة على وزن مفتقرَة : لأَنها اسم فاعل من استعرَتْ النار اتقدت . فهو من (افتعل) ومشتق من السعير . ولو كانت (مستعرة) مشددة الراء لكانت من باب (استفعل) وكانت مشتقةً من العرّ (بتشديد الراء) وهو الجرب . ولَفظَ التلميذ كلمة (عَنف) بفتح العين كما سمعها من الفاضل مذيع بيروت . فنصحَ له بعض الحاضرين أن يلفظها بضم العين لا بفتحها فقلتُ له ان الضم هو المشهور بيننا ولكن الفتح جائز كما نصوا عليه .

* * *

ثم انتقل الجدل بين الحاضرين الى كلمتي (طيلة) و (قصف) هل هما فصيحتان فيما يستعملان فيه ؟ وسألوني رأيي في أمرهما فقلت :

عجباً لهذا الحظّ الذي رُزقته كلمة (طِيلة) فان الناس أولعوا بها إلى ما وراء الغاية . فيقولون طيلةَ النهار . وطيلةَ الدهر . أي مدتها الطويلة . وهذا

الاستعمال خطأ او هو على الأقل غيرُ مطابقٍ للاستعمال الفصيح : فان أهل اللسان انما يعرفون (الطيلة) بمعنى العمر لا بمعني طول المدة فاذا أرادوا طول المدة قالوا مثلاً « لا اكلمك طولَ الدهر او طَوالَ الدهر » بفتح الطاء . ويقولون (بتُّ سهران طُول الليل أو طَوال الليل) ولا يقولون (لا اكلمك طيلةَ الدهر) ولا (سهرتُ طيلةَ الليل) واذا اراد البلغاء استعمال كلمة (الطيلة) قالوا هكذا : (أطال الله طِيلةَ فلان) أي أطال الله عُمرَه . فالطيلة اذن انما تستعمل بمعنى العمر .

وأراني جريئاً على القول بأن (الطِيلة) لا يحسن استعمالها في غير المقام الذي استعملها فيه البلغاء وهو مقام الدعاء . فيقول احدنا لأخيه (اطال الله عمرك وفسحَ في طيلتك . أو أمدَّ الله في طِيلتك) ونحو ذلك ولا اظنني سمعتهم يستعملون (الطِيلة) في غير هذا التركيب او ما ضُرب على غراره . فلنا أذن مندوحة عن كلمة (طيلة) بكلمتي (طُول) و (طَوال)

بقي علينا فعل (قصفتْ الطياراتُ المدينةَ) وهذا الفعل وهو (القصف) بهذا المعنى مما استحدثه أو ولده الراديو وفرضه علينا فرضاً . ولعلنا لم نسمعه الا في هذه الحرب . وفي عهد المذيعين المفوّهين . وكأنَّ المذيع الأول منهم أراد أن يترجم لنا بالقصف كلمة (*Bombarder*) الإفرنسية فيكون التعبير العربي مشابهاً للتعبير الافرنجي في وَحدة اللفظ بعد ان كانوا يقولون (اطلقت الطيارة القنابلَ) و (ألقت القذائفَ) فاكتفوا بكلمة (قصفت) مكان الكلمتين . ثم انَّ معنى القصف في اللغة الكسر : قصفَ فلانٌ العود كسره وريح قاصف شديدة تقصف الأشجار . فهو فعل يتعدّى الى مفعول . ثم استعمل فعلُ القصف مجازاً في جلجلة الرعد فيقولون رعدٌ قاصف أي شديد الصوت مجلجل . وقصفَ الرعدُ اشتد صوته . وقد لاحظ القارئ انّ فعل (قصف) في استعماله المجازي اصبح لازماً بعد

ان كان متعديا . وربما سأل سائل : ماهي المناسبة بين المعنى الحقيقي وهو الكسر وبين المعنى المجازي وهو اشتداد صوت الرعد ؟؟ المناسبة هي أن المرء وهو يسمع جلجة الرعد يخيل اليه ان شيئًا يتكسر ويتقصف في عنان السماء ومن هذا المعنى المجازي اخذ رجال الإذاعة فعل (قصف) اللازم الدال على اشتداد صوت القنابل الملقاة من الطيارة . لكنهم حوّلوه من اللزوم الى التعدية للمفعول فهم يقولون (قصفت الطيارة المدينةَ) بعد ان ضمنوا فعل (القصف) معنى القذْف والرمي . فتأويل (قصفت) الطيارة المدينة اشتد صوت الطيارة قاذفةً المدينةَ بقنابلها قذفًا له صوت يشبه قصف الرعد في شدته . والتضمين كثير الورود في كلام العرب . وفي القرآن الكريم شواهد كثيرة عليه . فهذا الاستعمال الجديد لفعل (قَصفَ) الذي استحدثه المذيعون نقبله منهم ونشكرهم عليه . لكننا نحتفظ لأنفسنا حق الرجاء لهم في التثبت من بعض الكلمات الأُخرى والرجوع الى المعاجم في ضبطها وليس ذلك عليهم بالأمر العسير كما نلتمس من المذيع الأكبر مذيع لندن خاصةً ان يقتصر في قلقلة الحروف الأخيرة من الكلمات على حروف (قطب جد) الخمسة : فلا يقلقل الميم من كلمة (النظام) ولا اللام من كلمة (القتال) ولا النون من كلمة (الألمان) وذلك وفقًا لما تقرر في (علم التجويد) وتفاديًا من مخالفة أصول الأداء العربي .

* * *

ونذكر بهذه المناسبة كلمة أو تعبيراً جديداً اصطلح عليه (الديبلوماسيون) المعاصرون وأملاه علينا في هذه الأيام المذيعون ولم نعهد اننا سمعناه قبل هذه الحرب القائمة :

ذلك أن من خاض غمراتِ الحرب بالفعل سموه (محارباً) وضده (الحيادي او المسالم) وهو الذي لا ناقة له في الحرب ولا جمل . ثم رأى هؤلاء الديبلوماسيون

انهم في حاجةٍ الى اعتبار حالةٍ ثالثة لا يصح ان يوصف صاحبهـا بالمحارب ولا بالمسالم الحيادي فاصطلحوا على تسميته (باللاَّمحارب) . وكأنهم يريدون بتوصيفه بالحرب ثم نفيها عنه بحرف النفي (لا) أن ظروفاً استثنائية او جغرافية جعلته على أُهبة الحرب والاستعداد لها . او على وشك الدخول فيها عند اول فرصة . أو انه لا يخلو من ميلٍ في نفسه الى احد الفريقين المتحاربين

فالحالات اذن ثلاث (حيادي) (*neutre*) محارب (*en état de guerre*) لا محارب (*non belligérant*) ويظهر ان هذه الكلمات العربية الثلاث انما اصطلح عليها المذيع الاول او الديبلومامي العربي الاول ترجمة للكلمات الافرنجية الثلاث وقد قام في وضع هذا الاصطلاح بوظيفة المجمع العلمي فالشكر له على كل حال .

* * *

ومن لطيف الاتفاق ان يقع نظري على كلمتين في لغتنـا العربية تصلحان للقيام مقام كلمتي (المحارب) و (اللاّمحارب) .

وهما كلتا (عُدَى) بضم العين و (عِدي) بكسرهـا : وقد فسروا ذات الضم بالأعداء الذين نقاتلهم . وفسروا الثانيـة ذاتَ الكسر بالأعداء الذين لا نقاتلهم . فالعدى بالضمّ المحاربون بالفعل . والعدى بالكسر اللامحاربون لكنهم مستعدّون لها متهيؤون .

وقد رأيتُ هذه التفرقة بين كلمتي (عُدى) و (عِدى) في (محيط المحيط) للبستاني ووافقه عليها صاحب اقرب الموارد . لكنهما لم يشيرا الى المصدر الذي اعتمدا عليه في حكاية هذه التفرقة المليحة التي نحن في حاجة اليها والى امثالها من الاوضاع الجديدة . ثم راجعتُ اللسان والتاج والصحاح والأساس والمصباح فلم اعثر على تلك التفرقة بين الكلمتين المذكورتين غير ان اللغويين قالوا كلاماً

في معنى (العدى) بالكسر أحسبه السبب الذي حمل صاحب المحيط على اعتبار هذه التفرقة :

فقد قال اللغويون ان (العدى) مكسورة العين تكون بمعنى الغرباء الأجانب عنك . وذكروا شاهداً عليه قول الشاعر :

(إذا كنتَ في قومٍ عِدًى لستَ منهمو
فكل ما عُلفتَ من خبيثٍ وطيب)

فلعل صاحب المحيط استنتج من هذا التفسير لكلمة (عِدى) المكسورة انها بمعنى الأعداء الذين نلابسهم على علاتهم ولا نُثير عليهم حرباً ولا قتالا . فتبقى كلمة (العدى) بالضم لأولئك الذين نصارحهم العداوة ونناجزهم القتال بالفعل . والكلمتان تستعملان وصفين فيقال هؤلاء قومٌ عُدى . وأولئك قوم عِدى . واذا اريد المصدر جاز لنا ان نقول (عُدَوية) من عُدى (بضم العين) اي (محاربة) ومن عِدى المكسور نقول (عِدَوية) بكسر العين اي (لا محاربة)

على ان المجال مازال واسعاً امامنا للتثبت من هذه التفرقة بين الكلمتين ومن طريقة استعمالها وبعد ذلك يتسنى للمجامع العلمية وضع قرار بقبول تينك الكلمتين اللغويتين واستعمالها في الاصطلاحين الجديدين او بعدم قبولها بالمرّة والاكتفاء باستعمال الكلمات التي شاعت على لسان الراديو اعني (المحارب) و (اللامحارب) و (السلام)

المغربي

ابناء علي بن نصير الدين الطوسي

اطلعت اتفاقاً على نسبٍ قديم الخط كتب في ورق صقيل يتضمن اسماء ابناء علي بن نصير الدين الطوسي الفيلسوف الرياضي الشهير المتوفى سنة ٦٧٢ هـ ١٢٧٣ م ولكن هذا النسب لا يحمل شارة رسمية او صفة علمية اذ لا توقيع عليه لأحد وانما يزعم حامله وهو الشيخ صالح بن قاسم ناصر الدين من قرية دالية الكرمل بالقرب من حيفا ان هذه نسبتهم وانهم ينتسبون الى نصير الدين الطوسي وان تحرّف اليوم الى ناصر الدين

وهـذه الأسرة من الأسر المعروفة بين آل معروف وقرية دالية الكرمل أُنشئت منذ مائة وثمانين عاماً أنشأها مهاجرة الدروز الذين جاؤا اليها من الجبل الأعلى في أرجاء حلب كما يقولون واستوطنوها من ذلك التاريخ ومن أسرها المعروفة ايضاً حسون والحلبي ٠

والى القارئ الكريم نصّ هذا النسب بحروفه وعلى علاّته واغلاطه على ان نذيله ببعض آراء وملاحظات

« اللهمّ صلي على سيدنا محمد وآله وصحبه اجمعين صلاة دائمة الى يوم الدين وسلم تسليماً كثيراً ٠ وقد نقلت هذه النسبة المباركة عن خط الشرف علي بن مولانا الامام الولي نصير الدين الشريف علي بن محمد الطوسي وذكر انها نقلت عن خطّ أبيه نسبة قديمة ذكر تاريخها في شهر رجب المرجب من شهور سنة خمسٍ وخمسمائة ونقلت ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ [1] الذي نقلت عن خط الشرف علي ولما نقلها الشرف علي عن خط ابيه نصير الدين المنقول عن النسبة القديمـة المتصلة بالأنساب الشريفة العلوية فسار بها الى مدينة دمشق المحروسة خلد الله تعالى ملك

(١) خرم مقدار ست كلمـات

مالكها لتكن في يده اثباتاً لشرفه واستخارة برحمة الله تعالى سكن دمشق المحروسة وطال[1] له المكان لشرف علي ورزقه الله البنين والبنات من الذكور عزّ الدين ولقبوه بعزّ الدولة وكاسب وشجاع الدين وعزائم وعبد الله ونقرّروا وتناسلوا وطاب لهم المكان وبقي في الشام وبلادها منهم فروع كبير[2] وكان لعزّ الدولة إولاد ذكور منهم فارس الدولة وكمال الدولة وسلمان الدولة ومحمود الدولة وحاتم الدولة وعبد العزيز وكان لكاسب علي واسماعيل وبَنّاً وخلف ومحمد ومزهر وسما[3] مزهر من جملة اولاده وكان مولد احمد بن مزهر في ساعة عكس فلقبوه بها ولما كبر سنه انتقل الى بلاد حلب وسكن بقرية بشتدلايا ثم عمر قرية تسما[4] تلتيثا وصار له فروع كثير[5] الى يومنا هذا ولشجاع الدين ايضاً عبد العزيز وحاتم وعلي ومحمد ولعزائم الشرف علي وعزّ الدين حسين وشهاب الدين احمد ومعن وحصن ونجم الدين ومحمد وشرف الدين علي ومنهم تفرّعت الطوائف المشهورة الآن بنو كاسب وبني شجاع وبني عزائم وبني فوارس والمعنية والحصنية ومنهم في بلاد الشام كثير وفي بلاد حلب ولهم فروع كثيرة متفرقة في البلدان والقرى منهم في بلاد بيروت وبلاد صيدا وبلاد صفد وبلاد حوران وحماة وحمص والمعرّة واعمال حلب ايضاً ومنهم الآن بيوت وطوائف مقرّرة في اماكن معلومة الى يومنا هذا وهم يعرفوا بأولاد البزيرية الى الآن في الأنساب والتورايخ المؤرخة في الكتب السابقة فقد ثبت وصحّ بين يدي مولانا وسيدنا قاضي القضاة جمال الدين مفتي المسلمين ثقة الملوك والسلاطين ابي عبد الله محمد ابن الشيخ الامام العالم صدر الدين ابي الربيع سليمان بن سومر البصراوي المالكي الحاكم بمدينة دمشق ومضافاتها ادام الله ملك مالكها وذلك في نهار الاثنين الرابع والعشرين

(١) لعلها وطاب .　　(٢) لعلها كثيرة .

(٣) و(٤) يعني سمي وتسمي ولها أمثال كثيرة فيما يلي　　(٥) يريد كثيرة .

من شهر صفر الخير من شهور سنة عشرٍ وسبعمائة ثبوتاً شرعياً واعتباراً مرضياً بالبينة العادلة المرضية التي بمثلها أيضاً ثبت بين يدي مولانا وسيدنا قاضي القضاة حاكم الحكام فخر الأنام صدر مصر والشام بقية السلف الكرام مؤيد الشريعة محمد الأريحي الحنفي الحاكم بمدينة دمشق المحروسة سنة احد عشر وسبعمائة وانه قد ثبت ايضاً بين يدي مولانا وسيدنا الشيخ الامام العالم العلامة قاضي القضاة حاكم الحكام حجة الاسلام والمسلمين ثقة [1] الملوك والسلاطين خالصة مولانا امير المؤمنين سليمان بن الشيخ الامام العالم العلاّمة بدر الدين الدمشقي الشافعي الحاكم بدمشق المحروسة سنة ثمانٍ وسبعمائة هو انه قد ثبت عندهم وصحّ لديهم أحسن الله اليهم اتصال نسب الشرف علي المنقول عن النسبة القديمة المتصلة بالانساب الشريفة العلوية من اولاد كاسب الى بلاد حلب علي وخلف واسماعيل فتقرر اسماعيل بن كاسب في قريةٍ من أعمال حلب تبع قضاء مرمين تسما بنش وخلف تقرر في قرية مرتحوان وعلي تقرّر في بنايل وصار لهم فروع كثيرة الى يومنا هذا ومنهم فروع من توجه الى ناحية الشرق الى بلاد البارة من اعمال حلب ايضاً المحروسة وأما بَنّا بن كاسب تقرر بقرية تسما دِلفا من اعمال حلب وحلال الدولة [2] تقرّر بقرية تسما بشنتدلنتة من اعمال حلب واما شجاع الدين وعبد العزيز ومحمد ويكنى جيقة [3] وحاتم تقرر في مدينة الشام وكمال الدولة ومحمود اولاد عزّ الدولة توجهوا الى بلاد حلب وتقرروا في قرية تسما تلتيتا المذكورة ايضاً وصار لهم فروع كثيرة الى يومنا هذا . وكلّ من لقب بالدولة نسبة لعزّ الدولة وكان لسليمان بن فارس الدين ولدات الدين [4] الواحد منهم سماه سعيد والآخر اسماعيل تقرر في قرية في اقليم دربل تسمى بقعسم واما علي فارس الدين والدولة [5] انتقل

(١) في الأصل ثقة ثم تصححت إلى ما يشابه بركة (٢) لعله جلال الدولة
(٣) لعله حيقة (٤) لعله ولدان اثنان (٥) لعل الدولة هنا زائدة

الى بلاد حلب وتقرّر في قرية من اعمال سرمين تسما باثنتا وصار له فروع كثيرة الى يومنا هذا .

واما شرف الدين علي وعزّ الدين الحسين إبنا عزائم سكنوا مدينة حماة وتقرروا بها مدة من الزمان وتناسلوا وطاب لهم المكان فخلف عزّ الدين الحسين ولدين نجم الدين محمد وشرف الدين علي فلحقوا بعمومتهم اولاد كاسب واقاموا بها يقرؤا القرآن ويكتبوا المصاحف الى يومنا هذا ولم يتقرروا في بلاد حلب في قريةٍ واحدةٍ كلهم . ثم ان شرف الدين علي عاد الى مدينة دمشق المحروسة ومات بها رحمه الله تعالى وخلف ايضاً ولدين وهما عز الدين الحسين وشرف الدين علي وعز الدين بن شرف الدين خلف اولاد ذكور وسماهم نجم الدين وشرف الدين وثبت اتصال نسبهم في النسبة السابقة المنقولة عن خط الشرف علي ايضاً لدى مولانا العالم العلاّمة قاضي القضاة حاكم الحكام حجة الاسلام والمسلمين علي بن سليمان بحلب المحروسة سنة خمسٍ وثمانمائة ادام الله ايامه وختم بالصالحات اعماله وعاد علينا من بركاته وانفذ امره واحكامه في مجلس حكمه وقضائه بحضرة السادة العدول ثبت الله اشهادهم ورحم الله آباءهم واجدادهم وغفر الله لنا ولهم ولكافة المسلمين اجمعين والحمد لله رب العالمين وصلي اللهم على سيدنا محمد وآله الطاهرين الطيبين وصحبه اجمعين .

نقلت هذه النسبة الشريفة العلوية عن النسبة المذكورة نهار الاربعا في شهر رمضان المبارك من شهور سنة ثلاثٍ وثمانين وتسعمائة هجرية على مهاجرها افضل الصلاة والسلام وهذه الاشخاص المذكورة في هذه النسبة جميعًا من سلالة الشرف علي بن الشيخ محمد الطوسى من سلالة النبي نوح عليه السلام مسلسلين واحداً بعد واحد إلى آخر الأئمة الفاطميين رضي الله عنهم اجمعين تم وكمل .

آراء وملاحظات

١ : ان اهم ما يلفت النظر في هذه النسبة ان تكون منقولة عن نسخة قديمة مؤرخة في رجب سنة ٥٠٥ هـ ١١١١ م بينما هي لا تتضمن نسبة كاتبها نصير الدين الطوسي بل تتعلق بنسبة ابنه علي الذي يقول انه نقلها عن النسبة المكتوبة بخط ابيه ·

٢ : وفي ترجمة النصير الطوسي المدونة في فوات الوفيات لابن شاكر الكتبي يذكر انه خلف من الأولاد صدر الدين علي والأصيل حسن والفخر احمد ويقول ان علياً ولي غالب مناصب ابيه ، فلما مات ولي بعده الأصيل حسن وقدم هذا الأخير الشام مع غازان وحكم في اوقافها تلك الأيام واخذ منها جملة ورجع مع غازان وولي نيابة بغداد فأساء السيرة فعزل وصودر وأُهين فمات غير حميد ، وأما الفخر احمد فقتله غازان لكونه أكل اوقاف الروم وظلم · وهذا ينفي قدوم علي الى الشام كما تزعم النسبة فمن اين جاء اولاد علي اليها واستوطنوها ·

قد يَرد على الذهن ان يكون اولاد علي جاؤا الشام مع عمهم الأصيل حسن وظلوا فيها بعد قفوله عنها ، ولكن النسبة تجعل الوارد الى الشام صدر الدين علي وهو لم يأتها بل مات اما في مراغة لأنه كان يتولى الرصد فيها بعد وفاة والده ، واما في بغداد التي انتقل اليها والده وصحبه وتلامذته كما يقول ابن شاكر ·

٤ : أردنا ان نستوثق من وجود القرى التي جاء ذكرها في النسبة فسألنا عنها زميلنا المفضال الشيخ محمد راغب الطباخ من مؤرخي حلب فقال ان شتدلايا وتلتيثا (ويقال لها الآن تلتيتا بتائين بينهما ياء) من قرى جبل الزاوية التابع لبلدة ريحا ، وان بنش قرية كبيرة تبعد عن ادلب فرسخاً يمر بها المسافرون من حلب الى ادلب ، وان مرتحوان شمالي معرة مصرين وهي تتبعها وتبعد عنها فرسخاً · قال ويوجد بها وفي الجبل الأعلى الذي هو قريب منها دروز ·

٥ : وسألنا الشيخ ايضاً عن قاضي القضاة بحلب علي بن سليمان المذكور اسمه في النسبة انه كان سنة ٨٠٥ ، فقال ان الشيخ كامل الغزي صاحب نهر

الذهب في تاريخ حلب استقصى اخبار القضاة ، ولكنه لم يذكر بينهم ذلك القاضي وقال الطباخ نقلاً عن ابن خطيب الناصرية من كتاب مخطوط : ان علي بن سليمان البرواناه الرومي ولي نيابة دار العدل فجلس بهـا وبين يديه القضاة فحكم وامضى الأمور على السداد وتوفى سنة ٧٠٩ هـ قلنا والفرق بين التاريخين يزيد على مئـة سنة ، وعبارة المؤلف تنمّ على ان دار العدل هذه كانت في القاهرة عاصمة الملك .

٦ً : عندي ثبت فيه اسماء بعض قضاة دمشق من سنة ٥٨٧ الى سنة ٧٢٢ هـ ولم اجد بينهم اسم سليمان بن سومر البصراوي المالكي الحاكم بمدينـة دمشق ومضافاتها وسليمان بن بدر الدين الدمشقي الشافعي الحاكم بدمشق المحروسة ، وقد يكون الثبت لم يتناول جميع القضاة فلا نستطيع الحكم على القاضيين المذكورين هل كانا على قضاء دمشق في التاريخين المحررين في النسبة ؟

٧ً : ولعلّ أغرب وأعجب مافي هذه النسبة هو ما جاء في خاتمتها من ان أبناء الطومي من سلالة النبي نوح عليه السلام وانهم تسلسلوا واحـداً بعد واحد الى آخر الأئمة الفاطميين .

لذلك نرى ان في نشر هذه النسبة التي تحتوي على أسماء كثيرٍ من القرى والاشخاص فائدة تاريخية اذا ايدتها بعض الحوادث والأخبار المطوية في بطون الكتب والاسفار .

عبد الله مخلص

الريال المزيف

ويح الفقير فما تراه يلاقي ... سدت عليه منافذ الارزاق
عصفت به وبسربه ريح الشقا ... فتساقطوا كتساقط الاوراق
فاذا بصرت به عجبت لشمعة ... كالزعفران تجول في الاسواق
علق المجاعة مص بعض دمائه ... وتعسف الحكام مص الباقي

. . .

اخذ الشقا يدها فسارت خلفه ... والليل ممدود على الآفاق
سارت ، فماس الخيزران بقدها ... ورنت ، فذاب السحر في الاحداق
وتلوح آثار النعيم بخدها ... كالفجر قبل تكامل الاشراق

. . .

اخذ الشقا يدها فان هي فكرت ... بمصيرها صعقت من الاشفاق
ووهت عزيمتها فألقت نفسها ... فوق الثرى وشكت الى الخلاق
تشكو بمدمعها وذل فؤادها ... وبما تحس به من الاحراق
يارب ! قالت وهي جاثية له ... ان شئت حل من الحياة وثاقي
قد عشت عمري ما عرفت بريبة ... وعبدت بعدك عفتي وخلاقي
والآن والأيام ملأى بالأذى ... قد اصبحت وقراً على الاعناق
زوجي يحارب في التخوم وطفلتي ... فوق الفراش تزيد في ارهاقي
من امها تبغي الغذاء لجسمها ... من امها تبغي الدواء الواقي
وطرقت ابواب الكرام فأوصدوا ... ابوابهم فرجعت بالاخفاق !...

. . .

سام الفتى عرضي ! فيالك من فتى ... كاسي الغنى عار من الاخلاق
هب ان اختك والزمان اصابها ... مثلي اصابت سافل الاعراق
افكان سرك ان ترى احسانه ... ثمن العفاف لضمة وعناق
خفف على عنقي الضعيفة واتئد ... اني رأيتك آخذاً بخناقي !

ان الريال غنى ولكن عفتي فوق الغنى ونفائس الاعلاق

. . .

أأصون عرضي؟وابنتي؟وحياتها؟ وعلاجها يحتاج للانفاق
انا ان اعف قتلتها فعلام لا تحيى بماء تعففي المهراق
لا ! لا تموت فانها لبريئة حسناء ماشبت عن الاطواق
اني مفارقة ابنتي او عفتي فعلى كلا الحالين مر فراق
والذنب للايام في حدثانها والذنب للاخلاق غير رواقي !.

. . .

رباه حلمك فالمصايب جمة وانا بواحدة يضيق نطاقي
لو شئت موتاً لابنتي لأخذتها وجعلت طهري قدوة لرفاقي
لكن اردت بقاءها واردت لي فقري ، اتظمئني وانت الساقي!
ستعيش بنتي وليكن ما شئته ستعيش . . . لكن من لهى العشاق

. . . . .

ومشت لموعده بماء جفونها الـــقرحى وجمر فؤادها الخفاق ! .

. . .

لو صوروا اللؤم الذميم فمثلوا (ذاك الفتى) عدّوا من الحذاق
ترعى السفالة في مجاهل قلبه وتطل ان شبعت من الآماق
ومتى يحاول حجب مكنوناته يلبس محياه حجاب نفاق
قنص الفتاة بفقرها وشقائها « وبما تكابد من امى وتلاقي ! »
حتى اذا اختليا انثنى بوصالها وقد انثنت بريالة البراق

. . .

رجعت وفي يدها الريال ورأسها لحيائها متواصل الاطراق
وكأنها خطرت لها ابنتها وما تلقاه من الم الطوى المقلاق
فأصابها مثل الجنون فتمتمت : بشراك اني عدت بالترياق

هو ذا الريال فانه نعم الذي يهب الشفاء لنا ونعم الراقي
هوذا الريال وقد تألق ماحق دجن الهموم وقد اردن محاقي !
هوذا الريال ولم يكن لولا ابنتي ليسومني نكراً عن الاطلاق !

. . .

ومضت الى الطباخ تلجم مابها لفتاتها من لاعج الاشواق
قالت ـ وأدته الريال ـ الاعطني بعض الغذا ، واردد علي الباقي
اسرع فانك ان تؤخرني تذق من جوعها بنتى امر مذاق !

. . .

نقف الريال باصبعيه وجسه وانهال بالارعاد والابراق
قبحاً لوجهك . . .
سيدي أتسبني عفواً وتحسبني من السراق ؟ .
ـ لا فالريال مزيف . . .
ـ أمزيف ! . . . صاحت وقدسقطت من الارهاق

. . .

سقطت على قدم الشقا فبكت لها عين العلى ومكارم الاخلاق
وبكى عفاف الآنسات عفافها خلل السجوف بمدمع مهراق
يا طير عفتها فديتك طائراً هلا حذرت حبائل الفساق

. . .

طلعت عليها الشمس وهي سجينة وفتاتها ضيف على الاسواق
اما الاثيم فلا تزال شباكه منصوبة لنواعس الاحداق
يسقى الرحيق بأكؤس ولواحظ والله يكلأ ـ «وهونعم الواقي!»

بشارة الخوري

مخطوطات ومطبوعات

جلوة المذاكرة وخلوة المحاضرة

الصلاح الصفدي من المكثرين من التأليف والمجودين فيه . ومن جملة كتبه مخطوط في الخزانة التيمورية من فروع دار الكتب المصرية هذا الكتاب ، أوله : الحمد لله الذي جعل لسان العرب أفصح الألسن ... قال وبعد فهذه اوراق أودعتها أزاهر ما حضر ذاكرتي ، وأدرج ضمنتها جواهر ما قذفته حافظتي ، عرضت حاصل فكري فانتخبت منه هذه الزبدة ، ورقمته في هذه البرود المحررة ، وأنبته في رباها الزاهرة ، والتزمت ان أورد فيها ما رق معناه وراق لفظه وشقّ الإتيان بمثله وشاق حفظه . وهذا الاسلوب حافظ عليه اهل الأدب من المتأخرين ، وسلكه اهل الذوق السليم من الناظمين والناثرين ، فجلوا أبكاره المستكنة في حدود خواطرهم ، وأطلعوا أقماره المستجنة في آفاق ضمائرهم ، لأن ما أتوا به أطرى في المسامع وأطرب ، وأسرى في القلوب وأسرب ...

ومقدمة الكتاب في معرفة فنون الشعر والقابها قال ان الشعر إن أثني به على حيّ فهو مديح كقول أبي الطيب في سيف الدولة :

نهبت من الأعمار ما لو حويته لهنئت الدنيا بأنك خالد

قال ابو الفتح عثمان بن جني رحمه الله تعالى : لو لم يمدحه الا بهذا البيت وحده لكان قد أبقى له ما لا يخلقه الزمان . وقال الشيخ تاج الدين الكندي : ما أجل هذا البيت وأحسنه ! مدح في مدح ، تركب من وجهتين بلفظ جزل لطيف ، وذلك انه بنى البيت على ذكر انه استباحه من المادية ، ثم تلقاه في آخره بسرور الدنيا ببقائه واتصال أيامه .

وإن أثني به على ميت فهو رثاء وتأبين كقول التميمي في ابن زياد :

ردت صنائعه عليه حياته وكأنه من نشرها منشور

قال بعض الأفاضل ما مات من قيل فيه مثل هذا البيت ٠

ولو ذكر فيه لؤم او جبن او بخل او ماهو ملحق بذلك فهو هجاء كقول بعض العرب[1] :

قوم إذا استنبح الأضياف كلبهم قالوا لأمهم بولي على النار

زعم بعضهم انه لم يُسمع أشد هجواً من هذا البيت وذلك أنه وصفهم بالبخل من كون نارهم تطفأ لئلا يهتدي الأضياف الى طلب قراهم ، ثم انه بالغ في وصفهم بشدة البخل ، لأنهم يطفئون النار ببول أمهم ، حرصاً منهم على الماء ٠ ثم انه وصفهم بالجبن والكسل ، لأنهم يتركون أمهم تتولى خدمتهم ليلاً ، ولم يأنفوا من ذلك ، ثم انه وصفهم بالعقوق ، وقلة الأدب إذ يخاطبون والدتهم بمثل هذا الخطاب السفيه ، ثم انه وصفهم بالقلة والصعلكة بحيث ان نارهم في القلة الى غاية تطفأ ببولة المرأة ، وقد تكلف بعضهم واستنبط منهم أشياء أخر بعيدة التأويل اضربت عنها ٠ ولو ذكر اخلاف وعد ومطل وقلة وفاء وامثال ذلك فهو عتاب ٠ والكتاب كله على هذا النحو وهو في ٢٠٣ صفحات صغيرة ٠

محمد كرد علي

(١) هو الأخطل (الديوان طبع المطبعة الكاثوليكية بيروت ص ٢٢٥)

الذخيرة لابن بسام

كتاب الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة جزيرة الأندلس من اشهر كتب الأدب في الغرب ، فهو ككتاب يتيمة الدهر للثعالبي في الشرق ، وضعه صاحبه ابو الحسن علي بن بسام الشنتريني المتوفى سنة ٥٤٢ ﻫ وكان اماماً في الصناعتين صناعة النظم وصناعة النثر . والكتاب يحمل صفحات اطالت حجمه ، ولكنها ابانت عن اقتدار المؤلف وايثاره الاستقصاء ، وثبت بها ان اهل الاندلس ما كانوا يقلون عن اهل الشرق بأدبهم الذي تقرأ فيه طابعهم .

وقد حمل هذا الجزء الأول ترجمة المستعين بالله سليمان بن الحكم والمستظهر بالله وابن دراج القسطلي وعلي بن حمود وابن برد الاكبر والوزير عيسى بن سعيد القطاع وعبد الوهاب بن حزم والفقيه ابي محمد بن حزم ومنذر بن يحيى التجيبي وابن شهيد وابن الافليلي وابن زيدون وابن حناط الكفيف وغير ذلك من الحوادث السياسية . واستوفى تراجم الأمراء الفصحاء والشعراء والأدباء والعظماء .

ومن مطالعة هذا السفر يتجلى الأدب الأندلسي كل التجلي . ويعرف بما نقل المؤلف في كتابه عرضاً ان حملة الأقلام واعلام الشعراء كانوا يتأدبون بآداب الأقدمين والمحدثين من العرب ، وكانت معرفتهم ثاقبة بأدب كل من نبغ في عصرهم في الشرق . وقد تسقط لأدبائهم على آراء غريبة ، ولا عجب فطابع كل ادب مقتبس من بيئته ، ولهذا كان ادب الأندلس غير ادب بغداد ودمشق والفسطاط .

من ذلك ما رواه ابن بسام للوزير عامر بن شهيد : « واصابة البيان لا يقوم بها حفظ كثير الغريب واستيفاء مسائل النحو بل بالطبع مع وزنه من هذين ، ومقدار طبع الانسان انما يكون على مقدار تركيب نفسه مع جسمه ، فمن كانت نفسه في اصل تركيبه مستولية على جسمه ، كان مطبوعاً روحانياً يطلع صور الكلام والمعاني في أجمل هيئاتها ، وأروق لِبْساتها ، ومن كان جسمه مستولياً على

نفسه — من أصل تركيبه — والغالب على حسه ، كان ما يطلع من تلك الصور ناقصاً عن الدرجة الأولى في الكمال والتمام وحسن الرونق والنظام . فمن كانت نفسه المستولية على جسمه فقد تأتي منه في حسن النظام ، صور رائعة من الكلام ، تملأ القلوب ، وتشغف النفوس ، فاذا فتشت لحسنها أصلاً لم تجده ، ولجمال تركيبها أساً لم تعرفه ، وهذا هو الغريب أن يتركب الحسن من غير حسن (ص ١٩٧) .

وقال ابو عامر (٢٠٢) : « وكما أن لكل مقام مقالاً فكذلك لكل عصر بيان ، ولكل دهر كلام ، ولكل طائفة من الأمم المتعاقبة نوع من الخطابة . وضرب من البلاغة ، لا يوافقها غيره ، ولا تهش لسواه ، وكما أن للدنيا دولاً ، فكذلك للكلام نُقلٌ وتغاير في العادة ، ألا ترى أن الزمان لما دار كيف أحال بعض الرسم الأول في هذا الفن الى طريقة عبد الحميد وابن المقفع وسهل بن هارون وغيرهم من أهل البيان ، فالصنعة معهم أفسح باعاً ، وأشد ذراعاً ، وأنور شعاعاً ، لرجحان تلك العقول ، واتساع تلك القرائح في العلوم . ثم دار الزمان دورانا ، فكانت إحالة أخرى الى طريقة ابراهيم بن العباس ومحمد بن الزيات وابني وهب ونظرائهم ، فرّقت الطباع ، وخف ثقل النفوس . ثم دار الزمان فاعترى اهله باللطائف صلف ، وبرقة الكلام كلف ، فكانت إحالة أخرى الى طريقة البديع وشمس المعالي وأصحابهما . »

لا جرم ان حرص الاندلس على الأخذ من الشرق وأدبه ، ووقوفه بالمرصاد لمراقبة حركته العلمية كان من الخير للأدب ، مثال من ذلك صغير ، ولكنه يدل على أمر عظيم ، قال ابن بسام : (٣٦٥) وكان ابن جهور كسر دنان الخمر ، وكان مدحه أيضاً يومئذ بمثل ذلك عبد الرحمن بن سعيد المصغر بشعر أوله :

كسرت لجبر الدين أوعية الخمر   فأحرزت خصل السبق في الكسر والجبر
عمدت الى الشر الذي جمعوا له   ففرقت منه ، فاسترحنا من الشر

في أبيات غير هذه استبردتُ جملتها ، وانما ذهب الى عكس قول من تقدم من عباث الشعراء من ذم صبّ الشراب ، ومن أشهره قول بكر بن حارثة الكوفي ، وقد رأى من سلطان وقته مثل ذلك فقال :

يا لقومي مما جنى السلطانُ　　لا يكن للذي أهان الهوانُ
سكبوا في التراب من حلب الكر　　م عقاراً كأنها الزعفرانُ
صبها في مكان سوء ، لقد صا　　دف سعد السعود ذاك المكان
من كميت يبدي المزاجُ لها لؤ　　لؤ نظم والفصل فيها جمانُ
فاذا ما اصطبحتها صغرت في القـ　　ـدر عندي من أمه الخيزران
كيف صبري عن بعض نفسي وهل يصـ　　ـبر عن بعض نفسه الانسانُ !

وبلغني أن الجاحظ أنشد هذه الأبيات فقال للمنشد : « من حق الفتوة أن اكتبها قائماً ، وما أقدر الا ان تعمدني » لنقرس كان به . قال المحدث : فعمدته وقام فكتبها . »

ومن ذلك قطعة ظفر بها ابن بسام لسليمان بن الحكم الأموي الذي بويع بالخلافة سنة اربعمائة « عارض بها هارون الرشيد » فتشعشعت بها الكؤوس ، وتهادتها الأنفاس والنفوس ، قال هارون الرشيد :

ملك الثلاث الآنسات عناني　　وحللن من قلبي بكل مكان
مالي تطاوعني البرية كلها　　وأطيعهن ، وهنّ في عصياني !
ماذاك إلا أن سلطان الهوى　　— وبه قوين — أعز من سلطاني

فقال سليمان المستعين :

عجباً يهاب الليث حد سناني　　وأهاب لحظ فواتر الأجفان
فاقارع الأهوال لا متهيباً　　منها سوى الإعراض والهجران
وتملكت نفسي ثلاث كالدُمى　　زُهرُ الوجوه نواعم الأبدان
ككواكب الظلماء لحن لناظري　　من فوق أغصان على كثبان

هذي الهلال، وتلك بنت المشتري حسناً، وهذي اخت غصن البان
حاكمت فيهن السلوّ الى الصبا فقضى بسلطانٍ على سلطاني
فأبحن من قلبي الحمى وتركنني في عزّ ملكي كالأسير العاني
لا تعذِلوا ملكاً تذلل للهوى ذلُّ الهوى عزٌّ وملك ثاني
ما ضرَّ أني عبدُهن صبابةً وبنو الزمان وهن من عُبداني
إن لم أطع فيهن سلطان الهوى كلفاً بهن فلست من مروان . »

ومن فوائد هذا الجزء ما صدر عن المظفر بن ابي عامر بقلم ابن برد الأكبر من كتاب يدل على مبلغ حرص الاندلسيين على اللغة وجمال الخط والوضع قال في معنى استكتاب الجهلة (٨٧) (... فلم يبلغ ان يُحكم الخط فيقيم حروفه، ويراعي المِداد فيجيد صنعته، ويميز الرّق فيحسنَ اختياره، وَعجزُه الحزم النافذ والحكم الصادع، بان يكون صدور كتب الاعتراضات وعنواناتها وتواريخها والاعداد في رؤوس رسومها، بخطوط أيدي القواد والعمال، من كان منهم كاتباً فبيده، ومن لم يكتب فبخط كاتب له معروف، وان تكون تسمية طبقات الأجناد فيها بينة الحروف قائمة الخطوط ... على أنه إن ورد لأحد من الخدَمة بعد وصول ذلك العهد اليه كتاب اعتراض او عمل في رَق رديّ، أو بمداد دني، او خط خفيّ، فيه لحن، او كتاب على بشر في عدد، او رأس رسم ما لم يخفَ او يقع في حشو الكتاب ويعتذر منه، ليبطلن سعي كاتبه فيما كتب، وليعاجلن بعقوبة العزل واغرام المال الثابت عدده في ذلك القنداق ... وان قوماً من خدمة الحضرة قد عادوا لما نهوا عنه فكتبوا الخط الدقيق في دنيّ الرُّقق دقةً من هممهم ودناءة في اختيارهم، وجهلاً بأن الخط جاه الكتاب وسلك الكلام ... وانا أعطي الله عهداً لئن ارتفع اليّ — بعد بلوغ عهدي هذا اقصى حدود المملكة وانتهائه أبعد أقطار الطاعة — كتاب على الصفات المذمومة، والاحوال المسخوطة، من رَقّ او مداد او خط لأوفينّ لصاحبه بما قُدّم اليه من الوعيد . »

قسم المؤلف كتابه أربعة اقسام: قسم لاهل قرطبة وما صاقبها ، وآخر لأهل الجانب الغربي من مدن الأندلس ، وذكر اهل اشبيلية وما اتصل بها من بلاد ساحل البحر المحيط الرومي ، والثالث اهل شرق الاندلس ، واستوعب القسم الرابع من طرأ على جزيرة الاندلس من مشهوري الآفاق ممن نجم في عصره بافريقية والشام والعراق . واعتمد على ما كتبه ابن حيان مؤرخ الأندلس العظيم في الحوادث السياسية واقتصر على ما كان من شعر معاصريه ، ولم يعرض لمن كان قبله لأن من سبقه من المؤلفين وضعوا لذلك الكتب فلم يحب ان ينازعهم .

تصدى المستشرق الفرنسي ليفي پروفنصال للبحث عن الكتاب واختار مصر لنشره ، فألف القسم العربي في كلية الآداب من جامعة فؤاد الاول لجنة من طلابها النابهين تعد الكتاب للنشر ، ثم تعرض اعمالها على لجنة قوامها اصدقاؤنا الاساتذة الدكتور طه حسين بك واحمد امين بك والشيخ مصطفى عبد الرازق باشا والسيد عبد الحميد العبادي والدكتور عبد الوهاب عزام والسيد ليفي پروفنصال ، فخدم الكتاب بذلك اجل خدمة ولم تقع فيه غير هنات قليلة لا يخلو منها كتاب قديم يراد احياؤه على الطرائق العلمية الحديثة .

وكان السيد پروفنصال اطلعني على بعض تعاليق على هذا السفر وضعها بالفرنسية على عادة علماء المشرقيات منذ القديم ، وكانوا يضعون ملاحظاتهم على ما يحبون نشره من كتبنا بلغاتهم الغربية ، وأصبحوا منذ عهد قريب يجعلونها بالعربية لغة الكتاب ، فطلبت اليه أن يكتب ملاحظاته بالعربية ، ولفت انظار لجنة نشر الكتاب الى ذلك فوافقوا على رأيي ، ولطالما لاحظت على بعض العلماء المستعربين من الغربيين في هذه المجلة ، كلما نشروا كتاباً لنا وجعلوا مقدمته وهوامشه بلغاتهم ، ذاكراً لهم ان الكتاب لا تتناوله أيدي المستشرقين فقط ، بل أيدي ابناء العرب ، ومنهم من لا يحسن اللغات الاوربية ، فكتابة التعليقات بغير لغة الكتاب الاصلي ضرب

من العنت يحرم بها قسم عظيم من الراغبين في الاستفادة من الكتاب ، وكان الاستاذان ريتر ونيبرغ هما اللذان سنا هذه السنة الحسنة للمستشرقين فجعلا ملاحظاتها ومقدماتها بالعربية على ما نشرا من الامهات ، ومنها الوافي بالوفيات للصفدي ومقالات الاسلاميين واختلاف المصلين لابي الحسن الاشعري والانتصار للخياط ·

وقد وعد المقدم للكتاب الدكتور طه حسين ان يصدر الكتاب في مجلدات ثمانية لكل قسم من أقسامه مجلدان ثم تصدر اللجنة بعد تمامه مجلدين احدهما يشتمل على فهارس في موضوعات الكتاب وما فيه من الاعلام والثاني يشتمل على ملاحظات مفصلة تمس النص وتتصل بالنسخ المختلفة وبالمراجع التي يرجع اليها المؤلف في تأليفه ورجع اليها المصححون في تصحيحهم وعلى معجم الالفاظ والاصطلاحات الاندلسية التي لا توجد او لا توجد الا قليلا في كتب الشرق ، فنرجو لهم اتمام هذه الامنية ونشكر لجامعة فؤاد الأول عنايتها باحياء هذه المعلمة الاندلسية على نفقتها وللجنة التأليف والترجمة والنشر على طبعها لها في مطبعتها على المثال المتقن الذي عودتنا عليه من اصدار مطبوعاتها النافعة ·

محمد كرد علي



ديوان طفيل بن عوف الغنوي

وديوان الطرماح بن حكيم الطائي

عهدت لجنة ذكرى «جيب» الى المستشرق الكبير الاستاذ ف · كرنكو المعروف بين قراء العربية بسالم الكرنكوي بتحقيق وتخريج هذين الديوانين المجموعين في مجلد واحد محفوظ في المتحف البريطاني ورد في آخره انه كتب سنة ثلاثين واربعماية ·

أما الديوان الأول فهو ديوان الطفيل رواية ابي حاتم السجستاني عن الاصمعي · عدد قصائده عشر مع شرح موجز للسجستاني ، عدا ما استدركه الاستاذ كرنكو فجعله ملحقاً للديوان وهو ما عثر عليه من شعر الطفيل مما لم يذكر في الديوان ·

والطفيل هذا شاعر جاهلي فارس ينتسب الى قبيلة غني من قيس بن عيلان ، قاد قبيلته وأغار بها على طيئ · وشعره يمثل حياة البادية في الجاهلية ويكاد يكون سجلاً للاحداث الخطيرة التي شهدتها قبيلته ، يذكر اضطرابها بين الحجاز ونجد واطراف الشام وحروبها مع طيئ وموالاتها لبني الحارث بن كعب وبني جعفر وبني سعد بن عوف ويفخر بمساعيها ويرثي شيوخها ·

واكثر ما يحتفل به من المعاني وصف الخيل والتفنن في نعتها والثناء عليها والافراط في حبها والاكثار من ذكرها حتى سمي طفيل الخيل لكثرة وصفه اياها ، وعد من اشهر من وصفها وجعله صاحب الأغاني اوصف العرب للخيل · قال عبد الملك بن مروان : « من أراد ركوب الخيل فليرو شعر طفيل » وله في وصف الابل ما هو دون ذلك ·

وهو في اكثر شعره جاد ، مقتصد في غزله متصاون فيه قليل اللهو لا يكاد يعبث ، يصف الغارات وبلاء قومه فيها ويتغنى بالشجاعة والكرم والعفة والمآثر

ويفخر بها ويحض عليها ولذلك أحبه رجال الجد والعمل كمعاوية وعبد الملك ، فقد روي عن معاوية انه قال : « دعوا لي طفيلاً وسائر الشعراء لكم » وروي عن عبد الملك انه قال لولده واهله : « أي بيت ضربته العرب ووصفته اشرف حواء واصلاً وبناء ؟ فقالوا فاكثروا وتكلم من حضر فأطالوا ، فقال عبد الملك : اكرم بيت وصفته العرب بيت طفيل الذي يقول فيه :

وبيت تهب الريح في حجراته ... بارض فضاء بابه لم يحجبِ
سماوته أسمال برد محبر ... وصهوته من اتحمي معصب
وأطنابه ارسان جرد كأنها ... صدور القنا من باديء ومعقب
نصبتُ على قوم تُدر رماحهم ... عروقَ الاعادي من غرير وأشيب »

ويأتي بعد ديوان الطفيل ديوان الطرماح بن حكيم الطائي وعليه شرح موجز ولكن لم يذكر فيه اسم جامعه ويظن الاستاذ كرنكو انه الطوسي احد من جمع شعر الطرماح ، وعدد قصائد الديوان ثمان ، ويليها ذيل جمعه الاستاذ كرنكو وفيه طائفة صالحة من شعر الطرماح مما خلا منه الديوان .

والطرماح ينتهي نسبه الى طيئ وهو من فحول الشعراء الاسلاميين ولد في الشام حوالي منتصف القرن الأول ونشأ بها وانتقل من الشام الى الكوفة مع جيش من جيوش اهل الشام ، وفي الكوفة مال الى مذهب الخوارج فاعتقده أشد اعتقاد واصحه حتى مات عليه . وذهب من الكوفة الى بلاد فارس واقام بالري يشتغل بالتعليم ، وعاد في آخر ايامه الى الكوفة وتوفي فيها بعد انقضاء القرن الأول بقليل .

كان الطرماح واسع الرواية تعلم النحو وطلب غريب اللغة وعلّم الأدب . وشعره وأخباره تدل على استقامة وجد وحزم وتقوى شأن اكثر الخوارج ، فلم يكن يميل الى العبث واللهو بل يغلب عليه الجد والعفاف . وهو مع علو همته وانفته فخور تياه يفخر بنفسه ونسبه ويتعصب للقحطانية على العدنانية ويعتز بقبيلته واسلاميته وشاميته واشعاره في ذلك غير قليلة .

وتغلب على شعره الجزالة حتى تنتهي في كثير منه الى الغريب والعويص ويظهر عليه أثر الاسلام واضحاً جلياً . تقرأ شعره فترى نفس شاعر فارس سمح جم المروءة حمي الأنف كبير النفس حسن الايمان لا يكاد يصرف شعره في سبيل الزلفى والتكسب بل يرسله معبراً عما يختلج في نفسه من بواعث الشعر فيصف ويتغزل ويفتخر ويهجو ويرسل المثل وينطق بالحكمة والموعظة . وتكاد تكون جميع قصائده الطويلة من هذا النوع لم يمدح بها أحداً ولم يرث بها أحداً بل قالها لوجه الشعر .

والهام البادية في شعره أظهر — مع أنه حضري نشأ في الشام ودخل بلاد فارس – اذ ترى فيه لمع السراب وتشم منه عبق الشيح والقيصوم وتسمع عزيف الجن ورغاء الابل وهو يعد من أكثر الشعراء تتبعاً لغريب اللغة وعويصها ولغته في قسم كبير من شعره أشبه بلغة الرجاز الذين كانوا يباهون بالغريب مثل العجاج وابنه رؤبة وابي النجم ولكن الذي ينبغي التنبيه اليه ان الطرماح لا يتكلف الغريب في كل شعره بل في قسم منه .

ومن مختار شعر الطرماح قوله يفتخر :

لقد زادني حباً لنفسيَ انني ... بغيض الى كل امريءٍ غير طائل
واني شقي باللئام ولا ترى ... شقياً بهم الا كريم الشمائل
اذا ما رآني قطع الطرف دونه ... ودونيَ فعل العارف المتجاهل
ملأت عليه الأرض حتى كأنها ... من الضيق في عينيه كفة حابل
أكل امريءٍ الفى اباه مقصرا ... معادٍ لاهل المكرمات الأوائل
اذا ذكرت مسعاة والده اضطنى ... ولا يضطني من شتم اهل الفضائل
وما منعت دار ولا عزّ اهلها ... من الناس الا بالقنا والقنابل

ولقد ترجم الاستاذ كرنكو الديوانين المذكورين مع ما استدركه عليهما الى اللغة الانكليزية وجعل لهما مقدمة ضافية وفهارس للقصائد والمقطوعات والاعلام والمظان ومعجماً لمفردات الديوانين مع ترجمة المفردات الى اللغة الانكليزية بعناية وجهد وتدقيق تنم على علم وفضل وبراعة .

خليل مردم بك

مجلة المجمع العلمي العربي

الجزء الثاني		شباط سنة ١٩٤١		صفر سنة ١٣٦٠

سخيف عاداتنا (*)

تتبدل العادات بتبدل الدول والمدنيات ، وتفعل في تلوينها كثرة المهاجرات والرحلات ، ويندر ان تتفق عادات بلد مع بلد أو اقليم مع اقليم . ومن العادات في ديارنا ما هو جميل لا ضرر فيه ، ومنها ما هو قبيح يحمل أضراراً . وكلامنا هنا على هذا النوع الأخير الذي يتأذى منه أرباب الذوق وعشاق النظام . وبغير التعليم لا سبيل الى نبذ العادات السخيفة ، فبالتعليم تتحد المنازع ، وتقل الفوارق ، ويشيع بين المواطنين كل حسن نافع .

من عاداتنا في اللقاء أن يباغت الرجل صاحبه في بيته أو في محل عمله في الوقت الذي يناسب الزائر وقد لا يناسب المزور . ومن النادر ان يستأذن الطارق ، كأن يقرع الباب بلطف ، ويقف ريثما يسمح له بالدخول ، وقد نسيت عادة الاستئذان ، وكانت مستحكمة عند أجدادنا في القرون الماضية ، فعدنا نقتبسها اليوم من الافرنج . ومن المؤسف ألاّ تكون لنا اوقات معينة للزيارات ، ولقاء الاخوان والمعارف ، وان نترك مثل هذه الأمور الجوهرية فوضى ،وقد جعل بعض السيدات في المدن يوماً خاصاً لاستقبال صويحباتهن وذوي قرباهن ، فتقدمن في هذه المأثرة رجالهن .

كان الرجل اذا دخل مجلساً يوسعون له فقط ، فيسلم ويسلمون على عادة العرب في الجزيرة الى اليوم ، وكان يندر القيام للزائر الا اذا كان لعظيم مجمع على عظمته ،

(*) محاضرة الأستاذ محمد كردعلي في راديو الشرق (بيروت) مساء يوم ١ شباط ١٩٤١

يقومون له مرة واحدة ، وألفوا لعهدنا ان ينتصبوا قائمين لمن كان ذا حرمة في ذاته كلما دخل المجلس وخرج منه ، ولو تكرر ذلك عشر مرات ، يزعمون انهم يكرمون صاحبهم بذلك ، وقد يكون الرجل في بيته ، وجماعته يحاولون اكرامه ، واجلاسه في المكان الذي يتخيلون انه رفيع ، وما أرى وجهاً لإكرام الرجل في داره ، وواجبه هو ان يحتفي بضيوفه وزواره .

واذا دخل المجلس صاحب شأن في الدولة فالحفاوة به تزيد على الحفاوة بغيره ، وكلما كان الداخل رب جاه وغنى ، او ممن يخشى شره وان كان لا يرجى خيره ، يزيد الاحتفال به والاقبال عليه ، فيهبُّ كل من فيه هبة رجل واحد ، ويأخذون بيده ليجلسوه في المكان الممتاز بينهم ، او الذي يتوهمون انه ممتاز ، وقد تكون المقاعد كلها متشاكلة ، لا فرق بين ما كان منها عند الباب ، وما جعل في صدر المجلس ، فيقف الحضور على الأقدام دقائق حتى تتم هذه العملية ، وتسمع خلال ذلك الايمان والحلف بالمولى وبغيره ، ويفعلون مثل ذلك اذا انتووا الدخول الى مجلس او الخروج منه ، فاذا اجتمعوا يتعب أهل المجلس حتى يرضى الداخل ان يتخذ مقعده الذي يجري الاتفاق على ان يخصوا به زائرهم وجليسهم ، ويقتنعون بأنهم قاموا باجلال صاحبهم ، وفي الغالب انه لا يتم ذلك كله حتى يشدوا الداخل من يده أو يدفعوه في صدره ، اذا أبى مطاوعتهم على ما يخصونه به من الاكرام .

ولطالما ابتعدت عن الوقوع في حكم هذه العادات القبيحة التي تؤذي القادم على المجلس ، وتعطل وقته وأوقات من اجتمع فيه ، وقد لا انجو من هذا التكريم الذي لا معنى له الا بعد اسماع من يحاول شدي كلاماً قاسياً أدفعه به عني ، فأجلس حيث ينتهي بي المجلس ، على ما اهوى لا على ما يهوون ، لا استجيز اخذ مقعد أحد يعده المسكين مكاناً مشرفاً له ، ولا اختار موضعاً يأتي بعد لحظة شخص أكبر مني ، أو شيخ معمم متزمت أو احد من في قبضتهم الرواتب والمناصب من الحكام ، فاضطر الى أن اتنازل عنه مرغماً .

وكانت لطبقة الاعيان في مجالسهم عادة من أقبح ما يسجل من انواع العادات ، سرت اليهم من الترك العثمانيين غالباً ، وذلك ان تبدأ عمليةٌ أخرى ، بعد العملية المتقدمة التي كان فيها الدفع والجر والحلف ، لا تقل عن عملية اجلاسه غرابة ، وهي انهم اذا جلسوا يسودهم السكوت بضع ثوان ، وناظورة المجلس ، ومن كان في طبقته ومقامه يتغامزون ، ويسترحم الواحد من صاحبه ان يبدأهم بالسلام . فيصرف المتشاكلان في السن وقتاً حتى يتم السلام ، وينال الكبير في نظرهم هذا التشريف ، ويفض هذا الاشكال . وبعد ذلك يحق لأهل المجلس أن يسلم بعضهم على بعض . وكادت هذه العادة تبطل وهي من أسخف ما ألف المتنطعون .

وتجيء بعد ذلك مشكلة أخرى وهي تقديم القهوة للحاضرين ، وفيها ما يعبث أيضاً بآداب المعاشرة ، ويضيع على الحضور وقتهم . فيأتي من يقدّر الخادم او الخادمة انه كبير المجلس ، ويخصه اول الحاضرين بالفنجان الأول ، فلا يرضى اخذه فينشأ المناول يتنقل بما يحمل من ضيف الى ضيف ، فيأبى كل من يقدم اليه ... فنجانه ، ويشير بأن يخص بهذا الشرف من هو اكبر منه ، وتبدأُ الأَيمان والرجاآت وقد يقوم بعضهم من مكانه ويحمل فناجاً الى آخر يراه لائقاً بالاكرام ، وعندئذ يستقر الرأي على أن يتناول المقدمون أقداحهم ويتمتع الباقون بأخذها ، وذلك بعد أن ينفد الصبر وتبرد القهوة والشاي وغيرهما . وفي الغرب يتناول المرء ما يعرض عليه ، وقد يؤثرون السيدات بالتقديم ثم يأخذ الرجال بدون تفريق بين كبير وصغير ، ويرجع ذلك الى تقدير الساقي ؛ وقد اقتبسنا عن شيوخنا عادة البداءة بالميامن ، فيقدم الساقي القهوة او غيرها آخذاً من اليمين اي يمينه ، ولو كان المتناول الاول وليداً او وضيعاً بالقياس الى من في صدر المجلس ، وهي عادة مستحسنة توفر على الناس أوقاتهم وحلفهم وسخافاتهم ومشكلاتهم .

ومن منكر عاداتهم اذا اجتمعوا ان يخلطوا بين الأحاديث ، وقد يهمس الجار

وجاره ويخرجان عن ادب الجماعة ، هذا اذا لم يتكلموا كلهم معاً بحيث يضيع النظام ، كما كانت تختلط اصوات النسوان في الحمام .

ومن أبشع ما ألفوا من العادات عادة لهم يطبقونها في الشارع ، وذلك أن احدهم اذا لقي أحد معارفه ، وقد يكون هذا مع صاحب له أو أكثر ، ووقته يحفره للاسراع ، فيستوقفه ويسأله أسئلة عرضت لخاطره في تلك الساعة ، ورفاقه ينتظرون الفرج لحلّ عقاله ليحلّ عقالهم معه ، وقد يكونون مثله ضيقاً وقتهم ، ويحاولون الوصول الى عملهم مسرعين . وربما كان ايقافه هذا لسؤاله عن الحوادث التي تنشرها الجرائد كل يوم ، او لأخذ رأيه في مسألة سياسية تشغل بال الناس ، ويحتاج الجواب عليها الى بضع دقائق أو اكثر ، او للتوسط لمبطل او للسؤال عن عاطل الى غير ذلك من التافهات .

وكثيراً ما كان يستوقفني بعضهم فأمتنع من الوقوف ، وهم يقسمون عليّ بكل مغلظة من الأيمان أن أجيبهم الى سؤالهم في دقيقة واحدة فلا اجيب ولا أقف ، وجوابي وأنا مسرع الخطى ، ان الكلام في الموضوع لا يتأتى في الشارع وان مثل هذه المسائل يبحث بها في خلوة ، وفي وقت فراغ .

كنت في وزارتي الأولى خارجاً من داري صباحاً قاصداً مكتبي على قدميّ . وكان الشارع مكتظاً بالخلق ، والطريق يجري تعبيده ، والمعبدة [1] ذاهبة جائية ، وقضبان الحديد الطويلة محمولة على العجلات ، وعربات النقل تحمل الاحجار والاسمنت والجص ، والفلاحون آتون بحاصلاتهم الى الاسواق على بهائمهم ، ومركبات الترام واقفة لا تستطيع ان تتقدم ولا أن تتأخر . في هذه الحال من الازدحام المخطر اقترب مني أحد معارفي من متقاعدي ضباط الجيش العثماني ، وسألني حلّ قضية لأحد اقاربه ، فقلت له : تعال الي مكتبي نبحث في المسألة . فقال : أود أن تعطيني رأيك الأخير وتعاهدني على ان تسير بما يلتئم مع مصلحة نسيبي . فأجبته ان المسألة تحتاج الى ان ارجع الى اضبارة القضية ، وأظنني قلت ومراجعة القانون ، فقال : أنا اطلب منك ذلك لأملي فيك ، فقلت الآن يتعذر

(١) بالتشديد : آلة التعبيد

ذلك ، فأنت ترى أننا في خطر من هذا الزحام ، والفكر مصروف الى التوقي من الصدمات . فتأفف من كلامي ، وعندها قلت له متألماً من قلة ذوقه وتقديره للحال : أنت تخرجت من مدرسة نظامية ، وتوليت أموراً ادارية في الجيش فيما أحسب ، وتعرف اكثر من غيرك معنى الرجوع الى المعاملة الجارية ، فما هذا التحكم ؟

ويكثر مثل هذا المعجز ، وكانوا يلتمسون مني في الطريق أن اقضي لهم أشغالهم كما قد يطلبون الى الطبيب أن يعطيهم تذكرة يضعها لمداواتهم ، ويقرظونني ويقولون إن مسألتهم مهما كانت صعبة فبيدي حلها ، أو ما أشبه ذلك من عبارات الاغراء . كأن الوزير جاء ليعمل لأرباب المصالح بدون التقيد بالقوانين ، وليرضي كل انسان بما يحب بالحق والباطل . ولذلك اضطررت في الوزارة الثانية الى استصحاب شرطي ، وبخاصة اذا كنت وحدي سائراً على قدمي ، والعوام قد يرهبون الشرطي اكثر من الوزير ، لأن الشرطي يدفع عن مخدومه من يقع في نفسه دفعه ، وينحيه عنه بلطف أو بالعنف واذا اقتضى الحال يلطمه ويكتب فيه محضراً او ضبطاً ، أما الوزير المسكين فلا يستطيع عمل شيء من هذا ، وغاية ما يتطلب من حلم المراجعين ان يشخصوا اليه في مكتبه ، ومكتبه مفتح الباب لهم ساعات طويلة من النهار ، وهو وديوانه مستعدان لحل المشاكل ، وقد تقدم لهم القهوة والشاي والمرطبات ولفائف التبغ ويلاطفون ويؤانسون .

ووقاك الله من سخافات القوم في دعواتهم ، وفيها تتجلى درجاتهم في المدنية ، وتقرأ نفسياتهم الغريبة . فقد يدعو الرجل أحباباً او معارف له من مختلف الطبقات لا رابطة تربطهم ، ولا سبق لهم ان تعارفوا ، ويتفق ان يكون في المدعوين بعض المتعادين المتخاصمين او المتنافسين المتباغضين ، فتحصل سكتة في الجلسة ، ويقطب بعضهم وتهيج أعصاب آخرين ، ولا يهنأوهم الطعام والشراب ، ولا يطيب سمرهم وحديثهم وقد يقذف بعضهم بعضاً بتعريض مؤلم ، ويسمعه الفاظاً جارحة ، فيتألم المقذوف ، وتنقبض صدور من لا غرض لهم من المدعوين لسماع أشياء هم في غنىً عن سماعها

في مثل ذاك الوقت ، وهو وقت مرور وراحة ، وصاحب البيت يحار في ارضاء ضيوفه ، ويحاول التوفيق بين المتعادين .

وفي العادة ان يأتي المدعوون بعد الميعاد الذي ضربه لهم صاحب الدعوة ، وكثيراً ما يتخلف بعضهم الساعة والساعتين عن الوقت المقرر ، وصاحب المأدبة لا تسمح نفسه ان يقدم طعامه لمن اجتمع فيشتد بهم الجوع ، ولا يدرك الداعي انه باكراه من حضر على انتظار من تخلف يحتقر من لبى الطلب في الوقت المعين ويضيع عليهم اوقاتهم ، وقد تكون لهم مواعيد أخرى ، ولا يأذن باطعام مدعوويه الا اذا تم الحشد كله وربما حدثته نفسه أن يرسل ولده او خادمه يسأل عن المتخلف ويستحثه ، وفي الغالب ان المتخلف لا يعتذر شفاهاً ولا كتابة ، وعلى هذا يستلزم تناول وجبة من الطعام ان يصرف المدعوون بضع ساعات .

ومن المستحيل ضبط المواعيد بين كل الطبقات في هذا الشرق القريب ، لأن القوم ما عرفوا التوقيت ، وربما كان ضبط المواعيد مما يستغربونه ، وكلما تقدموا اشواطاً في مضمار الحضارة يحسنون المحافظة عَلَى أوقاتهم وأوقات غيرهم . ومسألة المواعيد من المسائل التي شغلت جانباً من وقتي ، وكنت آلم من الاخلال بها ، وقد تغلبت عليها ، وغرستها في صدور بعض الناشئة بصعوبات كثيرة ، ومن المتعذر التنظيم وسط الفوضى . وقد لقنت من أحاطوا بي ورأستهم ، وان شق عليهم عملي بادي بدء ، ان يراعوا المواعيد ابداً لما في فوضى الاوقات من الضرر لهم ولغيرهم ، حتى لا يثبتوا بالاخلال بالأوقات انهم شعب منحط .

وتراهم الى اليوم متى اجتمع المدعوون على الخوان يشد بعضهم بعضاً ، فيجلسون من يحاولون اجلاسه في مقام التكرمة ، ثم يجلسون الأمثل فالأمثل بحسب نظرهم او عرفهم . وعاداتهم في تناول الطعام قد دخلها تحسين كثير ، فتراهم لعهدنا كالغربيين يجعلون أمامهم اطباقاً لكل شخص ، ومعها كأسه ومنديله ، وسكينه وملعقته وأدوات اكله ، يتناول كل انسان الكمية التي يبغيها ، يضعها في طبقه من الصحن

الكبير الذي يقدمه الخادم او غيره ، او يكون على متن المائدة مع سائر الصحون والاطباق ، وكان المدعون كلهم قبل ٠٠٠ سنة يتناولون المرق والحساء وجميع السوائل من اناء واحد على نحو ما كانوا يتناولون المائعات ويشربون من اناء واحد ، وكان والدي وانا طفل يخص كل انسان من أسرته او ممن يدعوهم باناء يجعل لنا فيه حصتنا من المرق والحساء ، وبعض المدعووين يستغرب ذلك منه ٠ وكانت سكاكينهم اصابعهم ، وملاعقهم حفناتهم ، والملاعق اذا وجدت فتكون من الخشب غالباً ، ولا يزال لها اثر في بيوت الفلاحين المعدمين ، واذا طعموا او شربوا سمعت لهم قرقرة على صورة مستنكرة تدل على جشع ونهم وسوء أدب وتهذيب

ومن عاداتهم اذا تناول احدهم كأس ماء أن يبادره الحضور كلهم بقولهم (هنيئاً) فاذا شرب على المائدة ثلاث مرات وكان مواكلوه عشرة أشخاص فقط يضطر الى أن يجيب كل واحد بمفرده (الله يهنيك)

ومن عادات الغرب الجيدة التي سرت الينا التأني في تناول الطعام واجادة المضغ والبلع ، وقلما يسمع من احدهم صوت ماضغيه عند التهام اللقمات او عند تناول الماء او الشراب او الحساء او المرق ٠ ومعيب ان ينفخ احد على الشاي او اللبن الساخن او القهوة او غيرها حتى تبرد ، وعليه ألاّ يتناول أشياء من الطبق العام الا بملعقة خاصة بالطبق نفسه ، ويدخر ملعقته وشوكته لطبقه الخاص ، فيأخذ ما يأخذ جرعة جرعة بدون ان يسمع صوت لما يكرع ويَشرُق ، ولا يمد يده زيادة عن اللزوم ولا يقف على قدميه لتناول ما بعد عنه من الاطباق والابازير والمشهيات والخبز والماء وغير ذلك مما يجعل على الخوان عادة ، وله أن يطلب ذلك بأدب وصوت خافت الى مجاوره ومواكله القريب وهذا يرى من واجبه ان يخدمه في ذلك ولو كان كبير المنزلة ، واذا تعديت حدود مقعدك فحاولت تناول شيء بعيد عنك يعد عملك احتقاراً له ٠

ومن ابشع ما يأتيه بعضهم التجشوء بصوت عال ، والتنخع بما يسمع صداه ، وان يعيد المتنخع طيّ المنديل الذين القى فيه نخامته ؛ اما البصاق على الارض والتمخط باليد كيف اتفق ، وادخال الأنامل في الأنف لاخراج النخامات او ادخال اليد في الاذن لاستخراج اوساخها فمن أبشع العادات وأضرها ، فعلى ادارة الصحة منعها ومعاقبة من يأتيها من العامة . وعلى المجالس البلدية أن تعاقب في المدن والقرى كل من يخرج الى السوق بمنامته (بيجامته) فثوب النوم لا يجوز أن يظهر به في الشارع إنسان يحترم نفسه .

ومما يستنكر أن يضع الجالس يديه على المائدة ويضغط عليها بكليته وان يؤذي جاره برجليه ويديه . ويستنكرون تشديد الداعي على احد مدعوويه لتناول لون لا تميل اليه نفسه ، والزيادة من لون تخطاه وما استطابه ، واكراهه على أخذ قطعة من الحلوى يعتقد ان معدته لا تحتملها وتضطره من الغد الى مراجعة الطبيب . وكم تحلف أيمان وطلاقات في مثل هذه الاحوال حتى ينزل المدعو على ارادة الراغب ويتناول بالاكراه ما يحب له صاحب المائدة .

ومن عاداتهم في المآتم وخصوصاً في دمشق أن يجري العزاء ثلاث ليال على الميت ، فيأتي الى داره أصحابه ومعارفه ويستقبلهم اولاده واخوته وأبناء عمه وأهله ، ولا يجري حديث سوى السلام ثم تناول القهوة واللفائف ، على حين أن آل الفقيد هم في حاجة ماسة الى من يسليهم ، ويحول مجاري أفكارهم ، ويهون عليهم مصابهم ، والرجال في هذا الباب كالنساء ، الا أن النساء لا يتناولن القهوة ولا اللفائف في وسط الجمع ، وهذا من أسخف ما يدون أيضاً كأن المعزين يقولون بلسان الحال : ها قد جئناكم وعزيناكم . هذا ولو جلسوا دقيقة واحدة ، والغالب أن الجلوس لا يتجاوز مقداره دقائق قليلة ، واذا كان المعزّى به جليل القدر بين قومه ، فالمعزون به كثيرون ، والمكان مهما اتسع لا يستوعب القادمين في ساعة واحدة .

هذا وصف قليل من عاداتنا وهو موضوع جدير بأن تكتب فيه الكتب والرسائل وتوضع في بيانه الخطب والمحاضرات ، ومن حسن الحظ أن عادات الافرنج التي تعبوا أحقاباً في اصلاحها حتى وصلت الى ما وصلت اليه من الكمال في الجملة أخذت تسري الينا من حيث لا نشعر ، وتدخل علينا من طرق مختلفة ، من طريق الاختلاط بالغربيين او بالرحلة والسياحة او بالهجرة ، او من طريق التعليم في المدارس ومن الاختلاف الى الفنادق والمطاعم التي ينزلها الاجانب ، وقد تسوغنا بعضها وتمثلنا بعضها ، لما حوت من اليسر والنفع . فمن عاداتهم الحسنة التأنق في تناول الطعام على الموائد ، وايراد أجمل الاحاديث عليها ، والتلطف بكل ما يؤكل بأداة ليسلم من مس الايدي ما أمكن ، هكذا يتناولون الابازير والتوابل والسكر والحلويات ، ويحتاط المتآكلون فلا يأتي أحدهم ما يؤذي جليسه وعلى العكس يخدمه ويتعهده ولا يرتكب ما يخالف به قواعد الصحة وآيين الذوق السليم .

لا جرم أن تأصيل هذه العادات يحتاج بادئ بدء الى تعب حتى تتعلمها البيوت اولاً وينشأ عليها البنون والبنات ، وهي تتوقف على معدات وأدوات ، وعلى عقل يدبرها وتربية تتمثلها . ولا يحصل الهناء في العيش بغير ترتيب ونظام . ومهما صعب الأخذ بهذه المذاهب فهي محمودة العاقبة لمن يمارسها ، محببة الى نفس كل عاقل تسمو نفسه الى الكمال ، وترغب في مراعاة قواعد الصحة والذوق لتتم له شروط الرفاهية والنعيم . ومن دواعي الاغتباط ان رأينا هذه العادات تسري في القرى التي كثر فيها العائدون من المهجر او الذين ألفوا الاختلاط بالعناصر الغربية كأهل الساحل وسكان الحواضر الكبرى . وقد شهدتها في بيوت ما كنت أظنهم اقتبسوها . في امثال الافرنج : قل لي من تعاشر أقل لك من أنت . ثم قاسوا عليه معنى آخر فقالوا : قل لي ما تأكل أقل لك من أنت ، ونحن نقول أرني كيف تعاشر أقل لك من أنت .

محمد كرد علي

المغْرِب في ترتيب المُعرِب

هو كتاب لغوي كثير الفوائد تأليف الشيخ برهان الدين ناصر ابن ابي المكارم عبد السيد بن عليّ المطرّزي صاحب (المغرب) و (الاقناع في اللغة) و (الايضاح في شرح المقامات الحريرية) و (مختصر اصطلاح المنطق) و (المصباح) في النحو ٠

ولد برهان الدين سنة ٥٣٦ هـ (١١٤١ م) بجرجانية خوارزم وقرأ على أبيه عبد السيد ببلده ورحل في طلب العلم فدخل بغداد سنة ٦٠١ هـ (١٢٠٤ م) وتفقه على البقالي تلميذ الزمخشري فكان اماماً في الفقه والعربية واللغة وتوفي سنة ٦١٠ هـ (١٢١٣ م) ٠

وقفت على نسخة منه نفيسة في احدى المكاتب نسخها بقلمه بخط فارسي جميل بالحبرين الاسود والاحمر حسام النجاري سنة ٩٩٧ هـ (١٥٧١ م) وقابلها وصححها من نسخة مضبوطة كتبت سنة ٧٠٠ هـ (١٣٠٠ م) ٠ وهي من مخطوطات الكونت رشيد الدحداح اللبناني نزيل باريس وناشر بعض الكتب فيها

وهي بقطع الثمن الكبير في ٤٢٨ صفحة وعلى هوامشها تعاليق كثيرة لغوية ذات فوائد جديرة بالمطالعة ، وفي أولها وآخرها بحوث ذات شأن وللمغرب ذيل بعنوان (رسالة في النحو) من صفحة ٤٠٠ — الى آخر الكتاب وفيها ضوابط كثيرة في الصرف والنحو واللغة ، والالفاظ مرتبة على حروف الهجاء بحسب أوائلها لا بحسب اشتقاقها ٠

نخبة من الكتاب

في صدر الكتاب قبل المقدمة بحث في (الزنديق) ننقله بحروفه وهو من (مجموعة شهاب الدين افندي المتقاعد في المصر) جاء فيه ما نصهُ :

زنديق

ليس من كلام العرب انما تقول العرب رجل زندق وزندقي أي شديد البخل ، واذا أرادوا ما تقول له العامة (ملحد) قالوا (دَهري) واذا ارادوا السنّ قالوا (دُهري) بالضم للفرق بينهما ، والهاء في زنادقة وفرازنة عوض عن الياء عند سيبويه

قال ابو حاتم : هو فارسي معرّب (زنده كرد) اي عمل الحياة لأنه يقول ببقاء الدهر ودوامه

وقال الرياشي : هو مأخوذ من قولهم (رجل زندقي) أي نظار في الامور

وقال غيره : معرّب (زنده) اي الحياة — وقيل : هو معرب ٠ أي متدين بكتاب يقال لهُ : (زند) ادعى المجوس انه كتاب زرادشت ثم استعمل في العرف لمبطن الكفر

وقال الجوهري : الزنادقة الثنوية وتزندق الرجل والاسم الزندقة

وفي القاموس : هو معرب زندين — وقيل : هو وهم والصواب معرّب (زنده)

وفي المغرب : هو من لا يؤمن بالوحدانية والآخرة

وعن ثعلب : هو الملحد الدهري — وعن ابن دريد : هو القائل بدوام الدهر معرب (زنده) كتاب لمزدك — وخطأ بعضهم من قال : انه معرب زندي لأن الياء لمطلق النسبة والهاء لنسبة مخصوصة مثل بنفجه وبنفشه وليس بشيء ، ولعبد الوهاب البغدادي :

بغداد دار لاهل المال طيبة ... وللمفاليس دار الضنك والضيقِ
اصبحتُ فيها مضاعاً بين اظهرهم ... كأنني مصحف في بيت زنديقِ

— وفي المثل : (اظرف من زنديق) انتهت

وهذه نخبة من الألفاظ المشروحة في الكتاب :

الأُتون

مقصور مخفف على (فَعول) موقد النار ، ويقال له بالفارسية (كُلْخن) وهو للحمّام ويستعار لما يطبخ فيه الآجرّ ، ويقال لهُ بالفارسية (تُوتق) و (راشون)[(١)] والجمع (أتاتين) بتاءين باجماع العرب عن الفراء

الأَزَج

بيت يبنى طولاً يقال لهُ بالفارسية (أوستان) و (سَغْ) و (كمرا)

الإِزار

ضرب من اجود التمر . قولهم (اتزر) عامي والصواب (إيتزر) افتعل من الازار اصلهُ (ائتزر) بهمزتين الأولى للوصل والثانية فاء افتعل . و (تأزير الحائط) أن يصلح أسفله فيجعل له ذلك كالإزار ومنهُ قوله: أزّر حيطان الدار الموقوفة مازورات

إطار

اطار الشفة ملتقى جلدتها ولحمتها مستعار من اطار المنخل او الدفّ وذكر الازهري: كان عمر بن عبد العزيز (رح) سئل عن السنة في قص الشارب — فقال : أن تقصه حتى يبدو الإطار — واما (اللطار) كما وقع في بعض نسخ احكام القرآن فتحريف ظاهر .

أوى

وابواء خشب الفحم ان تلقي عليه التراب وتستره به مأخوذ منه — وعليه قوله : يحسب بثمن الحطب وأجر الايواء واجر الموقد واجر الاتون

البيوتات

جمع بيوت جمع بيت وتختص بالاشراف

(١) في الأصل (داشوزن) وصحح في الحاشية بالراء

الخجالة

الخجالة من خطأ العامة والصواب الخجلة (او) الخجل

الزطّ

الزط جيل من الهند اليهم تنسب الثياب الزطية [1]

زمّله

في ثيابه ليعرق اي لفهُ

الشمراخ

هو في عدة السنة الشمسية ثلاث مائة وخمسة وستون يوماً وربع اليوم الا جزءًا من ثلاث مائة جزء من يوم

وفي القمرية ثلاث مائة واربعة وخمسون يوماً وخمس يوم وسدسه وفضل ماينهما عشرة أيام وثلث وربع عشر يوم بالتقريب على رأي بطلميوس [2]

ضبّب

اسنانه بالفضة اذا شدها بها

الطحانة

وفي كتب الشروط الطحانة ما تسيره الدابة والطاحونة ما يديرهُ الماء ٠ ودلوها ما يجعل فيه الحبّ

---

(١) الزط من أسماء النَوَر أو النَجَرَ وهم من قبيلة (جتّ) الهندية كانت كثيرة الثورات فطردت وتفرقت إلى بلاد فارس أولاً فسموها (الزطّ) ولها أسماء كثيرة في البلدان التي احتلتها في آسيا وافريقية واروبا واميركا ٠

(٢) هكذا وردت بتقديم الميم على الياء وهو الصواب ٠

العباية

كساء واسع مخطط والعباءة لغة فيها والجمع عباء

الفالج

في التهذيب : الفالج نصف الكرّ الكبير · و (الفلجَ) المكيال الذي يقال لهُ بالسريانية (فالغا) · ومنه حديث عمر (رض) انه بعث حذيفة وابن حنيف الى السواد (ففلجا) الجزية على أهله اي فرضاها وقسماها وانما أخذوا القسمة من هذا المكيال لأن خراجه كان طعاماً

وقيل : (الفلج) القسمة عن شِمْر · يقال : فلجت المال بينهم أي قسمته · وفلجت الشيء فلجين أي شققته نصفين ·

ومنه (الفالج) في مصدر المفلوج لأنه ذهاب النصف (عن أبي دريد) · و(الافلج) المتباعد ما بين الرجلين · واما (المفلج) الاسنان فلا يقال الاّ أفلج الاسنان (ابن مسعود) · و (استفلحي) بامركِ أي فوزي بامرك واستبدي به من الفلاح وهو الفوز بالمطلوب · ومدار التركيب على الشق والقطع · ومنه الحديث (بالحديد يفلح) · و (الافلح) المشقوق الشفة السفلى وبه سمي ابو القعيس او اخو ابي القعيس عم عائشة (رض) من الرضاعة ، وفي غير الحديث استفلجي بالجيم من الفلج وهو الظفر

فلع

تفلّع رأسه اي تشقق وأما تفلعت اليد اذا تشققت فهو بالقاف (عن الغوري)

القثاء

معروف · و (القَثَد) الخيار (عن ابن الاعرابي) وتفسير القثاء بالخيار تسامح

القدح

(عن الليث) : أكال يقع في الشجر والاسنان .

و (القادحة) الدودة التي تأكل الشجر والسن و (عن الغوري والجوهري) : القادح سواد يظهر في الاسنان وانشد بيت جميل :

رمى الله في عينيْ بثينة بالقذى   وفي الغرّ من انيابها بالقوادح
رمتني بسهم ريشه الكحل لم يضرْ   ظواهر جلدي وهو في القلب جارحي

قمع

السرّة ما يلتزق بها حول علاقتها ، ومنه قمع الباذنجان وأصله من القمع وهو ما يُصبّ فيه الدهن ، ومنه : ويل لاقماع القول وهم الذين يسمعون ولا يعون

القنب

قال الكرخي في القنب : انه لحاء خشب ويحبّ في حبه وهو (الشهدانج) — قال الدينوري في (كتاب النبات) : القنب فارسي وقد جرى في كلام العرب وهو :ات تدق سوقه حتى ينتثر حثاهُ (أي تبنه) ويخلص لحاؤهُ . ويقال حبال القنب بو الذي يتخذ من الكتان واسم بزره بالفارسية (زغبرة)

قنعَ

فم مقنع الاضراس أي مما لها الى داخل

الماذيانات

هي جمع الماذيان وهو أصغر من النهر وأعظم من الجدول فارسي معرّب . وقيل ما يجتمع فيه ماء السيل ثم تسقى منه الارض .

مشت

المرأة مشأ كثر أولادها . وناقة ماشية كثيرة الأولاد . ومنه الماشية والمواشي على التفاؤل وهي الابل والبقر والغنم التي تكون للنسل والقنية

نمص

النمص نتف الشعر ومنه (المنماص) المنقاش

نام

إنامة الزراجين دفنها وتغطيتها بالتراب مجاز

الوغم

ما بقي من الطعام في الفم

(الوكادة) بمعنى التوكيد غير ثبت (وعلي الهامش) قوله: لم يكن منك الوكادة أي التأكيد . ولا يوجد في كتب اللغة ولا في استعمالات العرب . الاّ أن المصنف ثقة في اللغة يكفي استعماله، فهو مصدر من وكد وكده أى قصد قصده، استعمله في التأكيد لما بينهما من (التلبس) (من شرح الكشاف لسعد الدين) .

هذه أمثلة قليلة من (كتاب المغرب) تظهر شيئاً من أسلوبه وأما كتاب الذيل في آخره فهو (رسالة في النحو) ذات فوائد في تأنيث الأسماء وجمعها واختصاصها تشتمل على فوائد كثيرة ونوادر وشوارد في الاشتقاق والاصول

وهذا الكتاب أشبه بكتاب (المعرّب) للشيخ أبي منصور موهوب بن احمد بن محمد بن الخضر الجواليقي المتوفى سنة ٥٣٩ ﻫ (١١٤٤ م) وقد وقعت لي نسخة كاملة منه بقطع النصف منقولة عن نسخ اقدمها نسخة بخط محمد بن صدقة بن علي بن صدقة سنة ٥٢٩ ﻫ (١١٣٤ م) وعليها خطوط العلماء الذين نقلوها وقرأوها على المؤلف .

ونحن بحاجة الى الوقوف على مثل هذه المؤلفات النفيسة في اللغة والمعربات والمصطلحات ، ولا سيما في خزائن مجامعنا العلميـة لتساعد على الاوضاع الحديثة وتكشف القناع عن أسرار الاستعمالات قبلاً ، ومن أواخرها كتابا (غلطات العوام) و (التعريب) لابن كمال باشا وفي خزانتي منهما نسختان مضبوطتان ، وهناك مؤلفات كثيرة في هذا الباب لا محل الآن لتعدادها ووصفها .

ولقد كتب كثير من علمائنا المتأخرين والمعاصرين بحوثاً مفيدة في الوضع والتعريب في الجرائد والمجلات والكتب ، ولا سيما المجامع العلمية في الشام ومصر ومجلاتها واختلفت الآراء في كثير منها فلا ينتشر الا ما كان موافقاً لذوق اللغة والعصر وقريباً للافهام ووافياً بالغرض وبقي الآخر مهملاً . واللغات تحتاج الى التوسع بما يوافق اساليبها ولا يضرّ باصولها من الأوضاع أو التعريب عن اللغات كما فعل أسلافنا في العصور الأولى وما بعدها والله الموفق الى سواء السبيل بمنه وكرمه .

المعلوف

عائشة الباعونية

تمهيد

حفزني الى نشر ترجمة عائشة الباعونية الدمشقية في مجلة المجمع العلمي العربي الدمشقية حوافز عدّة أهمها هذه النهضة النسائية القائمة على ضفاف بردى والتي نرجو ان تنجب لنا أمثال عائشة وسميتيها ومواطنتيها عائشة بنت علي بن محمد بن عبد الغني ابن المنصور الدمشقية ، وعائشة بنت محمد بن عبد الهادي بن قدامة المقدسي الصالحية الحنبلية ، بل مثل امّ المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها وزوج النبي الكريم التي علمتنا من أمور ديننا ما لم نعلم ، وروت لنا ما يربي على الألفين من أحاديثه صلى الله عليه وسلم ، واشتركت في الوقائع والكوائن وكانت فصيحة الكلام صحيحة المنطق ، راجحة العقل ، سريعة البديهة ، بل كان بيانها السحر الحلال .

ومن تلك الحوافز ان يعلم فتياتنا النواهض ان الله لا يضيع أجر عامل ، وان التاريخ يحفظ للمرأة حقها كما يحفظه لشقيقها الرجل ، والنساء كما قال الرسول الأعظم شقائق الرجال وان العلماء يقدرون المرأة الفضلى حق قدرها ، ويحلونهـا المحل الأرفع من التجلة والحرمة الوافرة في حياتها ، كما أنهم يترجمون لها ويوفونها قسطها من الاجلال والاكبار بعد مماتها .

ومنها أن يتعلمن الجرأة وركوب مراكب الاغتراب في طلب العلم ونيل الأماني من المترجم لها ، التي حُملت الى القاهرة وهي في ميعة الشباب فنالت الحظ الأوفر من العلوم ، ثم دخلتها وولدها لقضاء مأرب له وهي كهلة ، وقارظت العلماء الشعر فقرّظوها وأثنوا عليها بما هي أهله .

وان يقلدنها بذلك الطموح الذي حملهـا على الذهاب الى حلب للمثول بين

يدي السلطان الغوري أحرص الملوك المصريين على كرامة امته واشدهم اندفاعاً في الدفاع عن بلاده في السنة التي جاست بها جيوش العثمانيين خلال ديار الشام ، ووطئت سنابك خيولهم ارضها في مرج دابق ، وقضت على سلطانه الواسع العريض فيها وفي مصر والحجاز مما نستدل معه على ان الباعونية كانت لا تبالي بالحوادث والكوارث وهو ما نتمناه لفتياتنا اليوم ·

ومنها أن نعلم ان المترجم لها قد أنشأت المولد النبوي الشريف سنة ٩٠١ هـ ١٤٩٥ م ، وانها نظمت بديعيتها وشرحتها سنة ٩١٩ هـ ١٥١٣ م وان نقرأ كلامها العذب الذي اختتمتها به ·

ومنها ان الذين ترجموا لها من المتأخرين مثل البستانيين[1] وزينب بنت علي فواز العاملية[2] وادوار فنديك[3] وجرجي زيدان[4] ومحمد كرد علي[5] ويوسف اليان سركيس[6] كانوا عيالاً على من تقدمهم من المترجمين كما كان مثلهم محمد ذهني[7] وشمس الدين سامي[8] الأعجميين اللذين ترجما لها ولم يلموا بجميع أحوالها ·

لذلك كله أردت أن انقل من كناشي ما كنت دوّنته عن بديعية الباعونية واردفها بترجمة حياتها عن أقدم مترجميها فأقول :

نسخة مخطوطة من البديعية وشرحها · — كنتُ اطلعت في خزانة الكتب الخالدية ببيت المقدس على نسخة مخطوطة من بديعية عائشة الباعونية وشرحها نقلت

(١) دائرة المعارف جزء ١١ صفحة ٤٦٩
(٢) الدر المنثور في طبقات ربات الخدور ص ٢٩٣
(٣) اكتفاء القنوع بما هو مطبوع ص ٣٦١ و ٣٩٣
(٤) تاريخ آداب اللغة ج ٣ ص ٢٧٤
(٥) خطط الشام ج ٤ ص ٦٠
(٦) معجم المطبوعات العربية والمعربة ص ٥١٩
(٧) مشاهير النساء « أي شهيرات النساء » بالتركية ج ٢ ص ١٠
(٨) قاموس الأعلام ج ٤ ص ٣٠٥٦

عن نسخة المؤلفة التي نظمتها وشرحتها سنة ٩١٩ هـ ١٥١٣ م ، وقد نقلها ناسخها في اليوم التاسع من شهر رمضان سنة ٩٢٢ هـ ١٥١٦ م وهي السنة التي توفاها الله فيها وذيلها بما كانت كتبته المؤلفة بآخرها اذ قالت :

كلمة المؤلفة الختامية . – «نجزت كتابتها بمنة الله تعالى على يدي أضعف اماء الله تعالى وأحوجهن الى رحمته ، من أهلّها الله تعالى لمدح خير بريته وأشرف اهل الاصطفاء لرسالته ، عبده الأكرم ورسوله الأعظم صلى الله عليه وسلم وشرّف وكرّم وعظم بهذه القصيدة المذكورة والمنظومة التي أرجو من كرم الله تعالى أن تكون في الملاء الأعلى مشكورة خادمة المقام المحمدي المصطفوي سراً وعلنا ، والمغمورة منه بالحسنى وزيادة آلاءً ومنناً ، عائشة العائشة باتصال مدده المتروّية على يده بنت خادم شريعته يوسف ابن خادم شريعته أحمد بن ناصر الباعوني الشافعي لطف الله بها وبولدها وبالمسلمين والمسئول من الله تعالى أن يجدي عوائد مبراته واحسانه ولطائفه وحنانه أبداً أبداً باقياً سرمداً .»

وكتب ناسخها بعد ذلك :

تعليق الناسخ . – علقها لنفسه ولمن شاء الله من بعده أفقر عباد الله وأحوجهم الى مغفرته محمد بن احمد بن يحيى الانطاكيّ ستر الله عيوبهم وغفر ذنوبهم .»

تقريظ أحد متملكيها . – وكتب أحد من تملكوا تلك النسخة يقول للمحرر السيد أبي بكر :

أتت ببديعٍ لو رآه ابن حجةٍ لأذعن انّ الفضل حازته عائشهْ
فقد عشتِ في روض الجنان عزيزة كما كنت في روض البلاغة عائشهْ

كتب المترجم لها المطبوعة . —وبالرغم من شرح بديعيتها المسمى الفتح المبين في مدح الأمين طبع أولاً في بولاق سنة ١٢٩١ هـ ١٨٧٤ م وبهامشه رسائل

بديع الزمان الهمذاني ، وثانياً في مصر بهامش خزانة الأدب لابن حجة الحموي سنة ١٣٠٤ هـ ١٨٨٦ م فاننا عرضنا له بهذه الكلمات التي استفدنا منها معرفة تاريخ نظم البديعية وشرحها .

وعلى ذكر البديعية نقول أن مؤلفها في « مولد النبي » عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم قد طبع أيضاً في دمشق سنة ١٣٠١ هـ ١٨٨٣ م

مؤلفاتها المخطوطة الموجودة الآن . ولم يبق من مؤلفاتها الباقية الى الآن بدون طبع سوى ديوانها المسمى « فيض الفضل » منه نسختان احداهما كتبت سنة ١٠٣١ هـ ١٦٢٢ م ونسخة ثالثة كتبت أيضاً في السنة المذكورة في الخزانة التيمورية ، وفي تلك الخزانة الغنية أيضاً نسختان مخطوطتان من شرحها على بديعيتها الأولى كتبت سنة ١٠٢٦ هـ ١٦١٧ م ضمن مجموعة ، والثانية حديثة كتبت سنة ١٢٦٧ هـ ١٨٥١ م

كتاب بخط المؤلفة . — ولعلّ من أجمل ماتحويه الخزانة التيمورية هو المولد النبويّ الذي أنشأته وأسمته « المورد الأهنى في المولد الأسنى » والنسخة بخط يدها كتبتها سنة ٩٠١ هـ ١٤٩٥ م وقد ذكر لي المرحوم صاحبها بكتابه أن خطها في غاية الحسن وانها صارت تلحق بآخر النسخة تواريخ مواليد أولادها ، وكانت متزوّجة من أحد الشرفاء لأنها كلما ذكرت ميلاد أحدهم قالت ولد لي السيد الشريف فلان في تاريخ كذا

ترجمتها . — أما ترجمتها فلخصناها عن كتاب الكواكب السائرة بمناقب أعيان المئة العاشرة لمحمد بن محمد نجم الدين الغزي العامري الدمشقي المتوفى سنة ١٠٦١ هـ ١٦٥١ م وهو أقدم من ترجم لها قال[1] :

« عائشة بنت يوسف بن احمد بن ناصر الشيخة الأديبة العالمة العاملة امّ

(١) نسخة الخزانة التيمورية بالقاهرة

عبد الوهاب الصوفية الدمشقية بنت الباعوني احدى أفراد الدهر ونوادر الزمان فضلاً وعلماً وآداباً وشعراً وديانةً وصيانةً .

تنسكت على يد الشيخ السيد الجليل اسماعيل الخوارزمي[1] ثم على خليفة المحيوي يحيى الأرموي ثم حملت الى القاهرة ونالت من العلوم حظاً وافراً وأجيزت بالافتاء والتدريس ، وألفت عدة كتب منها الفتح الخفي[2] يشتمل على كلمات لدنية ومعارف سنية ، وكتاب الملامح الشريفة والآثار المنيفة ، يشتمل على انشادات صوفية ومعارف ذوقية ، وكتاب در الغائص في بحر المعجزات والخصائص ، وهو قصيدة رائية . وكتاب الاشارات الخفية في المنازل العلية ، وهي أرجوزة اختصرت فيها منازل السائرين للهروي ، وأرجوزة أخرى لخصت فيها القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع للسخاوي وبديعية وشرحها وغير ذلك ومن كلامها الخ . »

وبعد أن نقل عبارة لها وصفت فيها نشأتها الصوفية قال : « ولما دخلت القاهرة ندبت لقضاء مأرب لها يتعلق بولد لها كان في صحبتها المقر ابو الثناء محمود بن أجا الحلبي صاحب دواوين الانشاء بالديار المصرية فأكرمها وولدها وأنزلها في حريمه وكانت قد مدحته بقصيدة أولها :

روى البحر أسباب[3] العطا عن نداكمُ ونشر الصبا عن مستطاب ثناكم

فعرضها على شيخ الأدباء السيد الشريف عبد الرحيم العباسي القاهري[4] فأعجب بها فبعث اليها بقصيدةٍ من بديع نظمه فأجابت عنها بقصيدة مطلعها :

وافت تترجم عن حبرٍ هو البحرُ بديعة زانها مع حسنها الخفرُ

ثم أورد لها قصيدة لامية مطلعها

(١) في الدر المنثور في طبقات الخدور ص٢٩٣ الحوراني

(٢) في الأصل الحنفي" وما نخاله إلا من خطأ الناسخ (٣) في شذرات الذهب المخطوط أصباب

(٤) هو عبد الرحيم بن عبد الرحمن أحمد العبادي العباسي المتوفى سنة ٩٦٣ ﻫ ١٥٥٦م وترجمته في الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية المطبوع بهامش وفيات الأعيان طبع بولاق ج ١ ص٦٦٥ وكذلك في ريحانة الألبا وزنة الحياة الدنيا للخفاجي ص ٢٦١

قل لمن بالقريض بزّ الفحولا　　　وانثنى عن قصورهم مستطيلا

وقصيدة أخرى مطلعها :

ليهنك مجد طارف وتليد　　　يخصـك آباء به وجدود

وغير ذلك الى أن قال :

« وذكر ابن الحنبلي : أن صاحبة الترجمة دخلت حلب في سنة ٩٢٢ والسلطان الغوري بها لمصلحةٍ لها كانت عنده فاجتمع بها من وراء حجاب البدر السيوفي وتلميذه الشمس السفيري وغيرهما، ثم عادت الى دمشق وتوفيت بها في هذه السنة اه ٠»

وقد ترجم لها أيضاً عبد الحي بن احمد بن محمد العكري بن العماد الحنبلي المتوفى سنة ١٠٨٩ هـ ١٦٧٨ م في كتابه « شذرات الذهب في أخبار من ذهب » وذلك بنقله ترجمة الغزّي المتقدمة لها ٠

وتعرّض صاحب شذرات الذهب لذكرها في ترجمة محمود بن أجا صاحب ديوان الانشاء بمصر المتوفى سنة ٩٢٥ هـ ١٥١٩ م[1] فذكر نزولها بداره بالقاهرة ومدحها له وما كان من اكرامه لها ٠

مؤلفاتها الأُخرى ٠ — ومما يؤسف له أن تفقد سائر مؤلفاتها التي أوردها الغزي في ترجمتها ٠

بلاغة شعرها ٠ — ولها بيتان من الشعر قالتها في جسر الشريعة لما بناه الملك الظاهر برقوق هدما كثيراً مما شيده فحول الشعراء من البيوت وهما :

بنى سلطاننا برقوق جسراً　　　بأمر والأنام له مطيعـه

مجازٌ في الحقيقـة للبرايا　　　وأمرٌ بالمرور على الشريعه

ولها في الغزل باع طويل وخيال واسع ومن غزلها :

كأنما الخال تحت القرط في عنقٍ　　　بدا لنـا من محيا جلّ من خلقا

(١) كان قاضي قضاة الحنفية بحلب ثم ولي كتابة السر مدة ست عشرة سنة وكان آخرهم في الديار المصرية وكان نافذ الكلمة وافر الحرمة حشماً فاضلاً أصيلاً عريقاً ٠

نجم غدا بعمود الصبح مستتراً خلف الثريا قبيل الشمس فاحترقا

اما بديعيتها التي تقدم الكلام عليها فمطلعها :

في حسن مطلع أقمار بذي سلم أصبحت في زمرة العشاق كالعلم

قرية باعون . — باعون التي تنتسب اليها عائشة — على ما حققها بطرس البستاني مؤلف دائرة المعارف المتوفى سنة ١٣٠١ هـ ١٨٨٣ م[1] — هي قرية صغيرة من قرى عجلون عدد بيوتها في زمن المؤلف كان ١٣ بيتاً فقط .

قلنا وهي من أعمال حكومة شرق الأردن اليوم وقد نبغ فيها جمال الدين الباعوني الذي قرر في أواخر سنة ٨٥٩ هـ ١٤٥٥ م في قضاء الشافعية بدمشق وشمس الدين محمد بن احمد بن محمد بن احمد الباعوني الشافعي المتوفى سنة ٨٧١ هـ ١٤٦٦ م وابن اخيه محمد بن يوسف بن احمد المتوفى سنة ٩١٠ هـ ١٥٠٤ م .

والراجح أن هذا الأخير هو أخو عائشة المترجم لها كما أن شمس الدين عمها

ونبغ بعد هؤلاء القاضي صلاح الدين زين العابدين الذي أقام بصالحية دمشق وولي نيابتها مدة طويلة ثم توفي سنة ١٠٣٦ هـ ١٦٢٦ م رحمهم الله رحمة واسعة .

عبد الله مخلص

---

(١) دائرة المعارف ج ٥ ص ١١٦

مخطوطات ومطبوعات

سيرة احمد بن طولون

تأليف أبي محمد عبد الله بن محمد المديني البلوي

حققها وعلق عليها محمد كرد علي

ونشرتها المكتبة العربية في دمشق وطبعتها في مطبعة الترقي سنة ١٣٥٨ هـ في ٤٠٠ ص

ليس لدينا عن احمد ابن طولون مؤسس الدولة الطولونية في مصر والشام مادة ينتفع بها في تصور حقائقه وحقائق عصره ، وغاية ما أثر له شذرات مفرقة في بطون التاريخ ومنها رسالة نشرها الاستاذ فولرس لأحمد بن يوسف الكاتب المعروف بابن الداية اقتطعها من كتاب المغرب في حلى الغرب . ومن جملة مخطوطات دار الكتب الظاهرية بدمشق كتاب سيرة احمد بن طولون للبلوي من أهل القرن الرابع ألفه على ما يظهر حوالى نحو نصف قرن من وفاة ابن طولون ، وانتفع بما كتبه ابن الداية وغيره مما لم يصل إلينا برمته ، وقد أشبع البلوي الكلام في تاريخه وجوّد ، وربما فاق ابن الداية في التاريخ لابن طولون ، وان لم يخرج عن أسلوب المؤرخين في عصره من ايراد الحوادث والبعد عن التفلسف فيها وترك القارئ يعمل فكره في مضامينها . وقد صان البلوي قلمه عن نقد ابن طولون واشار اشارات خفيفة الى مساوئه ، أما المحاسن فقد أبلغ في بسطها واتى باكثرها في قصص تعشق النفس تلاوتها واستعادتها لجمعها بين الكتابة العالية والفوائد الادارية والسياسية والتاريخية المهمة ، ومنها المبتكر الذي يأخذ بمجامع النفس .

وقد وقفنا في هذا السفر على أمور تفرد بها ابن طولون في السياسة والادارة ومنها عنايته بوضع الأضابير والجزازات *Les dossiers et les fiches* فكان حيث انقلب يصحبه كاتب يدون كل ما يقوله وما يقال في حضرته ثم يخلو بكاتبه ويصلح

ما كتب ليحفظ مع الكلام الذي التي على مسامعه ، ومنها أنه كان أول من استأثر بتأليف جيش محلي في الدولة العباسية وبذلك استطاع أن يعمل حراً في مصر . ومنها انه قعد للمظالم مرتين في الاسبوع على ما كان الخلفاء في بغداد ودمشق ينظر في المسائل الادارية التي كانت خارجة عن نطاق القضاء ، ومنها أنه أول من أسس ديوان الانشاء في مصر ، وكان هو نفسه منشئًا وخطيبـاً بالعربية وشاعراً بلغته التركية . ومنها انه يعنى عناية فائقه بأخذ الأخبار وقد وضع دواوين الجواسيس ينفق عليها نفقات طائلة لذلك كان يرهبه أصحاب الخلافة في بغداد وصاحب الروم في القسطنطينية ولو عاش لنزع يده من خلفاء بغداد واستوى ملكاً مستقلاً من كل وجه لأن المصانع التي أسسها والأوضاع التي وضعها في تأسيس مملكته ودار ملكه تشعر بذلك الى حد بعيد .

والى القارئ نموذجاً من أسلوب المؤلف وكتابته وصورة صغيرة من ادارة ابن طولون ، نجتزئ بهـا ونحيل من يهمه موضوعه أن يرجع إليه ففيه فائدة كثيرة وتسلية عظيمة ، قال البلوي ومن ذلك ماحدث به سعد الفرغاني :

ركب أحمد بن طولون يومًا الى الجيزة ، وكان رسمه اذا قرُب من الجسر أخلي له ، فلما بلغ اليه أمر الناس بأن يسرعوا المجيء عليه وأعجلوا ، فلم يبق عليه الا شيخ ضعيف على حمار هزيل ومعه صبيٌّ له ، وقد أقبل من بعض نواحي الجيزة ، فلما أعجل الناس وهبَّ ليعجل معهم لم يكن له نهضة ولا لحماره ، فسقط عن الحمار . فأقبل أحمد بن طولون ينظر اليه والى الصبي معه قد سقطا جميعًا . فقال لي : امنعهم من ازعاج هذا الشيخ ، وقف عليه وارفق به حتى يركب حمـاره والحقني به ، فما أشك أنه مظلوم ، وقد وافانا يريد التظلم ، وسائله في طريقك معه اليَّ عن خبره ، وسبب دخوله الى مصر ، فان ذكر ظلامته فاسأله ممن يتظلم ؟

قال سعد : فوقفت عليـه حتى عبر احمد بن طولون ، وعبرت مع الشيخ ، وقد رددته معي ، فلخوفه انقاد معي ولم يسألني عن رده ، وأقبلت أسير معه قليلاً قليلاً ،

على قدر سير حماره ، وساءلته عن خبره وسبب دخوله الفسطاط ، فقال : ماترك لي وكيل ابن دشومة بذات[1] الساحل شيئاً أرجع اليه ، وكنت مستوراً فهتكني ، وكنت غنياً فأفقرني ، حتى صرت بين المزارعين مرحوماً فقيراً ، بعد أن كنت موجِداً موسِراً . فدخلت مستغيثاً الى الأمير أيده الله ، وكان ابن دشومة يومئذ أميناً على أبي أيوب[2] في الخراج . فلما لحقنا أحمد بن طولون وكلت بالشيخ ، ودخلت اليه في مضربه ، فعرّفته جميع ما عرفني به الشيخ ، فوجه من ساعته بمن أحضر اليه ابن دشومة من مصر الى الجيزة ، ولم يصبر الى أن يعود ، لقوة رغبته في الثواب والخير ، فأُحضر فقال له : ويحك إن الضياع تُشبه البستان ، والمزارعون شجرة ، فإن رفق بهم ، وأحسن القيام بأمرهم ، ورعوا باصلاحهم ، طلعت الثمرة ونمت وزكت ، وان لم يفعل ذلك ، هلكت الشجرة وذهب ثمرها ، فأحضر كاتبك الساعة الساعة ، ومختار الناحية الى هاهنا ، ولا تبرحا حتى تنصف هذا الشيخ من ظلامته ، وتبلغ له ما يحبه وتعرفني ، فاني هاهنا أراعي ما يكون منك في أمره .

فطار عقل ابن دشومة ، وجعل يتوقع مكروه أحمد بن طولون ، ووجه بمن أحضر صاحبه والمختار بالناحية ، وابن دشومة كالمعتقل ، حتى جمع بينهما وبين الشيخ ، وذكر ما جرى عليه ، فحطوا عنه ما كانوا يطالبونه به ، وأسقطوا عنه ما شكاه من الغبن عليه ، وبلغوا له فوق ما يحبه ، وأحمد بن طولون يطالعهم برسله من حيث لا يعلمون ، حتى عرف جميع ما جرى بينهم وبينه ، وأقبل في خلال ذلك ينفذ الى ابن دشومة خادماً بعد خادم يقول له : أنصف الشيخ ، ابلغ له فوق ما يحبه ، ويكدهم في الفراغ من أمره ، ويعرفهم أن مقامه بالجيزة بسببه ، الى ان ينصف فيعود الى الفسطاط ، فلما فرغوا من أمر الرجل ، دخل اليه ابن دشومة فعرفه أنه قد بلغ

(١) يفهم مما ذكره ابن مماتي ان ذات الساحل كانت من عمل الجيزة وهي إلى شمال الفسطاط قرية من أم دينار (قاله الأستاذ فييت في تعليقاته على خطط المقريزي) .

(٢) في ابن الداية : أبي ذؤيب .

له ما أحب ، فأمر بإحضاره ، فلما حضر قال لابن دشومة : اشرح لي قصته وكيف ظُلم ، وما عملت في امره ، فكان ابن دشومة بعيد عليه أمره ، وهو يُرْعد خوفاً من بادرة تلحقه منه ، والشيخ واقف يسمع كل ما يجري في أمره ، فلما فرغ من شرح ذلك قال له : ياشيخ الأمر كما حكى ؟ قال : نعم ايها الأمير ، جعل الله عليك واقية ، وسترك في الدنيا والآخرة ، فلما سمع ابن طولون قوله « والآخرة » بكى وخرّ ساجداً لله ، ثم قال له : زال عنك ما كرهت ، وبلغت ما أحببت ؟ قال : نعم ايها الأمير احسن الله اليك كما احسنت إليّ ، فقال : ما شاء فعل بك ، ذاك بمنه وكرمه . فقال له : كم عمارتك ؟[1] قال : خمسون ديناراً قال له : فتطيقها ؟ قال : لا . قال : فكم تطيق ؟ قال : ثلاثين ديناراً . فأمر بأن تجعل عمارته عشرين ديناراً ، ووهب له خمسين فداناً يزرعها ما احب ويعطى تقوية في كل سنة ولا تؤخذ منه التقوية ولا تسترجع ، وجعل ذلك كالصدقة وقال له : يا شيخ لولا ان حط العمارة عنك يحط من منزلتك في بلدك لحططتها ، فدعا له ، فقال : ما فعله الأمير أيده الله في امري فهو اكثر من الحطيطة ، وجميعه صدقة عليّ وعلى ولدي وعيالي ، فأجاب الله منا فيك صالح الدعاء ، فأمر بأن نهب له عشرين ديناراً ، وقال له : خذ هذه الدنانير فاشتر بها حماراً فارهاً لا يرميك على الجسر ، ولا يقف بك إذا عبر الأمير عليك ، وضحك احمد بن طولون ، وانكب الشيخ ليقبل الأرض فمنعه من ذلك وقال له : احذر ثم احذر ان تفعل هذا بأحد من المخلوقين ، فانه لا يؤثره الا كل جبار عنيد ، والسجود لله وحده عز وجل ، فانصرف الشيخ على غاية من السرور ، بما تمّ له من إزالة الظلم والمسامحة في العمارة ، والإفضال عليه ، وهبة الدنانير ؛ وممازحة احمد بن طولون في الحمار ، فرأيته في انصرافه يبكي فرحاً ؛ ويدعو لأحمد بن طولون بنية خالصة ؛ وحصل له بذلك جاه في بلده ووطنه ومحله ؛ ومنزلة وسطوة .

محمد كرد علي

(١) العمارة بالكسر : ما يعمر به المكان ، والعمارة ، بالضم : أجرها .

كتاب البديع لعبد الله بن المعتز

هذا كتاب قدَّم عبد الله بن المعتز في ابوابه ما وجده في القرآن واللغة والأحاديث وكلام الصحابة والأعراب وغيرهم واشعار المتقدمين من الكلام الذي سماه المحدثون : البديع ، وعنده ان ابواب البديع خمسة : الاستعارة والتجنيس والمطابقة ورد أعجاز الكلام على ما تقدمها والمذهب الكلامي ؛ وقد ذكر بعد فروغه من هذه الأبواب طوائف من محاسن الكلام كالالتفات والاعتراض والرجوع وحسن الخروج وتأكيد المدح بما يشبه الذم وتجاهل العارف والهزل الذي يراد به الجد وحسن التضمين والتعريض والكناية والافراط في الصفة وحسن التشبيه والابتداآت .

أشار عبد الله بن المعتز في اثناء الكتاب الى انه ألفه سنة اربع وسبعين ومائتين ولم يسبقه إليه احد ؛ وغرضه فيه تعريف الناس ان بشاراً ومسلماً وابا نواس ومن تقيلهم وسلك سبيلهم من المحدثين لم يسبقوا المتقدمين الى شيء من ابواب البديع ، ولكنه كثر في اشعارهم فعرف في زمانهم حتى سمي بهذا الاسم ؛ ثم ان حبيب بن اوس الطائي من بعدهم شغف بالبديع حتى غلب عليه واكثر منه فأحسن في بعض واساء في بعض .

ليس في كتاب البديع شيء خطير من النقد وانما خصائص هذا الكتاب انه تضمن امثالاً من البديع مأخوذة عن بعض شعراء المتقدمين فيه كامرئ القيس والنابغة وزهير وعن كتاب الله عزّ وجل وعن الأحاديث وكلام الصحابة وعن بعض شعراء بني أمية كالأخطل وجرير والفرزدق وعن بعض شعراء بني العباس مثل بشار وابي نواس والطائي والبحتري وعن بعض الخلفاء كالمنصور والرشيد وغيرهما .

فاذا نظر القارئ الى هذه الأمثال وأعمل فيها يسيراً من الروية استطاع ان يدرك الأطوار التي تقلب فيها البديع من ايام الجاهلية الى ايام عبد الله بن المعتز ، واذا كتب لرجال التأريخ الأدبي في هذا العصر ربط هذه الأطوار بعضها ببعض ؛

حتى تتصل أواخرها بأوائلها وقياس بعضها الى بعض؛ تيسر لنا ان نعرف كيف انتقل الخيال العربي من صورة الى صورة ؛ وكيف امتد من افق الى افق ؛ على قدر ما كان فيه من الآثار ؛ كآثار البداوة والحضارة وغيرهما ؛ وحينئذٍ يتكامل تاريخنا الأدبي فنشهد فيه تسلسل الخيال والحس والشعور في رجال العبقرية على صورة مطردة .

***

اعتنى بنشر كتاب البديع والتعليق عليه السيد أغناطيوس كراتشقوفيسكي عضو أكاديمية العلوم في لينينغراد والمجمع العلمي العربي في دمشق وطبع الكتاب في انكلترا سنة ١٩٣٥ وهو يشتمل على مقدمة باللغة الانكليزية فيها اربعة فصول بحث في بعضها عن تأريخ نشر الكتاب وعن محتوياته وعن المصادر وهي لا تخلو من آراء أدبية قد ينفع الاطلاع عليها .

شفيق جبري

الفنون الصناعية

خمسة أجزاء كل جزء في نحو ٢٠٠ صفحة من القطع المتوسط

هي سلسلة من الكتب الصناعية المدرسية ألفها المهندس الصناعي السيد عاطف أديب المالح احد اساتذة دار الصناعة بدمشق ، وقد صدر منها الى الآن كتاب في فن النجارة ، وآخر في الآلات اليدوية ، وثالث في علم الحيل اي الميكانيك ورابع في الآلات التي تصنع بها الآلات وهو جزءان ، وذكر المؤلف انه سيطبع عما قريب كتاباً في الحدادة اليدوية والآلية ، وثانياً في سكب المعادن وثالثاً في صناعة السيارات .

والمؤلف احد الشبان الذين درسوا في فرنسا وعادوا للتدريس في مدارس سورية ، وعدد هؤلاء الشبان كبير ؛ ولكن معظمهم ويا للأسف لم يجشموا أنفسهم ، بعد عودتهم الى وطنهم ، متاعب التأليف بالعربية ، فأشبهوا بذلك الطلاب العرب الذين كانوا يدرسون في اسطمبول ايام الدولة العثمانية ، والذين انما كان قصارى معظمهم الحصول على وظائف حكومية ، حتى اذا حصلوا عليها ، ناموا مطمئنين هادئين ، دون ان تستفيد اللغة الضادية منهم أي فائدة .

وليس السيد عاطف المالح من هذا النفر ، فهو قد جد وسعى ، وتحرى المصطلحات الصناعية على قدر طاقته ، ورسم اشكالاً عديدة ضمنها تضاعيف كتبه وحفر رواشمها بيديه ، وطبعها طبعاً متقنا ، فسدت هذه الكتب فراغاً في الناحية الصناعية المدرسية .

ولا شك ان الكتب المذكورة لم تخل من أغلاط لغوية لا يتسع المجال للتنبيه اليها ، ولكن هذه الأغلاط لا تقدح بمؤلفات فنية صناعية قلما يتقن المرء مصطلحاتها الا بشق الأنفس ، وأمام المؤلف متسع من الوقت لاتقان لغة كتبه في المستقبل ، مادام هوى التأليف بالعربية دافعاً له على العمل .

ومقدمة هذه السلسلة من الكتب المدرسية الثمينة مكتوبة بقلم المهندس الكهربائي السيد اميل غنيوبه مفتش التعليم الفني في سورية .

مصطفى الشهابي

مؤرخ العراق ابن الفوطي

ظفر الاستاذ السيد محمد رضا الشبيبي بدار الكتب الظاهرية بدمشق بنسخة نادرة من الجزء الرابع من أجزاء المعجم الذي الفه مؤرخ العراق ابن الفوطي وسماه : مجمع الآداب في معجم الأسماء والألقاب ، ووضع كتاباً يشتمل على تأريخ العراق في عصر ابن الفوطي لخص عنه محاضرةً وجيزة حاضر بها سنة ١٩٤٠ جمهوراً من أهل العلم والادب في بغداد ونشرت محاضرته في السنة نفسها .

تكلم في محاضرته على كمال الدين عبد الرزاق بن احمد الفوطي الشيباني البغدادي الذي ولد في بغداد سنة ٦٤٢ هـ ، أي بعد مضي سنتين على مبايعة المستعصم آخر خلفائها ، وتوفى سنة ٧٢٣ واستند في كلامه عليه الى تأريخه نفسه اي الى الجزء الرابع من مجمع الآداب .

شهد ابن الفوطي غارة المغول على بغداد فقد حاصرها التتار ثم فتحوها فأسروا خلقاً في جملتهم ابن الفوطي فتيسر له أن يشاهد أعظم ملوكهم واقطاب دولتهم وأن يزور اشهر حواضرهم ويتصل بحكامها وأعيانها وعلمائها ويدرس حالة عصره حتى استطاع أن يصل الى مقاصر الأميرات المغوليات .

إلاّ أن أسره لم يطل فقد سعى في فكه الفيلسوف نصير الدين الطوسي وصرفه الى دراسة الرياضيات والفلسفة وعهد اليه ان يشرف على خزانة كتب دار الرصد في مراغة حاضرة المغول فسلخ فيها ثلاث عشرة سنة ملازماً في خلالها لنصير الدين ولغيره من كبار العلماء والاساتيذ ، وقد أتقن اللغة الفارسية وربما ألمّ باللغة المغولية .

وفي سنة ٦٧٨ تمكن بفضل علاء الدين الجويني من الرجوع الى بغداد وعلاء الدين هذا أشهر من حكم العراق أيام هولاكو وابنه اباقا ، ولم يكتف باعادته الى مدينة السلام ؛ وانما عهد اليه ان يشرف على خزانة كتب المستنصرية فشغلته

فيها قراءة الفقه والحديث ثم تخلى عن عمله في المستنصرية سنة ٧٠٤ فرحل الى تبريز وأقام فيها ست سنين ثم عاد الى بغداد ثم رجع الى تبريز وقد كثر تردده إليها ·

لابن الفوطي آثار كثيرة ولكن لم يظهر من هذه الآثار الآ الحوادث الجامعة ؛ والجزء الرابع من معجمه في التراجم ويرى الاستاذ الشبيبي ان ابن الفوطي انفرد باسلوبه في النقد الصريح · فكتبه من أصح المستندات العربية التي يعول عليها في تأريخ العصرين الاول والثاني من عصور المغول في بغداد ·

شفيق جبري

الطرفة في مخطوطات دير الشرفة

تأليف

الخور فسقفوس اسحق ارملة السرياني

جونية — مطبعة الآباء المرسلين اللبنانيين ١٩٣٦ (صفحاته ٥٢٦)

هذا الكتاب فهرست مفصل لمخطوطات دير الشرفة الذي انشأه في كسروان عام ١٧٨٦ بطريرك السريان الانطاكي ميخائيل الثالث ، وجمع في خزانته ما كان قد اشتراه في حياته او نسخه ، وجعل تلك الخزانة الغنية بمخطوطاتها السريانية تؤلف الجزء الاكبر من كتب الدير ، فقد شغل وضعها ٢٨٥ صفحة من الطرفة ، والمخطوطات العربية يتألف وضعها من ١٩٧ صفحة ، وجلّ كتب الدير في الصلوات والأبحاث الدينية ؛ على ان المخطوطات السريانية تشتمل من كتب العلم والأدب على ٢٧ صفحة ، والمخطوطات العلمية العربية تشتمل على ٦٤ صفحة فهي أسعدحظاً من السريانية ·

لقد انتشرت الثقافة العربية في الأندلس انتشاراً هزم اللغة اللاتينية ولغة البلاد الاصلية مما جأر له بالشكوى كاهن قرطبة ، وحمله أخيراً مع القسيسين على نقل كتب الدين الى العربية ليفهما ابناء الملة ، وهو ما حدث في بلاد العرب

كالعراق والشام ومصر وغيرها؛ اما تغلب العربية على السريانية في بلاد الشام، وزمن نقل الأناجيل وكتب الصلوات والطقوس، وزمن اشتغال السريان بتأليف كتب الصرف والنحو، فيستدل بكتاب الطرفة عليه، وفيه كثير من الطرائف التاريخية، منها ما يفيد العرب معرفته كالعلم بالعصر الذي تم فيه اسلام بني تغلب، فقد جاء في الصحيفة ٣٢٦ من كتاب المرشد للشيخ السرياني اليعقوبي يحيى بن جرير التكريتي ما نصه: «وقد كان في العرب نصارى كبني تغلب وقوم من اليمن وغيرهم، ومعهم اسقف يطوف معهم في الحلل في سفرهم، وينقل المذبح اعني الدفة المقدسة (طبليث) من موضع إلى موضع الى سنة ثلاثمائة للعرب، وصل الى تكريت قوم من العرب النصارى، وابتاعوا لهم ميرة ليمتاروا بها، وكان منهم رجل ديناً حسن الطريقة فقلده مطران تكريت الاسقفية، وكان يقدس لهم باللفظ العربي، وكان يقدس لهم على الانجيل ...» والعلامة افرام بطريرك السريان في حمص عضو المجمع العلمي العربي كان يبالغ في الثناء على المارجرجي الأسقف العربي الفيلسوف، وقد ذكر له في الطرفة بعض المؤلفات. ونقلة تاريخ الفلسفة في عصرنا هذا عن اللغات الأوروبية لا يعلمون ان هذا الفيلسوف العظيم هو عربي صميم.

ومما يدل على تغلب العربية على السريانية في بلاد الشام ما جاء في الصفحة ٦٢ من الطرفة: ملاحظة كتبها السيد اغناطيوس بطرس جروة (١٨٢٠ — ١٨٥١) البطريرك الأنطاكي وهي بنصها: «ترجمنا فصول الأناجيل الى العربي ... ويلزم الكهنة في الآحاد والأعياد مع الشمامسة ... أن يقرؤا الرسائل والاناجيل عربياً، وكذلك النافورات المترجمة من السرياني و.. »، وفي الصفحة ١٢٣ وتحت اسم (الحسايات او السذوات)، ويراد بها صلوات استغفارية خشوعية يترنم بها الكاهن السرياني والماروني، جاء ما نصه: «وقد نقلها الأئمة على تراخي الاحقاب الى العربية ليقف على مضامينها جمهور المؤمنين، فلم يبق منها في أصلها السرياني بين مخطوطات الشرفة الا النزر.»؛ وفي الصفحة ١٣٦ جاء خلال الكلام على نسخة

(الرسامات الكهنوتيه) : ان البطريرك اغناطيوس (ميخائيل الثالث) هو الذي نقل الصلوات والحسايات الى العربية .

أما اول من الف كتب النحو العربية من السريان فقد جاء ص ٤٣٦ اسم كتاب (شرح الاجرومية للملة النصرانية) وجاء في الكلام عليه ما نصه : « ويستنتج من ذلك ان السيد غريغوريوس نعمة قدمي صنف كتابه هذا في قلعة ادنه عام ١٧٠١ — ١٧٠٤ اذ كان بعد قسيساً ، وانه هو أول من طرق هذا الباب من أئمة المسيحيين ؛ على ان السيد جرمانوس فرحات لم يؤلف كتابه (بحث المطالب) الا بعد ست سنوات من تأليف السيد نعمة قدمي ، وقد انتشر كتاب السيد نعمة هذا في اوائل القرن الثامن عشر انتشاراً عظيماً كما يتضح من النسخ العديدة المصونة الى اليوم في دور الكتب .

ومن حكماء اليعاقبة الذين ذكرهم كتاب الطرفة ابو زكريا يحيى بن عدي التكريتي المنطقي الذي نشر له رئيس مجمعنا كتاب (تهذيب الأخلاق) ، ولا متاعه نشره أيضاً في شيكاغو سنة ١٩٢٨ السيد سويريوس افرام برصوم وصدره بمقدمة مستملحة في احدى عشرة صفحة ، وصف فيها اصل يحيى وفصله وتآليفه البالغة ٧٠ تأليفاً ، ومنها مقاله في التوحيد نشرت في مجلة المشرق ، وردّه على يعقوب ابن اسحق الكندي نشر في مجلة الشرق المسيحي سنة ١٩٢٠ ، وكتاب ما بعد الطبيعة نقله من السرياني الى العربي على ما ذكره ابن العبري في تاريخ الدول العربي ص ٦٣ ، ومنها كتاب ثاوفرسطس نقله كذلك من السرياني الى العربي على ما ذكره العلامة السمعاني .

ويتضح بما تقدم مافي البحث العلمي عن فهارس دور الكتب من الفوائد ، ويستحق المؤلف الفاضل كل ثناء لعنايته بمخطوطات خزانة الدير السريانية والعربية على السواء ، ونشكر له اتحافه بهذه التحفة التي اصاب في تسميتها بالطرفة

التنوخي

كتاب الكليات

لابن رشد

لأبي الوليد محمد بن رشد فيلسوف العرب الأشهر كتاب طبي موجز عرف بكليات ابن رشد، يحتوي على سبعة أبحاث، كل منها يسمى كتاباً في اصطلاح تلك الأيام. وهذه الكتب او الأبحاث هي: كتاب تشريح الأعضاء وكتاب الصحة وكتاب المرض وكتاب العلامات وكتاب الأدوية والأغذية وكتاب حفظ الصحة وكتاب شفاء الأمراض.

ونُسخ كتاب الكليات نادرة، واقدمها نسخة مخطوطة وجدت في دير الجبل المقدس بأعالي غرناطة، وهي كاملة مضبوطة. وقد عمد معهد الجنرال فرنكو للأبحاث العربية الاسبانية في طنجة الى هذه النسخة فنقلها بالتصوير الشمسي على ورق جيد، بعد ان قدم لها السيد ألفريد البستاني (استاذ الآداب العربية في معهد الدراسات المغربية في تطوان) بمقدمة حسنة ذكر فيها نشأة بن رشد، وأشار الى مؤلفاته، ولخص آراءه الفلسفية، وبين انه كان اعظم شارح لفلسفة أرسطو المعلم الأول. وترجمت هذه المقدمة الى الاسبانية وطبعت في الجهة اليسرى من الكتاب.

ووُضع في آخر كتاب الكليات فهرس لموضوعات ابحاثه، وفهرس ثان لبعض النباتات والحيوانات والمعادن التي ذكرت فيه، مع بيان اسمائها العلمية واسمائها الاسبانية، وبيان شيءٍ موجز عن كل منها.

ويقول ناشرو كتاب الكليات ان معهد الجنرال فرنكو يعدّ الكتاب المذكور باكورةً لمخطوطات عربية أخرى ستنشرها لجنة الأبحاث العربية الاسبانية في المعهد المشار اليه، وهو عمل يشكرون عليه. وما دام الأمر كذلك فمن المفيد ان ننبه المعهد الى نواقص وهنات وردت في الكتاب لعل القائمين على هذا العمل الجليل ينقون أمثالها في منشوراتهم التالية.

أولاً : من المعلوم أن المخطوطات التي تكون منسوخة في القرن السادس من الهجرة بخط مغربي قلما تكون قراءتها سهلة ، ولا سيما اذا كان القرّاء من العرب المشارقة ، ومن العبث أن يضيع هؤلاء القراء معظم وقت القراءة في تهجي حروف الكتاب بدلاً من تفهم معاني جمله . ولهذا من الضروري ان تطبع المخطوطات التالية طبعاً ، وان لا يكتفى بنقل صورها الشمسية .

ثانياً : تراث اجدادنا الأقدمين انواع ، فالأمهات من كتب الادب تصلح لكل زمان ومكان ، والأمهات من كتب اللغة لا غنى عنها الى ان نضع ما هو اصلح منها لزماننا هذا الذي اتسعت فيه المعارف البشرية اتساعاً ضاقت عنه المعجمات القديمة كل الضيق . اما الكتب الفلسفية التي خلفها الاجداد ففي قراءة كثير منها فوائد جمة ككتاب التهافت للغزالي و كتاب تهافت التهافت لابن رشد واشباههما . واما الابحاث العلمية التي خلفوها فبعضها لا يغير الزمان حقائقه كالقواعد والنظريات الرياضية ؛ وبعضها لم يعد صالحاً لأيامنا هذه ككتب الطب والزراعة والطبيعة ، لأن هذه العلوم قد تقدمت وتوسعت كثيراً وتبدلت اليوم تبدلاً كلياً عما كانت عليه في القرون الوسطى او في أيام المدنية اليونانية .

ويتضح من ذلك انه لا فائدة علمية تذكر في طبع مثل كتاب الكليات ، لكن في طبعه فائدة تاريخية كبيرة من حيث أنه حلقة من حلقات تاريخ العلوم الطبيــة ، وله أيضاً فائدة أخرى وهي اشتماله على مصطلحات يجدر بعلمائنــا المعاصرين اقتباسها .

ثالثاً : عندما يُعمد إلى وضع الأسماء العلمية التي تنظر إلى الكلم العربية يجب ان يناط هذا العمل بعالم اختصاصي ، فالسيد الفريد البستاني لم يوفق في فهرس النباتات والحيوانات كما وفق في المقدمة التي وضعها عن ابن رشد . ولهذا جاء في هذا الفهرس أغلاط كثيرة نجتزئ بذكر بعضها :

(١) وضع إزاء لفظة « أُشنة » اللفظة العلمية Juniperus oxycedrus

على حين ان هذه اللفظة تدل على شجر العرعر . وأين الأُشنة من العرعر .

(٢) جعل أمام لفظة « الجران » التي يستعملها المغاربة للدلالة على الضفدع لفظة Ranunculus على حين ان هذه اللفظة العلمية تدل على نبات الحوذان . وفي هذا الجنس من النبات أنواع كثيرة يعرفها المشتغلون بالنباتات الزراعية كحوذان الزهارين والحوذان الافريقي (عود الصليب) والحوذان الزاحف والحوذان الحريف (زر الذهب) الخ ..

(٣) جعل لفظة الجلبان تنظر إلى الكلمة Ervum ervilia والحقيقة ان الاسم العلمي للجلبان هو Latirus sativus أما الكرسنة فهي Vicia ervilia .

(٤) وضع أمام لفظة الدُلب لفظتي Chaisnus, casnus وجنس الدلب في اللسان العلمي Platanus وفيه أنواع .

(٥) جعل الصفصاف ينظر إلى Populus في حين أن هذه اللفظة تدل على الحور. أما الصفصاف فهو جنس Salix وفيه أنواع عديدة .

(٦) جاء أمام لفظة الثوم Pallium والحقيقة Allium Sativum .

(٧) وضع أمام لفظة البصل Unio على حين ان اسم البصل العلمي Allium Cépa

(٨) وضع للبطيخ اسمًا غير اسمه العلمي المعروف وهو Citrullus Vulgaris

(٩) لم يذكر الأسماء العلمية لعدد من النباتات المعروفة كالبندق والتين والجوز والعنب ، وهذه الأسماء موجودة في كتاب « الأشجار والأنجم المثمرة » من تأليفي وفي غيره من الكتب الزراعية .

(١٠) جاء في عدد كبير من الأسماء العلمية اغلاط مطبعية شوهت هذه الأسماء تشويهًا شنيعًا ، ومن هذه الأسماء المشوهة تلك التي تنظر الى النباتات الآتية : الباذنجان والحلبة والحناء والسرو والعناب والقرظ والكرفس واللفاح واللوبياء والياسمين وغيرها .

هذا بعض ما رأيت ان ألفت النظر اليه من الهنات · والحقيقة انه مامن لفظة وردت في هذا الفهرس الا وفيها غلطة او اغلاط سواء من حيث عدم الاهتداء الى الأسماء العلمية الصحيحة ام من حيث عدم الانتباه للأغلاط المطبعية ام من حيث عدم التدقيق في قليل الايضاحات التي ذكرت لكل نبات ·

ونحن لا نذكر هذه الأمور تثبيطاً لعزائم رجال معهد الجنرال فرنكو بل شحذاً لهممهم وتشجيعاً لهم على السير في عملهم المفيد حتى تجيء الكتب التي وعدوا بنشرها خالية من امثال هذه الهنات · ولا شك ان المجمع العلمي العربي بدمشق هو اول من يغتبط بنشر كنوز الأندلس الدفينة وإلباسها أثواباً قشيبة كالحلة الجميلة التي كسي بها كتاب الكليات ·

مصطفى الشهابي



النبوغ المغربي في الأدب العربي

جزآن بالقطع الصغير في نحو ٦٧٠ صفحة طبع في المطبعة المهدية بتطوان

تأليف عبد الله الكنوني

مؤلف هذا الكتاب الاستاذ الفاضل المؤرخ سيدي ابو محمد عبد الله الكنوني الحسني من أسرة كنون المشهورة بالعلم والصلاح في المغرب الأقصى ، ذكر مايريده من الأدب العربي في مقدمة كتابه فقال :

(هذا كتاب جمعنا فيه بين العلم والأدب والتاريخ والسياسة ورمينا بذلك الى تصوير الحياة الفكرية لوطننا المغرب) فدلّ بذلك على انه لم يقصر كتابه على تراجم الأدباء وما أثر عنهم من منظوم ومنثور كما هو مفهوم الأدب قديماً وانما هو يتمشى مع روح العصر في معنى الأدب

أما الحامل له على وضع كتابه فقد أبانه بقوله :

(نربط حلقات البحث الموصل الى اكتناه حقيقة ماضينا الأدبي ليشاهده من كان يجادل فيه) ولكن من يكون هذا الذي يجادل في ماضي المغرب الادبي ؟ يظهر ان المؤلف اراد بهم اهل المشرق بل قد صرح بذلك فقال :

(وقد كثر عتب الأدباء في المغرب على اخوانهم في الشرق لتجاهلهم اياهم وانكار كثير منهم لكثيرٍ من مزاياهم) وكان على المؤلف ان يكشف عن مراده بالمغرب الذي نتجاهله : أهو المغرب القديم او المغرب الحديث ؟ فاننا معشر المشارقة نؤمن بالمغرب القديم إيماناً قد يكون اقوى من ايمان اهله به : نؤمن بابن خلدون ومقدمته ، والقاضي عياض وشفائه ، وبابن مالك والفيته ، وابن رشد وفلسفته ، وابن سيده ومخصصه ، وابن عربي وفتوحاته (مع شيء من التوقي والحذر) وابن جبير ورحلته ، وبالشاطبي وموافقاته ، وبالشاطبي الآخر وشاطبيته (في علم القراآت) وابن زيدون ورسالته (الى ابن عبدون) والمقري ونفح طيبه وابن حزم وفضله ، وابن

الطفيل وحي بن يقظانه ، وابن حجلة وديوان صبابته ، وابن عبد ربه وعقده ، والشريف الادريسي ونزهة مشتاقه (في الجغرافية) ، كل أولئك نعجب بنبوغهم ونراهم حجةً للمسلمين على غيرهم ؛ اما المغرب الحديث فاننا لسنا ضعيفي الثقة بنبوغ ابنائه وانما نحن قليلو المعرفة بهم وبآثارهم · وقد أخذت هذه المعرفة تنمى بيننا وتزيد : من يوم ان جعلت مطابع المغرب تتحفنا من وقت الى آخر بآثار السادة (ابن زيدان) و (الكتاني) و (الحجوي) وأخيراً (الكنوني) ومن يوم ان قام الفضلاء امثال سيدي (ابو عياد) وسيدي (محمد داود) يترددون بين المشرق والمغرب : يأخذون من افواهنا ويلقون على مسامعنا ما يسرُّ تارةً ويؤلم أخرى ، ولكنه في الجملة مؤدٍ الى شدّ الأواصر وتنوير البصائر ·

نرجع الى كتاب (النبوغ المغربي) فأول ما يثير عجبنا منه انه لم يكن على نمط أمثاله من مطبوعات المغرب التي اعتدنا ان نلمس فيها جودة الورق وحسن الحرف واتقان الطبع ، بلى ضرب على غرارها في كثرة الأغلاط ، وقلة العناية بالتصحيح وترك التعليق على ما يحتاج الى إيضاح ولا سيما بالنسبة الينا معشر المشارقة الذين ألف الكتاب باسمنا وعلى نية إفادتنا ·

والكتاب بجملته منقسم الى جزئين (الجزء الأول) تضمن احوال عصور المغرب (او انقلاباته) وجعلها المؤلف خمساً

وقد ذكر في كل عصر سياسة الدولة أولاً ثم يعقبها بذكر (الحركة العلمية) فيترجم لعلماء ذلك العصر ثم (الحياة الأدبية) فيذكر ما للملوك من التأثير فيها ثم يترجم للأدباء ويستطرد الى ذكر ماله علاقة بذلك

خذ مثلاً (عصر العلويين) التي قامت فيه (الدولة الشريفة) منذ أوائل القرن الحادي عشر الى اليوم : فقد ذكر المؤلف موجزاً من قيام هذه الدولة ونشاطها في قمع المخالفين ثم علاقاتها السياسية مع مجاوريها من ملوك اوروبا ثم المقارنة بين ملوك

هذه الدولة : أيهم أساء وأيهم أحسن : من ذلك ثناء المؤلف على أحدهم (محمد بن عبد الله) الذي سعى في التقرّب من الدولة العثمانية وشدّ أزرها حتى انه طرد سفير الروسية من طنجة لحين نشوب الحرب بين الروس والعثمانيين ، ثم ختم المؤلف هذا العصر بذكر مآثر مولاي الحسن الذي توفي سنة ١٣١١ ﻫ وانتقل الى (الحركة العلمية) فذكر ضعفها حيناً ونشاطها حيناً آخر والأسباب التي أدّت الى كلا الأمرين

ومما ذكره في أخبار هذا العصر ان مولاي محمد بن عبد الله اصدر منشوراً علمياً خاطب فيه علماء بلاده مشيراً عليهم كيف يجب ان يكون سلوكهم في التحصيل وفي اختيار كتب العلم وقد سرد عليهم اسماء ما يعوّل عليه منها وما ينبغي اطراحها ، ثم ذكر المؤلف علماء هذا العصر تحت عنوان (الهيأة العلمية) يريد جماعة العلماء) كما نقول في بلادنا (هيأة المحكمة) بل كما يقول المصريون (هيأة كبار العلماء فترجم لبضعة عشر منهم واكتفى عن ذكر بقيتهم بسرد ما تركوه من المؤلفات فاستوعبت خمس عشرة صفحة فقط · وفي احصائها على هذه الصورة فائدة لعشاق الكتب ولجان النشر وارباب المطابع · ثم انتقل المؤلف الى (الحياة الأدبية) فذكر عناية ملوك هذه الدولة بالأدب والادباء وتقريبهم اياهم واجزال الصلات لهم حتى ان (مولاي رشيد) أجاز شاعراً بألفين وخمسمائة دينار على بيتين قالهما فيه وهما :

فاض بحر النوال في كل قطر ... من ندى راحتيك عذباً فراتا

غرق الناس فيه فالتمس الفقـ ... ـرُ خلاصاً فلم يجده فماتا

ثم ترجم لطائفة من أدباء ذلك العصر وختمه بترجمة العلامة المؤرخ المسمى (اكنسوس) وذكر الاكنسوس هذا شعراً لكنه لم يفسر لنا كلمة (اكنسوس) ولماذا سمي هذا العالم بهذا الاسم وكانت وفاته سنة ١٢٩٤ ﻫ

أما (الجزء الثاني) من الكتاب فقد ضمنه ما أثر عن علماء المغرب وأدبائه (الذين ترجم لهم في الجزء الاول) من منظوم (حماسة وفخر وغزل ومدح وهجا الخ) ومنثور (خطب ومحاضرات ومناظرات ومقالات ومقامات الخ) .

وكنا نتصفح الكتاب ونمرّ بصرنا على مضامينه فنفيد علما، ونتذوّق من نبوغ أدباء المغرب ما طاب وقعاً ولذّ طعما، غير أننا كنا أحياناً نلمح خلال فوائده الجمة أشياء كان يحسن السكوت عنها او الاقتصار على نبذة منها من ذلك قصيدة العلامة ابن ناصر (وفاته ١٠٨٩ هـ) وقد ختم بها الكتاب فكانت (مسك الختام ولبنة التمام) كما وصفها المؤلف وهي سبعون بيتاً كنت أقرأ منها البيت بعد البيت وانا أعجب من طولها وضعف نظمها ومنها قوله :

يا رب يا رب أنلنا الأمنـا ... اذا ارتحلنا واذا اقمنا
يا رب واحفظ زرعنا وضرعنا ... واحفظ تجارنا ووفر جمعنا
واجعل بلادنا بلاد الدين ... وراحة المحتاج والمسكين
واجعل لهـا بين البلاد صولة ... وحومـة ومنعـة ودولة
واجعل من السرّ المصون عزها ... واجعل من الستر الجميل حرزها
واجعل بقافٍ وبصادٍ وبنون ... الف حجاب من ورائها يكون

لا جرم ان مثل هذه القصيدة يحتاج الى تعليق يبين اتصالها بموضوع (النبوغ المغربي) ويصف لنا على الأقل مبلغ تأثير استغاثتها الحارة في صيانة بلاد المغرب مما منيت به وانساقت اليه او لعل المؤلف ترك التعليق للقارئ الفطن فهو الذي يركّب ويحلل، ويستنتج ويعلل .

المغربي

آراء وانباء

منهاج مجمع فؤاد الأول للغة العربية

في ١٣ من كانون الأول (ديسمبر) سنة ١٩٣٢ م اصدر جلالة ملك مصر فؤاد الأول عليه رحمة الله مرسوماً بإنشاء معهد باسم «مجمع اللغة العربية الملكي» يكون تابعاً لوزارة المعارف، وأغراضه أن يحافظ على سلامة اللغة العربية، وان يجعلها وافية بمطالب العلوم والفنون في تقدمها، ملائمة لحاجات الحياة في العصر الحاضر . وأن يقوم بوضع معجم تاريخي للغة العربية، وان ينظم دراسة علمية للهجات العربية الحديثة، وان يبحث كل ماله شأن في تقدم اللغة .

وفي ٦ من تشرين الأول (اكتوبر) سنة ١٩٣٣ اصدر المرسوم الملكي بتعيين الاعضاء العاملين للمجمع؛ وعدتهم عشرون عضواً: عشرة من المقيمين بمصر؛ وخمسة من الشرقيين؛ وخمسة من المستشرقين . وهم: الدكتور محمد توفيق رفعت باشا (الرئيس). حاييم نحوم أفندي . الشيخ حسين والي (توفي) . الدكتور فارس نمر باشا . الدكتور منصور فهمي بك . الشيخ ابراهيم حروش . الشيخ محمد الخضر حسين . أحمد العوامري بك . علي الجارم بك . الشيخ احمد علي الإسكندري (توفي) . ه٠ ا٠ ر٠ رجب . الدكتور ا٠ فيشر . ا٠ نلينو٠ (توفي) . م٠ ماسينيون . ا٠ ج٠ فنسنك (عين بدلا منه الاستاذ ليتمان) . محمد كرد علي بك . الشيخ عبد القادر المغربي . الأب أنستاس ماري الكرملي . عيسى اسكندر المعلوف أفندي . السيد حسن حسني عبد الوهاب .

وفي صباح ٣٠ من كانون الثاني (يناير) سنة ١٩٣٤ عقد المجمع الجلسة الأولى للدورة الأولى؛ ثم والى بين اربع وثلاثين جلسة تمت بها هذه الدورة . وتابع المجمع عقد دوراته في مفتتح الشتاء من كل عام، حتى أتم ست دورات، كل دورة منها خمس وثلاثون جلسة ما عدا الأخيرة؛ فقد كانت ستاً وثلاثين جلسة .

وكان فيما بين كل دورتين من دورات الانعقاد تجتمع اللجان التي ألفها المجمع؛ وقسم بينها جمهرةَ العلوم والفنون، وعهد إليها بدراسة المصطلحات، وإعدادها للعرض على المجمع في موسمه السنوي. وهذه اللجان تجتمع مرة في كل اسبوع في خلال الفترة بين كل دورتين ما خلا أشهر الصيف، وفي اثناء دور الانعقاد في بعض الأحيان؛ وتستعين كل لجنة بخبير فني في العلم اوالفن الذي تُدرس مصطلحاته.

وقد وضع المجمع نصب عينيه اوّلاً اخذ الناشئين بصحيح العربية فيما يتدارسون من العلوم والفنون. ولما كانت المصطلحات الواردة في كتب التعليم في مصر، إما مذكورة بألفاظها الأجنبية، وإما مترجمة في الغالب ترجمة غير دقيقة، عمد المجمع الى استظهار الفاظ فصيحة وصيغ دقيقة تؤدّيها على جهة الضبط والصحة، وذلك اما باستخراجها من قديم العربية ومكنوزها، واما بوضعها وضعاً جديدا. ووجه جلّ همه أولاً الى المصطلحات التي تدخل في التعليم الثانوي، فاستخرج آلافاً منها في علوم الأحياء، والرياضة، والطبيعة، والاقتصاد السياسي، والقانون، وتاريخ القرون الوسطى، والموسيقى، والرسم، والعمارة. وأقرّ من هذا طوائف كبيرة هي الآن معدّة مشروحة في متناول المؤلفين والمعلمين.

وقد وافت ادارةُ المجمع وزارة المعارف بنحو ثلاثة آلاف وخمسمائة مصطلح من التي مرّ أكثر من عام على تقريرها، على ان تطبع وتوزع على المؤلفين والمفتشين والأساتذة، لإدخالها في كتب التعليم وفي التدريس. كذلك أحس المجمع حاجة الجمهور الى اسماء عربية تؤدّي المسميات الحديثة في الشؤون العامة كأدوات المنازل واثاثها، وما تتناقله الألسن والاقلام في الاسواق والأندية والصحف، فبحث في كثير من هذه المسميات، وأقرّ طائفة جليلة من اسمائها، وهي الآن مشروحة مقرونة بمقابلها الافرنجي.

ومن اهم ما عني به المجمع انه رأى ان في التزام بعض قواعد معينة من القواعد

التي دُرج عليها في العربية ، تضييقاً في افق اللغة ، وحرجاً في التعبير عن كثير من مستحدثات المعاني ، وعلى الخصوص ما يتعلق بالترجمة عن مصطلحات العلوم والفنون ، مما كان له ابلغ الأثر في قعود اللغة العربية عن مجاراة العصر الحديث وموافاة حاجاته لذلك بحث المجمع بحثاً وافياً في اصول اللغة ، وترسم مذاهبها المختلفة ، وتتبع ما مضت اليه آراء الأفذاذ والجماعات من متقدّمي العلماء في قواعدها التي تتصل بهذا الباب ، وتخير منها كل ما ييسرها ، ويوسع اقيستها ، ويلينها للترجمة عن مستحدثات المعاني في غير عسر ولا حرج . واقرّ المجمع من هذه القواعد اكثر من اربعين قاعدة بعد درس وفحص ، وهي الآن صالحة جليلة النفع ، وقد استفاد المجمع منها اكبر استفادة في وضع الألفاظ الجديدة . وهذه القواعد ستعين المشتغلين باللغة العربية على انمائها .

ومما اتجه اليه جهد المجمع انه وضع نظماً ثابتة لتعريب الأعلام الأجنبية للممالك والبلدان ، وذلك لما رآه من الاضطراب الشديد ، سواء في كتابتها او النطق بها . فعمد الى تحقيق تلك الأعلام ، توسلا الى كتابتها والنطق بها على جهة الصحة ، واستحدث رقوماً وعلامات تُلحق بالحروف العربية ، بحيث اذا كتب بها العلم الأجنبي احتفظ بصورته الصحيحة ، وامكن النطق به كما ينطق به اهله . ورفعاً لعبء التطبيق عن المترجمين ، قرّر المجمع ان يوزع على اعضائه اعلام الممالك والبقاع في انحاء الدنيا ، لكتابتها طوعاً لتلك النظم الموسومة ، على ان يخرج بها معجماً جغرافياً وافياً يسدّ حاجة المشتغلين بالترجمة ومؤلفي الكتب الجغرافية ، وذلك بأيسر جهد .

هذا وقد أراد المجمع ان يسعف رجال التعليم بإرشادات سريعة في ترجمة اعلام البلاد ، فأصدر كشوفا بالأغلاط القائمة في المصوّرات الجغرافية المستعملة في المدارس ، وكذلك اصدر قائمة بأعلام بلاد السودان المصري ، والحبشة ، والصومال ، وشمال إفريقية ، وغرب آسيا على الوجه الصحيح .

كذلك عني المجمع بوضع المعجمات التي تدعو اليها حاجة الطلاب والمترجمين ، فقرّر وضع معجمين للتعليم الثانوي : (الأول) معجم علمي صغير للتعليم الثانوي في الأقطار العربية ، (والثاني) معجم لغوي تثبت فيه طوائف من الموادّ والألفاظ والصيغ التي تلائم جمهرة المثقفين ، على ان يكون على احدث نمط عصري ، بحيث يغني الطالب الثانوي والمثقف الوسيط عن غيره من المعجمات ، مع التيسير في الكشف والمراجعة . وتقوم الآن بوضع هذا المعجم لجنة مؤلفة من خمسة من حضرات اعضاء المجمع واساتذين في كلية الآداب .

وفوق هذا ، عمدت ادارة المجمع الى بعض المعجمات الخاصة بالعلوم والفنون ، فأفرغت مصطلحاتها العلمية في جزازات ، وذلك تمهيداً لترجمتها بما يؤدّيها من صحيح العربية ، وقد تم العمل حتى الآن في ثلاثة معجمات : (أحدها) في الاقتصاد السياسي . (والثاني) في الكهرباء واللاسلكي . (والثالث) في فن العمارة والبناء . ويجري العمل الآن في معجمين : (أحدهما) في مصطلحات الكيمياء . (والثاني) في مصطلحات الطب . وستكون هذه المعجمات وغيرها ، بعد ترجمتها ترجمة علمية صحيحة ، مادّة ميسرة ، سواء للمعجمات العربية الجديدة ، او الكتب العلمية .

وينشر المجمع قراراته اللغوية في القواعد والمصطلحات في مجلته السنوية . وقد اصدر حتى الآن منها اجزاء اربعة في نحو الف وخمسمائة صفحة ، حاوية للقواعد مع الاحتجاج لها ، والمصطلحات مع شروحها . وفيها الى جانب ذلك دراسات لغوية مستقلة لأعضاء المجمع وغيرهم من الباحثين . وأجزاء المجلة تهدى الى كثير من المعاهد العلمية في العالم الشرقي والغربي ، وكبار المشتغلين باللغة العربية في جميع الاقطار .

وأصدر المجمع فوق ذلك مجموعة المحاضر لأربع دورات ، وهي في نحو الفي صفحة ، مشتملة على ما دار في الجلسات من المناقشات العلمية ، ومما أخذ المجمع به نفسه ان قراراته في الاسباب اللغوية لا يصبح شيءٌ منها نهائياً الا بعد نشره بين يدي الجمهور

بعامٍ كامل ، وذلك ليتهيأ له مراجعة ما عسى ان يوجه عليه من فنون النقد .

واخيراً عنيت وزارة المعارف بوضع مشروع مرسوم يخوّل زيادة عدد الاعضاء الى ثلاثين ، وينظم من الأعضاء المقيمين بمصر مجلساً يعمل طوال العام ، على ان تكون القرارات الخاصة بمادة اللغة العربية من مؤتمر المجمع الذي ينعقد اربعة أسابيع متوالية في العام .

وفي ٢٨ من ايار (مايو) سنة ١٩٤٠ صدر المرسوم الملكي بهذا التعديل .

وفي ٢٥ من تشرين الثاني « نوفمبر » سنة ١٩٤٠ صدر المرسوم الملكي بتعيين عشرة من اقطاب اهل العلم والفضل والأدب اعضاء في المجمع ، وهم : الدكتور محمد حسين هيكل باشا . الشيخ مصطفى عبد الرازق باشا . الدكتور علي ابراهيم باشا . الأستاذ الشيخ محمد مصطفى المراغي . عبد العزيز فهمي باشا . احمد لطفي السيد باشا . عبدالقادر حمزة باشا . الاستاذ عباس محمود العقاد . الدكتور طه حسين بك . الأستاذ احمد امين بك .

(انتهى ملخصاً من منهاج مجمع فؤاد الأول للغة العربيه الصادر هذه السنة)



البدء بالتاريخ

ارجو ان تلفتوا نظر الحكومة لاستعمال الأعداد حسب القواعد العربية بالبدء من اليمين والعدول عن التراكيب التركية فمثل سنة ١٣٥٩ يجب أن تكون تسعة وخمسين وثلثمائة والف لا كما هو المتعارف الف وثلاث مائة وتسعة وخمسون بالترجمة التركية بيك اوچيوز اللي طقوز .

لعل هذه تكون خطوة أولى باصلاح الأخطاء العربية المستعملة بتعميم من رئاسة الحكومة يوجب اتباع القواعد العربية في مسائل الأعداد فان الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن

محمد سعيد العرفي

المجلد السادس عشر ١٨٣، ١٨٤ الجزء الثالث والرابع

مجلة المجمع العلمي العربي

أنشئت سنة ١٣٣٩ هـ الموافقة لسنة ١٩٢١ م

تنشر في دمشق مرة في الشهر

آذار ونيسان سنة ١٩٤١ م

ربيع الأول وربيع الآخر سنة ١٣٦٠ هـ

دمشق

المجمع العلمي العربي

قيمة الاشتراك السنوي { في سورية ولبنان ٣٠٠ قرش سوري
الدفع مقدماً { وفي جميع الأقطار ٤٠٠ 〃 〃

مطبعة الترقي بدمشق

ابن عُنَيْن

شاعر القرن السابع

هو محمد بن نصر الدين بن نصر بن الحسين بن ُعنين الأنصاري ، وعنين بضم العين المهملة وفتح النون وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها نون ، كنيته ابو المحاسن ولقبه شرف الدين . أصله من الكوفة وولد في دمشق ومات فيها (٥٤٩ — ٦٣٠ هـ)

تأدب ابن عنين بأدب عصره واخذ عن مشايخ بلده ما تيسر له أخذه . اشتغل في دمشق بالفقه على القطب النيسابوري والكمال الشهرزوري ، وقرأ الأدب على أبي الثناء محمود بن رسلان وسمع ببغداد من منوجهر بن تركانشاه راوي مقامات الحريري ، وعني كثيراً باللغة حتى عدّ من علمائها في عصره ، وكان يستحضر كتاب الجمهرة لابن دريد وقد اختصره ، وكتب في النثر تاريخ العزيزي ، وقد فقد كلا التأليفين .

وجاء من ابن عنين شاعر مطبوع يجول في اكثر اغراض الشعر وجوّد في جولاته وموضوعاته فعدّ من اعظم شعراء زمانه ، وشعره في الوصف والشعر العاطفي آية ، واشتهر بين الناس بهجوياته . واذ لم يكن له غرض في جمع شعره لم تسمُ همته الى تدوينه ، فهو يوجد مقاطيع في ايدي الناس . وقد جمع له بعض اهل دمشق قديماً ديواناً صغيراً لا يبلغ عشر ما له من النظم الرائع ، وقيل ان فيه اشياء ليست له .

طار صيت ابن عنين بهجوياته ، وما كان ينجو من هجوه كبير ولا صغير . وشعره في الهجو خال من الاقذاع في الجملة ، وربما ضحك المهجوّ منه وساءه بما قال وافترى . وله في باب الاهاجي قصيدة يداعب فيها جماعة من الدمشقيين ، وهي القصيدة المعروفة بمقراض الأعراض افتتحها بقوله :

أضالع تنطوي على كرب ومقلة مستهلة الغربِ
شوقًا الى ساكني دمشق فلا عَدَت رباها مواطر السحب
منازل ما دعا تذكرها الا ولبى على النوى لبي

وقد ذكر فيها جماعة بأبشع الأوصاف وختمها بقوله :

وحين أبصرت دولة الأحـ ـدب أربت على علا الشهبِ
فقلت للمفلسين ويحكم تحادبوا فهي دولة الحُدْب

هجا ابن عنين العلية من قومه ومنهم المؤيد بن القلانسي والجمال بن المهدي الكاتب والقاضي ابن عصرون والقاضي الفاضل وزير صلاح الدين وكاتبه . وكان وقوعه على ما يظهر في القاضي الفاضل سببًا اعظم في غضب صلاح الدين عليه ، فأمر بتسييره من دمشق بسبب وقوعه في الناس. ونفاه الى اليمن فمدح صاحبها طغتكين من اخوة صلاح الدين . طاف شرف الدين البلاد من الشام والعراق والجزيرة واذربيجان وخراسان وغزنة وُخوارَزم وما وراء النهر ، ثم دخل الهند ورجع من طريق الحجاز الى الديار المصرية ، وقد مات صلاح الدين وتملكها اخوه الملك العادل ابو بكر بن ايوب ، فسار متوجهًا الى دمشق وكتب اليه قصيدته الرائية يستأذنه في دخول الفيحاء ويعدد ما قاساه في الغربة ، قال في الوفيات : وقد احسن فيها كل الاحسان ، واستعطفه ابلغ استعطاف ، وأولها :

ماذا على طيف الأحبة لو سرى وعليهم لو سامحوني في الكرى

وصف في أوائلها دمشق وبساتينها وانهارها ومواضع متنزهاتها ومما قال :

فسقى دمشق وواديها والحمى متواصل الارهام منفصل العرى
حتى نرى وجه الرياض بعارض أحوى وفَوْدالدَّوح ابيض ازهرا
تلك المنازل لا ملاعب عالج ورمال كاظمة ولاوادي القرى
أرض اذا مرت بها ريح الصبا حملت على الأغصان مسكًا أذفرا

ثم عاد مشيراً الى النفي منها :

فارقتها لا عن رضاً ، وهجرتها　　لا عن قلىً ، ورحلت لا متخيرا
أسعى لرزق في البلاد مشتت　　ومن العجائب ان يكون مقترا
وأصون وجه مدائحي متقنعاً　　وأكف ذيل مطامعي متسترا

ومنها يشكو الغربة وما قاساه فيها :

أشكو اليك نوىً تمادى عمرها　　حتى حسبت اليوم منها أشهرا
لا عيشتي تصفو ، ولا رسم الهوى　　يعفو ، ولا جفني يصافحه الكرى
أضحى عن الأحوى المريع محوَّلاً　　وأبيت عن ورد النمير منفرا
ومن العجائب أن يَقيل بظلكم　　كل الورى ونُبذت وحدي بالعرا

قال ابن خلكان وهذه القصيدة من أحسن الشعر ، وعندي أنها هي خير من قصيدة ابي بكر بن عمار الأندلسي التي أولها : « أدر الزجاجة فالنسيم قد انبرى » ،

ولما نفي من دمشق قال :

فعلام أبعدتم أخا ثقة　　لم يجترم جُرماً ولا سرقا
أنفوا المؤذن من دياركم　　ان كان ينفى كل من صدقا

ولما عاد اليها وتقدم بها عند المعظم قال :

هجوت الأكابر في جلقٍ　　ورُعت الوضيع بهجو الرفيع
وأخرجت منها ولكنني　　رجعت على رغم أنف الجميع

ووصل به الحال ان هجا بعض الملوك الأيوبيين ، فانه لما ورد من اليمن الى مصر وطلبوا منه موجب ما ورد معه ، قال يهجو الملك العزيز صاحبها :

ما كل من يتسمى بالعزيز لها　　أهل ولا كل برق سحبه غَدِقه
بين العزيزين بونٌ في فَعالهما　　هذاكَ يعطي وهذا يأخذ الصدقه

وقال في العادل سيف الدين بن ايوب :

ان سلطاننا الذي نرتجيه واسع المـال ضيق الإنفاقِ
هو سيف كما يقال ولكن قاطع للرسوم والأرزاق

وهذا هجو خفيف على القلب غير ثقيل على السمع ، لا بذاءة فيه ويحمل نكتة لطيفة . وهنا يعرض على الخاطر لماذا شق على الشاعر ان يطلع عمال المكوس على مافي متاعه ، وقد آب من سفرته هـذه أبجر الحقائب ، وجمع من جوائز صاحب اليمن وجوائز غيره اموالاً اتجر بها فقدروا ما تموّله بثلاثين الف دينار ، ومن كان يملك هذا وهو في عقل ابن عنين ومعرفته ، لا يشق عليه ان يدفع حق الدولة ، هذا ان لم يكن ممن اعتادوا الأخذ ولا يعرفون العطاء ، ولا يرون ابداً غير الزيادة في وفرهم .

قال من ترجموا لابن عنين : انه كان من اظرف الناس واخفهم روحاً واحسنهم مجوناً ، وكان وافر الحرمة عند الملوك ، ولما عاد الى دمشق تولى الوزارة بدمشق في آخر دولة الملك المعظم ومدة ولاية الملك الناصر ، وانفصل منها لما ملكها الملك الاشرف ، قال الصفدي في الوافي : انه لما ولي كان محمود الولاية ، كثير النصفة ، مكتوف اليد عن اموال الناس ، مع عظم الهيبة . فمن يخطبه الملوك لتولي أمور الدولة ، فيه ولا شك شيء من أخلاق العظماء ، وليس هو بالشاعر الذي يجوز لنفسه ان يمد كل حين يده لمن يفضل عليه بشيء ، وأخلاق الشعراء غير اخلاق الأمراء .

لا جرم ان ابن عنين آلم بهجوه بعض المشهورين ، وما استطاعوا ان يصموه الا بما جرت العادة ان يصم به الخصم خصمه ، واهم ما وصموه به تكفيره وتبديعه وتفسيقه ، فقالوا انه كان يخلُّ بالصلاة ، ويصل ابنة العنقود ، واشتد بعضهم واوغل فرماه بالزندقة ، وكل اولئك تهمات سهلة النطق على الناقمين والموتورين ، ولو كان كما زعموا زنديقاً ما عمر مسجداً بأرض المزة مزة كلب واوصى أن يدفن فيه ،

ولو كان منحلاً من العقيدة ما اختاره ملكان عظيمان للوزارة والملوك من أخوف الناس من الرأي العام واعداؤه وابناؤهم واحفادهم يحصون عليه انفاسه ·

ولا نعتقد نفرة بعضهم منه الا بسبب هجائه لهم ، وهجوه ينبعث على الأغلب من نكتة اذا جاءته ارسلها · ولو كانت في عظيم لا يستحقها وتؤذيه فيحنق عليه بها · ولو كان يحسب لكل ما يبتده من شعره حساباً لما هجا القاضي الفاضل ، وهو اعظم رجال عصره في السياسة والادب ، ومن أشرف رجال الدولة على التحقيق · نعم أخذ كما قال ياقوت ، في الهجو بنفس طويل ، وتفنن بأساليب السب والثلب ، فأورد مالا يحسن ايراده حتى لقد هجا أباه ايضاً بقوله

وجنبني أن أفعل الخير والد ضئيل اذا ما عد اهل المناسب
بعيد من الحسنى قريب من الخنا وضيع مساعي الخير جمّ المعايب
اذا رمت ان اسمو صعوداً الى العلى غدا عرقه نحو الدنية جاذبي

ونحن نشك كثيراً في نسبة هذا الهجو له ، ولعل هذه الابيات مما نحله اياه اعداؤه وخصماؤه · وممن هجاه ، والغالب انه كان يتبرم بعشرته ، ابن المهدي في جواب رقعة طويلة ارسلها اليه :

وردت منك رقعة أسأمتني وثنت صبري الجميل كلولا
كنهار المصيف حراً وكرباً وليالي الشتاء برداً وطولا

كان لشرف الدين دقة احساس الشاعر ، وكان جهبذاً نقادة ، وربما كان قومه يريدون منه ان يقرّهم على مساويهم ، فما رأى غير اداته الشعرية يصوبها اليهم كل حين يشفي بها صدره من انحطاطهم والتواء أخلاقهم ، فمن ذلك قوله في الرشيد النابلسي ، وقد صفع ، يداعبه بل يثلبه :

تعجب قوم لصفع الرشيد وذلك ما زال من دابهِ
رحمت انكسار قلوب النعا ل وقد دنسوها بأثوابه

فوالله ما صفعوه بهـا ولكنهم صفعوهـا به

وقال يهجوه وابن شيث ويضيف نفسه اليهما :

انا وابن شيث والرشيد ثلاثة لا يُرتجى منا لخلق فائده
من كل من قصرت يداه عن الندى يوم الجدا وتطول عند المائده
فكأننا واو بعمرو ألحقت أو اصبع بين الاصابع زائده

وقال يهجو الموفق ابن مطران :

وقالوا اسعد بن الياس اضحى رئيساً لا حوته يد السعود
ولا اهجو الوجود وقد حواه لأن وجوده هجو الوجود

وقال يهجو ابن عساكر المعروف بخبز بدبس :

يا خليطاً بالدبس قصر عن الشـ ـر فقد قيل رائج الشر خاسر
وترفق بالجند فالجند آبا ؤك ان صحّ انك ابن عساكر

اذا صح الحكم عليه بهذه الأهاجي ، ومـا رأينا له في الموضوع الواحد غير البيتين والثلاثة ، ومعظمها مرتجلة على ما يظهر يوردها في مجلسه أو مع اصحـابه ، وا كثرها مما يتعمده للنكتة ، فلنا أن نقول انهـا تنوقلت بين القوم لسلاستها وخفتها على النفس ، ولطالما تنوقل الرديء المختصر وزهد في الجيـد المطول ، والا فان لابن عنين قصائد ومقاطيع قالها في احوال كارثة كانت هي اولى بأن تشهره بين الناس ، وان يتناقلوها ويتدارسوها ، خصوصاً ما صدر عنه في غربته ، وقد طالت على ما يظهر ، وما كان يحمله رسائله الى اصحابه وغيرهم من هذا القبيل فقد قال من جملة قصيدة يذكر فيها اسفاره ويصف توجهه الى جهة المشرق :

أشقق قلب الشرق حتى كأنني . افتش في سودائه عن سنا الفجر

وقوله لأحد أصحابه بدر الدين مودود الشحنة كان بدمشق (مدير الشرطة) :

يذكرني البرق الشآمي ان خبا زماني بكم يا حبذا ذلك الزمن

ويا حبذا الهضب الابيل و«عزتا» اذا ما بدا والثلج قد عم القنن
أأحبابنا لا أسأل الطيف زورة وهيهات اين «الديلميات» من «عدن»

وقد ذكر «عزتا» غير مرة في شعره والغالب انها كانت مصطافه ولعلها كانت قرب الفيجة على ما يفهم من اماكن اخرى ، والديلميات من ضواحي دمشق ، وعدن بلد معروف في اقصى بلاد العرب . وكما هجا شاعرنا الرجال هجا البلدان أيضاً ومما قال في الهند :

واذا سقى الله البلاد فلا سقى بلد الهنود سوى الصواعق والدما

وقال في حلب سامحه الله :

قوم عهود رجالهم محلولة ابداً وعهد نسائهم لم يحلل
من كل مائسة الثياب رشيقة رُود الشباب كريمة في هيكل

وقال في جامع دمشق لما سلسلت ابوابه وفيه نكتة بديعة .

سلوه اذا اجابكم سلوه سلوه جُنَّ حتى سلسلوه
ولولا انكم بقر حمير لما منعوكم أن تدخلوه

وقال في المعنى :

لما رأى الجامع أمواله منهوبة ما بين نوابه
جُنَّ فمن خوف عليه غدا مسلسلاً في كل ابوابه
وكيف لا تعتاده خيفة وقد رأى المسخ لاربابه
القرد في شباكه حاكم والتيس في قبلة محرابه

مدح ابن عنين الملك المعظم في عدة قصائد وكان يذكره بيوم دمياط مع الصليبيين ومما قال :

وأذكرته أيام دمياط بيننا وبين العدى والموت تهوي عقابه

وقال من أخرى :

غداة لقينا دون دمياط جحفلا من الروم لا تحفى يقيناً ولا ظنا
قد اتفقوا رأياً وعزماً وهمة ودينا وان كانوا قد اختلفوا لُسنا
تداعوا بأنصار الصليب فأقبلت جموع كأن الموج كان لهم سفنا

وقال في رثائه :

لولا دفاعك بالصوارم والقنا عن حوزة الاسلام عاد كما بدا
وديار مصر لو ونت عزماته عن نصرها لتمكنت منها العدا
ولأمست البيض الحرائر كلها فيهـا سبايا والموالي اعبدا
ولأصبحت خيل الفرنج مغيرة تجتاب ما بين البقيع الى كُدا
وبثغر دمياط فكم من بِيعة عُبد الصليب بها وكانت مسجدا
انقذتها من خطة الخسف التي كانت احلتها الحضيض الاوهدا

ومدح فخر الدين الرازي وسيرها اليه من نيسابور الى هراة ، ولما كان بخوارزم حضر يوماً درس هذا الامام العظيم ، وكان يوماً بارداً سقط فيه الثلج ، فبينما الشيخ يلقي الدرس اذ سقطت حمامة بالقرب منه ووراءها طير من الجوارح يطاردها ، فلما صارت بين الناس خاف الجارح وطار ، ولم تقدر الحمامة على النهوض مما لحقها من الخوف والبرد ، فرقّ لها الامام فخر الدين وأخذها بيده وحَنَى عليها فأنشده ابن عنين مرتجلاً :

يا ابن الكرام المطعمين اذا شتوا في يوم مسغبة وثلج خاشفِ
العاصمين اذا النفوس تطايرت بين الصوارم والوشيج الراعف
من نبأ الورقاء ان محلكم حرم وانك ملجأٌ للخائف
وفدت عليك وقد تدانى حتفها فحبوتها ببقائها المستأنف
ولو انها تُحبى بمال لانثنت من راحتيك بنائل متضاعف
جاءت سليمان الزمان بشكوها والموت يلمع من جناحي خاطف

فرم يطاردها فلما استأمنت بجنابه ولى بقلب واجف

فطرب لها فخر الدين واستدناه واجلسه قريباً منه وبعث اليه لما قام من مجلسه خلعة ودنانير كثيرة وبقي دائماً محسناً اليه ·

ومن نكاته الشعرية انه شهد في بغداد مسألة عرضت على القاضي فما اخلى حكمه فيها من لاذع تنكيته ، وذلك انه كان بمدينة السلام رجل له زوجة ويتردد الى الزوجة شاب تزعم أنه اخوها ، فجاء الزوج بعض الايام فرآه معها فمنعه من العبور الى بيته وتحاكما على دعوى الزعم فلم يمنع المذكور من الدخول اليها ، وكان اسم العاشق غياث واسم الزوج عمرو · ولم يستطع الزوج طلاقها لحبه لها فقال ابن عنين :

غياث فاسمعوا قولي وعمرو لهم عندي احاديث ظريفه

فزان ما عليه من جناح وقواد بتوقيع الخليفه

وقال فيها أيضاً :

غياث وعمرو فاسمعوا ما علمته لشيخين عندي من شنارهما شانُ

غياث نفى عن نفسه الحدّ في الزنا وعمرو بتوقيع الخليفة قرنانُ

حركت الغربة في شرف الدين أشرف عواطفه ، واهاج البعاد دقيق أحاسيسه ، وتجلت صورة نفسه يوم أقصوه عن أرضه وأهله ، كأن السلطان ما نفاه عن بلده الا ليتغنى به ويتغزل بطبيعته الفتانة ، وليعرف الناس تفوق بلاده على غيرها في كل ما تحبو به الطبيعة الاصقاع والبقاع · كأن ذلك هجيراه في كل مكان نزله ، وفي كل قصيد قصده ، والفضل في كل ذلك لمن نفاه فنفعه ونفع الأدب به ، قال من قصيدة يمدح بها صاحب اليمن السلطان طغتكين :

فأقبلت اجتاب البلاد كأنني قذىً حال دون النوم في اعين رُمد

فلم يبق حزْن ما توقلت حَزْنه ولم يبق سهل ما جررت به بردي

اكد و يكدي الدهر في كل مطلب فيابؤس دهري كم اكد وكم يكدي
طريد زمان لم يجد لصروفه بغير ذرى الباب العزيزي من ورد
فلما استقلت في ذراه بي النوى وألقت عصاها بين مزدحم الورد
تنصل دهري واستراحت من الوجى قلوصي ونامت مقلتي وعلا وجدي

قال في مطلع قصيدة يمدح بها السلطان المعظم شرف الدين عيسى بن ابي بكر ابن ايوب :

اذا جبل الريان لاحت قبابه لعيني وبانت من سنير هضابه
وهبت لنا ريح أتتنا من الحمى تحدث عما حملتها قبابه
وقامت جبال الثلج زهراً كأنها بقية شيب قد تلاشى خضابه
ولاحت قصور الغوطتين كأنها سفائن في بحر يعب عبابه
لثمت الثرى مستشفياً بترابه ومن لي بأن يشفي غليلي ترابه

وقال يتغزل ويتشوق الى دمشق:

الا خبروني عن حمى «تل راهط» يلذ به سمعي وان فاتني النظر
وقصوا أحاديث «المصلى» وأهلها علي فما لي في سوى ذاك من وطر
لقد طال عهدي بالمصلى وليتني رأيت المصلى او سمعت له خبر

وقال من قصيدة يمدح طغتكين :

ومحال قولي لنفسي عزاء سرعة السير شيمة الأقمار
لو تخلى القطا لنام ولو خليت لم أرم عن وجاري وجاري
ولو اني خيرت في هذه الدنيا لما اخترت غير قومي وداري

وقال متغزلاً يتشوق الى دمشق :

يا برق حي اذا مررت بعزتا أهلي وان زادوا جفا وتعنتا
أبلغهم عني السلام قل لهم أحبابنا هذا الصدود الى متى ؟

طال انتظاري للتلاقي فاجعلوا   لصدودكم أجلاً يكون موقتاً

وكتب من بلاد الهند الى اخيه بدمشق هذين البيتين والثاني منهما لأبي العلاء المعري استعمله مضمناً فكان احق به وهما :

سامحت كتبك في القطيعة عالماً   ان الصحيفة لم تجد من حاملِ

وعذرت طيفك في الجفاء لأنه   يسري فيصبح دوننا بمراحلِ

وعلى الجملة فان ابن عنين شاعر عظيم بل هو كما قال ابن خلكان خاتمة الشعراء لم يأت بعده مثله ولا كان في اواخر عصره من يقاس به ، ولم يكن شعره مع جودته مقصوراً على أسلوب واحد بل تفنن فيه ، وكان غزير الأدب من الأدب ، ومطلعاً على معظم أشعار العرب ، وكان له في عمل الألغاز وحلها اليد الطولى ، فمتى كتب اليه شيء حله في وقته ، وكتب الجواب أحسن من السؤال نظماً . رحمه الله .

محمد كرد علي



الترب والمدافن الخاصة في الاسلام

اعتنى الانسان منذ آلاف السنين بالقبور والمدافن والبناء عليها ، خصوصاً مدافن الملوك والعظماء ، فأهرام مصر ومدافن الحثيين والآراميين والانباط والرومانيين لا تزال حتى اليوم ماثلة امامنا ، وما تزال الحفريات العلمية تكشف لنا بين آونة واخرى عن قبور ومدافن قديمة كانت مجهولة لدينا

جاء الاسلام فلم يعتن بالقبور والمدافن والبناء عليها ، وكان رأيه فيها « خير القبور الدوارس »

وامتزج الاسلام بعد ذلك بكثير من الشعوب ، ودخل كثير من ابناء هذه الشعوب في الاسلام ، فكان ان اصبح على قبور عظماء المسلمين من ملوك وامراء وعلماء واعيان مصانع شاهقة ذات قباب فنية رائعة عرفت بعد ذلك باسم الترب « جمع تربة »

والذي يترجح لدي ان هذا الطراز من البناء اخذ عن اصل فارسي ، فقد كان بظاهر الكوفة قريباً من قبر الامام علي بن ابي طالب قبتان جميلتان تحت كل قبة قبر نسج المؤرخون حولها قصة [1] فقالوا ان الذي بناهما هو المنذر بن امرئ القيس بناهما على قبري نديميه اللذين امر بقتلهما وهو سكران ، فلما أصبح وأُخبر بالذي أمضاه ندم على قتلهما وبنى عليهما طربالين ، وجعل لها في السنة يوم بؤس ويوم نعيم حزناً عليهما ، وكان هذان الطربالان يلطخان بدم من يقتل يوم البؤس فلذلك لقبا بالغريين [2] ايضاً لما يلطخ بهما من دماء

ومهما يكن من امر بناء هاتين القبتين فهما من العصر والطراز الفارسي ، وقد بقيتا الى العصر العباسي في النجف قرب قبر علي بن ابي طالب رضي الله عنه ، فلما مر الخليفة العباسي هارون الرشيد من ذلك الموضع وأُخبر ان هناك قبر الامام

(١) معجم البلدان لياقوت طبع مصر ج ٣ ص ١٨٣ و ٨٤ وفيه أساطير طويلة تدور حول هاتين القبتين . (٢) الغريان تثنية الغري وهو المطلي بالغراء ، ولعل القبتين كانتا مطليتين بمادة تشبه الغراء أو نحوه فلما نسجت حولها هذه القصة زُعِمَ ان هذا الطلاء هو دم من يقتل يوم البؤس .

علي امر ببناء قبة على قبره وكان ذلك بعد سنة (١٧٠) هجرية . ويقول الحسن ابن محمد الديلمي : امر هارون الرشيد ان يبنى عليه قبة بأربعة ابواب فبنيت ، وذكر ابن طحال ان الرشيد امر ان تبنى عليه قبة فبنيت من لبن احمر وطرح على رأسها جرة خضراء وهي في الخزانة اليوم[١] .

لا ريب ان قبة قبر الامام علي هي اول قبة من نوعها في الاسلام ما دام لا يوجد لدينا نص يدل على ما هو اقدم منها ، ووجود الطربالين او الغريين قريباً منها يجعلنا نحكم بأن قبة الامام تأثرت بهما الى حد ما .

والظاهر ان مثل هذه القبة وضعت بعد فترة من الزمن على باقي قبور الأئمة من اهل البيت النبوي ، ثم شاع استعمالها في انحاء البلاد الاسلامية ، وتردد ذكرها كثيراً في كتب الطبقات والتراجم باسم التربة .

وقد عقد المقريزي في خططه بحثاً خاصاً بترب مصر[٢] كما فعل مثل ذلك النعيمي والعلموي[٣] والبقاعي في ترب دمشق[٤] ، ومحمد بن طولون في ترب صالحية دمشق[٥] .

معنى التربة والطربال

واذا طلبنا معنى التربة في كتب اللغة نجد صاحب المصباح يفسر التربة بالمقبرة مع ان التربة التي ترد في كتب التاريخ والتراجم والخطط لا يراد بها المقبرة او القبر وان كان في التربة شيء من معناهما ولكن يراد بها تلك القبب الفخمة التي تكون على قبور العظماء من ملوك وامراء وعلماء واعيان

(١) أعيان الشيعة ج ٣ ص ٥٨٧ (٢) ج ٤ ص ٣٤٨ و ٤٩ طبعة المليجي .

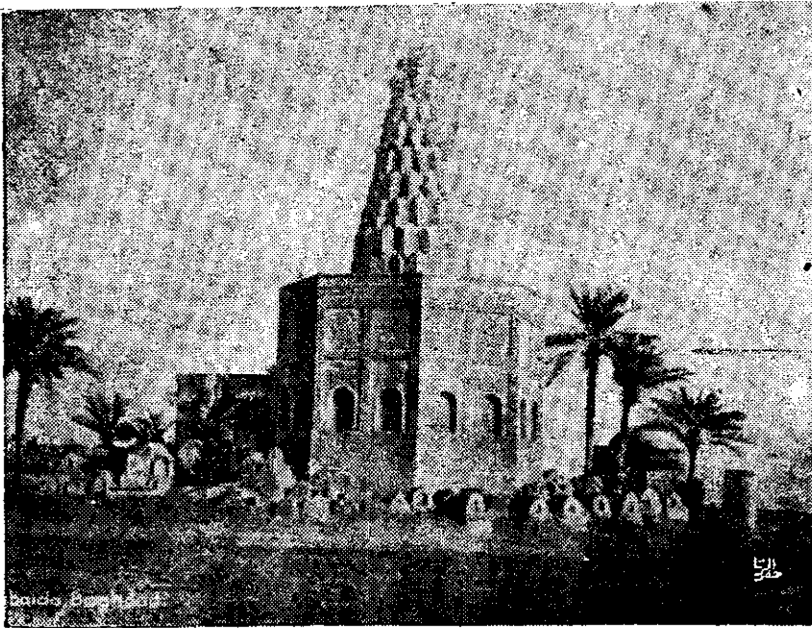
(٣) النعيمي هو عبد القادر النعيمي الشافعي ذكره في كتابه تنبيه الطالب وارشاد الدارس (مخطوط) ومنه نسخة في المجمع العلمي العربي بدمشق ، وبالخزانة التيمورية بمصر في دار الكتب المصرية ، والعلموي هو عبد الباسط بن موسى العلموي اختصر كتاب تنبيه الطالب وزاد عليه في بعض المواضع (مخطوط) ومنه نسخة عندي وبالمجمع العلمي العربي بدمشق وبالتيمورية بمصر .

(٤) البقاعي هو احمد بن احمد بن علي البقاعي الحنفي اختصر كتاب التنبية أيضاً ومنه نسخة عند السيد احمد عبيد بدمشق . (٥) له كتاب أسماه القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية . ومنه نسخة فوطغرافية في المجمع العلمي بدمشق وبالتيمورية بمصر .

والذي يترجح لدي ان لفظ التربة مأخوذ من الطربال الذي خفف بحذف آخره فصار طربا، وتداولته الالسن فظن بعد ذلك تربة للشبه القريب بين طربا وتربه في اللفظ والمعنى

واذ رجعنا الى معنى الطربال في كتب اللغة وجدناه هو المراد لما يقصده المؤرخون واصحاب الخطط من معنى التربة . ففي نهاية ابن الأثير : الطربال هو البناء المرتفع كالصومعة . وفي معجم البلدان لياقوت : الطربالان هما بناآن كالصومعتين بظاهر الكوفة قرب قبر علي بن ابي طالب رضي الله عنه . وحينما نرجع الى كتب اللغة نجدها اوضحت معنى الصومعة ايضاحاً كافياً . ففي القاموس : الصومعة بيت للنصارى لدقة في رأسه ، وفي اساس البلاغة : من المجاز قولهم للثريدة اذا رفع وسطها وحدد رأسه ودقق « الصومعة » . وفي المختار ثريدة مصمعة اذا دققت وحدد رأسها ، وصومعة النصارى من هذا لأنها دقيقة الرأس

وفي مقبرة بغداد قبة من رائع الفن العراقي ينطبق وصف الطربال عليها تمام الانطباق وهذه صورتها



ومنذ منتصف القرن الخامس الهجري اخذت الترب ترتدي ثوباً علمياً وتنطبع بطابع ثقافي فكان يضاف الى التربة مدرسة علم، او مكتبة مطالعة، او مكتب لتعليم الأيتام والاطفال، او مسجد للصلاة يكون فيه درس علم او قراءة قرآن، ففي سنة (٤٥٩) بنى شرف الملك محمد بن منصور الخوارزمي قبة[1] على قبر الامام ابي حنيفة والى جانبها مدرسة كبيرة للحنفية ولما تم بناؤها دعا اليها الفقهاء والعلماء والاعيان وأنشد الشريف البياضي الشاعر

الم تر ان العلم كان مبددا فجمعه هذا الموسد في اللحد
كذلك كانت هذه الارض ميتة فانشرها فعل العميد ابي سعد

والظاهر ان هذه المدرسة هي الأولى من نوعها حيث يقوم معهد علمي الى جانب قبر رجل عظيم تسمى المدرسة باسمه .

ومنذ هذا الوقت اخذت المعاهد العلمية تشاد الى جانب قبور العظماء، وهذا ما دعا اصحاب كتب الخطط ومؤرخي مدارس العلم لجعل فصل خاص بالترب لما لها من ناحية ثقافية . جاء في ترجمة علي بن علي بن روزبهار بن باكير الكاتب البغدادي انه وقف كتبه بمشهد[2]

(١) ابن خلكان ج ٢ ص ٢١٨ و ١٩ المطبعة الأميرية، والنجوم الزاهرة ج ٢ ص ١٥

(٢) المشهد اسم مكان من الشهادة، والشهيد هو من قتل في سبيل الله فكأن دمه المطلول يشهد له بجهاده، والذي يظهر لي ان هذه اللفظة استعملت أولا للبنايات التي شيدت على قبور أهل البيت، وان أول ما أطلق منها على مشهد الحسين رضي الله عنه حيث دفن بالمكان الذي استشهد فيه ثم على قبر أبيه الامام علي رضي الله عنه ثم على بقية قبور الأئمة حيث أن أكثرهم مات قتلاً أو سماً، ثم اتصل ذلك إلى أهل السنة فبنوا على قبور أئمتهم ومشاهيرهم مصانع دعيت بالمشاهد أيضاً كمشهد أبي حنيفة في بغداد، ومشهد الرفاعي في أم عبيدة، وتوسع رجال الشيعة وأهل السنة في هذا فكانوا يبنون مشاهد على غير قبور وينسبونها لاسم أحد المشاهير المتحقق دفنه ووفاته في بلدة أخرى، فاذا سئلوا عنها أجابوا بأنهم شاهدوا صاحب هذا الاسم بالمنام في هذا المكان وانه طلب ذلك منهم . ونشأ في العهد الفاطمي نوع آخر من المشاهد له صبغته السياسية، فكان الفاطميون إذا استولوا على الشام اظهروا قبوراً ومشاهد ونسبوها إلى أهل البيت، وإذا استولى العباسيون أو السلجوقيون أظهروا قبوراً ومشاهد ونسبوها إلى بعض الصحابة، ولذلك فكثير من قبور ومشاهد كلا الفريقين في الشام ومصر مشكوك فيها .

موسى بن جعفر [١] وشرط ان لا تعار [٢]

وفي ترجمة الوزير مجد الدين البهنسي المتوفى سنة (٦٢٨) انه جعل كتبه وقفاً بتربته بسفح قاسيون واجرى عليها اوقافاً جيدة [٣]

وانتشر في العصر الايوبي بناء المدارس الى جانب الترب انتشاراً عظيماً ففي سنة (٥٢٧) بنى صلاح الدين الايوبي تربة الامام الشافعي وانشأ المدرسة الصلاحية بجانبها ، وبنى مدرسة مجاورة للمشهد المنسوب للحسين بن علي [٤]

ولما توفي صلاح الدين الايوبي سنة (٥٨٩) دفن في قلعة دمشق حتى جاء ولده العزيز عثمان الى دمشق فبنى له تربة والى جانبها مدرسة هي من اعظم مدارس دمشق وقف لها وقفاً مليحاً ونقل اباه صلاح الدين اليها [٥]

ولما توفي الملك العادل اخو صلاح الدين سنة (٦١٥) دفن في قلعة دمشق أيضاً ، فبني له ابنه الملك المعظم تربة ومدرسة دعيت باسمه ونقل اباه اليها [٦] ، والمدرسة المذكورة هي مقر المجمع العلمي العربي بدمشق .

هذه صورة مجملة عن تاريخ الترب الاسلامية وهي تختلف كل الاختلاف عن ترب ومدافن الامم القديمة الخاصة التي لم يقصد منها الا تخليد الذكر والفخار لأصحابها بخلاف المدافن الاسلامية الخاصة التي قصد منها خدمة العلم والثقافة مضافاً الى ذلك تخليد اسماء المشاهير من عظماء المسلمين .

دمشق : محمد أحمد دهمان

(١) هو الشهير بموسى الكاظم بن جعفر الصادق ويعد موسى ثامن الأئمة الاثناعشرية توفي في بغداد سنة (١٨٣) قيل إنه توفي مسموماً .

(٢) الوافي بالوفيات في المكتبة الأحمدية بالاستانة رقم المخطوط (٢٩٢٠) عن السيد يوسف العش . ولعلي بن علي بن رزوبهار ترجمة في الجزء التاسع من عنوان التواريخ لابن الساعي . نشره مصطفى جواد في بغداد عام ١٣٥٣ هـ .

(٣) تنبيه الطالب ، ومختصراه للعلموي والبقاعي .

(٤) تاريخ ابن خلكان ج ٢ ص ٥٣٢ المطبعة الأميرية والنجوم الزاهرة ج ٦ ص ٥٤ و ٥٥ والتعليقات عليها . (٥) تنبيه الطالب ، ومختصراه للعلموي والبقاعي . (٦) المصدر نفسه .

هل عرف العرب البلهارزية

١ً : توطئة

ليس كاتب هذه الكلمة طبيباً ، انما درس الطب في شبابهِ مدة سنتين ، ثم عدل عنه الى تحصيل الفلسفة وعلم اللاهوت في مونپليه *Montpellier* ، في فرنسة للترهب فأكبَّ عليهما سبع سنوات ، ثم ترهب ·

فما تقرأ هنا ، لا يعتمد عليه الاَّ من باب الاطلاع والفضول والوقوف على ما يكتب ، لا من باب العلم الذي لا يرتاب في حقيقته ، ولا من باب التأكيد الذي لا ريب فيه ·

ان البلهارزية لم تخلق في هذا العصر ، ولا قبل عصور عدة ، انما وُجدت مع وجود العالم ، وهي « دودة مستطيلة : الى البياض ماهي ، طولها ثلاثة خطوط ، واغلب ما تكون في الاوردة الصغيرة ، في الغشاء المخاطي المبطن للمسالك البولية ، وتسبب البول الدموي في اهالي ديار النيل » (عن لترَه في معجمه الطبي)

وبلهارزية ، كلمة منسوبة الى الطبيب الالماني الذي اكتشفها في مصر واسمهُ *Bilharz* فالعرب كانوا في وادي النيل وعاشوا فيه ، وابناؤهم لا يزالون في تلك الديار ، وهم يصابون بالبول الدموي الى عهدنا هذا ، فلا بد من ان اجدادهم عرفوا هذا الداء والدودة التي تسببهُ ، فما كانوا يسمونها ؟

٢ً : البلهارزية هي قملة النسر ·

قرأت في القانون لابن سينا ما هذا نصه الذي انقله بحروفه عن نسختي الخطية (ظهر ص ٧٢٣ وتقع في المجلد ٢ : ١٤٨ من طبعة رومة) :

« فصل في قملة النسر المسماة (دَدَه) بالفارسية ، و (صملوكي) باليونانية ، و (طغانوس) بالهندية ·

. « وهذه هامة كالقملة ، او كأصغر الديدان ، قال جالينوس : هي صغيرة لا يُتوقّى منها ، وتكاد لا تبصر لسعتها ، وهي مما تفجر الدم بولاً ورعافاً ، ومن المقعدة ، ومن المعدة ، بالقيء ، ومن الصدر والرئة ، ومن اصول الاسنان . وربما عظم الخطب فيها ، فلم تقبل الدواء » انتهى

وقال الجاحظ في كتاب الحيوان ٥ : ١٢٠ : « وكذلك يقال ان البعوضة لو الحقت بمقدار جرم الجرّارة [١] ، فانها اصغر العقارب . ثم زادت من تضاعيف ما معها من السمّ على حسب ذلك ، لكانت شرًّا من الدويبة ، التي تسمى بالفارسية دده [٢] وهي أصغر من القملة [٣] شيئًا . وتكون بمهرجان قُذَق [٤] ، فانها مع صغر جسمها ، تفسّخ الانسان في امرع من الاشارة باليد ؛ وهي تعض وتلسع ، وهي من ذوات الافواه ، وهي التي بزعمهم يقال انها قملة استحالت هذه الدابة الخبيثة » انتهى .

٣ : سبب تسميتها بقملة النسر

يظن بعضهم ان قملة النسر سميت بهذا الاسم لأنها تكون فيه ، لا تخرج منهُ ، فتهجم على الناس . هذا في رأي الأقدمين ، وليس من العلماء المحدثين من يرى هذا الرأي ، فهي لا توجد فيه ، وان وُجدت ، فكيف تصل الى الانسان وكيف تهجم عليه ، ولا سيما في المواطن التي لا نَسرَ فيها ، ولا أثر لهُ فيها ؟ ثم كيف تصل الى مسالكه البولية ؟

والذي عندنا انها سميت بذلك للاشارة الى انها تفتك بالانسان ، فتك النسر بصيده ، او من باب اضافة الحقير الصغير الى الجليل الكبير ، تعظيماً له ولأمره ولفعله . فقد قال الأقدمون منا : أسد الله ، وسيف الله ، وقوس الله ، ورُمح الله ،

(١) الجرّار : ضرب من العقرب صغير خبيث يعرف بهذا الاسم في بغداد ، واحده جَرّارَة . وفي الأصل المطبوع الجرادة وهو خطأ .

(٢) وفي الأصل المطبوع ذروة وهو خطأ بين .

(٣) وفي الأصل المطبوع : أكبر من القملة شيئاً ، وهو وهم اخر .

(٤) وفي الأصل المطبوع : بمهرجان فوق ، وهذه كبوة أخرى .

وكلب الله ، الى نظائرها من التعابير ، ونحن نعلم ان ليس لله أسد ولا سيف ولا قوس ولا رمح ولا كلب ، بل كل ذلك من باب التعظيم والاجلال .

٤ : مترادفات قملة النسر

قال ياقوت الحموي في معجم الادباء في ترجمة علي بن منصور الحلبي (طبعة مرجليوث ٥ : ٤٢٧) [١] : « واتفق ان الطبيب المذكور لحقتهُ بعد هذا بأيام شقفة ، وهي التي تسمى التراقي ، ويقال لها قملة النسر أيضاً ، فمات منها ، وكان نصرانياً » اه .

وذكر التراقي ابن الاثير في كامله . قال (في المجلد ١٠ : ٣٧٤ من طبعة الافرنج) : « في هذه السنة (٥١٢) . سادس عشر شهر ربيع الآخر ، توفي المستظهر بالله ، ابو العباس احمد بن المقتدي بامر الله ، وكان مرضه التراقي [٢]

وعندنا ان التراقي من اصل فارسيّ هو (تِراك) كسحاب وكتاب . ومعناها الشقّ والفلع والفلق وسمي كذلك لأن هذه الدودة تحدث فلعاً دقيقاً في المكان الذي تقيم فيه ، وعربت بقاف في الآخر وزيادة الياء ، كأنهم أرادوا ان يقولوا : ذات الصدْع او الصادعة .

على أن لها تأويلاً في اللغة الضادية وهو : ان التراقي جمع ترقية مصدر رقي .

(١) نحن لا نستشهد بطبعة الدكتور احمد فريد رفاعي بك فانها لكثيرة الغلط والتصحيف وأوهام الطبع ، فان هذه الترجمة وقعت في المجلد ١٥ ص ٨٣ وما يليها . فقد جاء مثلاً في الأبيات المذكورة في ص ٨٧ ما هذا نصه : « ان الزمان قد نضر » وفي مرجليوث : قد نصر — وفيها : فقد عدا على التصر . وفي مرجليوث : فقد غدا — وفيها : من غره — وفي مرجليوث : من غرة . ونحن لا ننكر ان لرواية الدكتور أوجهاً أصح من أوجه مرجليوث لكن يحسن به أن يذكر الروايتين ليتبين الفرق بينهما وينتقي القارئ ما يشاء أو ما يستصوبه .

(٢) لاحظ ابن الاثير ان المقتفي لأمر الله بن المستظهر بالله مات بالعلة التي توفي بها والده ، وهذه عبارته : « في هذه السنة (٥٥٥) ثاني ربيع الأول توفي امير المؤمنين المقتفي لأمر الله أبو عبد الله محمد بن المستظهر بالله أبي العباس احمد بن المقتدي بأمر الله رضي الله عنه بعلة التراقي ... ووافق أباه المستظهر بالله في علة التراقي ، وماتا جميعاً في ربيع الأول » اه .

ولا شك ان الابن تلقى مرضهُ من والده ، وإن لم يكن هذا المرض معدياً في حدّ نفسه . هذا الذي يتبين من الظواهر ، ولعل هناك سبباً آخر يدلنا عليه اطباؤنا المهرة الحذاق .

وسبب تسميتها بذلك انها اذا دخلت الجسم ارتقت فيه شيئاً فشيئاً حتى تبلغ مسلك البول ، فتجد فيه بيئة صالحة تعيش فيه وتنمو نمواً يزيدها توالداً وتكاثراً ، فهي ذات تراقٍ .

وأما اسمها (الشقفة) فانهُ مشتق من الإرَمية من فعل (شقفْ) ومعناها الرضة والشدخة والصدعة اي بمعنى اختها (التراقي) ، ان سلمنا انها من الفارسية ، وهو الرأي الاشبه . ويجب ان تضبط (الشقفة) وزان (الغرفة) بخلاف ما ضبطها الدكتور احمد فريد رفاعي بك اذ جاء البيت الآتي مضبوطاً هكذا :

بِشقفةٍ بين مِنكبيهِ رشاؤها في قليب قلبهِ

وهنا غلط آخر وهو ضبط المنكب ، كمنبر والصواب كمنزِل .

وقد شرحنا سبب تسمية هذهِ الدودة بقملة النسر فلا نعود الى ذكره ثانية .

وان قال قائل : ليست قملة النسر بالبلهارزية فنسأله : اذن ماهي ؟

٥ : دودة اخرى : خرز الطين

وذكر القانون بعد قملة النسر هامة أخرى سماها « خرز الطين » ووصفها هكذا ، فقال :

« فصل في الطبوع وخرز الطين ، وهي دابة كثيرة الأَرجل ، حادة السمّ ، هي في أحكام قملة النسر » اه .

قلنا : اذن هي مؤذية اذى قملة النسر ، أفلا يوافق هذا الوصف ما قيل في الهامة التي يسميها العلماء : *Trichodectes* ، فانها كثيرة الأهداب او الارجل وتعيش في المستنقعات ، غريبة الشكل ، تكاد تشبه الخرز في ظاهرها ، وتتشبث بالكلاب فيقال لها *Trichodectes canis* ، وبالمعزى فيقال لها : *T.climax* ، وبالبقر فتدعى *T.scalaris* وبالخرفان فتسمى *T.sphoeroce phalus*

فأنا اطرح هاتين الكلمتين على مائدة النقد والتحقيق والتدقيق في النظر ، لتنجلي الحقيقة الفاصلة في هذا الموضوع الغريب :

ومن العجب ان معاجم اللغة لم تذكر اسماً من الأسماء الثلاثة ، ولا خرز الطين . وقد جاءت هذه الأخيرة مصحفة تصحيفاتٍ غريبة في نسخ القانون ، من مطبوعة ومخطوطة ، وانا اذكر هنا ما وقع طائر بصري عليها وهي : خزر الطين ، بتقديم الزاي على الراء . — وخزز الطين ، بزايين . وحرز الطين ، بحاء مهملة وراء وزاي — وجرز الطين ، بجيم وراء وزاي . وعسى ان يقوم من دكاترتنا المعنين في الطب واللغة ، من يزيل الابهام عن هذهِ الالفاظ فيكسب شكر جميع الناطقين بالضاد .

بغداد : الأب انستاس ماري الكرملي



مفردات القرآن

ولانقول غريب القرآن ، لأن مدارسة القرآن على ألسن الملايين من الناس منذ بدء الوحي الى هذا العهد ، أخذت على الغرابة مجامع السبل ، فلم تجد اليه سبيلا ، فلا تجد لفظة من ألفاظه غير مألوفة الاستعمال ، ومعروفة المعنى ، واضحة المغزى . وهل الغرابة في الألفاظ الا كونها غير اليفة ، فيحتاج في معرفتها الى التنقير عنها في مطاوي المعاجم المبسوطة . وقديمًا عدوا الغرابة من عيوب الفصاحة ، فأنى لنا أن نلصقها ببعض ألفاظ القرآن ، وقد اجمع الأولون والآخرون على انه أفصح كلام عرفته اللغة العربية ، منذ كانت في المهد الى هذا العهد .

هذا ولسنا بحاجة الى بيان ما للقرآن من اليد المشكورة على لغة العرب ، لأن هذا من أوائل البديهيات ، فلقد كان القرآن ولا يزال ، المعين الفياض لعلماء اللسان . يردونه ظماء ، ويصدرون عنه رواء . ومن ثم توافروا على ضبط مفرداته ، وتحرير لغاته ، واستقصاء حقائقه ومجازاته ، وتصاريحه وكناياته ، ودقائقه ونكاته ، وذلك لأن الناحية اللسانية هي أول ما يستقبل طالب علوم القرآن من القرآن . ولهذا رأينا علماء الدين وطلاب اليقين يسيرون في هذه الناحية الى جنب علماء اللغة كتفًا لكتف ، فأسفر هذا التآزر عن احسن النتائج وأعظم الفوائد . وبديهي ان مفردات القرآن كترا كيبه هي لب لباب كلام العرب ، وصفوة الصفوة منه ، وانها معتصم المتأدبين ، ومرجع العلماء المحققين ، بل مثابة أمراء القول من المتقدمين والمتأخرين . ولله شيخ المعرة حيث يقول في عرض كلام له في رسالة الغفران « اجمع ملحد ومهتدي ، وناكب عن المحجة ومقتدي ، ان هذا الكتاب الذي جاء به محمد ص كتاب بهر بالاعجاز . ولقي عدوه بالارجاز ، ما حذي على مثال ، ولا أشبه غريب الامثال ... وان الآية منه او بعض الآية لتعترض في أفصح كلم يقدر عليه المخلوقون ،

فتكون كالشهاب المتلألئ في جنح غسق ، والزهرة البادية في جدوب ذات نسق » .

ولا مرية في أن القرآن كان يخاطب العرب على وفق مناهجهم في مخاطباتهم وخطاباتهم ، وتفاهمهم في أفرادهم وجماعاتهم . وكان الصحابة يعرفون أكثر ما يرمي اليه من المعاني ، وما يومئ اليه من المغازي ، واذا غم عليهم شيء من ذلك فزعوا الى الرسول الكريم ، فينير لهم السبيل .

واكثر ما يكون تسآلهم عن الكلمات التي تصرف القرآن في أوضاعها ، وحولها عن مجاريها الاعتيادية الى معاني جديدة لم تكن من مألوف القوم قبلاً . مثل : القرآن . والايمان . والكفر . والصلاة . والزكاة . بمعانيها الشرعية . وقد غبر الناس على هذا حياته ص . ثم مدة حياة أصحابه من بعده ، الى ان فتح على العرب ممالك الأعاجم ، واختلطوا بحمرائها ، وصفرائها ، وبيضائها ، وسودائها . ومن هناك أخذ الناس يدخلون في دين الله أفواجاً من بين فارسي ، ورومي . ونبطي ، وحبشي ، وغيرهم من مختلف الألوان التي دانت لسلطان الفاتحين ، فاختلط القوم بالقوم بالمساكنة والمجاورة ، والمخاتنة والمصاهرة ، والمصاحبة والمتاجرة . وبذلك تداخلت اللغات ، ونشأت ناشئة من صميم العرب في أحضان هذا التبلبل ، فجاءت مختلفة السلائق ، مضطربة الألسنة ، كما نبتت نابتة من أبناء الأعاجم ثقفت من العربية ما يسد حاجتها في المخاطبات والمحاورات . ومن هنا ذرّ قرن لغة أمشاج ؛ لا هي بالعربية الصافية . ولا العجمية الصرفة ، ولم تفتأ هذه اللغة ان ملكت الهجين من السنة الدهماء ، واحتلت مكانة ضيقت فيها على المعربة أنفاسها . وما كاد ينطوي بساط المئة الأولى للهجرة حتى بدت وجوه الاختلال سافرة ، وظهر الاضطراب في عمود اللغة كل الظهور .

ومن هنا شعرت جمهرة القوم بمسيس الحاجة الى الاستفسار عن كثير من الفاظ القرآن الكريم ، واستجلاء معانيها التي كان أسلافهم يدركون مراميها بحكم سلائقهم ، لأنها من نوع ما كانوا به يتفاهمون ، وعلى نمط ما به ينثرون وينظمون . ولما رأى عقلاء الأمة وأهل العلم استرسال أمر الاختلال ، وتفاقم الاضطراب

والاختيال — استفزتهم الحمية وأهابت بهم الغيرة ، فانصرف فريق منهم لرأب هذا الصدع ، وسد هذا الثغر

وأول من بلغنا انه جمع شيئاً في تفسير بعض مفردات القرآن ابو عبيدة معمر ابن المثنى المتوفى سنة ٢٠٩ فقد ذكروا أنه الف في هذا كتاباً اسماه (المجاز في غريب القرآن) وآخر اسماه (معاني القرآن) . والمراد بمعاني القرآن تفسير مفرداته . وهو اصطلاح معروف عند المتقدمين . وحيث رأيت في كتب علوم القرآن : قال أهل المعاني فالمراد بهم مصنفو الكتب في مفردات القرآن . وتجد في فهرس كتب الأصمعي كتاباً اسمه : غريب القرآن . والأصمعي من معاصري أبي عبيدة وتأخر عنه قليلا .

ثم أقبل أهل العلم على التأليف في هذا الموضوع حتى لا يكاد يقع نظرك على فهرس من فهارس ائمة اللغة الا وتجد صدره متحلياً باسم كتاب في هذا المعنى . منهم الزجاج والفراء ، ومحمد بن القاسم الانباري ، وابو عمر الزاهد ، ومحمد بن عبد الواحد . وابن دريد وغيرهم خلق كثير . وكان من اجمعها كتاب ابي عبيد القاسم ابن سلام (المتوفى سنة ٢٢٣) وكانت الكتب المصنفة في هذا الفرع من العلم عارية من الترتيب غفلاً من التبويب ، وكانت بالمجاميع اللغوية أشبه منها بالكتب ذات الفصول والابواب . واستمر الامر على ذلك الى ان جاء ابو بكر محمد بن عزيز السجستاني (المتوفى سنة ٣٣٠) فألف كتابه المشهور (بنزهة القلوب) ورتبه على حروف المعجم ترتيباً لم يسبق اليه ، فبدأ بالهمزة المفتوحة ، وثنى بالمضمومة ، وثلث بالمكسورة . وهكذا فعل بسائر حروف المعجم على الترتيب المشهور . وهذا الكتاب على صغر حجمه من أتقن ما ألف من نوعه . وقد قيل انه أقام في تأليفه خمس عشرة سنة يحرره هو وشيخه أبو بكر بن الأنباري ، وكان يتعهده بالتصحيح والتجويد بين حين وآخر .

ولم تزل التآليف في هذا الباب آخذة في الاتساع من حيث الكمية ، والاجادة

من حيث الكيفية ، الى ان جاء ابو عبيد احمد بن محمد الهروي (المتوفى سنة ٤٠١) وصنف كتاباً كبيراً جمع فيه بين غريبي القرآن والحديث ، ورتبه على حروف المعجم فاستخرج الكلمات اللغوية التي تحتاج الى التفسير والتوضيح . واثبتها في حروفها وذكر معانيها . فاذا أراد الانسان كلمة وجدها في حرفها . فجمع كتابه هذا بين دقة التحقيق ، وجودة الترتيب والتبويب . ولذلك اعتمد عليه الناس من بعده واكثروا عليه من الاستدراكات والتعليقات والاضافات ، الى أن جاء الحافظ ابو موسى محمد بن ابي بكر المديني الاصفهاني فصنف كتاباً جمع فيه مافات الهروي من الغريبين ، وسلك في وضعه وترتيبه مسلك الهروي ، فجاء مماثلاً له حجماً وفائدة ، وغبر الناس يعتمدون في هذا الأمر على هذين الكتابين الجليلين وما سبقهما من الكتب المهمة الى ان جاء أبو القاسم الحسين المعروف بالراغب الاصفهاني (المتوفى سنة ٤٠٢) فألف كتابه مفردات الفاظ القرآن ، مرتبًا على حروف الهجاء ، مقدمًا ما أول اصوله الهمزة ثم الباء الى آخر حروف المعجم ، مشيراً الى المناسبات التي بين الالفاظ المستعارة والمشتقة . فجاء كتابه هذا من أحسن ما الف في بابه من حيث غزارة المادة ، وكثرة التحقيق ، وحسن الاختيار ، وبعد النظر ، فهو — في نظرنا – افيد معجم يرجع اليه الطالب في تحقيق معاني الألفاظ القرآنية ، وعليه اعتمد البيضاوي في تحرير تفسيره من ناحية معاني الألفاظ وأصول اشتقاقها . ولم نعرف من بعده كتاباً يفضله في موضوعه هذا ، ومن الواضح أن المؤلفين في هذا الفرع يستقون حاجتهم في المعين الذي تستقي منه اللغة العربية على العموم ، زيادة على استعانتهم بالاحاديث النبوية وآثار الصحابة ، كالمنقول عن ابن عباس وأصحابه الآخذين عنه ، فانه ورد عنهم في هذا الباب الشيء الكثير الجدير بالاعتماد تجد ذلك منثوراً في كتب التفسير ودواوين اللغة . وقد أحصى منها جلال الدين السيوطي في (الاتقان) ما يقرب من ثمانمائة كلمة مع تفسيرها على طريق الايجاز .

بغداد : طه الراوي

خريطة العالم العربي

من سنة ١١٥٤ ميلادية

حصر الغرب اللغات العلمية المدنية باللغتين اللاتينية واليونانية · وأرى انه كان للغة العربية في القرون الوسطى أثر في المدنية الغربية ، فهي فضلاً عن أنها أم المدنية الاسلامية ، تستحق أن تعد ثالثة اللغات المدنية الغربية ·

وبرهاناً على هذه الحقيقة التاريخية (التي ظلمها الغرب في ابنتها الشرعية) أقدم لكم شاهداً عدلاً وهو : ان أول خريطةٍ عاليةٍ بالمعنى العصري ، كانت تحتوي على تفاصيل جغرافية اوربا وافريقية وآسيا ، نشرت في أوربا سنة ١١٥٤ ميلادية ، وكان نشرها باللغة العربية ·

وقعت قبل هذه الخريطة بالف سنة محاولة وضع خريطة عمومية باللغة اليونانية للأراضي المعروفة في تلك العصور وقد رسمها بطلميوس بمصر · الا أن خريطة هذا العالم الكبير لم تكن وافية · لأنه ذكر في خريطته نحو ثمانية آلاف من أسامي الأمكنة · والى الآن لم يتمكن أهل العلم الا من تعيين أقل قليل مما ذكر في خريطته · أما هذه الخريطة العربية فكل ما ذكر فيها من الأسماء والأمكنة ترد اليوم في خرائطنا العصرية ومعلومة لنا بأعيانها من غير التباس ، فحق لنا أن نعتبر هذه الخريطة خريطة عالمية بالمعنى الذي نعرفه اليوم من هذا اللفظ ·

رسمت هذه الخريطة بمدينة بالرمه *Palermo* في جزيرة صقلية · رسمها ابو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن ادريس الحمودي الحسني المعروف بالشريف الادريسي ·

يقال أنه ولد في أسيوط سنة الف ومئة ميلادية · وتوفي سنة ١١٦٣ ميلادية وكان يشتغل بالعلوم في قرطبة ، وقد ساح الأقطار وألقى عصا التسيار في جزيرة صقلية عند ملكها روجار الثاني ملك جزيرة صقلية وايطاليا الجنوبية وقسم من شبه جزيرة البلقان من سنة ١١٣٩ — الى سنة ١١٥٤ · وعاصمته مدينة بالرمة

وكان هذا الملك يُعنى بالجغرافيا ، كان يجمع المعلومات الجغرافية من أقطار العالم كافة ، ثم عزم على هذا العالم العربي الادريسي أن ينشر هذه المعلومات ويرسم عليها خريطة جغرافية لأوربا وافريقية وآسيا . فقام الادريسي بهذا الأمر المهم حق القيام ، ونشر كل ما جمعه الملك من المعلومات ، وزاد عليها وكملها بما حصله هو نفسه باجتهاده طول عمره .

فوضع أول مصوّر عالمي باللغة العربية وقد حفره ونقشه على لوح فضي بشكل خوان ، يقوم على قوائم ، طوله متر ونصف وعرضه ثلاثة أمتار .

صرف الادريسي في سبيل تحقيق المعلومات التي كان جمعها الملك روجار ، وفي ترتيبها ، وفي جمع المعلومات الجديدة ، وكتابتها وحفرها زيادة على خمس عشرة سنة كاملة .

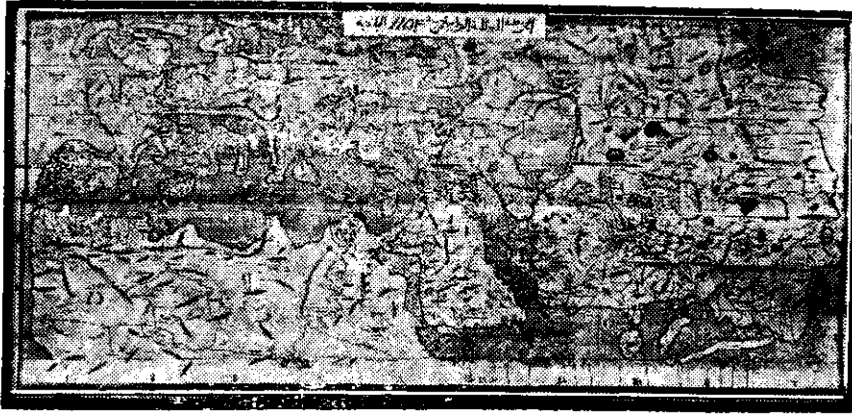
وفي السنة (١١٥٣ — ١١٥٤) وهي السنة الأخيرة من هذه الأعمال الكبيرة أصاب الملك مرض ، والغالب ان الادريسي عجل في اتمام عمله وخريطته حتى يراها الملك العظيم قبل موته ، وقد وفق الى اتمام عمله الكبير في ربيع سنة ١١٥٤ ميلادية حتى تمكن الملك الكريم من رؤية نتيجة مساعيه الجليلة ، فتوفاه الله بعد قليل من الزمن .

وقد كان لهذه الخريطة في عهدها أثر عظيم فانتبه لذلك الشرق والغرب . يشهد بذلك كثرة النسخ المحفوظة في الخزائن الغربية ، ومن الأسف أن تلك النسخ كلها متجزئة . فما كان الناسخ يستنسخ الا ما كان له علاقة بوطنه . ولم يعهد من استنسخ الخريطة باجمعها .

أما الخوان الفضي الذي خرطت عليه هذه الخريطة البديعة فقد صار فريسة حروب ، فضاعت الخريطة بيد طامع طمع في فضتها فأذابها .

وجاء العالم الألماني قونراد ميللر *Konrad miller* فبعث هذه الخريطة البديعة بجميع أجزائها المشتتة من قبورها المتفرقة ، فاشتغل هذا العالم سنين عديدة جامعاً كل الاجزاء وكساها شكلاً يشبه هيئتها الأصلية وطبعها سنة ١٩٣٧ ، وكتب الأسامي العربية كلها بالحروف اللاتينية . وصارت كل الحروف منكوسة رؤوسها

الى اسفل ، على نظام الخرائط العربية القديمة ، لأن الجنوب فيها فوق الصحيفة . ثم طبعت الخريطة سنة ١٩٣١ طبعة ثانية . وقد أرسلت اليكم بنسخة منها فوتوغرافية . ومن يرغب في اقتنائها فليراجع ناشريها في ليپسيك .



ولننظر نظرة اجمالية اول خريطة للعالم المتمدن القديم ، ولا يتعجبنَّ الناظر اذا رأى قلة الاتقان في تخطيط حدود البحار والأراضي لأن أسباب الاتقان لم تكن متوفرة عندهم في تلك الأزمان ، حتى لم تكن عندهم الابرة = البوصله ***Bussola*** ولم يكن عندهم مابه يمسحون المسافات البعيدة . وما كانوا يرسمون الا على صور ذهنية كانت تحفظ في حافظاتهم بالمشاهدة الذاتية او من حكايات أهل السياحة .

ويظهر لنا من خريطة الشريف الادريسي انه كان يعرف الغرب والشرق معرفة جيدة ، وان لم يكن يجيد الرسم . ومركز المعمورة في زمنه على حسب عقيدته كان الشام بمدنها : دمشق ، وحمص ، وبيروت وغيرها ، وفي شرق الشام : العراق وايران والتركستان ، وفي جنوب الشام : جزيرة العرب . ولا يستغرب اذا كان الادريسي لا يعرف آسيا الشرقية والشمالية معرفة جيدة فالقليل الذي كان يعرفه منها له قيمة كبيرة عندنا اليوم . والادريسي وان لم يكن يجيد معرفة اوربا

الشمالية الا انه كان يعرف أوربا الغربية وافريقية معرفة تامة . وكان يعرف ان النيل ينبع من الحياض الكبيرة في أواسط افريقية — وكان يعرف اكثر مما كان يعرفه الغرب قبل اليوم بمئة سنة لأن الغرب لم يكتشف منابع النيل الا في العصر الماضي ، ومن هذه الينابيع يجري النهر الآخر العظيم الى الغرب ، وكان يعرفه العالم العربي الادريسي قبل أوربا بسبعمائة سنة .

وظهرت اليوم مسألة مهمة بالنسبة للعلم الحديث وهي اثبات ما كان يعرفه الادريسي من المعلومات الجغرافية في خرائطنا العصرية للعالم المتمدن القديم . وذلك بأن ترسم خريطة تاريخية للعالم القديم على حسب ما كان يعرفه الادريسي من المعلومات اي بتقدير المسافات وتعيين حدود الأراضي والسواحل والبحار والجبال والأنهار على غاية الاتقان . ويتأتى حينئذ لكل راغب أن يرى رأي العين اكمل خريطة تاريخية للعالم القديم على النحو الذي كان يعرفها العالم العربي في عصره .

ولبيان ان حل مثل هذه المسألة ممكن سهل ، آتى بشاهدٍ من وطننا فنلاند في أقاصي الشمال البعيدة ، وان ضنت خريطة الادريسي الكريم بمعرفة شئ عن بلادنا . وذلك ان الأخوين المعروفين من بيت العلم الشهير : احدهما تال غرين — توليو والثاني آ. م . تال غرين قد تمكنا من تعيين مكان واهمية كل ما أتى به الادريسي في خريطته من المعلومات القليلة ، ورسماها في خريطة فنلاند العصرية بغاية الاتقان . ثم نشرت رسالة صغيرة ذات أربع وخمسين ومئة صفحة في البحث العلمي المهم باسم *Studia Orientalia III. Idrisi: La Finlande et les autres pays Baltiques orientaux* ولها لواحق عديدة ذات مكانة جديدة .

أما الأقطار التي كان يعرفها الادريسي معرفة جيدة فان أهل العلم الحديث اتوا فيها بخدمات علمية جليلة ونشروها وما زالوا ينشرونها . وهي ، على ما نظن ، معلومة لديكم .

فنلندة كانغاس — آلا يوحنا آهتينن كارسيكو

مخطوطات ومطبوعات

انباء الغمر بأبناء العمر

من نفائس مخطوطات المدرسة العثمانية بحلب (انباء الغمر بأبناء العمر) للحافظ الامام الشيخ احمد بن علي بن حجر العسقلاني . وهو في مجلدين ضخمين الأول في ٤٤٤ صفحة كل صفحة ٢٩ سطراً يبتدئ من سنة ٧٧٣ وهي تاريخ ولادة الحافظ ابن حجر وينتهي في سنة ٨١١

والمجلد الثاني في ٤٠٤ اربع واربعمائة صفحة كل صفحة ٢٩ سطراً يبتدئ فيه من سنة ٨١٢ الى سنة ٨٥٢ الى السنة التي توفى فيها المؤلف . والنسخة مقروءة مع شيء من الصعوبة وعلى حواشيها هوامش كثيرة منقولة من تاريخ البدر العيني الا ان كاتب الحواشي هو غير كاتب الأصل ، وكتب على ظاهر المجلدالثاني مانصه : هذه النسخة بخط سبط المؤلف

والمؤلف يذكر حوادث كل سنة في مصر وغيرها ويعقب ذلك بذكر من توفي فيها من الاعيان ، الا ان معظم الحوادث التي فيه هي مما كان في مصر . وآخر ترجمة فيه ترجمة ابراهيم بن رضوان الشيخ برهان الدين الحلبي . وبعدها ما نصه : هذا آخر ما وجد من تاريخ الشيخ الإمام الحافظ القاضي شهاب الدين ابي الفضل احمد ابن حجر الشافعي .

قال في كشف الظنون : اول هذا الكتاب الحمد لله الباقي وكل شيء يفنى الخ ذكر فيه انه جمع الحوادث التي ادركها منذ ولد سنة ٧٧٣ وأورد في كل سنة أحوال الدول ووفيات الأعيان مستوفيًا لرواة الحديث . وغالب ما نقله من تاريخ ناصر الدين ابن الفرات وصارم الدين بن دقماق والمقريزي والتقي الفاسي والصلاح خليل الأقفهسي والبدر العيني واورد ما شاهده ايضاً . قال وهذا الكتاب يحسن من حيث

الحوادث ان يكون ذيلاً على تاريخ الحافظ ابن كثير [١] فانه انتهى في ذيل تاريخه الى هذه السنة ومن حيث الوفيات ان يكون ذيلاً على وفيات تقي الدين بن رافع وانتهى فيه الى سنة ٨٥٠

واذكر اني رأيت مسودة المؤلف في المكتبة الظاهرية بدمشق وفيها تشطيب وحواش وتكاد لا تقرأ لرداءة خط المؤلف رحمه الله تعالى

ويوجد من هذا التاريخ نسختان في مكتبة كوبريلي زاده محمد باشا في الآستانة الأولى في مجلدين رقمها ١٠٠٥ – ١٠٠٦ والثانية في مجلدين أيضاً رقمها ١٠٠٧ – ١٠٠٨

ولا ريب ان الكتاب جدير بالطبع لأن به تتصل سلسلة الحوادث التي وقعت في هذه السنين ونقف على من توفي فيها بصورة متسلسلة ·

ولا ريب ان بالبحث يوجد منه نسخ غير التي ذكرناها وانا نرجو ممن يقف على نسخ منه ان يكتب لمجلة المجمع لعل ذلك يكون سبباً لنشر هذا السفر النفيس فتعم الاستفادة منه عشاق الأدب والتاريخ والعلم

حلب: محمد راغب الطباخ

«الاجابة، لايراد ما استدركته عائشة على الصحابة»

(تأليف الامام بدر الدين الزركشي)

عُني بتحقيقه، ووضع مقدمته، وتعاليقه وفهارسه سعيد الأفغاني ·

طبع بالمطبعة الهاشمية بدمشق سنة ١٣٥٨ هـ سنة ١٩٣٩ م ·

أحسن الاستاذ الافغاني كل الإحسان باستخراجه هذه الرسالة النفيسة من كنوز المكتبة الظاهرية، واحيائها بالطبع والنشر، فان ام المؤمنين عائشة (رض)

(١) هذا التاريخ طبع في مصر ومنه نسخة خطية في مكتبة المدرسة الأحمدية بحلب في عشر مجلدات وقد نقل منها بواسطتنا لناشره خمس مجلدات ويظهر أنه وجد بعد ذلك نسخة أخرى في مصر فاستغنى عن استنساخ الباقي

هي احدى المعجزات الخالدة في بيان مشكلات التفسير والحديث والفتاوى والأحكام . ومسندها في (ج ٦) من مسند احمد بن محمد بن حنبل يقع في (٢٥٣) صفحة . وعلى علمها وفهمها المعول فيما كان يقع فيه التنازع بين كبار الصحابة (رض) في النوازل والأحكام ، لا سيما في معرفة ما كان يفعله الرسول (ص) في بيته . و « الاجابة » توقف المطالع على مسرّ عظمة هذه السيدة ، وعلو مكانتها ، وهي في الأصل مائة صفحة الا قليلا ؛ ولكن الاستاذ الناشر بما قدم لها ، وعلق عليها ، ووضع من فهارس في آخرها ، أبلغها الى (٢٣٠) صفحة بالقطع المتوسط .

وقد رتب الإمام الزركشي كتابه على مقدمة وثلاثة أبواب (الباب الأول) في ترجمة عائشة وفيه فصلان (١) في ذكر شيء من حالها و (٢) في خصائصها ومزاياها ، وقد عدّ منها (٤٢) واحدة (الباب الثاني) في استدراكاتها على أعلام الصحابة ، وفيه استدراكات على (٢٤) صحابياً وصحابية في مسائل كثيرة من التفسير والحديث والعبادات والمعاملات (الباب الثالث) في الاستدراكات العامة ، وفيه (١١) استدراكا ، وفي ذيله أربعة أخر .

وأما الاستاذ الأفغاني فقد صدّر الكتاب بمقدمة في نحو ثلاثين صفحة ، تضمنت وصف « الإجابة » وسعة علم عائشة ، وترجمة المؤلف ، وعدد تآليفه ، وشيئاً عنها ، ووصف النسخة الظاهرية الفريدة التي ظفر بها ، وما لقي في سبيل تصحيحها واخراجها ، وعرض نماذج منها مأخوذة بالتصوير الشمسي . وقد علق على هذا الكتاب تعليقات دلت على بذل جهد ، واستنفاد طاقة ووسع ، فقد راجع لأجله عشرات المظان من دواوين السنة وشروحها ، ومعاجم الحديث الخطية كمعجم الطبراني الكبير ، وكتب الرجال والطبقات ، فجاءت تعليقاته وافية بالقصد ، ثم ختم الكتاب بفهارس خمسة مفصلة (١) للأعلام (٢) للجماعات (٣) للأماكن (٤) للكتب (٥) للموضوعات وفي الصفحة الأخيرة تصحيح للأغلاط ، ونحن نشير الى الاغلاط القليلة التي لم نرها مصححة ، وقل أن يخلو من مثلها كتاب :

ص ٥ س ٧ : وعروة وابن الزبير ، والصواب : عروة بن الزبير وفي ص ٥ في التعليق : انظر مسند احمد ج ٦ ص ٩ : ليس في هذه الصفحة ما أشار اليه ، ولكن في غيرها ما يدل عليه .

ص	س	الخطأ	الصواب
٢٠	٢٠	فما زلت ارجع إلا الأمهات	إلى الأمهات
٤٥	٦	وروي عيها	عنها
٦٩	١١	ابن ماجة	ابن ماجه، بالهاء الساكنة وصلا ووقفاً ، فتراجع في فهرس الأعلام وتصحح ، والغلط من قلم الناسخ ، لا الناشر .
٧٢	١٣	ادخل البيت الذي دفن معهما عمر	: دفن فيه معهما عمر .
٧٣	١٣	اعلى الدلاء من اسفله	: من اسفلها
٧٤	١٨	فوق بعضها	: بعضها فوق بعض
١٠٩	١٠	عن وتر رسول	: رسول الله .
١٢٠	١٨	من مسند أبي داوود	: داود : بواو واحدة ، وتراجع في فهرس الأعلام للتصحيح

ولما وصف الأستاذ الأفغاني مؤلفات الزركشي قال عن (لقطة العجلان) منها : وقد طبع في دمشق مؤخراً » (أي سنة ١٣٥٣ هـ سنة ١٩٣٤ م) والصواب أن هذا الكتاب — الباحث في أصول الفقه والحكمة والمنطق والتوحيد — قد طبع أولاً في مصر بمطبعة والدة عباس (سنة ١٣٢٧ هـ سنة ١٩٠٨ م بشرح الإمام جمال الدين القاسمي ، ومن غرائب اتفاق القدر أنا قرأناه بشرح أستاذنا القاسمي عليه عام وفاته (سنة ١٣٣٢) فكان عمر المؤلف والشارح واحداً ، وهو تسعة واربعون عاماً ، رحمهما الله تعالى . وقد طبع شرح القاضي زكريا على لقطة العجلان ايضاً ، وطبع

شرح الزركشي على جمع الجوامع في (اصول الفقه) للسبكي بمصر سنة ١٣٣٢ هـ .

وبعد فقد وجه الاستاذ الأفغاني في مقدمته أنظار نساء العصر الى علم عائشة (رض)فقال في (ص ٦) : ولتعلم بعد هذا سيداتنا أن امرأة منهن في صدر الإسلام تتلمذ عليها مشيخة المهاجرين والأنصار من كل حبر وعالم وفقيه وقارئ وراوية ، وعنها وحدها نقل ربع الشريعة كما قال الحاكم في المستدرك »

واقول : ان الفتيات في عصرنا يحملن الشهادات الابتدائية والثانوية ، ومنهن من نالت الشهادة العالية في العلوم أو الأدب او الحقوق أو الطب ، أو شهادة التخصص (الدكتوراه) بالفلسفة والتربية ، ولكننا لا نرى إزاء هذه الشهادات المدنية فتاة تحمل شهادة ابتدائية في الدين ، دع المتوسطة والعالية ! فان قيل : وأين تتخصص الفتاة الحاملة لشهادة (البكالوريا) أو الحقوق مثلاً في العلوم الدينية؟ فالجواب من وجهين :

(١) يجب أن نطالب الحكومة بافتتاح فرع التخصص الديني الذي كانت اعتزمت انشاءه وجعله فرعاً للجامعة السورية ، ونفقاته قليلة ، وفوائده جزيلة .

(٢) ان الأزهر الشريف قد افتتح كليات التخصص الديني وجعلها لأبناء المسلمين عامة ، لا للمصريين خاصة ، فمن السهل على بناتنا من حاملات البكالوريا ، ولا سيما المجازات بالحقوق أن يصحبن بعض ذوي المحارم ، وينهلن من معين الشريعة الصافي ، ويعدن رافعات ألوية الدين والعلم والإصلاح .

محمد بهجة البيطار

نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر

مطبعة الفنون المصورة [٨٦ ص القسم العربي مع الذيل والفهارس و٥٧ ص الترجمة الاسبانية
بوسكا • العرائش (المغرب) ١٩٤٠

ما تزال نكبة الأندلس ونزوح العرب عنها النزوح المعروف أمره درساً ماثلاً في نفس كل عربي يثير فيها العبرة والدمعة معاً ·

ولعل اغرب مافي هذا الدرس تلك الفوارق العظمى بين معاملة العرب للاسبان حين دخلوا بلادهم فاتحين ومعاملة الاسبان للعرب حين جلوا عنها نازحين ·

وهذا كتاب لمؤلف مجهول حضر الوقائع الأخيرة بين العرب والإسبان وشاهد عن كثب ما صب على رؤوس المسلمين من البلاء من تقتيل وتعذيب ونهب اموال وسبي نساء وذراري ، واجلاء عن الاوطان واستباحة لحرمات المعابد والأديان ، ثم تفنن في استئصال البقية الباقية من شيوخ لا حول لهم على مشاق السفر وأطفال وأرامل أقعدهم الضعف [1] ، فكل يوم احالات بالمئات على محاكم التفتيش وكل يوم احراق وصلب وتعذيب في الساحات العامة حتى سئم الإسبان أنفسهم هذه المجازر البشرية التي راجت سوقها والتي أحرزت بها حكومة الإسبان حينئذ قصب السبق في الوحشية والقسوة والظلم ·

واليك كلمة المؤلف نفسه عن موضوع كتابه وخطته فيه قال : « اما بعد فهذا كتاب اذكر فيه نبذة من بعض تواريخ ما وقع في مدة الأمير أبي الحسن علي بن نصر ··· ابن الملوك النصريين ، ومدة ملك ابنه محمد وأخيه محمد أيضاً رحمهما الله ، وكيف استولى العدو على جميع بلاد الأندلس في تلك المدة · وعولت في ذلك على الاختصار وتركت التطويل والاكثار » [2]

---

(١) ص ٤٤ ، ٤٥ (٢) ص (١)

تجد في هذا الكتاب تفصيل حصار مدينة الحمة وموقعة لَوْشة وانتصار المسلمين وفرار ابني الأمير وتألب أهل وادي آش وغرناطة معهما وموقعة بلِّش وموقعة اللسانة واستيلاء النصارى على حصن قرطمة ودكوين والرندة وموقعة المكلين ، واستيلاء النصارى على حصن قنبيل ولوشه وإلبيرة — وحصار مدينة مالقة والبسطة وحصن الشلوبانية ثم حصار غرناطة وتسليمها .

وفي خلال ذلك تشاهد من ضروب البطولة التي أبداها العرب على قلتهم ما ميزهم من جميع الأمم ولكن أمرهم كان الى إدبار . وأشد ما يفجعك هو خروج الخارجين على الأمراء وانقسام هؤلاء العرب القليلين بعضهم على بعض ، واستعانتهم بعدوهم على قومهم واهل ملتهم حتى اذا انتهيت الى آخر الكتاب لم تملك دمعتك حين ترى آخر ملوك غرناطة يستعين بملك قشتالة على عمه وحين تشعر بخبث ملك قشتاله وروغانه وضربه أحدهما بالآخر حتى أضعف الأميرين معاً وذهبت القتلى من حزبيهما بالآلاف فكان ذلك اكبر العون في سقوط غرناطة آخر بلدة مسلمة في يد الإسبان .

وفي آخر الكتاب فصل قيم الفائدة في (نزوح مسلمي الأندلس الى المغرب) وبيان المواطن التي حلها أهل كل بلد من الأندلس في المغرب . وتحس في عدة مواضع من الكتاب أن مؤلفه كتبه وهو يتحرق من الألم والتفجع وتجزم حين تقرؤه أن قلبه يكاد يتفطر من لوعته وأن عبرته ما ترقأ ، اسمعه وقد صور لنا غدر ملك قشتاله بعد ان عاهد المسلمين المستضعفين وسلم لهم بكل شروطهم كيف « اخذ في نقض الشروط شرطاً شرطاً ويحلها فصلاً فصلاً الى أن نقض جميعها وزالت حرمة الإسلام عن المسلمين وأدركهم الهوان والذلة . . . ثم دعاهم الى التنصر واكرههم عليه فدخلوا في دينه كرها وصارت الاندلس كلها نصرانية ولم يبق من يقول فيها : (لا إله الا الله محمد رسول الله) جهراً . . وجعلت النواقيس في صوامعها بعد الأذان وفي مساجدها الصور والصلبان بعد ذكر الله تعالى وتلاوة القرآن !

فكم فيها من عين باكية وقلب حزين وكم فيها من الضعفاء والمعدمين لم يقدروا على الهجرة واللحوق بإخوانهم المسلمين ! قلوبهم تشتعل ودموعهم تسيل سيلاً غزيراً مدراراً وينظرون اولادهم وبناتهم يعبدون الصلبان ويسجدون للأوثان ويأكلون لحم الخنزير ويشربون الخمر ... فيالها من فجعةما أمرها ومصيبة ما اعظمها واضرها وطامة ما اكبرها ... وعم الكفر جميع القرى والبلدان وانطفأ من الاندلس نور الإسلام والايمان ، فعلى هذا فليبك الباكون ولينتحب المنتحبون فإنا لله وإنا اليه راجعون.[1]

***

نشر هذا الكتاب الأستاذ ألفريد البستاني من عدة مخطوطات وكتب مقدمته وحواشيه ووضع فهارسه وهو من منشورات مؤسسة الجنرال فرنكو للابحاث العربية الاسبانية بطنجة (المغرب) وتقرأ في مقدمة النشر كيف حصل على هذه المخطوطة التي اعتمدها والتي كتبت في القرن الثاني عشر للهجرة .

هذا ولست أقر الناشر في حكمه على بيان المؤلف بقوله : « أما من حيث اللغة فالاضطراب ظاهر في جميع النواحي »[2] ففي هذا الحكم مبالغة شديدة لأن الهفوات اللغوية من استعماله ضمير العقلاء لغيرهم كقوله (وهدمهم [يعني الأبراج] ص ٣٤) وحذفه نون الأفعال الخمسة من غير أن تسبق بناصب او جازم كما سنشير اليه، هذه الهفوات قليلة ولعلها من تحريف النساخ .

ومن الواجب علينا ان نعترف بأن الفهارس التي نشرها الاستاذ البستاني في آخر الكتاب قليلة الجدوى لأنها غير مرتبة على الحروف بل وضعت هكذا اعتباطاً على غير قاعدة واذا لم يراع في الفهارس ترتيب ما فما ندري ما وجه إثباتها . وهناك حاشية معادة (ص ٦ و٢٣) وخطأ في قراءة المخطوطة كما سيأتي .

وفي الكتاب أغلاط كثيرة كان على الناشر الفاضل أن يعرضه على أخبر منه في العربية ليتداركها له ونحن مشيرون الى اهمها :

(١) ص ٦٤، ٦٥ (٢) ص 19

فمنها ما يعود الى الرسم كهذه الكلمات :

تحيي وصوابها تحيا — دعى وصوابها دعا — الاستأذان وصوابها الاستئذان فتفقنا وصوابها فاتفقنا مؤريخي : مؤرخي — ١ المبدي : المبدىء — المنشي : المنشىء ٢ علي ابن سعد : علي بن سعد — ٦ عن من : عمن — ٣٥ أولائك : أولئك ٤٤ سبي نسائهم : سبي نساءهم — ٥٩ بنوا عبيد : بنو عبيد ، بنوا منديل : بنو منديل

ومنها ما يعود الى ضعف في عربية الناشر وخطئه في قراءة المخطوطة وعدم اهتدائه الى تحريف النساخ والإشارة الى الصواب فيه :

خطأ	صواب	خطأ	صواب
٢ حدوث	حروب	٢٩ مداقا	مدافعا
٥ انبثها	اثبتها	٣٦ فارتحل	ارتحل
الانتفاض	الانتقاض	٤٠ المسلمون	المسلمين
٧ يأمراهم	يأمرائهم	٤٤ والمعدومين	والمعدمين
بل والدنو	بل الدنو	٤٦ زمامتهم	ذمامتهم
٨ يعلموهم	يعلمونهم	٤٧ ان يعينونه	أن يعينوه
٢٤ نفذ	نفد	٤٧ ثلاثة سنين	ثلاث سنين

٢٦ وقتل منه خلقاً : وقتل معه خلق ٧٧ ليعاقبونهم ليعاقبوهم

وهناك نقص وابهام في بعض الجمل فقوله ص ٨ (نعمل الحيلة في الدخول عليهم والتقصير والتفريط .) فيه نقص لم ينتبه اليه الناشر وقوله ص ٢٧ (ولم يتركوا شيئاً الا سقف المدينة خاصة) و ص ٤١ (اضمروا عليه الا عفوهم من حينهم) مما لا يفهم ففي الجملتين تشويه كان على الناشر أن يجتهد في ازالته ليتضح معنى المؤلف. وهذه المآخذ كثيرة في هذه الرسالة الصغيرة التي لا تتجاوز ٤٨ صفحة .

وهذا بعض ما رأينا في مقدمته هو من اغلاط عدا التي مرت في أغلاط الرسم بالرقم الفرنجي :

خطأ	صواب	خطأ	صواب
3 فهابهم جلال المكان	فهابوا جلال المكان	الأمتين التي	13 الامتين اللتين
8 الخضيل	الخضل	عدا عن الأغلاط	17 عدا الأغلاط
11 سوريا	سورية	لوحده العصمة	19 له وحده العصمة
12 يغيرون	يغارون		

وقوله ص 11 : (بينما كان العراق يتفرس وسوريا تترك ومصر تتطور بتأثيرهم وتتأثر بتطورهم) غير صحيح ولو قال كاد بدل كان لكان لذلك وجه ٠

ولا تخلو لغته من ركاكة كتتابع الإضافات في قوله ص 7 « من تاريخ مراحل آخر ايام مجدك » وكقوله ص 11 : « بدرجات سلم المقاييس الأدبية المرهونة بحرارة مزاج أعصاب الفاتحين »

ومع أملنا الوطيد في أن الاستاذ البستاني سيأخذ نصيحتنا المخلصة أخذ الغيور على لغته ليس يسعنا الا أن نثني على عاطفته العربية الحارة التي أشعرنا بها في أول الكتاب وان نتمنى على الله أن يوفقه في نشر تحفنا الضائعة وأن نعود فنشكره في هذه المجلة ثانية وثالثة ان شاء الله[1]

سعيد الافغاني

---

(١) في آخر القسم العربي من الكتاب رسالة بعث بها عبد الله محمد بن نصير سلطان غرناطة إلى الدون خوان الثاني سلطان قشتاله وليون بتاريخ ٥ من ذي القعدة عام ٨٤٦ هـ مع صورتها الفتوغرافية وهي بأسلوب غريب ٠

تاريخ حمص – القسم الأول – للخوري عيسى اسعد

عدد صفحاته ٤٤٧ ويحتوي على ٣٤ صورة ، طبع في حمص

عام ١٩٣٩

شاء المؤلف ان يضيف الى سلسلة تاريخ سورية حلقة جديدة جمع فيها أخبار حمص منذ نشأتها الأولى حتى الفتح الاسلامي ، ومن يطالع هذا الكتاب يدرك الجهود التي بذلها المؤلف حتى جمع أخبارها ووفق لاستنتاج حوادثها لا سيما في اقدم عصورها ٠ يستدل من عنوان الكتاب بأن المؤلف قد اقتصر على تاريخ حمص والحقيقة قد تعداه الى بعض أخبار الديار الشامية ومن بسط سلطانه عليها من الأمم المجاورة وذلك تعميماً للفائدة وتنويراً للحقيقة ٠

يتجلى في ابحاث هذا الكتاب عطف المؤلف على مدينته حمص وعصبيته لها فأحب أن يبر بها ويجعل لها تاريخاً عريقاً بالقدم يتفق مع ما يرغبه لها من المكانة التاريخية فقدمها على سواها من امهات المدن مثل قدش وقطنا وتونانات وغيرها من البلدان التي رددتها الوثائق التاريخية وقد اختار لها اسم (صوبا) الوارد ذكرها بالتوراة مع ان هذا اسم مقاطعة لا اسم بلدة واليها نسبت (حماة صوبا) و (ارام صوبا) كما نقول اليوم دمشق الشام وطرابلس الشام ٠ واما استدلاله عن نشأتها الأولى بموقعها الجغرافي وازدهارها الزراعي فحجته فيه ضعيفة ٠ وكل ما يمكن قوله اليوم — ان سلمنا بقدم حمص — انها كانت قرية نكرة لا حول لها ولا قوة والا لما اغفل اسمها واغمط حقها في العصور المتقدمة ٠ وما نعلمه ان حمص بدأت شهرتها في العهد السلوقي حينما ازدهرت في ظل اسرة شمسيغرام العربية فتبوأت حينئذ مكانتها في تاريخ سورية ٠

جعفر الحسني

انساب الأشراف للبلاذري

أخذت الجامعة العربية في القدس تنشر كتاب انساب الأشراف لأحمد بن يحيى بن جابر البلاذري صاحب كتاب فتوح البلدان المتوفى سنة٢٧٩ وذلك عن النسخة الوحيدة المحفوظة في احدى دور كتب الاستانة · « وانساب الأشراف هذا يشتمل على تاريخ العرب في جاهليتهم واسلامهم الى القرن العباسي الأول ولكنه لم يرتب على سني الهجرة بل اتبع ترتيبه أنساب قبائل العرب · فاذا عرض ذكر رجل نابه في قومه أتى بخبره ونكتته المستجادة وما قيل فيه من الشعر او بطائفة من شعره ان كان شاعراً واذا جاء ذكر خليفة من الخلفاء لم يقتصر على وصف سيرته بل أحيط بحوادث وقته » ·

وقد تولى تصحيح الجزء الرابع من الكتاب الاستاذ غويتاين فجاء الأصل في ٣٧٩ صفحة عدا الفهارس والتعاليق التي جعلت بالعربية والعبرية والانكليزية وتولى تصحيح القسم الثاني من الجزء الرابع الاستاذ شلوسنجر فجاء في ١٧٠ صفحة عدا الفهارس والتعاليق وهي أيضاً بالعربية والعبرية والانكليزية · وقد بذل الناشران عناية فائقة في تصحيح المتن فاستحقا ثناء العلماء على عملهما المشكور واستحقت الجامعة الشكر الجزيل على احيائها هذا الكتاب الأُم من كتب التاريخ بهذا الاتقان بالطبع والوضع ·

وقد وقعت للأستاذين الناشرين بعض هنات نرى أن نلفت نظرهما الى بعضها ومنها في الجزء الخامس صفحة ٩٧ خ مُزِجت أماناتهم — ص مَرَجت أماناتهم ص ١٧٤ · اهل المعادن — اهل المعاون ٢٠٦ : وذربة الرماح — ودريئة الرماح · وأشياء من هذا القبيل واكثرها مما يغتفر · اما في القسم الثاني من الجزء الرابع فقد وقع فيه هنات في الاملاء والرسم قليلة وأشياء مثل ص ٨٦ : آكولا : أكولا ·

١٢١ : وناديتم أهل بلدكم — ناوأتم ٠ ١٣٦ : سخياً لسيناً — لسناً ص ٣ بالقسر قذونة : بالخذقدونة ويقال خلقدونة وهو الثغر الذي منه المصيصة وطرسوس واذنة وعين زربة ويقال لها الغذقدونة أيضاً كما في معجم البلدان لياقوت

وهذان البيتان اللذان نسبا زوراً لأمير المؤمنين يزيد بن معاوية وفيهما ورد اسم الخذقدونة مما وضعه عليه المنحرفون عن بني أمية : والبيتان

وما أبالي بما لاقت جموعهم بالخذقدونة من حمى ومن موم
اذا اتكأت على الأنماط مرتفقاً بدير مران عندي ام كلثوم

وقد وردا في البلاذري مقلوبين اي الأول ثانياً والثاني أولاً

وكذلك يقال فيما أورده له البلاذري في الصفحة الأولى من أبيات ادعى الراوون أن يزيد قالها لامرأته أم خالد ما إخالها تصدر عن أعظم الخلعاء فكيف عن خليفة أعداؤه أكثر من أوليائه والعهد بالدين قريب والصحابة والتابعون بالمرصاد يرجعون الى الدين كل من ضل عن الجادة ٠ وقد وقعت للبلاذري أشياء نقلها عن رواة غير ثقات يقصد بها التهويج وارضاء بني العباس وبني علي ولو صح واحد من عشرة مما اتهم به يزيد بن معاوية لسارع أهله قبل كل الناس الى قتله ٠ والبلاذري منحرف عن بني أمية مثل الواقدي وأبي مخنف سامحهم الله ٠

محمد كرد علي



ليالي الملاح التائه

للاستاذ علي محمود طه : شركة فن الطباعة بمصر ، صفحاته ١٤٩

ديوان شعر لطيف الحجم صقيل الورق وجميل الطبع والتصوير ، يدلّ على تقدم فن الطباعة بمصر وهو يشتمل على سبع وعشرين قصيدة ، قوية الشعور ، محلقة الخيال مع سبك عربيّ الاسلوب ونزعة الى التفنن والتجديد

عبقر

للاستاذ شفيق المعلوف ، صفحاته ١١٢

ويدل هذا الديوان أيضاً على تقدم فن الطباعة العربية تقدماً لا تحسد معه الطباعة الغربية على أبداعها ، وشعر الاستاذ شفيق رقيق التعبير ، يشبه الموشحات بافنانه ، وتزينه صور فنية للمصور الايطالي فرنكو شيني ، فالديوان على ذلك من طرف الفن بتعبيره وتصويره .



آراء وانباء

دار الكتب الوطنية في حلب

حدث خلال توقف مجلة المجمع العلمي العربي عن الصدور، حادث يرتاح لذكره جمهرة المثقفين في الديار الشامية . وهو انه ما كاد الامير مصطفى الشهابي أحد اعضاء مجمعنا يتقلد في اوائل السنة ١٩٣٧ منصب محافظ مقاطعة حلب، حتى جعل في مقدمة اعماله تشييد بناء عظيم يتخذ داراً للكتب وغرفاً للمطالعة وردهة للمحاضرات . ومن المعروف ان مدينة الشهباء كانت حتى ذلك اليوم خالية من بناء يحاكي المدرسة العادلية او الظاهرية او مدرج الجامعة السورية في دمشق، وان فرع المجمع العلمي في حلب لم يكن له بناء للاجتماع والمحاضرة وحفظ الكتب والمطالعة .

وعندما راجع الأمير الشهابي مجلس الوزراء في هذا الصدد، وجد أن تدارك المال من ميزانية الدولة، لتشييد البناء المذكور، يكاد يكون من مستحيلات الأمور . فعمد عندئذ الى خطة لا ينازعه في تنفيذها منازع . وهي انه لما كانت بلدية مدينة حلب وبلديات الأقضية والنواحي في تلك المقاطعة تابعة جميعاً للمحافظ، أصدر قراراً بأن تخصص كل بلدية تابعة لمحافظة حلب عُشر وارداتها لتنفق على إقامة دار الكتب في مدة سنتين . وقد أصاب بلدية مدينة الشهباء نصف النفقات . وكان النصف الثاني من نصيب بلديات الأقضية والنواحي . وهكذا أمكن جمع خمسين الف ليرة سورية (بسعر تلك الأيام) وهو المبلغ الذي اجمع المهندسون على انه كاف لاقامة البناء .

وبعد ان سهل المال وجب الحصول على أرض تصلح للغرض المطلوب . وهنا تذكر الامير الشهابي انه عندما كان مديراً لأملاك الدولة السورية خصص لمديرية البريد والبرق العامة أرضاً واسعة ثمينة تقع في اهم بقعة من المدينة اي في ساحة

باب الفرج ، لكي تبني المديرية المذكورة عليها بناء لدائرة البريد والبرق في حلب . وتذكر انه مرّ على هذا التخصيص بضع سنوات دون ان يشاد البناء المطلوب على تلك الأرض ، وانه ربما مرت سنوات عديدة أخرى والأرض باقية على حالها . ولذلك سعى في مجلس الوزراء حتى ابطل ذلك التخصيص وحوله على اسم وزارة المعارف لتبنى دار الكتب الوطنية على الارض المذكورة .

فأصبح هذا المشروع المفيد مشتركاً بين بلديات محافظة حلب صاحبة المال المنفق على البناء ، ووزارة المعارف (او المجمع العلمي) التي تتصرف بأرض البناء العائدة لبيت المال .

ولهذا عقد الأمير بين الفريقين اتفاقًا يقضي بأنه عند ما يتم البناء يسجل في السجلات العقارية على اسم بلديات محافظة حلب ، ويخصص لفرع المجمع العلمي في مدينة الشهباء ، فينقل اليه خزانة كتبه ، ويشرف على شؤونه ، ويمارس أعماله فيه كما هي الحال في العادلية والظاهرية بدمشق .

وبعد ان مهد صاحب المشروع جميع العقبات ، حمل دائرة الاشغال العامة في حلب على مباشرة هذا العمل الجليل ترجيحًا على سائر اعمال تلك الدائرة . وقضى سنتين وبضعة أشهر وهو يشرف شخصياً على صنع الخرائط والتصميمات وعلى أعمال البناء . ولم يغادر منصبه في السنة ١٩٣٩ حتى كان البناء قد تم ، ولم يبق سوى الأعمال التكميلية فأكملت بعدئذ على حسب الخرائط والخطط المقررة .

وعلى هذا اصبحت الشهباء تشتمل اليوم في أجل مواقعها على بناء عربي فخم شيد باحجار كبيرة لا يقل طول واحدها عن ٤٥ سنتيمتراً . وكثير من هذه الأحجار حمر رخامية من التي تسمى « سماقية » في حلب و « مزية » في دمشق . ويقول العارفون ان دار الكتب الوطنية في حلب هي اليوم أجمل المصانع الحديثة في مدينة الشهباء بلامراء .

وقد جعلت الطبقة الأرضية من البناء مدرجاً للمحاضرات يتسع لخمسمائة مستمع ، كما جعلت الطبقة العليا غرفاً تتسع لأربعين الف مجلد ولمائة مطالع ، عدا غرف الإدارة .

ذكرى المولد النبوي

يحتفل المسلمون كل عام بذكرى مولد الرسول عليه الصلاة والسلام احتفالاً رائعاً ، وأي ذكرى أحق من هذه العناية وليست هذه العناية بالمولد قديمة .

ولم يرو عن الصحابة والتابعين ، وأول ما نقل الينا أن الخيزران والدة هارون الرشيد اصلحت البيت الذي ولد فيه رسول الله . أما الاحتفال بذكرى المولد نفسها فلم يظهر الا في عصر الفاطميين الذين عدوا يوم الذكرى عيداً لدولتهم تقام فيه الزينة وتلقى الخطب والمواعظ .

ولم يجعل أهل السنة لهذا اليوم شأناً خاصاً الا منذ عام أربع وستمائة فقد بالغوا في هذا العام لأول مرة بالاحتفال بهذا اليوم وزينت إربل عاصمة الملك مظفر الدين كولا كبري صهر صلاح الدين يوسف بن أيوب وانقدت الأنوار الساطعة ، وقرعت الطبول والموسيقى وأنشد المنشدون وظهر الملك المظفر صباح يوم الذكرى على برج مشيد من خشب وانتصب واعظ على منبر بجانبه يعظ الناس .

وطفق المسلمون من اهل السنة من ذاك اليوم يتخذون يوم المولد عيداً دينياً شعبياً . ولما ظهر الاحتفال بهذا المظهر ، أجمع الفقهاء على القول بأن الاحتفال وان كان بدعة فانما هو بدعة حسنة لاتصاله بشخصية الرسول المعظم . ثم ما عتم أن سرت الى يوم الذكرى ضروب من المراسم أثارت ثائر بعض الائمة كابن تيمية في المتقدمين والامام محمد عبده في المتأخرين فشنوا الغارة على صورة الاحتفال ووجدوا في الأناشيد التي ترتل نزعة من النزعات الصوفية لا يقرها الإسلام الصحيح ووجدوا في النصوص التي تقرأ عن مولد الرسول ابتعاداً عما يجب أن يقال من سيرته الشريفة مما ورد في الأثر واسفرت حملتهم عن توجيه علماء المسلمين الى الاحتفال بالذكرى وجهة حسنة لا تخرج عن هدى الدين وذلك بقراءة شيء من السيرة النبوية المنقولة في الكتب الموثوق بها وبالقاء الخطب يذكر فيها شأن الإسلام وأثر الدعوة المحمدية ويحض الناس فيها على التحلي بالأخلاق النبوية . وكان الاحتفال بهذا يوماً يبعث في نفوس المسلمين بهجة بعيد يذكرون فيه المثل العليا التي حض عليها رسول الله . وحسنت ذكرى مولد رسول الهدى .

مجلة المجمع العلمي العربي

الجزء الرابع نيسان سنة ١٩٤١ ربيع الآخر سنة ١٣٦٠

تآليف ابن العديم

كان أجداد ابن العديم قضاةً تسلسل فيهم العلم اجيالاً ، وكان من وراء نعمة عظيمة تجمعت لأهله بطول الزمن . جاء اهله في القرن الثاني من البصرة ونزلوا حلب تجاراً ، وبعد حين اشتغل بعضهم بالعلم فانقلبت تجارتهم ، وبان الأدب والذكاء على كثير من ابنائهم ، حتى اذا كان القرن السابع نبغ آخرهم صاحب المكانة الكبرى في عالم العلم والأدب ، فهو وارث مجد أسرته اعانه الغنى علَى الظهور بالعلم ففاق الاقران وخلد اسمه في سجل الزمان .

غرست الفطرة في ابن العديم صفات نادرة كانت عوناً له على ما أخذ نفسه به من الدرس ، وعلى تجلي عبقريته وانبعاث قريحته ، هذا مع كثرة العلماء في بلده على عهده . وكان هو مفنناً فناناً ، مفنناً بالعلم الذي تلقاه عن علماء عصره وبه اعد نفسه لتولي منصب قاضي القضاة في مدينة عظيمة ، فبرز في الفقه والحديث والادب والانشاء والشعر والتاريخ وكل ما تكمل به أدوات القاضي والمفتي . وكان فناناً لأنه رزق الاجادة في الخط حتى كان رأساً في الخط المنسوب ولا سيما النسخ والحواشي ، وكان يقرأ الخط المعقد كأنه يقرأ من حفظه ، وقالوا انه اكتب من كل من تقدمه بعد ابن البواب ، وله كتاب في الخط وعلومه ووصف آدابه واقلامه وطروسه . عاش كأغنياء العلماء واخذ العلم عن علماء حلب ودمشق ، ورحل الى الحجاز ومصر

والعراق ، وكان اذا سافر يركب في محفة تشيله بين بغلين ويجلس فيها ويكتب .

هذا هو كمال الدين عمر العقيلي الحلبي رئيس الشام (٦٦٦ ه) وكان يطلق على اسرته اسم بني جرادة ثم غلب على بيتهم اسم « العديم » ، وكان جميع أهل هذا البيت منذ كان الاسلام يحفظون الكتاب العزيز . وقد تولى خمسة منهم على التوالي منصب قاضي القضاة بحلب ، وكان كمال الدين واسطة عقدهم اشتغل بالسياسة والعلم فتولى الوزارة مرتين : الأولى للملك العزيز والثانية للناصر آخر بني ايوب ، وذهب بالسفارة عنها الى بغداد والقاهرة . ولا يتولى الوزارات في الغالب إلا الاكفياء ، ولا ينوب عن صاحبه في السفارات الا أرباب الكفاءات المعترف بها .

ألف كمال الدين وصنف وكتب بخطه الجيد ألوفاً من الصفحات ومن جملة ما كتب بخطه البديع ثلاث خزائن من الكتب : واحـدة لنفسه وخزانتان لابنيه لكل منهما خزانة فاذا فرضنا أن كل خزانة تضم مئة مجلد وهو أقل تعديل فيكون مجموع ما كتب ثلثمائة مجلد عدا تآليفه الممتعة التي نمت على تحقيقه وبحثه ولم نعرف منها سوى ثلاثة .

الأول من كتبه (ومنه نسخة في خزانة المجمع العلمي العربي بدمشق) رفع الظلم والتجري عن ابي العلاء المعري أو الانصاف والتحري ، ذكر فيه كل ماله اتصال بأصل المعري ومنشئه وأدبه وعلمه وتصانيفه ورحلته الى بغداد في طلب العلم وما وقع له طول حياته من الحوادث ومن كان يعطف عليه من أهله وكلهم معروفون بالأدب والشعر ومن كان يستملي منه مصنفاته ومن يكتب له ليل نهار وكان أربعة في جرايته وجارية ، وذكر من أخذ عنه . والمقصد من كل هذا الكتاب تبرئة المعري من التعطيل وكان اعداؤه ينحلونه أبياتاً او يحرفون ابياتاً من شعره ليصححوا دعواهم عليه بانحلال العقيدة . واهم جزء من الكتاب (وهو دفع دعوى الإلحاد عن أبي العلاء) ناقص من النسخ التي عرفت من الكتاب على أن ذلك لا يمنع من نشره بالطبع لما فيه من الفوائد التي أثرت عن شيخ المعرة وحكيمها وأديبها .

والثاني تذكرة ابن العديم وجد منها مجلد ، في بضعة أجزاء أولها الجزء الخامس وآخرها الجزء السادس عشر وفيها فوائد أدبية وتاريخية كثيرة وهي جديرة بالطبع أيضاً ، ومما جاء في أولها لعلي بن ابراهيم بن عبد المحسن بن قرناص الخزاعي الحموي :

جفني بجفنك قد جفاه هجوعه والقلب واصله عليك ولوعه
وسقام جسمي فيك عز ذهابه والنوم عزّ على الجفون رجوعه

ومما جاء فيها : انشدني منجب الدين ابن الامان المذكور قال أنشدني القاضي وجيه الدين ملهف ابن الصنديد الشيزري قال انشدني للأمير شرف الدولة ابن منقذ نفسه وكانت الزلزلة قد خربت شيزر سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة وسقطت القلعة على أخيه وأولاده وزوجته الخاتون اخت شمس الملوك فسلمت دونهم ونبشت من الردم فجاء نور الدين محمود بن زنكي الى شيزر وتسلمها وطلب من زوجة أخيه أن تعلمه بالمال وتهددها فقالت له : ان الردم سقط عليها وعليهم ونبشت سالمة دونهم ولا تعلم بشيء وان كان لهم شيء فهو تحت الردم . وكان شرف الدولة غائباً فلما حضر ورأى شيزر وما حل بها وعاين زوجة أخيه بعد العز في ذلك الذل عمل :

ليس الصباح من المساء بأمثل فأقول لليل الطويل ألا انجلي
شلت يد الأيام ان قسيّها ما أرسلت سهماً فأخطأ مقتلي
لي كل يوم كربة من نكبة يهمي لها جفني وقلبي يصطلي
يا تاج دولة هاشم بل يا أبا التيجان بل يا قصد كل مؤمل
لو عاينت عيناك قلعة شيزر والستر دون نسائها لم يسدل
لرأيت حصناً هائل المرأى غدا متهيلاً مثل النقا المتهيل

ومنها يشير الى زوجة أخيه المذكورة

نزلت على رغم الزمان ولو حوت يمناك قائم سيفها لم تنزل
فتبدلت عن كبرها بتواضع وتعوضت من عزها بتذلل

وقال في أخيه :

ودُفنت بين ثلاثة ضاجعتهم   كالليث ضاجعه ثلاثة أشبل

وكان هذا الزلزال من أشد ما منيت به بلاد الشام في القرون الوسطى هلك فيه كما قال ابن الأثير مالا يحصى كثرة وخرب منها بالمرة حمـاة وشيزر وكفر طاب والمعرة وأفامية وحمص وحصن الأكراد وعرقة واللاذقية وطرابلس وانطاكية . واما كثرة القتلى فيكفي أن معلماً كان في حماة ذكر عنه أنه فارق المكتب لمهم عرض له ، فجاءت الزلزلة فخربت البلد وسقط المكتب على الصبيان جميعهم ، قال المعلم : فلم يأت أحد يسأل عن صبي كان له بالمكتب . أما حصن شيزر وهو على نصف نهار من حماة فكان لآل منقذ الكنانيين فلم ينج منهم أحد ، وسبب هلاكهم أجمعين أن صاحبها كان قد ختن ولداً له وعمل دعوة للناس ، واحضر جميع بني منقذ عنده في داره ، وكان له فرس يحبه ولا يكاد يفارقه ، واذا كان في مجلس أقيم الفرس على بابه ، وكان المهر في ذلك اليوم على باب الدار ، فجاءت الزلزلة فقام الناس ليخرجوا من الدار فرمح الفرس رجلاً كان أولهم فقتله ، وامتنع الناس من الخروج ، فسقطت الدار عليهم كلهم وخربت القلعة وسقط سورها وكل بناء فيها ، ولم ينج منها الا الشريد .

وكان بنو منقذ اصحاب قلعة شيزر (واليوم يقال لها سيجر) سلسلة جميلة في الشعر والأدب كما كان بنو العديم في حلب سلسلة متصلة الاسانيد بالقضاء . خربت قلعة شيزر والى اليوم لا تزال خراباً يباباً ، وأدب بني منقذ ما زال محفوظاً في الدواوين يتناقله المتأدبون ويعجب به الشادون والمحققون . وكان آخرهم أسامة (٤٨٨ — ٥٨٤ هـ) من أئمة الأدب عرفناه من الكتب التي أبقت الأيام عليها ، ومنها كتاب الاعتبار ذكر فيه آل بيته وشجاعتهم وبطولتهم وما كان لهم على عهد الصليبيين في الشام من مغامرات ومن كتبه (كتاب العصا) ومنها (لباب الآداب) وكلها مطبوعة تشهد لأسامة بالعلم والنبوغ .

ومما أثره من مذكرة ابن العديم مانقله للسابق ابي اليمن محمد بن الخضر المعري في حلب:

حلب معهد الصبا والتصابي فسقاها الوسميُّ ثم الوليُّ
موطني بعد موطني فكأني لغرامي بحبها البحتري

الى ان قال :

فلديها كل الفنون وفيها ما اشتهاه الشرعي والفلسفي
غير أني أرى الاطايب شزراً وحليف الافلاس عنها قصيُّ

ومما اقتبسه أبيات لسنان صاحب الدعوة الاسماعيلية وهي

لو كنت تعلم كل ما علم الورى طراً لكنت صديق كل العالم
لكن جهلت فصرت تحسب أن من يهوى خلاف هواك ليس بعالم
فاستحي ان الحق أصبح ظاهراً عما تقول وأنت شبه النائم

ترجم لسنان الملقب براشد الدين صاحب الوفيات فقال انه صاحب قلاع الدعوة ومقدم الباطنية بالشام واليه تنسب الطائفة السنانية (او النزارية) وهو الذي هدد صلاح الدين يوسف بقوله

ياذا الذي بقراع السيف هددنا لا قام مصرع جنبي حين تصرعه
قام الحمام الى البازي يهدده واستيقظت لأسود البر أضبعه
اضحى يسد فم الأفعى بإصبعه بكفيه ما قد تلاقي منه أصبعه

وكتب مرة أخرى :

بنا نلت هذا الملك حتى تأثلت بيوتك فيها واشمخر عمودها
فأصبحت ترمينا بنبل بنا استوى مغارسها منا وفينا حديدها

أما الكتاب الثالث الباقي من تأليف ابن العديم فتاريخ زبدة الحلب في تاريخ حلب (منه نسخة مصورة في دار الكتب المصرية نقلت عن مخطوطة الاستانة) فالظاهر انه أحسن كتبه ولم يبيضه وفيه كلام على جغرافية بلاد حلب وبحيراتها وجبالها وتربتها وهوائها ومائها وخراجها وعادياتها ، وذكر فيه مدناً تعد اليوم من كيليكيا والجزيرة مثل اذنة والكنيسة السوداء وطرسوس ومسيس والحدث الحمراء وملاطية

وسميساط ورعبان ودلوك الى غير ذلك من الحصون والبلاد . وتكلم على جيحان نهر المصيصة وسيحان نهر اذنة والعاصي نهر انطاكية وحماة والبردان نهر طرسوس . وبذلك عرفنا أن عمل حلب في عهده كان واسعاً جداً اكبر من مملكة من الممالك الصغرى لعهدنا . وفيه فصل من اجمل فصول الكتاب فيمن نزل من قبائل العرب باعمال حلب ومن كان قبلهم . ونقل شرط عمر بن الخطاب رضي الله عنه على أهل قنسرين وهو ثمانية وأربعون درهماً على الغني وأربعة وعشرون على الوسط واثنا عشر على المدقع ، وما اشترطه عليهم للنازل بينهم من المسلمين والا يحدثوا كنيسة الا ما كان في أيديهم ولا يضربوا بالناقوس الا في جوف بيعة ولا يرفعوا أصواتهم بالقراءة ولا يرفعوا صليباً الا في كنيسة وأن يؤخذ منهم القبلي من الكنائس للمساجد ، وان يقروا ضيوف المسلمين ثلاثاً ، وألا يكون الخنازير بين ظهراني المسلمين ، وان يناصحوا المسلمين ولا يغشوهم ، ولا يمالئوا عليهم عدواً ، وان يحملوا راجل المسلمين من رستاق الى رستاق ، وألا يلبسوا السلاح ولا يحملوه الى العدو ، ولا يدلوا على عورات المسلمين ، فمن وفى وفى المسلمون له ، ومنعوه مما يمنعون به نساءهم وابناءهم ، ومن انتهك شيئاً من ذلك حلّ دمه وماله وسباء أهله وبرئت الذمة منه ، وكتب بذلك كتاباً .

واستفدنا من هذا التاريخ أن حلب كانت من أكثر المدائن شجراً فأفنى شجرها وقوع الخلف بين سيف الدولة بن حمدان وبين الإخشيد أبي بكر محمد بن طغج ، فان الاخشيد كان ينزل على حلب ويحاصرها ويقطع شجرها فاذا أخذها وصعد الى مصر جاء سيف الدولة وفعل بها مثل ذلك . وتكرر ذلك منهما حتى فني ما بها من شجر ، وانفق نزول الروم على حلب سنة ٣٥١ ففني شجر الشربين لذلك .

ورأينا له في هذا الكتاب تحقيقات تدل على تأنيه وبعد غوره منها أن ابن القارح ذكر في رسالته حكاية نسبها الى أبي الطيب قال وهذا عجيب فإن أبا الطيب ولد سنة ٣٠١ فكيف تصح هذه الحكاية . قال ابن العديم ولعله غير أبي الطيب ثم بعد حين كتب انه تبين ان الأمر كذلك ، وهذا المتنبي الذي ذكره المؤرخ هو أحمد بن عبد الكريم الأصفهاني .

ويقول ابن الشحنة في تاريخ حلب : أن كمال الدين بن العديم اتقن في تاريخه واجاد واطال ولم يبيض منه الا اليسير وأطال فيه من ذكر الروايات والطرف فجاء بمعنى قليل في لفظ كثير ولم يسبقه أحد بتاريخ لها على الخصوص وسماه « بغية الطلب في تاريخ حلب » رتبه على حروف المعجم كما أخبرني بذلك الأمير النقيب بدر الدين الحسيني نقيب السادة الأشراف بالمملكة الحلبية رحمه الله ان مسودته كانت تبلغ نحو اربعين جزءاً كباراً والمبيضة تجيء كذلك لكن اخترمته المنية قبل اكمال الأمنية وتفرّقت اجزاؤه قبل الفتنة التيمورية فلا تجد الآن منها الا نزراً ولم أقف منها الا على جزء واحد بخطه فيه بعض حرف الميم ...

محمد كرد علي

بعث قصيدتين

من مرقدهما لعديّ بن الرقاع العامليّ

كان صديقنا الاستاذ خليل مردم بك قد نشر في مجلتنا هذه شعر عديّ بن الرقاع العاملي مع ترجمة له حسنة(*) ، وباطلاع الاستاذ المستعرب سالم الكرنكوي عليها كتب اليه كتاباً يذكر فيه انه كان قد جمع في الماضي ما تيسر له تحصيله من شعر عديّ ، وانه أرسله مع ترجمته المنقولة من تاريخ دمشق الى الاستاذ غويدي لعزم أحد تلاميذه على وضع اطروحة له في عديّ وشعره ، لينقدّم بهما الى جامعة رومة في سبيل الحصول على درجة الحكمة (الدكتورية) في الأدب .

ثم ظفر الاستاذ الكرنكوي بنسخة غير جيدة من كتاب الخيل لأبي عبيدة معمر بن المثنى منقولة عن نسخة قديمة في المدينة المنورة كتبت سنة ٣٥٢ للهجرة ، وهو اليوم مكبّ على تصحيحه لينشره للناس ، وفي آخره عدة أشعار لقدماء شعرائنا بينها شعران في وصف الخيل لعديّ بن الرقاع ، وكان عديّ كطفيل الغنويّ مشهوراً بمعرفة الخيل واجادة نعتها ، وقد بعث العلاّمة الكرنكويّ بهاتين القصيدتين الفقيدتين لتنشرا في مجلة المجمع العلمي العربي فله جزيل الثناء ، وقد شرحتها شرحاً كافياً لإفادة القرّاء ، والقصيدتان هما :

قال ابن الرقاع العاملي ، يخلط فيها بقول أبي دواد :

١ ولقد أغتدي بأجردَ نَهدٍ   لاحه بعد صَنعهِ المِضمارُ

٢ أيدُ القصرَيين ما رِقيد يوماً   فيعنى بصرعهِ يَيطارُ

(*) راجع المجلد الخامس عشر من هذه المجلة تجد (مختارات من شعره) في الصفحة ٤٥٠ .

(١) الصنع بفتح الصاد مصدر صَنع الفرس يصنعه صَنعاً وصنعة اذا أحسن القيام عليه .

(٢) القصرَيان : ضلعان تليان الترقوتين ، او اللتان تليان الشاكلة بين الجنب والبطن كما في التهذيب ، والصرع الطرح على الارض .

٣ حَوشب الخلق أُفرِعت كتفاهُ عن محاني ضلوعهِ إجفارُ
٤ واذا اهتزَّ مقبلاً زانَ منه أتلعٌ ما يُنال منه العذارُ
٥ ويُرى مُجفراً إذا هو ولّى في حَماتيه شدةٌ وانبتار
٦ ونسورٌ لها حوافر منه لا يُرى في أرساغهنّ انتشارُ
٧ كالجلاميد بالمسيل تملاّ هنّ في الماء خضرةٌ واصفرارُ
٨ مَشقَ اللحمُ عن حَماتيه مَشقاً فتعالى واشتدت الأوتارُ
٩ وعلى الزَوْر منبض القلب منه بجيازيم بينها أسيارُ
١٠ فهو طافٍ أقبّ كالمسد الأملـس عاري الشوَى مُمرٌّ مُغارُ
١١ شاخص الحرتين يَنفخ منه قُطعَ الرَّبوِ مَنخرٌ نَثارُ

(٣) الحوشب: العظيم البطن ، الافراع : الارتفاع والانحدار، والاجفار الاستكراش وانتفاخ الجنبين ويستقيم المعنى اذا اعتبرت (عن) مصحفةً عن (في) . (٥) المجفر : اسم مفعول من الاجفار وهو العظيم الجنبين ، والحماتان : اللحمتان في عرض الساق تُرَيان كالعصبتين من ظاهر وباطن والجمع حَموات ، والانبتار : الانقطاع. (٦) النسور : الشواخص اللواتي في باطن الحافر. والانتشار : الانتفاخ في العصب للاتعاب. (٨) المشق: جذب الشيء ليمتد ويطول، ومن الفرس المشيق اي الطويل الضامر والأوتار هنا أربطة العضلات. (٩) الزور : بفتح الزاي الصدر. (١٠) (طافٍ) :اسم فاعل من طفا يطفو يقال: طفا الثور الوحشيّ على الاكم والرمال اذا علاها ، ويقال مرّ الظبي يطفو اذا خف واشتد عدوه، والمعنيان يجوز وصف الجواد بهما ؛ (الأقبّ) ذو القبب وهو دقة الخصر وضمور البطن ؛ و (المسد) الحبل من الليف يُمسد أي يمرّ فتله، وفي الكتاب: في جيدها حبل من مسد . والشوى الاطراف، والجواد تكون قوائمه عارية من الشعر ، و (ممرّ ومغار) اسما مفعول من أمرّ الحبل اذا شد فتله، يقال : حبل مغار الفتل وفرس مغار شديد المفاصل .

(١١) الحرّتان: الأذنان ، قال زهير :

قَنواء في حُرّتيها للبصير بها عتق مبين وفي الخدين تسهيلُ

و(قطع الرّبو) يقال أصاب الفرس قُطع بضم القاف وسكون الطاء مع ضمها أي ضيق نفس من العدْو ، والرّبو البهر وانقطاع النفس ، وكأنما أراد الشاعر ان سعة منخريه المحمودة في الخيل تقصي عند ضيق النفس اذا عدا .

١٢ وهو شاحٍ كأنّ لحييه خوٌّا قتب لاح منهما النجارُ

وقال أيضاً :

١ على كلِّ سَلهبة لاحها طرادُ المسالحِ أو سَلهبِ
٢ أشقّ شخيص كتيس الفلا ةِ يستنُّ أو جوءذَرِ الحلبِ
٣ اذا ما تصعلك من حشوةٍ فأصبح كالفردِ الأشعبِ
٤ أمرَّت حوامل اوصاله كما تستمرُّ قوى القنبِ
٥ وأشرف حاركه والقطا طُ منه على طأةِ المركبِ
٦ على أن مجتمع القصريـ ـنِ ابس بغوطٍ ولا أحدبِ
٧ كميت كأنّ على متنه سبائكَ من قِطع المذهبِ

التنوخي

---

(١٢) اسم فاعل من شحافاه يشحوه اذا فتحه ، والخوّ والجوّ الوادي والغائط من الارض . ولا معنى له هنا مضافاً الى القتب ، وهو اكاف البعير ، فلعله مصحف عن (جنبا قتب) ، ومثله قول الشاعر :

كأن فاها واللجام شاحيه جنبا غبيطٍ سلسٍ نواحيه

(لاح) يقال كما مرّ: لاحه العطش لوحاً ولوّحه غيره وأضمره ، وكذلك السفر والبرد والسقم والحزن كما في اللسان ، فالمعنى واضح أي أضمر النجار جنبي القتب وقد شبه بهما اللحيين كما مرّ .

(١) السلهب : من الخيل الطويل وقوله (لاحها طراد المسالح) اي غيرها أو ضمرها والمسالح جمع مسلحة وهي المرقب يكون فيه قوم ذوو سلاح يرقبون العدوّ ، والمعنى واضح .

(٢) الأشق : من الخيل الطويل ، و (يستنّ) ينشط والاستنان النشاط ومنه المثل المذكور: (استنت الفصال حتى القرعى) ، أي ان فرسه نشيط كتيس الفلاة وجؤذر الحلب ، وهو نبات ترعاه الظباء والشاة تسمن عليه فيشتد مرحها ، ومثله قول النابغة يصف فرساً :

يباري النواهض صلت الجبيـ ـنِ يستنّ كالتيس ذي الحلبِ

(٣) تصعلك : الفرس طار وبره ، والحشوة السمن ، والفرد الأشعب: الثور ذو القرنين المتباعدين

(٥) لعل الصواب : القطاة ، وهي مابين الوركين ، وقيل مقعد الرّدف من الدابة خلف الفارس ، والحارك أعلى الكاهل وقيل فرعه ، وطأة المركب ووطاءته سهولته . (٦) الغوط : في الغائط اي المطمئن . (٧)المذهب : اي المموّه بالذهب ، ويقال كميت مذهب للذي تعلو حمرته صفرة .

الغوطة [1]

جزئيـات المحاضرة

(١) الغوطة وحدودها (٢) بساتينها وقراها (٣) الأبنية الأزلية فيها (٤) ميزاتها
(٥) سكانها ولسانهم واديانهم (٦) اثمارها وزروعها (٧) أنهارها وريها
(٨) مدنيتها (٩) صناعاتها الزراعية (١٠) متنزهاتها (١١) أدبها

سبق لي مساء اليوم الخامس والعشرين من شهر شباط الماضي (١٩٤١) أن حدثت المستمعين الى مذياع (راديو) الشرق في بيروت ببعض ما عرفت عن غوطة دمشق ، والآن أريد أن أتوسع في هذا الموضوع اللذيذ المفيد بأطول مما كنت تحدثت ، وأتوخى أن آتيكم بما عرفته من طريق الدرس والتجارب الشخصية .

الغوطة وحدودها

اشتق اسم الغوطة من الغائط ، والغائط المطمئن من الأرض ، والجمع غيطان وأغواط ، وقال ابن الأعرابي : الغوطة مجمع النبات . وورد اسم الغوطة بلفظ التثنية في الشعر القديم والحديث قال ابو المطاع بن حمدان :

سقى الله أرض الغوطتين وأهلها   فلي بجنوب الغوطتين شجون
وما ذقت طعم الماء الا استخفني   الى بردى والنيربين حنين

والنيربان واحدهما النيرب ، وهي قرية كانت على نصف فرسخ من دمشق قال ياقوت : إنها أنزه موضع رآه . وفي مراصد الاطلاع : (إن النيرب قد جاء في الشعر مثنى) فلعل ياقوت فهم منه أن هناك موضعاً آخر وليس كذلك . فان الشاعر قد ثنى الغوطتين وليس إلا غوطة ، كما ثنوا الغيضتين قال ابن منير :

سقاهـا وروّى من النيربين   الى الغيضتين وحمورية

(١) محاضرة القاها الاستاذ محمد كرد علي رئيس المجمع العلمي في السادس والثالث عشر من ربيع الآخر سنة ١٣٦٠ « ٢ و ٩ ايار سنة ١٩٤١ » في ردهة المحاضرات .

الى بيت لهيا الى برزة دلاح[1] مكفكفة الأوعية

وللنيرب اليوم يقال أرض النيرب وهي في جوار قرية المِزَّة . والغوطتان على ما يظهر هما الغوطة الغربية والغوطه الشرقية . وقال بعضهم الغوطتان الغوطة الشمالية والغوطة الجنوبية أو القبلية .

وقيل انه كان يطلق على الغوطة اسم (البريص) وقد ورد في شعر حسان بن ثابت يمدح بني غسان بقوله :

لله در عصابة نادمتهم يوماً بجلق في الزمان الأول
أولاد جفنة حول قبر أبيهم قبر ابن ماريةَ المعُم المخْول
يسقون من ورد البريص عليهم بردى يُصفق بالرحيق السلسل

قال ياقوت : وهذا يدل على أن البريص اسم الغوطة بأجمعها ، ألا تراه نسب الأنهار الى البريص ، وقال يسقون ماء بردى ، وهو نهر دمشق ، من ورد البريص . ورواية البلاذري في فتوح البلدان أن أبا عبيدة بن الجراح وخالد بن الوليد يوم فتح دمشق التقيا بالمقسلاط وهو موضع النحاسين وهو البريص الذي ذكره حسان بن ثابت في شعره حين يقول : يسقون من ورد البريص عليهم .. البيت — لا تعطي العبارة أن البريص هو بردى بل يفهم منها أنه مكان آخر .

لم يحدد القدماء الغوطة ، ولم يعرفوها التعريف المطلوب . فقال المقدسي : إن مساحتها مرحلة في مثلها . وقال القزويني : إن طولها مرحلتان في عرض مرحلة . وقال ياقوت : إن استدارتها ثمانية عشر ميلاً . وقال شيخ الربوة : إنها من حيز دمشق ناحية يكون طولها ثلاثين ميلاً وعرضها خمسة عشر ميلا[2] . وقال ابن

(١) سحابة دلاح كثيرة الماء : ج دُلح (٢) المرحلة مسيرة يوم على الراكب بالسير المعتدل والميل مئة الف اصبع إلا اربعة آلاف اصبع ، او ثلاثة او أربعة آلاف ذراع ، بحسب اختلافهم في الفرسخ هل هو تسعة آلاف بذراع القدماء ، او اثنا عشر الف ذراع بذراع المحدثين . وعرفوا الفرسخ أنه ثلاثة أميال هاشمية أو اثنا عشر الف ذراع أو عشرة آلاف . والذراع أيضاً يختلف باختلاف الأقطار والأعصار .

طولون الصالحي في كتابه (ضرب الحوطة على جميع الغوطة) إن قرية زبدين آخر حدودها ، وهو صحيح ، ولم يذكر حدها من الشرق والغرب . وزعم أن (حران العواميد) من الغوطة وهي من قرى المرج ، وبينها وبين الغوطة أربع ساعات على الراكب ، وهكذا عدّها ياقوت وهو غير صواب . وذكر البكري في (معجم ما استعجم) ان قرية دمر من الغوطة وعدّ الدوّ من الغوطة وقال انها تلقاء البضيع [1] .

والظاهر أن القدماء قدروا الغوطة على هذه الصورة بحسب ما رآها كل واحد في عصره ، وكانت تتسع وتنقبض تبعاً للكائنات الأرضية والسماوية . وقد قال صديقنا العلامة الأثري دوسو [2] إن الغوطة تطلق على الصقع الذي يُروى حول دمشق بين الجبل والبحيرتين (بُحيرة المرج وبحيرة الهيجانة) حيث تنصب فضلات الأنهار ، وأن الغوطة الآن اذا أُطلقت يراد بها الكورة التي فيها الحدائق والبساتين أي أن المرج غير داخل في الغوطة . وقال بعض القدماء إن الشام الثالثة الغوطة ، ومدينتها العظمى دمشق . وقال مرتين إن الغور الشرقي يكوّن سهل دمشق الذي يمتد من أقبال [3] الجبل الشرقي الى بادية الشام أو بادية تدمر ، فعند تخوم هذه البادية غوطة أريضة من أجلّ ما أحدثت يد الطبيعة تشقها الأنهار

(١) كذا البضيع مصغراً ويروى بالفتح في شعر حسان بن ثابت .

أسألت رسم الدار أم لم تسأل بين الجوابي فالبضيع فحومل

والبصيع بالصاد المهملة وقال إنه جبل بالشام أسود . وجبل البضيع يعني جبل الكسوة المشرف على الغوطة . هذا ماقاله ياقوت . وروي في التاج عن الازهري أنه رأى جبل البصيع وقال انه جبل قصير أسود بأرض البلينة فيما بين تسيل وذات الصنمين بالشام من كورة دمشق . وفي وسط الكسوة جبل يناوح جبل المانع اسمه المضيع (بالميم والضاد والياء المشددة) ولعله هو الاقرب الى الصواب . والبصيع أو البضيع هو ذاك الجبل الذي يقع في أول حوران

(٢) في كتابه طوبوغرافية تاريخية لسورية في الأدوار القديمة وفي القرون الوسطى .

Dussaud : Topographie historique de la Syrie antique et médiévale .

(٣) الأقبال جمع قبل والقبل النشز من الأرض أو رأس كل أكمة وجبل .

الكثيرة ، وتكسوها الخضرة ، ويغشيها النبات الغض الموفور ، عرضها نحو ستين كيلو متراً ، وليس لهذا النجد البهيج من العلو الا ٧٣٠ متراً عن مساواة البحر . وقوله ان عرضها ستون كيلومتراً فيه نظر ، ولعله يريد طولها ولا يمكن أن يكون طولها كذلك إلا إذا تجوزنا وأدخلنا فيها المرج .

ويستنتج من كتب الجغرافيا والتاريخ ودواوين الشعراء وأرباب الرحلات ومصطلح القوم لعهدنا أن الغوطة هي كل ما أحاط بدمشق من قرى شجراء ، وكان من الأرض المطمئنة التي تُروى من نهر بردى ، وما اشتق منه من الجداول والأنهار الصغيرة ، وعلى هذا فحدُّ الغوطة يبدأ غرباً من فُوَّهة وادي الربوة فالمزة فداريا وينتهي بالجنوب بصحنايا والأشرفية وسبينة وسبينات وحوش الريحانية . ومن الشرق بالريحان والشفونية وحوش مباركة وحوش الأشعري وحوش المتبن وحوش خرابو والفضالية والنشابية وبيت نايم ، وينتهي في الشمال بجبلي قاسيون وسنير ، وسنير هو جبل قلمون ، ويسمونه لهذا العهد أيضاً جبل الحلو ، وهو فرع من فروع لبنان الشرقي *Anti-Liban* ويشرف الجبل الأسود على الغوطة من الجنوب ، ومن الشرق أرض المرج ، وهو اقليم متسع تبلغ مساحته ثلاثة أضعاف الغوطة وهو أيضاً في نجد منخفض من الأرض ، وأشجاره قليلة ، وهو خاص بزراعة الحبوب في الشتاء والذرة في الصيف .

ويقدر طول الغوطة بنحو عشرين كيلو متراً وعرضها يختلف بين ١٠و١٥ كيلو متراً تقريباً . وقد تمت مساحتها في العهد الأخير فبلغت (٤٠٦٠٠) هكتار أي نحو خمسة وستين ألف فدان ، والفدان ستة دونمات وكسر ، والدونم مبذر مدّ من الحنطة ، والفدان ٥٧١٣ متراً مربعاً والدونم ٩١٩ متراً مربعاً . وتدخل مدينة دمشق في هذه المساحة .

بساتين الغوطة وقراها

يقول ابن شداد : إن الغوطة تشتمل على خمسة آلاف بستان وثلاثمائة وخمسة

وأربعين بستاناً وعلى خمسمائة وخمسين كرماً . وقال شيخ الربوة من أهل القرن الثامن إن بساتين دمشق مائة واحد وعشرون الف بستان تسقى بماء واحد . وقال كاتب چلبي من أهل القرن الحادي عشر في كتابه « جهانما » : ان في الغوطة مائة وثلاثين ألف بستان . وقال ابن إياس إنها بساتين كلها . وهذا الوصف الأخير أقرب الى الحقيقة ويصدق عليها في العهد الأخير خاصة ، وذلك بعد أن عرف الغوطيون فائدة الأشجار ، وأخذت ثمراتها تصدر الى القاصية والدانية من البلاد . وفي كل سنة تزيد بساتين دمشق مئات ، ولا يستبعد أن تبطل بعد نصف قرن معظم زراعة الحبوب من الغوطة ويستعاض عنها بالأشجار المثمرة وغير المثمرة .

حدّث أحد الشيوخ أنه كان في طفولته اذا وقف مع أهله أمام قبة سيدي أُبيّ ، على مقربة من سور البلد في الجنوب ، يرى قريتي جرمانا والمنيحة من بعيد ، وذلك لأن هذه الحدائق التي نراها اليوم تحجب النظر ان يسرح مئة متر ، كانت خالية من الشجر ، وقد غدت اليوم غابات غبياء ، وأدرك الجيل الذي قبلنا أن قريتي الحديثة وبالا كانتا كقرى المرج ، تزرعان الحبوب والخيار والقنب فقط وأشجارهما قليلة جداً وربما عدتا من المرج وهما اليوم من أكثر قرى الغوطة شجراً مختلفاً أنواعه .

ويقول الظاهري في زبدة كشف الممالك ، وهو من أهل القرن العاشر : وقيل إن في اقليم الغوطة ثلاثمائة قرية ونيفاً وبها مدن صغار وبلدان تشابه المدن . وقوله هذا دليل على أن الغوطة كانت عامرة جداً على عهد المماليك وأصابها الخراب زمن الترك العثمانيين ، ولا سيما في القرنين الأخيرين من حكمهم ، فخرب معظم قراها ، وانضمت أرضها الى القرى المجاورة ، وقلّ سكانها ، واضمحلّ عمرانها ، وما يشاهد من الدِّمن والتلال في أرجائها أصدق شاهد على ذلك ، وما كان السبب الأول في خرابها غير توالي الأوبئة والطواعين والزلازل والمجاعات وتتابع غارات البادية على المعمور ، واعتداءات جيش الدولة على المستضعفين . على أن قول الظاهري : انه

كان في الغوطة اكثر من ثلاثمائة قرية لا يخلو من مبالغة ولو ضممنا الى الغوطة المرجين ما بلغت قراها هذا المقدار .

وذكر ابن طولون الصالحي في القرن العاشر أن بالغوطة سبعين قرية وبعضها الآن دارس . وقرى الغوطة اليوم ثنتان وأربعون قرية ، وأهمها من حيث وفرة السكان (دومة) حاضرة الغوطة الشمالية و (داريا) حاضرة الغوطة الجنوبية . ويزيد سكان دومة على ثمانية عشر ألفاً وسكان داريا على اثنى عشر ألفاً ، وكل من قريتي (عربيل) و (جوبر) لايقل عن ثمانية آلاف ، وكل من (حرستا) (وكفرسوسية) و (المزّة) لا يقل عن ستة آلاف . أما سائر القرى فيختلف سكانها من بضع عشرات من الأنفس كالحديثة وبالا والافتريس الى بضع مئات ، ومنها ما يبلغ الألف والألفين أو الثلاثة أو الأربعة كحمورية وكفربطنا وجسرين والمنيحة (المليحة) وجرمانا وصحنايا وسقبا وزملكا .

وإليك أسماء قرى الغوطة بأجمعها : دومة ، داريا ، عربيل (عربين) جوبر ، حرستا ، كفرسوسية ، المزّة ، مسرابا ، مديرة ، بيت سوا ، المحمدية ، حمورية ، كفربطنا ، جسرين ، الافتريس ، حزّة ، زملكا ، عين ثرماء (عين ترما) ، القابون ، برزة ، الحديثة (حديثة الجرش) المنيحة (المليحة) بالا (القديمة والجديدة) زبدين ، البلاط ، الخيارة (خيارة نوفل) ، عقربا ، جرمانا ، دير بجدل ، قبر الست ، سبينة ، سبينات ، حوش الريحانية ، حجيرة ، بيت سحم ، ببيلا ، يلدا ، القدم ، الأشرفية صحنايا ، البويضة ، بلاس . واذا جمعت أيضاً هذه البساتين المحيطة بدمشق مثل بساتين الصالحية والربوة والمزّة وباب السريجة والقنوات والميدان والشاغور والعنابة تألف منها بضع قرى .

ومن القرى التي كانت على أبواب دمشق فدخلت فيها عندما توسعت الى ماوراء السور : الصالحية والعقيبة وميدان الحصا والصفوانية ، وتحرف اسم هذه اليوم فيقال لها الصوفانية ، ذكر ياقوت أن الصفوانية من نواحي دمشق خارج باب توماء من

أقليم حرلان ، وان توماء اسم قرية ، واليها ينسب باب توماء ، بالهمزة في آخرها ومنه اسم توماء لا توما . وذكر أيضاً قينية وقال إنها كانت مقابل الباب الصغير وقال (الحميريون) محلة بظاهر دمشق على القنوات وكانت على طريق كفرسوسية ومثلها اللؤلؤة محلة كانت خارج باب الجابية ، و (طَرْمَيس) من قرى دمشق و (الأوزاع) موضع مشهور بربضها سكنه في صدر الاسلام بقايا من قبائل شتى ، واليهم ينسب الامام الأوزاعي دفين بيروت . ومن القرى الداثرة في الغوطة المصيصة كانت شرقي بيت لهيا ، وعالية وعويلية عند القطائع ذكرهما ابن جبير في رحلته بالعين المعجمة (بالغين) وهما موضعان قرب مسجد الأقدام على ميلين من مدينة دمشق . وذكر ابن طولون الصالحي قرية (برنابا) وقال إنها خراب فوق سقبا . وقال ابن القلانسي في ذيل تاريخ دمشق إن أراضي (فذايا) و (حلفبلتا) و (الخامسين) مصاقبة للبلد وهذه الثلاث دثرت وكذلك « راوية » وكان بها قبر أم كلثوم وقبر مدرك بن زياد الفزاري الصحابي . وفذايا في جنوبي مقبرة اليهود . وقد وردت أسماء بعض قرى الغوطة في شعر حسان بن ثابت قبل الاسلام عندما مدح آل جفنة قال :

لمن الدار أقفرت بمعان — بين شاطي اليرْموك فالصمان
فالقرَيات من بلاسَ فدار — يا فسكاء فالقصور الدواني
فنقا (جاسم) فأودية (الصفَّـ — ـر) مغنى قبائل وهجان
ذاك مغنى لآل جفنة في الدهـ — ـر وحقاً تعاقب الأزمان
ثكلت أمهم وقد ثكلتهم — يوم حلوا بحارث الجولان

وبلاس وداريا من قرى الغوطة وسكاء بينها وبين دمشق كما يقول ياقوت أربعة أميال في الغوطة ، والصحيح أنها ليست منها وهي موجودة اليوم . وقد أضاف صاحب معجم البلدان الى الغوطة قرى ليست منها مثل دير أبان قال انها قرب قَرَحتا وهذه قرية معروفة تعد مرْجية ، ومثلها عذراء ، والنمرانية ناحية الوادي وذكر

حرلان وتلفيانا وسام والقوبنصة والقصرين ، عاداً لها من الغوطة وكل ذلك داثر لعهدنا . ومن قراها (جَدَيا) كانوا يسمونها على عهد ياقوت جدْيا ولا يعرف أين مكانها . ومن القرى ما كان صغيراً منذ قرون فعظم واتسع مثل جسرين كانت بلدة كبيرة فأصبحت اليوم متوسطة ، ومنها ما كان كبيراً فصغر مثل البويضة وزملكا وبلاس وعقربا .

وكان في بعض قرى الغوطة اسماء تبدأ بكفر والكفر القرية بالسريانية ، ولم يبق منها الآن سوى كفرسوسية وكفربطنا . وأسماء بعض القرى سريانية محضة مثل برزة — بيت الأرز . جرمانا — عظمي . جسرين — جسور . حجيرة — عُرج . حرجلة — جراد . حرستا — خشنة . حزّة — حُفر . داريا — دُور . زملكا — رواق الملك ومصيفه . سبينة — مبتاعون . سقبا — شيخ . شفونية — أرض للزرع . عربيل — غربال . قابون — عمود . كفربطنا — قرية الجنين . مديرة — طبقات البناء . مسرابا — مشرب . يلدا — ولد . ومن أسمائها ما هو من أصل عربي مثل المنيحة ، المحمدية ، القدم ، عين ترماء ، الحديثة ، الأشرفية ، البويصة ، الخيارة ، البلاط .

ومن قراها ما كان يبدأ بفندق أو قصر أو طيرة أو بيت ، مثل فندق بني عبد المطلب ، وفندق الراهب ، وقصر اللبان ، وقصر بيت لهيا ، وقصر بني عمر ، وقصر حجاج ظاهر باب الجابية . قال زين الأمناء ابن عباد : بدمشق عدة قرى يقال لكل واحدة منها طيرة بني فلان ، والنسبة اليها طيري . ومثل بيت الآبار كانت كورة من غوطة دمشق فيها عدة قرى في رواية ياقوت . وكانت هي وداعية والحارثية معروفة الى القرن التاسع . وذكر ياقوت أيضاً في الغوطة بيت أرانس وبيت البلاط وبيت سابا وبيت قوفا وبيت لهيا ، وتعدُّ زملكا من اقليم بيت لهيا . وكانت بيت لهيا في عهد القرماني من أهل القرن الحادي عشر خراباً ليس فيها دار ولا آثار ، وداعية كانت قرية بين حمورية وبيت سوا ؛ وكانت كفربطنا من اقليم داعية ، واليها ينسب نهر الداعياني .

وفي الغوطة اليوم أنهر تنسب لإحدى القرى ، دثرت القرية وبقي اسم نهرها ، مثل قناة دير بشر المارة بجوش بلاس ، تنسب الى بشر بن مروان الأموي ، ومثل قناة بيت أرانس ، وكان في بيت أرانس قبر مَرثد دثار بن الحصين من الصحابة والقناة تمر بأرض الشاغور ولا أثر لبيت أرانس ، ومنها نهر حُردان ، ونهر حردان نسبة لقرية كانت فوق قرية سقبا بقي اسم نهرها الى اليوم فقط ، هكذا يلفظونه · والحرلان كما وصفها علماء تقويم البلدان ناحية بالغوطة فيها عدة قرى وبها قوم من أشراف بني أمية ولعلها حردان بعينها ·

ويؤخذ من منشور صادر عن نور الدين محمود بن زنكي في سنة ٥٦٩ أن حي الميدان والشاغور والمزاز وقبر عاتكة والشويكة والقنوات وسوق صاروجا والعقيبة والعمارة وغيرها من الأحياء الخارجة عن السور كانت في القرن السادس مزارع ومصايف وحدائق ومتنزهات وهي اليوم من أحياء العاصمة · وروى ابن عساكر عن مضر بن العلاء أنه كان يعرف من زقاق فذايا الى قرية تعرف بواسط في الغوطة حوانيت ومنازل · وحكى عن شيوخه أنهم قالوا إن العمران يتصل بهذا حتى يصير سوق القمح في قرحتا (وقرحتا على ساعتين من دمشق) · وقال محمد بن أبي العلاء إنه كان على نهر يزيد رواشن مشرفة عليه ، وكان أكثرها ظاهر البلد منازل للقبائل وقرى متصلة وأسس متقاربة ، فخرب ذلك في الفتن والحروب والحصارات ، وتمادى عليها الخراب الى عهده · وذكر من منازلها القبلية فندق بني عبد المطلب عند سوق الدواب والراهب قبلي المصلى عن يسار المار قبلي المسجد الجديد بعد مسجد فلوس ومحلة السفليين عند المسجد الجديد والشمامسة عند المسجد القديم وعالية وعويلة قبلي مسجد القدم ، والقطائع يقال لها ريح حوران قبلي الشاغور وغير ذلك ، واما ما كان شمالي البلد فسطرا والفراديس والأوزاع والصدف ومقرا وشعبان وحرج الأشعريين وغير ذلك · ومن الغرب لؤلؤة الكبيرة ولؤلؤة الصغيرة وقينية وصنعاء والحميريين ومنازل بني رعين وغير ذلك سوى ما كان في شرقي البلد من

غربي الغوطة والمرج من القصور والدور والمنازل المعروفة والأماكن المذكورة مما عفا رسمه وبقي ذكره . قال وما من موضع يحفر فيه الا وجد فيه أثر العمارة من سائر نواحي البلد من قبليه وشرقيه وشآمه وغربيه ، والله يحرس ما بقي منها ويحميه بمنه ولطفه اه

ومن أماكنها الداثرة الدراجية وهو برج الدراجية على باب توما ، كان لعبد الرحمن ويقال لعبد الله بن دراج مولى معاوية بن أبي سفيان وكاتبه على الرسائل في خلافته . ومنها طرميس والسقي وسام وأرزونا قرية قرب عربيل ، وبيت الأبيات كانت محل طاحون الشنان ، وبيت الأبيات كما في تحقيقات السيد دوسو هي في الغرب تدخل فيها قرية النيرب ، وبيت الآبار قرب جرمانا ومنها بيت سابا . ومن قراها الداثرة يعقوبا قرية صغيرة كانت غربي حزة

بعض عاديات الغوطة وآثارها

أهم عاديات الغوطة أديارها وفي كتب الفتوح أن أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه صالح أهلها على خمس عشرة كنيسة كانت في دمشق فنزلوا له عن نصف كنيسة القديس يوحنا أي الجامع الأموي كان المسلمون أخذوا نصفه يوم دخلوا دمشق . وكان في الغوطة دير يونا « يوحنا » و « دير محمد » كان عمر بن عبد العزيز يراه أهلاً للخلافة ، واليه تنسب المحمديات فوق الأرزة ودير محمد كان عند المنيحة من اقيم بيت الآبار ، و « دير الحنابلة » كان بسفح قاسيون و « دير هند » كان في مقاطعة بيت الآبار و « دير بشر » كان عند حجيرة ينسب الى بشر بن مروان ، و « دير العالية » نزله مروان بن محمد . ومن الأديار الداثرة « دير حنينا » و « دير الماطرون » و « دير قبيس » و « دير سمعان » قال القرماني إنه كان في الغوطة و « دير خالد » ويعرف « بدير صليبا » و « دير زكي » . ومر بهذا الدير عبد الله بن طاهر من اعظم وزراء المأمون ومعه اخ له فشربا فيه وخرجا الى

مصر فمات أخوه بها ، وعاد عبد الله فنزل في ذلك الموضع فذكر أخاه فقال :

أيا سروتي بستان زكي سلمتما وغال ابن أمي نائب الحدثان
أيا سروتي بستان زكي سلمتما ومن لكما أن تسلما بضمان

ومن الأديار « دير البخت » على فرسخين من دمشق ويسمى « دير ميخائيل » كان عبد الملك بن مروان قد ارتبط عنده بختاً وهي جمال الترك فغلب اسم البخت عليها . ومن أديارها المشهورة « دير مران » في سفح جبل قاسيون المطل على دمشق من الغرب ، كان يشرف على مزارع الزعفران من أرض اللوان . وبقي هذا الدير عامراً الى القرن السابع للهجرة ، ولطالما قصده الخلفاء والأمراء والشعراء ، وقيلت فيه القصائد والمقطوعات . ولأبي الفرج عبد الواحد الببغا من شعراء اليتيمة قصيدة قالها فيه لما قصده للتنزه . قال إنه فتح مناظر ذلك البيت الى فضاء ادى اليه محاسن الغوطة ، وحباه بذخائر رياضها من المنظر الجناني ، والنسيم العطري ومما قال :

ويوم كأن الدهر سامحني به فصار اسمه ما بيننا هبة الدهر
جرت فيه أفراس الصبا بارتياحنا الى دير مران المعظم والعمر
بحيث هواء الغوطتين معطر النسيم بأنفاس الرياحين والزهر
فمن روضة بالحسن ترفد روضة ومن نهر بالفيض يجري الى نهر
وفي الهيكل المعمور منه انتزعتها وصحبي حلالاً بعد توفية المهر
ونزهت عن غير الدنانير قدرها فما زلت منها أشرب التبر بالتبر

وفي معجم ما استعجم : أن عقبة مُرّان مشرفة على غوطة دمشق تنبت شجراً باسقاً تتخذ منه القنا والرماح وهو المران . ولعل الدير سمي باسم هذه الشجرة . وكان في الغوطة (دير بولس) و (دير بطرس) او فطرس كانا في ظاهر دمشق في نواحي بني حنيفة ، لا يبعد احدهما عن الآخر كثيراً ، وإياهما عنى جرير بقوله :

لما تذكرت بالديرين أرّقني صوت الدجاج وقرع بالنواقيس

فقلت للركب اذ جد الرحيل بنا يا بعد يبرين من باب الفراديس

ويبرين موضع في الأحساء من جزيرة العرب ، وباب الفراديس هو الذي نطلق عليه اليوم باب العمارة احد ابواب دمشق .

قال ابن بطوطة وفي شرقي البلد (دمشق) قرية تعرف ببيت الاهية [1] (لهيا) وكانت فيها كنيسة وهي الآن مسجد جامع بديع مزين بفصوص الرخام الملونة المنظمة بأعجب نظام . ولم تبق لعهدنا قرية تبدأ باسم دير سوى « دير بجدل » وكانت هذه الأديار في الاسلام منازل المسافرين ، ومثوى المتنزهين والمرتاضين ، يقصدها الناس فيجدون فيها صدوراً رحبة ، ونُزُلاً طيباً ، وشراباً لذيذاً (راجع مسالك الأبصار لابن فضل الله العمري وكتاب الديارات للشابشتي ومعجم البلدان لياقوت) .

والغالب ان القرى التي يبدأ اولها بدير كانت اولاً ديراً فقط . ثم توفرت بجانبه الأرض المغروسة والمزروعة ، وكثر القائمون على حراثتها وزرعها ، فأصبح الدير على توالي الأيام قرية برأسها . كما كان الحال في كثير من المدن والقرى في بلاد الغرب خلال العصور الوسطى ، استحال الدير بلداً مع مرور الأيام .

ميزات الغوطة

اجمع من وصفوا الغوطة على توالي القرون انها شجراء ، وان فيها قرى كالمدن ، وان اهلها كأهل الحاضرة بعاداتهم وازيائهم . ولولا الغوطة ما كانت دمشق من اجمل مدن العالم ، ولولا دمشق ما كانت الغوطة إلا صحراء خالية تعيث البادية في ربوعها . وعيث البادية في المعمور من بلاد الشام قديم جداً على ما يظهر ، لنزول العرب بلاداً مجدبة من الجزيرة تقحط أكثر السنين فيضطر أهلها الى الانتجاع ، فلا يرون أمامهم غير بلاد حوران المتاخمة للغوطة ، وإذا لم يجدوا مراعي لمواشيهم في الجولان والجيدور والبثنية والصفا واللجاة يعرجون على الغوطة بالضرورة ، ولذلك أقام الرومان مخافر عظيمة على سيف البادية لا تزال الى اليوم بعض آثارها

(١) بيت الاهة كانت حاره في دمشق

مائلة ، وولوا عليها رجالاً من بني غسان من متنصرة العرب ليحموها من غارات اهل البادية ، فكان أمراء الغساسنة حماة الغوطة وما اليها من المعمور ، والوسطاء بين قومهم العرب وأصحاب البلاد من الرومان .

ولما جعل بنو أمية من دمشق عاصمة ملكهم العظيم ، كان للغوطة حظ جزيل من عنايتهم ، فنزلها رجال منهم وعمروا فيها القصور ، وأنشأوا المزارع ، وشقوا الجداول ، وعنوا باستثمارها واستنباتها . ولولاهم ما حازت الغوطة هذه الشهرة ، ولولاهم ما كانت دمشق على هذه العظمة ، وما دمشق كما قال العلامة لامنس إلا حسنة من حسنات بني أمية . نعم دمشق مدينة للأمويين لاختيارها عاصمة لهم ، وهم أحسنوا ولا جرم الاختيار ، فهي وغوطتها سواء .

ولابن أبي العجائز كتاب فيمن سكن الغوطة من بني أمية نقل عنه المؤرخون والجغرافيون . قال ابن قيس الرُقيات :

أجارك الله والخليفة بالغو طة داراً بها بنو الحكم

المانعو الجار أن يضام فما جار دعا فيهم بمهتضم

وقال ايضاً :

أقفرت منهم الفراديس فالغو طة ذات القرى وذات الظلال

قالوا لما قدم عمر بن الخطاب رضي الله عنه الشام رأى الغوطة ونظر إلى المدينة والقصور والبساتين فتلا قوله تعالى : (كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين ، كذلك وأورثناها قوماً آخرين) . ثم أنشد قول النابغة .

هما فتيا دهر يكر عليهما نهار وليل يلحقان التواليا

إذا ما هما مرا بحي بغبطة اناخا بهم حتى يلاقوا الدواهيا

قال ابن كثير هذا يقتضي بادئ الرأي أنه دخل دمشق وليس كذلك فانه لم يقل أحد انه دخلها .

ويروى ان امير المؤمنين المأمون العباسي اقسم يوماً وقد نظر إلى اشجار

الغوطة ونباتها انهـا خير مغنى على وجه الأرض وقال : عجبت لمن يسكن غيرها كيف ينعم مع هذا المنظر الأنيق الذي لم يخلق مثله ٠

روى ابن عساكر ان ملوك بني العباس لم يزالوا يخفون إلى دمشق طلباً للصحة وحسن المنظر منهم المأمون فانه اقام بها واجرى اليها قنـاة من نهر منين في سفح جبلها الى معسكره بدير مران وبنى القبة التي في اعلى الجبـل وصيرها مرقباً يوقد في اعلاها النار لكي ينظر إلى ما في عسكره ، فاذا جن عليه الليـل كان ضوؤها إلى ثنية العقاب وإلى جبل الثلج ٠

ومن اعظم ميزات الغوطة كون ارضها مقسمة بين اهلها تقسيماً طبيعياً في الجملة ، فلا ترى فيها زراعات كبيرة إلا نادراً ، وهذه مهما بلغ من سعتها تدار بمثـل العناية التي تدار بها الزراعات الصغيرة ٠ هكذا كانت في معظم ادوار التاريخ الاسلامي ، حتى ان سيف الدولة بن حمدان لمـا طمع ان يضم الغوطة إلى الاملاك السلطانية كاتب اهل دمشق ملكَ مصر فجاء في جيشه وطرد سيف الدولة عن الغوطة وعاصمتها ، وحُرم ابن حمدان ملك دمشق لأنه حاول ان يجعل من الغوطة مزرعة واحدة ملكاً له ٠ وكيف يرضى الغواطنة عن ذلك وهم يعتزون بها وينعمون ويسعدون ويقولون في امثالهم « شبر بإلية الخروف ولا ذراع بذنب الثور » ويقولون « قلّ بتغلّ » أي قليل من الأرض الجيـدة تحسن تعهدها أعود عليك من ارض واسعة بائرة ٠ ومن يملك في الغوطة فدانين أو ثلاثة فهو سعيد مرفه ، ومن مزاياها أن أهلها يجزئهم ما تنبته لهم أرضهم من المواد الاولية ، ولو كان عندهم الحديد والفحم الحجري لما احتاجوا الى شيء في صناعاتهم وزراعاتهم ٠ ومن مزاياها أنها لكثرة أنواع محاصيلها من شجرها وأرضها وبساتينها وحقولها اذا اصابتها آفة سماوية في بعض السنين تستعيض من الأصناف الباقية ما تعيش به سنتها ٠

سكان الغوطة ولسانهم وأديانهم

دخلت اللغة العربية كورة الغوطة قبل الاسلام بقرون ، لنزول بني غسـان

العرب فيها ولأن تجار العرب ما انقطعوا عن نزول هذه الديار منذ عرف التاريخ. ولما جاء خالد بن الوليد مدداً لجيش الشام من العراق عن طريق البادية غزا بني غسان في الغوطة بوم فِصحهم ، وركز العقاب راية الرسول عليه الصلاة والسلام في الثنية المطلة على الغوطة ، وهي هذا الجبل الهرمي البادي من الشمال للأنظار فسميت الثنية ثنية العقاب .

قال اليعقوبي إن أهل كورة الغوطة غسان وبطون من قيس وبها قوم من ربيعة ، وقال الهمداني في صفة جزيرة العرب : ومن كلب بارض الغوطة عامر ابن الحصين بن عُليم وابن رباب المعقلي . فبعض سكان الغوطة اذاً من أصول عربية ، واكثر من نزلها اول الفتح كانوا من العرب دع من كان فيها من الغساسنة وغيرهم قبل الاسلام . ولذلك كان سكان الغوطة يشتركون في معظم الاحداث التي تحدث في دمشق سياسية كانت أو غير سياسية ، على ما عرف في العرب من النجدة والاريحية ، ويصهر بعض الدمشقيين الى الغوطيين ، ويتزوج بعض الغوطيات من أهل دمشق .

اصبح سكان الغوطة على توالي القرون مسلمين من اهل السنة ، وليس بها لعهدنا سوى بضع مئات من المسيحيين في داريا وعربيل وصحنايا والأشرفية ، وفيها مئات من المسلمين الدروز في جرمانا وصحنايا والاشرفية ، وكان جميع أهل قرية جوبر يهوداً إلى ما بعد القرون الوسطى ، فانتقلوا الى دمشق في زمن لم نعرفه ، ولم يبق لهم فيها إلا كنيس مقدس عندهم يزورونه ويقيمون فيه صلواتهم . ويقول دوسو إنه في عهد الشفاليه دارفيو *Le chevalier d'Arvieux* من اهل القرن الثامن عشر كانت جوبر يسكنها اليهود . وقد استغرب ابن طولون الصالحي ان اهل جرمانا تيامنة ، قال : وهذا عجب من كونه في هذه الغوطة فان اهلها جميعهم من اهل السنة .

ليس للغوطة احصاء يركن اليه ولا يقل اهلها عن مئة الف انسان على اقل تقدير . وقد نموا في العهد الاخير نمواً هائلاً لقلة الأوبئة ، وانقطاع الحروب منذ زهاء خمس وعشرين سنة ، وما اظنها كانت قبل خمسين عاماً اكثر من عشرين الفاً ، وكان اهلها الى اواخر القرن الماضي يبتاعون العبيد ليعملوا معهم في الارض وذلك لقلة اليد العاملة في ذاك العهد .

ويقل جداً من هاجر إلى اميركا وغيرها من اهل الغوطة ، على نحو ما يكون من سكان الجبال المجاورة الذين غادروا مساقط رؤوسهم بالالوف . وندر من يرتحل عن أرضه من الغواطنة ، مهما ضاقت به سبل العيش ، اللهم إلا للتجارة موقتاً . وما عهد أن مات أحد جوعاً في الغوطة . ويروى أن عيسى بن مريم عليهما السلام قال وقد أشرف على الغوطة : ياغوطة إن عجز الغني أن يجمع منك كنزاً ، لم يعجز المسكين أن يشبع منك خبزاً .

قلت مرة في وصف الغوطة وأهلها : سلام على سكونك في الليالي الظلماء والقمراء ، ربيعاً كان أو صيفاً او خريفاً أو شتاء ، وهنيئاً لمن يستمتعون بالنظر إليك من الصباح الى المساء ، ويتعهدونك بالحرث والكرث والتنقية والزرع والارواء ، سواء عندهم حمارّة القيظ وصبارّة القر ، وظلمة الليل وشمس النهار ، سلام عليهم إنهم مثال النشاط في المزارعين ، لا يضنون على أرضهم باوقاتهم وأتعابهم ، وهي تجودهم ضروب الخيرات كما جودوا زراعتها ، وتزيدهم بركات على بركات كلما رعوها فأحسنوا رعايتها ، وهم مهما صهرت جسومهم حرارتها ، وصفرت سحناتهم رطوبتها ، بيض الوجوه شم الأنوف ، لأن رزقهم مناط أيديهم العاملة ، لا يعتمدون في تحصيل قوتهم على غير قوتهم ، ولا يتكلون على غير من ينزل الغيث وينمي الزرع ويدرّ الضرع . في هذا الريف العجيب تقرأ سور العدل الإلهي في تقسيم الأرزاق ، فلا فقر مدقع ، ولا غنى مفرط . بل هناك تتمثل اشتراكية الاسلام والفطرة ، يعيش القائمون على تعهده عيشاً متشابهاً ،

ويغتني افراد منهم بذكائهم واقتصادهم ، فلا ترى في فقرائهم سلاطة الجياع ارباب النهم ، ولا في اغنيائهم قسوة قلوب اهل الرفاهية والنعم ٠

ثمارها وزروعها

يجود في كورة الغوطـة معظم الثمار والحبوب والبقول التي تجود في الأقاليم المعتدلة ، ولا يجود فيها الليمون والبرتقال ، ولا النخيل والموز للجليد الذي يحدث فيها بعض ايام الشتاء ٠ فتنزل درجة الحرارة إلى خمس واحياناً إلى عشر درجات واكثر تحت الصفر ، وقد اشتهرت داريا بعنبها الزيني ويقل نظيره في انواع العنب الجيد ولطالما نقلت جفنات كرومها وزرعت في كروم بعيدة فما اتى عنبها كالعنب الذي يكون من كروم داريا واشتهرت به ، وعرفت دومة بعنبها الاحمر ، ويجود الزيتون على انواعه اجمالاً في القرى التي تكثر في ارضها الحصباء ، وليست ذات تربة طينية لزجة ، كبرزة والقابون وحرستا ودومة والمزة وكفرسوسية وبلدا وببيلا وحوش الريحانية وغيرها ٠

وفي الغوطة الوسطى يجود القنب ، ولا مثيل له فيما يزرع منه في بعض قرى حلب وغيرهـا ٠ يجود في أرض المحمدية وحمورية والافتريس وجسرين وسقبا وكفربطنا وزبدين والبلاط والحديثة والمنيحة وجرمانا وعقربا ، اي في القرى التي تسقى من نهري المنيحي والداعياني اللذين يحملان أوساخ دمشق ، كما أنه يجود في بعض الحدائق كأرض الشـاغور والبساتين الواقعة حفافي هذين النهرين ، ومحصول القنب في القرى التي تتوفر على زراعته يزيد على نصف محصولها السنوي من سائر أصناف الحبوب والثمار ، وزراعته صناعة عظيمة كالكرمة في داريا ودومة ٠ وتستأثر سقبا وحدها بأكثر من نصف المحصول تستخرج أعواده والياقه ٠

ولكل قرية او بضع قرى في الغوطـة خاصة لا يشاركها فيهـا سواها ٠ فقد اشتهرت بساتين الضاحية وقريتا كفرسوسية والقـابون بالبقول والخضراوات

لا يجاريها مجار في هذه السبيل من جميع القرى ، يساعدها على هذا التفرد كثرة المياه فيها وقربها من الحاضرة ، واشتهرت جسرين ببزر الفصة وبزر الخيار ، وعرفت حرستا وما اليها بالبيقية والاينسون والسمسم ، وعربيل بلوزها ، وزملكا بكمثراها ، ودومة ببطيخها الاصفر ، وبلدا وببيلا والقدم بقشدتها .

واكثر ما في الغوطة من الاشجار المغلة المشمش على أنواعه ، ويكاد يكون مشمش الغوطة منقطع النظير ويفوق بمائيته ونكهته مشمش كلفورنيا المشهور كما روى العارفون . واستخراج عصير المشمش ذي البزرة المرة المسمى بالكلابي — من الفارسية كل آبي ، ومعناه ماء الورد — فن عظيم يحسنه أهله المتمرنون عليه . أما المشمش البلدي والحموي وغيرهما من الأنواع ذي البزرة الحلوة فشيء لا تشبهه إلا فاكهة الجنة .

وهناك الجوز واللوز والتفاح والكمثرى «الانجاص» والخوخ والجانرك والآس والصبار والدراق والتوت الشامي والتين والسفرجل والزعرور وغيرها من الفواكه التي هي مضرب الأمثال بطعمها ونكهتها وحجمها ، وكان يكثر في الغوطة الزعفران والكراز والوشنة والكستانة (الشاهبلوط) والبندق والمشمولة والقراصيا والاجلجق (قزلجق) فبطل غرس الكستانة والبندق وقل القزلجق والوشنة والمشمولة وفقد الزعفران بالمرة كما نسيت زراعة القطن وزراعة التوت لتربية دود القز . وكان لدود القز في القرن العاشر محلات بين عدة أنهر قرب ضريح الشيخ رسلان تهرع الناس اليها في أيام حل جوز القز حتى يصير حريراً للفرجة عليه .

ومن أعظم موارد الغوطة الحور (الرومي والفارسي) والصفصاف ومن محاسنها الحيلان يشبه الصفصاف تصبغ في أوائل الربيع جميع أغصانه بالأحمر كقضبان المرجان ويلحق به شجر الأزادرخت (الزنزلخت) وله زهر طيب الرائحة ويزرعونه على جانبي الطرق العامة والجادات ، وكان يكثر فيها شجر السرو ولا تخلو دمشق وأرباضها من

أشجاره وكثرته إلى اليوم في أرض الصالحية ، وكان الى القرن الماضي وافراً في أرض الغوطة وما كان يخلو كل بيت في دمشق وغوطتها من شجرة أو شجرات منه. ومن الاشجار الحديثة فيها الاوكاليبتوس او الكينا والسنط (الاكاسيا) والمشمش الهندي وبعض أصناف صارت بالتفنن بالتطعيم مثل المشمش الحلو ، ومنها الكراز. ومن البقول البطاطا والبندورة. ويحاول بعض الغوطيين أن يربوا شجر الشوح وما أظنه يجود في اقليمنا ، كما يجود في رومانيا من بلاد حوض البحر الأسود ، ولكل كورة خصائصها الجوية والأرضية تعمل في النبات والحيوان.

أنهارها وريها

تبدلت معالم الغوطة كما قلنا غير مرة كأن الأرض الخصبة تحتاج أبداً إلى من يثيرها ويجددها ويسمدها ، فإذا كثرت فيها الصروح والقصور والمصانع المتينة تجمد أرضها وتضيع مزيتها ، لذلك كانت أرض الغوطة أبداً في تجدد ، ومعها تتجدد المرافق والمعالم والأوضاع. وليس في صحيفة هذا الوجود ما يثبت على الدهر ، ولم يتبدل في الغوطة ماؤها ولا هواؤها ولا تربتها. فالغوطة تسقى من سبعة أنهار أو جداول كبيرة مشتقة من نهر بردى ، ولكم أن تقولوا ان الغوطة هبة بردى كما أن مصر هبة النيل. وبردى هذا يشتق منه الداراني والمزي والقنوات وبانياس وثورا ونهر يزيد ، وهذا النهر حفره أمير المؤمنين يزيد ابن معاوية فنسب إليه ، وقيل حفره يزيد بن أبي سفيان عم يزيد بن معاوية. وما يدخل مدينة دمشق من هذه الأنهار يحمل قاذوراتها فتكون سماداً يوزع في ارضها كلما اراد الغوطي ارواءها. وهذا من جملة العوامل في خصب الغوطة وامراعها ، يضاف الى تربتها الغنية وجوّها المعتدل. وقد تحفر في بعض الاماكن اربعة او خمسة امتار ، ولا تصل إلى طبقة الحصباء والحجر ، لكثافة الطمي او المادة الصالحة للزرع.

هـذا أهم ما يسقي الغوطة من الأنهار ، ومن ارضها تنبع عدة قني تسقي مزارعها واراضيها وما وراءهـا من ارض المرج مثل عيون فاسريا تنبع من سفح الجبل شمالي دومة وتكون حارة ثم تبرد . وهذه العيون تسقي قرية عذراء في المرج ، وكذلك عيون قلايا في ارض المحمدية تسقي ما انخفض من الارضين هناك وربما كان اسم قلايا وفاسريا اسم القريتين اللتين يجريان إليهما . ومثل نهري الزابون والملك ينبعـان من بردى او من عين قريبة من مجراه ويسقيان بعض اراضي جسرين والمحمدية والافتريس ومثل نهري الشيلاني (الشيداني) والبيلاني (البالاني) يسقيان الحديثة وزبدين وبالا وهما مما ينبع من قرارة بردى ويتجمع من مصاصات المياه المجاورة . ومن القرى ما لا تصل إليه مياه بردى كبعض ارض داريا وارض صحنايا والأشرفية وحوش الريحانية وبلاس وسبينة وسبينات وحجيرة والبويضة وقبر الست وبرزة فانها كلها تسق من قنى خاصة بها ، أو من جدول قريب كبرزة تسق من نهر معربا أول جبل قلمون او سنير ، او من عيون هي في حقيقتهـا رشح من ماء بردى كعين حروش في أرض زبدين . ومياه هـذه العيون كمياه الأنهار منظمة بنظام دقيق بحيث تأخذ كل أرض حقها وتوزع على أرباب الحقوق توزيعاً عادلاً ، ولهم فيها مصطلحات يصعب على غير أهل القرى أن يتفهموها بسرعة . وليس في حقول الغوطة ما تعيش زراعاته الصيفية عذياً أي من المطر كزراعات الجبال . واكثر أهل الغوطة تمتعاً بالمياه أرباب البساتين المحيطة بالعاصمة ، يسقون عندما يريدون من مواصيهم ، وتكاليفهم من الجباية اقل من تكاليف أهل القرى .

يتبع



نظرة في الكلام المجازي

عندنا وعند الافرنج

مما هو ثابت بالحس والمشاهدة فلا يحتاج الى جدال وبرهان اننا في نهضتنا العلمية الحاضرة ينبغي لنا ان نضيف الى ما عندنا والى ما ورثناه عن سلفنا الصالح كنوز نفائس وفوائد تتمتع بها الامم الافرنجية في عصرهم الذهبي الحالي ، ولا غبن عليهم ولا عار علينا ان يعيرونا جانباً واسعاً من ذلك كما أعارهم اجدادنا قناطير مقنطرة خلال عصورهم الذهبية التي لا تقل عن سبعة او ثمانية قرون ابتداؤها بوجه التقريب في المئة الثالثة للهجرة . ومن ثم وجب علينا ان نعنى عناية خاصة بفن التعريب اي حسن النقل عن اللغات الاعجمية بحيث لا نضيع شيئاً من معاني الاصل المنقول عنه . ولا نشوه شيئاً من محاسن الفرع اي محاسن اللسان العربي المنقول اليه بل نحفظ له قوالبه المعهودة له ونصون طابعه الاجمالي في كل قطعة وكل بحث ولا ندخل عليه من مفردات ومركبات الاعاجم الا قدراً يسيراً يقارب ما عهدناه في لساننا ، اولا نراه بعيداً عنه في القياس فلا يتأذى صميم لغتنا ولا يتنكر وجه ادبنا بهذا القدر اليسير . وهذه شروط لا نجد الا فئة صغيرة من فحول كتابنا وادبائنا يلتفتون اليها ويعملون بمقتضاها . واما سائر حملة الاقلام بيننا فهم في هذه السبيل إما قاصرون ، وإما مقصرون ، وإما مقصِّرون عنه توانياً وكسلاً حتى دب دبيب الخلل والفساد الى الانشاء العربي الناصع من حيث نشعر ولا نشعر ، والى ناحية كبيرة من نواحي كرامتنا القومية وواجباتنا الوطنية . وهنا هنا موضع الخزي والخذلان ، والضرر والخطر .

وقد وضعت لهذا المطلب السامي الشأن كتاباً منذ بضع سنوات سميته « كتاب فن التعريب عن اللغة الفرنسوية » والاحكام والفروق التي تنطبق على لغة الفرنسيس

عند التعريب عنها ، يتناول اكثرها غيرها من لغات غربي اوربا كالايطالية والاسبانية والانكليزية والالمانية والرومانية ، فجميعها اخوات او بنات اعمام متحدرات من اصول لاتينية او يونانية قديمة . واما مقالي الحاضر فأريد ان التفت فيه لفتة خاصة الى الكلام المجازي عندنا وعند الافرنج ، فان نقل الكلام المجازي الاجنبي الى لساننا عقبة كؤود يجب ان تتضافر الاذهان والاقلام على تذليلها وتمهيد طريقها ، فاذا وفقنا لذلك واتفقت عليه كلمتنا زالت من امامنا اعظم مصاعب التعريب وعوائقه . والذي ذكرته من هذا القبيل في كتابي « فن التعريب » هو جل ما وصل اليه فهمي واجتهادي وانطبق على ذوقي ، ولعله لا يخلو من فائدة ومعونة ، ولكنه غير كاف لأنه لا يشتمل على حكم جامع مانع . فهذا الحكم الخطير ليس من الحق ان يصدره كاتب واحد ولا من الصواب ان يطالب به كاتب واحد ، وانما يتعاون عليه ويتشارك فيه جماعة من خدّام اللغة العربية والادب العربي . وها انا جئت افتح الباب في وجه هؤلاء الاخوان فعساهم بعد ذلك ان يدلوا ابناء الامة على غرف الدار ومسالكها ومستشرفاتها ومرافقها .

متى يجوز لنا ان ننقل الى لساننا الكلام المجازي الافرنجي حسب ظاهر لفظه واسلوبه ؟ ومتى يجب علينا ان نضرب صفحاً عن لفظه واسلوبه ونقتصر على تأدية معناه حسب قوالب لغتنا ؟

اما الذي اتبينه أنا من هذين الشقين فهو كما يأتي :

ان الكلام المجازي الافرنجي يحسن نقله الى العربية حسب ظاهر لفظه واسلوبه في هذه الحالة :

اذا كانت الصورة المجازية مسموعة شائعة في لساننا نحو : « عقدَ حديثاً اي *Lier une conversation* » — ضرب العدو معقلا . *Battre une place* اي اطلق عليه نيران المدافع . — « راية منصورة *Un drapeau victorieux* اي

اصحابها منصورون - « عقل ناضج *Un esprit mûr* » اي كامل بالتجارب — « صقل عبارة *Polir une expression* » اي هذبها — « صارع الشقاء *Lutter contre la misère* » اي قاومه — « ابناء الظلمات *les enfants des ténèbres* » اي ابناء الضلالة — « ثقل الصولجان *le poids du sceptre* اي مصاعب الملك — « ميناء النجاة *le port du salut* » اي المنجى — « عقل مخصب *Uu esprit fécond* » اي عقل متسع قادر ·

ويدخل في هذا السلك كل ما كان وارداً على طريق مجاز مشاع ، تشبيهاً كان او استعارة او كنايةً فهو غير محسوب من خصائص اللسان العربي ولا من خصائص اللغات الافرنجية كوصف بعض شعراء الافرنج الشعر المسدول بالتموج وتشبيههم الغدير الصافي بالمرآة ، ولحاظ الحسان بالاشعة · وكقول احد ادبائهم مشيراً الى مساوئ طور الشباب وقلة خيره : « ليس ما يدعونه ايام الصبى الا وميض برق في ليل عاصف » وكقوله في وصف معيشة قروي : « وكان بين امرأته واولاده كالشجرة الناضرة كللها ثمرها الناضج » وفي كرور الايام المستمر : « الزمان بحر دائم الجريان لا ساحل له والمرء فوقه يتخبط على غير هدى ولا يصيب مرفأ يرمي فيه » وفي ذكر امّ تتأمل صغيرها : « كانت تنظر بحنو الى طفلها وما هو الا وعاء ستملأه حادثات الليالي » وفي شقاء الرعية لرفاهية ملوكها : « لم ينسج ارجوان الملوك الاّ من دماء رجالهم » ·

ولكني لا استحسن مثلاً ان نقول في التعبير المجازي كما يقول الافرنج « دموع مرة » عوض « دموع حارة » ولا « احترام عميق » عوض « احترام عظيم » وغابات نائمة » عوض « غابات هادئة او ساكنة » ولا « جبهة هادئة متكبرة » عوض « عليها سمات الهدوء » ولا « مدّ اليه يداً مستحية « عوض » مد اليه يد الحياء · او — مد اليه يده بحياء · او · مدّ اليه يده مستحياً » ولا « طلب يد فلانة » اي خطبها الى اهلها » ولا « الزمان الذي يتبخر » اي الزمان المشرف على الزوال ·

فهل يمكن وضع حدود ورسوم لهذا المرفوض وذاك المقبول من المجاز الافرنجي • وكيفما افضى بنا البحث والاستقراء فلا شك انه يجب رفض الصورة المجازية الافرنجية اذا كانت من خصائص انشائهم وهي غير معهودة في انشائنا • واذا كانت عندهم دالة على اصطلاح خصوصي او عادة في معايشهم او فيها تلميح الى حديث او حادث في تاريخهم • ويكثر ذلك في الامثال والكلمات المأثورة القريبة من مجرى المثل • فلا بد لنا حينئذ من كشف المراد عنها وقد يتفق ان يكون لمؤداها صورة مجازية اخرى عندنا فنذكر المجاز العربي ونترك المجاز الافرنجي وان افضيا الى معنى واحد • فعوض ان نقول مثلاً « أَلقِ آخر ورقة لعب من يده » او « اطلق آخر خرطوشة من بندقيته » يجدر بنا ان نقول : « رمى بآخر سهم من كنانته » وعوض ان نقول « عمل ملفوفة بيضاء » يجب ان نقول : فاته غرضه اوخاب مسعاه او طاش سهمه او خبا زنده

ومن هذا الشق المرفوض استعمال بعض الأدوات عندهم لمعان وحالات لا تنطبق على ما يراد منها في لغتنا • فلفظة *Comme* ومعناها « مثل » تأتي عندهم بهذا المعنى وبمعنى « بما ان » وقد يستعملونها في مواضع نرى وجوب حذفها منها في العربية نحو قولهم *je le considérais comme innocent* وهذا تعريبها الصحيح : « كنت اعده • او • كنت اعتبره بريئاً » لا « مثل بريءٍ • او نظير بريءٍ » حسب النص الفرنسوي ،وترد *Comme* في الفرنسوية للتعجب نحو *Comme il est beau !* اي « ما اجمله » •

« *Rien qu' à* » : يرادفها في العربية « بمجرد » في مثال قولنا : « *Rien qu'à le voir, on le soupçonne* » اي : بمجرد النظر اليه تقع التهمة عليه « *une fois que..* » نحو: *Cela, doit être vrai une fois que vous mele dites* اي « بما انك قلت لي ذلك ينبغي ان يكون صحيحاً »

(*c'est*) : لا يجوز أن ننقلها بحرفها الى لغتنا فنقول « هذا » او «هذا هو » فهذه الأداة عندهم يستعملونها لاداء معنى الحصر والتوكيد . فيجب ان نقيم مقامها ما عرفناه من وسائل الحصر والتوكيد مثل استعمال « ما والا » او ما يرادفهما في النفي والاستثناء . او استعمال « انما » او تقديم اللفظ المراد حصره . او استعمال شيء من اللفظ المؤكد . فاذا قالوا مثلاً *C'est une bonne intention qui lui a dicté cette démarche* لا يجوز لنا ان ننقلها حرفيًا ونقول : « هذه هي نية صالحة املت عليه هذا المسعى » فهذا التركيب في منتهى الركاكة والخطإ بل يجب ان نقول « ما املى عليه هذا المسعى الا نيته الصالحة » او « انما دعاه الى مسعاه صفاء النية او حسن القصد » او « حسن القصد وحده دفعه الى مسعاه » او نحو ذلك

(*trop*) هذه الاداة عندهم تدل على تجاوز الحد في الأمر فاذا قالوا : « *Il est trop sage pour commettre cette faute* » فمن المضحك ان ننقل اللفظ بنصه الى لساننا ونقول : « انه عاقل كثيرا لارتكاب هذه الغلطة » بل ينبغي ان نقول « انه اعقل من ان يرتكب هذا الخطأ » .

ان الاداتين الفرنسويتين *si* و *autant* يرادفها في العربية « بهذا المقدار» ولكن في كثير من استعمالها نرى ترجمتها بهذا اللفظ سمجًا ركيكا . مثال ذلك قولهم :
« *Il est si (tant ou autant) vertueux qu'il aime ses ennemis* »
فلا تنقلها بحرفها الى العربية وتقل : انه بهذا المقدار فاضل حتى يحب اعداءه » بل قل : « قد بلغ من فضله — او فضيلته — انه يحب اعداءه » او « ان فضيلته تقضي عليه حتى بمحبة اعدائه » او نحو ذلك .

ومن هذا القبيل « *pour* » فلا يرادفها في العربية دائمًا لام التعليل او « لكي » او « لاجل » . بل ذلك غالب في استعمالها لا مطرد اذ تقع في بعض استعمالاتها الفرنسوية موقع « عوضًا عن » او « عن » بمعنى عوض . او « بدلاً من » . نحو :

« *embrassez pour moi vos enfants* » فلا تقل في تعريبها « قبل لأجلي أولادك » بل قل « قبل عني اولادك » او — عوضاً عني — او — بدلاً مني — او — نب عني بتقبيلهم · ثم ان هذه الاداة الفرنسوية نفسها *pour* يجب حذفها عند التعريب في بعض استعمالها · مثال ذلك : *je compte ces fatigues pous rien* فيجب تعريبها هكذا : « لا أعد هذه الاتعاب شيئاً » او — شيئاً مذكوراً — او : شيئاً يستحق الذكر

ولهم أفعال تخالف في بعض مواقعها عندهم ما عرفناه من مواقع مرادفاتها عندنا · اكتفي هنا على سبيل التمثيل بايراد اربعة منها « *faire avoir. venir. aller* »

« *faire* » هذا الفعل الذي يرادفه بالعربية في اكثر استعماله « فعلَ او عملَ اوصنعَ » قد يرد بالفرنسوية في تعابير لا يليق بنا عند تعريبها استعمال المرادف المذكور مثال ذلك ان يقال في الفرنسوية « *il a fait des efforts* » فلا تنقله حرفياً وتقل « عمل مجهودات » بل قل « بذل جهداً » · وان يقال *il a fait ses devoirs* فلا تقل في تعريبه « عمل واجباته » بل « قضى واجباته — او — اداها — او — قام بها — او قام بما عليه · الخ »

ويقولون « *il a fait malade* » ونحن نقول : « اظهر المرض — او ادّعاه — او تمارض »

« *avoir* » هو فعل الحصول عند الفرنسويين فاذا ألحق به حرف الجرّ الى هكذا : « *avoir à* » وبعد حرف الجر فعل آخر وجب ان يحل محله في العربية الفصحى اللام او على ملحقتين بالضمير او الاسم الظاهر الذي يريده المتكلم · وربما اقتضى اتساق الانشاء العربي ان يتقدم على ذلك فعل كان او وجب او ترتب نحو « *vous aurez à faire un long trajet* » وتعريبه هكذا : « سيكون عليك — او سيترتب عليك او سيجب عليك — قطع مسافة طويلة · ونحو : *Vous* »

« n,aurez qu à lui attirer son attention » وهذا تعريبه : « ليس لك الا ان توجه انتباهه — او ان تنبهه » ·

« aller; venir » يستعمل فعل المجيء في الفرنسوية احيـاناً للدلالة على الماضي القريب · وفعل الذهاب للدلالة على المستقبل القريب · فاذا قالوا : يجيء من فعل كذا : « il vient de faire » ارادوا انه فعله منــذ هنيهة · واذا قالوا « يذهب لفعل كذا » il va faire telle chose ارادوا انه سيفعله عما قريب · او انه على اهبة القيام به · كما اشتهر انهم يستعملون فعل الذهاب للسؤالــــ عن الاحوال فيقولون : « كيف انت ذاهب » اي كيف احوالك · ويقولون « كيف ذاهبــة الأشغال » اي كيف هي ·

وكثيراً ما يستعملون صيغة الحاضر في تصريف الافعال عوض صيغة الماضي عند تخبيرهم بالحوادث لأنهم يرون هذا الاستعمال ادعي الى حسن تصوير الأمر للقارئ وترسيخه في ذهنه · مثال ذلك قولهم : « L'orateur se lève , attire l'attention et captive les esprits » اي « ينهض الخطيب فيسترعي انتباه القوم ويختلب عقولهم » يأتون بمثل هذا التعبير والحكاية فيه عن امر واقع · واما الكاتب العربي فلا يجوز له الا مراعاة زمن الحادث مستعملاً صيغة الماضي بحيث يقولـــ : « نهض الخطيب فاسترعى انتباه القوم واختلب عقولهم ·

ومما يجدر بنا ذكره مناسبةً لما نحن فيه ان البلاغة العربية يدخل في ابوابهـا وطرق انشائها عكس ما ذكرناه هنــا من مصطلحات الانشاء الفرنسوي · فالبليغ العربي لا يعرف اقامة المضارع مقام الماضي ولكنه يعرف اقامة الماضي مقام المضارع حين يريد الاشارة الى ان وقوعه امر محتوم لا ريب فيه · وشاهد ذلك ما جاء في القرآن الكريم عند ذكر ساعة الدينونة : « وفتحت السماء فكانت ابواباً »والمراد : « وستفتح السماء فتكون ابواباً » وانما اختار صيغة الماضي لاشعار السامع ان ذلك الحادث المستقبل منتظر لا مجال للشك فيه كما لا يشك في امر وقع واتصل بنا خبر

وقوعه · وهذا الاستعمال عندنا داخل في باب مخالفة مقتضى الظاهر من فن المعاني · وهو نهج معروف في العربية العامية ايضاً · مثال ذلك ان جاركم يقول لك « ان ولدي من تلاميذ الصف الاول في مدرسته وعلاماته في الدروس وحسن السلوك من اول السنة الى اليوم احسن من علامات رفاقه كلهم وهو هذه الأيام قد ضاعف انتباهه واجتهاده ومراجعاته استعداداً لامتحان آخر السنة » فتجيبه « اذن ابنك نجح واخذ جائزة الشرف الاولى من مدرسته » وانت تريد ان تقول له « ان ابنك سينجح وسيأخذ جائزة الشرف الأولى من مدرسته » · لأنه في ساعة تحادثك انت وجارك لم يكن امتحان آخر السنة قد حان ووزعت جوائزه على مستحقيها ·

ومما يجب علينا الانتباه اليه وحسن تدبره كيفية نقل المجاز الافرنجي في طريق الاساطير الخرافية المأخوذة عن قدماء اليونان والرومان ولا سيما عند ذكر الارباب الوثنيين ورباتهم وانصاف آلهتهم وابطالهم ولكل منها دلالة على اعلى قمة من الصفات المختلفة كالحكمة وقوة البأس والدهاء والذكاء والجمال والغرام والحقد والانتقام وغير ذلك ·

واما الخصائص في بعض المفردات والمركبات فهي عندهم كثيرة جداً يخطئها العد والاحصاء ولكن لا بد لنا من ايراد اليسير منها على سبيل التمثيل ووجوب الانتباه اليها واتخاذ الحيطة لها :

Il a mis deux heures معناه الأصلي : وضع ساعتين · والفصيح أن يقال : قضى ساعتين · او استغرق ساعتين

Etude معناه الأصلي درْس · ويأتي بمعنى بحث · مبحث مباحثة ·

Etudier une question : الفرنسي يقول : درس فلان المسألة · والعربي يقول : فحصها وتفحصها نظر فيها او امعن فيها نظره او انعم نظره دقق فيها واعمل فيها فكره

sang froid معناه حرفياً : دم بارد · ويجب تعريبه بقولنا رباطة

الجأش اوثبات القلب او ثبات الجنان · او حضور الذهن

معناه حرفياً : انقذ الظواهر اوخلصها : و ترجمته *Il a sauvé les apparences*
دارى ظاهر الأمر او رعى حق الظواهر · او صان حرمتها

Créer
خلق · وكثيراً ما يجب تعريبه بفعل اختلق او ابتكر او ابتدع او انشأ

Il était étroitem ent compromis
ترجمته الفصيحة ، كانت التهمة موجهة اليه كل التوجيه او اشدالتوجيه · أو كانت الشبهة العظمى واقعة عليه

Il décrit avec bonheur
يحسن الوصف · يصف بدقة · او مهارة او لباقة · انه موفق في دقة وصفه كذا

Cette influence explique son indécision
الترجمة الحرفية
ذلك التأثير كان سبباً لتردده · نشأ او نجم تردده عن ذلك التأثير

وهذا القدر اراه الآن كافياً لأجل فتح الباب لغيري والتطلع الى ما وراءه من زوايا وخبايا

اللاذقية **ادوار مرقص**

مخطوطات ومطبوعات

الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب

من جملة مخطوطات المكتبة الأحمدية بحلب (الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب) للعلامة ابن خطيب الناصرية في مجلدين ضخمين الثاني منهما مخروم الآخر. كان هذا الكتاب معاراً من مدة طويلة ومنذ نحو ثمان سنين استحصل على الجزء الاول ومنذ شهرين استحصل على الثاني ، ولما وصل هذا الى دائرة الاوقاف ارسلته إليّ لارتبه لأنه قد اختلط بعضه ببعض ولا ارقام على صفحاته ، فرتبته ووضعت له أرقاماً وحصرت نقصه من نصفه الى الآخر فبلغ عشر ورقات ، وقد أحببت ان اكتب كلمة عن هذا السفر النفيس معرفاً به لعل ذلك يؤدي الى اخراجه الى عالم المطبوعات لتعم الفائدة منه .

هذا التاريخ كما قال مؤلفه القاضي علاء الدين علي بن خطيب الناصرية في خطبته هو ذيل على تاريخ الكمال عمر بن أحمد ابن العديم المسمى (بغية الطلب في تاريخ حلب) الذي تكلمت عليه وعلى الاجزاء الموجودة منه في مكاتب العالم وعلى ترجمة صاحبه في مجلة الجامعة الاسلامية الحلبية في تسعة اعداد وذلك من عهد قريب .

وتاريخ الكمال ابن العديم ينتهي الى سنة ٦٥٨ الى السنة التي استولى فيها هولاكو على حلب وخربها ، فجاء ابن الخطيب فذيله من سنة ٦٥٨ الى سنة وفاته التي كانت سنة ٨٤٣ قال :

احببت أن اذيل عليه ذيلاً مختصراً وقبل الخوض في ذكر الاسماء اصدره بفصول:

الفصل الأول في حلب وأسمائها ومن بناها والقابها

« الثاني في ذكر حدودها وأعمالها

الفصل الثالث في عظم فضلها وخصائصها

〃 الرابع في فتحها

〃 الخامس في نهرها وقناتها ومساجدها ومعابدها

وقد ذكر ذلك الصاحب كمال الدين عمر بن العديم في ذيله مستوفى ، الا ان تاريخه تفرق شذر مذر ولا يوجد الا القليل منه ، وكنت وقفت على بعض اجزاء منه من المبيضة قبل الفتنة التيمرية ثم أذكر منها أو من بلادها ومن اجتاز بها من الرواة والعلماء والفضلاء والرؤساء ، ومن كان بها من الصالحين والعباد ومن نزلها او اجتاز بها او بمعاملاتها من أهل الشعر والانشاء ومن دخلها أو ملكها من السلاطين او وليها من الامراء والنواب والقضاة ومن وفد اليها والى معاملاتها من فضلاء غيرها من البلاد ، ومن كان له بها مباشرة من الأعيان أو وقعة اشتهرت عنه فعدته من الفرسان ممن كانت وفاته من سنة ثمان وخمسين وستمائة ، وهي السنة التي اخذ بها هولاكو حلب وخربها ، ثم انشئت عمارتها من ذلك الحين وهلم جرا الى زمني ، ورتبتهم على حروف المعجم في الاسم واسم الأب والجد وان علا مهما أمكن وكذلك في حروف الاسم واسم الأب وان علا ليكون اسهل للكشف ، ولم ادع الاستيعاب بل ما وقفت عليه او علمت او غلب على ظني انه دخل حلب او معاملتها او كان من اهلها او ولد بها ، وكذلك النوازل والنوادر اذكرها في ترجمة من توفى في السنة التي اتفقت فيها .

والمؤلف قد وفى ما التزم به كما تبين لي ذلك من تتبعه ، فعلى هذا لا يكون هذا التاريخ خاصاً بحلب بل هو تاريخ عام للبلاد السورية والمصرية والعراقية والحجازية والمغربية والرومية ، فتجد فيه من تراجم اعيان هذه البلاد كلها ممن توفي سنة ٦٥٨ الى سنة ٨٤٣ التي هي سنة وفاته ما لا تجده في غيره ، وترى فيه تراجم السلاطين والامراء الذين تولوا البلاد المصرية والسورية بصورة مبسوطة بحيث يصلح ان يجمع منها كتاب واسع في اخبار هؤلاء في هذه المدة وتنقلاتهم في هذه

البلاد من امارة صغيرة في مصر إلى نيابة حماة فحمص فطرابلس فحلب فدمشق الى أمارة كبيرة في مصر ، فهو على هذا تاريخ لهذه البلاد كلها ، وهو مشحون بآثارهم في هذه البلاد ، وبالمقارنة مع التاريخين الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة للحافظ ابن حجر المطبوع في الهند والضوء اللامع في أعيان القرن التاسع للحافظ السخاوي المطبوع في مصر تبين لي أن الكثير من التراجم جاءت فيهما وجيزة وهنا مطولة ، كما أنه في بعض الاحيان نرى بعض التراجم مطولة في ذينك التاريخين ، وهي عند ابن الخطيب مختصرة فلا يستغنى اذا بهذين التاريخين عن هذا .

وقد تكلمت على هذا التاريخ في مقدمة تاريخي (اعلام النبلاء (ص ٢١) ، ومما قلته نقلاً عن الرضي الحنبلي مؤلف در الحبب في تاريخ حلب انه لما وصل الى حلب حافظ العصر الشهاب ابن حجر العسقلاني المصري سنة ست وثلاثين وثمانمائة طالع هذا التاريخ من المبيضة ثم من المسودة والحق فيه أشياء كثيرة كما تعرض لهذا في ديباجة تاريخه المشهور بانباء الغمر بابناء العمر واثنى على صاحبه وأفاد أن كلاً منهما سمع من صاحبه .

ما وقفت عليه من نسخ هذا التاريخ

(١) نسخة حلب في المكتبة الأحمدية

(٢) 〃 في برلين رقمها ٩٧٩١

(٣) 〃 في مدينة غوطا ٩٧٩٢

(٤) 〃 في لوندرة ٤٣٦

(٥) الجزء الثالث منه في مكتبة الأمة بباريس رقمها ٢١٣٩ هذا الجزء من نسخة في أربعة أجزاء ابتديء فيه بترجمة عبد الكريم بن أحمد المصري واختتم بترجمة محمد بن تمام الحميدي وهو في ١٥٠ ورقة .

(٦) نسخة في مكتبة لاله لي في استانبول في مجلدين رقمها ٢٠٣٦ و٢٠٣٧

(٧) نسخة في مكتبة خالص بك مستشار الخاصة في الآستانة وهي مكتبة خصوصية ·

هذا ما وقفت عليه من نسخ هذا التاريخ في مكاتب العالم ·

ومنذ سنتين زار حلب المستشرق الفاضل رايخ فاخبر أن العلامة المستشرق بروكلمن الالماني مؤلف آداب اللغة العربية وقف على ٢٢ نسخة من هذا التاريخ · واستبعد ان تكون هـذه الثنتان والعشرون نسخة هي الدر المنتخب لابن خطيب الناصرية ، ويغلب على ظني أن بعض هذه النسخ هي الدر المنتخب الصغير المنسوب لابن الشحنة وهو على التحقيق للشيخ محمد بن أحمد الشهير بالملا الحلبي وقد تخلله زيادات من الشيخ إلى اليمن البتروني · وهذا طبع في المطبعة اليسوعية في بيروت سنة ١٩٠٩ ، والفرق بينهما أن ذاك في مجلدين ضخمين وبعض النسخ في أربعة أجزاء ، وهذا في جزء صغير تكلم فيه على حلب خاصة في ٢٥ باباً ·

ونحن ندع تحقيق هذه الناحية الى العلامة بروكلمن المومأ اليه ·

والجزءان الموجودان في مكتبة الأحمدية الأول منهما تام وهو ٦٧١ صفحة بخط مقروء ، لكن فيه تحريف كثير ، وذلك يفيد أن الناسخ من العوام وكل صفحة ٢٥ سطراً ولا تاريخ في آخره ·

والثاني أحسن خطاً وضبطاً ؛ لكن فيه النقص الذي قدمناه وبعض أسطر من بعض الصفحات ممحوة وهو في ٤٦٠ صفحة كل صفحة ٢٩ سطراً ولا تاريخ في آخره بل سقط من آخره ثلاث أو اربع اوراق ، وذلك عدا عما سقط منه قبل ذلك بما يكمل عشر اوراق ، وهو أقدم خطاً من ذلك وحاله يدل انه قد كتب في القرن العاشر الهجري ·

محمد راغب الطباخ

شرح الشمقمقية

للسيد عبد الله كنون الحسني (صفحة ١٢١)

مطبعة مصطفى محمد بمصر

والشمقمقية هذه اسم ارجوزة قافية لابي العباس احمد بن محمد بن الوزان الحميري ، وعدة اياتها ٢٧٥ بيتاً في النسيب والحماسة ، والحسود والحكم والامثال ومدح الشعر والسلطان ، وقد اعجب بهذه الارجوزة ادباء المغرب كثيراً فعارضها ابو عمرو الرباطي من ادباء القرن الثالث عشر ، وشرحها كثيرون منهم ابو عبدالله الجريري وصاحب الاستقصاء ، وهذا الشرح المطبوع بمصر ، وكانت هذه الارجوزة قد طبعت على الحجر ضمن مجموعة من المتون العلمية في مدينة فاس ١٣١٥ ه .

والشمقمقية نسبة الى ابي الشمقمق الاصغر الذي لقب به ناظم هذه الارجوزة ، اما الاكبر فهو ذلك الشاعر الكوفي الماجن الذي نقرأ اخباره الظريفة في الاغاني والكامل والعقد الفريد ، وكان ناظم الشمقمقية نديماً لسلطان المغرب سيدي محمد بن عبد الله فكناه بابي الشمقمق لظرفه ومُلحه . ومطلع هذه الارجوزة :

مهلاً على رسلك حادي الاينقِ ولا تكلفها بما لم تطقِ

ويقول في خاتمتها :

اليكها ارجوزة حُسانة لمثلها ذو ادب لم يسبقِ
ما لجرير وجميل مثلها في غزل وفي نسيب مونقِ
فلو رآها الاصمعي خطها كي يستفيد بسواد الحدقِ

وقد سما الناظم في بعض ابيات ارجوزته الى درجة المطبوعين ، وأسفَّ احياناً الى دركة المتكلفين ، واكثر فيها من الغريب في وصف البيد والقفار والحيوان والاطيار والأشجار ، كما اكثر من اسماء الاعلام والوقائع التاريخية محتذياً في ارجوزته حذو ابن دريد في مقصورته ، وقد اوضح الشارح لغة الارجوزة واخبارها ايضاحاً كافياً صحيحاً ، ولولا ما فيها من اغلاط الطبع والسهو لكملت فائدتها ، والضبط في مطابع الشرق ما زال معوزاً .

التنوخي

الادباء العشر

للاستاذين اسعد طلس وابراهيم الكيلاني

من منشورات المكتبة العمومية بدمشق ، صفحاته ٤٩٦

يسأل طالب الشهادة التجهيزية (البكالورية) في خاتمة كل سنة مدرسية عن عشرة ادباء تختارهم لدراسته وزارة المعارف ؛ وهؤلاء العشرة عرضة للتبديل من سنة الى اخرى ، وقد اعتاد مدرسو الأدب في التجهيزيات ، ان يساعدوا طلابهم تأليف رسائل عن كل من هؤلاء العشرة ، كما فعل الاستاذان السيد خليل مردم بك والسيد سليم الجندي من اعضاء المجمع العلمي ، فقد وضع الأول رسائله (ائمة الادب) في الفرزدق والجاحظ وابن المقفع وابن العميد وابن عباد ، وانشأ الثاني رسائله في امرئ القيس وابن المقفع والامام علي ·

وغير هذين المؤلفين قد نحا منحى آخر بتأليف كتاب يجمع الادباء العشرة كما فعل الاستاذ ممدوح حقي في كتابه (ادباء البكلوريا) والاستاذ خلدون الكناني والاستاذ حنا نمر في كتابيهما والاستاذان اسعد طلس وابراهيم الكيلاني في (الادباء العشر) الذي كتبنا عنه هذه الكلمة ؛ غير ان مثل هذا المنحى لا يتسع لاتمام البحث عن العشرة ، ويضطر معه المؤلف الى جمع المتفرق او الايجاز المخل احياناً ، فيجيء كتابه بعيداً عن البحث الذاتي المستقل ، مما لا يكشف حقيقة او ينير غامضاً ، ولا يهتدي به الطالب الى مواقع الحسن او القبح من التعبير ، والى مواطن الصحة او الخطأ من التفكير ، فلا يتبين لذلك حقيقة الشاعر او الناثر لتلك الأحكام التي تنطبق على كثير من الادباء ولا تريه منه الا صورة مبهمة سريعة الانطماس والدثور ، لا حياة فيها ولا نور ·

وقد حاول المؤلفان لكتاب (الادباء العشر) ان يفيدا في هذه السنة طلاب الشهادة التجهيزية ، وان يبحثا في زمن قصير عن العشرة الادباء ، فكانا يكتبان الابحاث ليلاً ، ويقدمانها للمطبعة نهاراً ليتمكنا من انجاز كتابهما قبل انتهاء السنة

المدرسية ، فوقع فيه لهذه العجلة الاضطرارية اغلاط في النصوص وفي العروض والرسم، وبعض آراء لم ينضجها البحث المحتاج الى اطالة النظر ، وكثرة التوقف ومراجعة المظان وتمحيصها .

وقد اغفل المؤلفان بهذه العجلة ان يحللا لكل اديب قطعة من شعره او نثره ليقع الطالب على مواطن الحسن او القبح كما ذكرناه آنفاً ، وليتدرب على طريقة التحليل العلمي ، ولعلهما قد تركا هذا العمل الخطير للأستاذ المدرس ، وما كل مدرس بقادر على ان يوفي ذلك حقه .

ومن العجلة احتجاج المؤلفين لصحة اسم الكتاب (الادباء العشر) لا العشرة ، بقولهما في آخر صفحة منه ما نصه : (ولا بد لنا في الختام من ارشاد الذين انتقدوا عنوان كتابنا الى مراجعة بحث العدد في حاشية ابن عقيل على شرح ألفية ابن مالك ، وكتاب أوضح المسالك للشيخ المراغي فان فيهما نصاً عزيز النقل فليحفظوه!) مع ان ابن عقيل لا حاشية له ، فهو شارح الالفية ، والمحشي هو الخضري ، وكتاب اوضح المسالك أو التوضيح هو لابن هشام ، والمراغي قد نشره نشرةً جديدةً باسم تهذيب التوضيح ؛ هذا وان ما نقله الامام النووي في حاشية الخضري عن شرح الكافية للسيد الصفوي في تجويز تذكير العدد وتأنيثه بعد المعدود موضع نظر ، لان الناقل والمنقول عنه ليسا من أئمة النحو ، وما ورد من الكلام الذي يصح الاستشهاد به لا يقبل مثل هذا التجويز .

أما تراجم الكتاب لادبائه العشرة فكافية للطالب، ومخففة من عناء بحثه عن اخبارهم واخلاقهم مما يعينه على فهم آثارهم الادبية ، وفي خاتمة كل بحث بيان مفيد للمصادر التي تعين الدارس على التتبع والاستقصاء ، فعسى ان يتلافى المؤلفان هذه النواقص في الطبعة الثانية .

التنوخي

باكورة في تعاليم ابن تيمية الاجتماعية والسياسية

تأليف السيد هنري لاوست

H. Laoust: Essai sur les doctrines sociales et politiques de Taki-d-din Ahmad B. Taimya, Le Caire. 1939

نفذ مؤلف هذا الكتاب الى روح شيخ الاسلام ابن تيمية ، وغاص كما يغوص العالم الذي لامأرب له غير خدمة الحقائق في كتب هذا الامام ، وهي كثيرة جداً واكثرها مما لم تسط عليه غير الدهور ، فاستخرج لآلئ بديعة في منازع ابن تيمية في الاجتماع والسياسة تمثلها وكتبها باسلوب عال باللغة الفرنسية ، ومعلوم أن تقي الدين كان يجمع الى العلم الديني السياسة ، ويعرف زمنه كما يقال في وصف العارفين ، يعرفه معرفة اعظم رجال الدولة ، فدرس آرائه ومذهبه في الحقيقة درس لماحوت الشريعة الاسلامية في أجمل صورها واصدق مصادرها ٠

ان الكلام على ما خاض المؤلف عبابه يحتاج إلى بحث طويل ، ومن امتع ما قرأنا فيه تلطفه في التعليق على آراء شيخ الاسلام تعليقاً مهماً خالف رأي المؤلف ، فهو لا يخرج عن حدود أرقى المؤلفين في تأليفهم ٠

ولو كتب لكل من يكتب اطروحته أن يمعن في درسها كما امعن الاستاذ لاوست في بحث ابن تيمية خلفوا لنا مجموعة من الابحاث يعتمد عليها في الموضوعات التي عالجوها ، ولكن غاية معظم من كتبوا اطروحاتهم من ابنائنا كانوا يقصدون بها خدمة انفسهم بنيل شهادة العالمية لا خدمة العلم كما وقع لصديقنا لاوست ، وانا لنشكر المؤلف على هذه التحفة الثمينة ونرجو ان يطرد صدور تآليفه على هذا المنهاج خدمة لعلم لا تكاد تعرف اكثر حقائقه في بلاد الغرب وبنشره بهذا الاسلوب الممتع قطع لألسن من يهرفون عن الإسلام بما لا يعرفون ، ولا غضاضة عليهم في ذلك وما القصور

الا منا نحن ورثة هذا التراث العظيم ، وباهمالنا وتركنا المجال خالياً لمن يقولون فينا وفي تعاليمنا ما يقولون ، وقد نعترض على من يتوفر على الدرس فيخرج ما يهديه إليه بحثه للناس ، وليس لنا من برهان الا ما يعرض لخاطرنا بادئ بدء من رأي فطير غير نضيج .

محمد كرد علي



المجلد السادس عشر ١٨٦، ١٨٥ الجزء الخامس والسادس

مجلة المجمع العلمي العربي

أنشئت سنة ١٣٣٩ هـ الموافقة لسنة ١٩٢١ م

تنشر في دمشق مرة في الشهر

أيار و حزيران سنة ١٩٤١ م
جمادى الأولى و جمادى الآخرة سنة ١٣٦٠ هـ

دمشق

المجمع العلمي العربي

قيمة الاشتراك السنوي الدفع مقدماً { في سورية ولبنان ٣٠٠ قرش سوري / وفي جميع الأقطار ٤٠٠ 〃 〃

مطبعة الترقي بدمشق


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

المطبوعات العربية

البدء بالطبع وعبث الطابعين

سبقت مصر سائر الأقطار العربية في الأخذ بأسباب الحياة العلمية ومنها طبع الكتب . ولئن بدأت الاستانة بطبع الحروف (١١٣٩ ه) بعد أن طبعت الكتب العربية في الغرب بزمن طويل ، إن الطبع بالحروف لم يعهد في مصر الا في سنة ١٢١٢ ه (١٧٩٧ م) وكان على ضعف حتى سنة ١٨٢٢ م وهي السنة التي أسست فيها مطبعة بولاق الأميرية وطبعت الأمهات القديمة وكتب العلوم الحديثة .

وأنشئت في بيروت مطبعة المرسلين الاميركان البرنستانت سنة ١٨٣٤ م ثم مطبعة المرسلين اليسوعيين الكاثوليك في سنة ١٨٤٨ م ، وفي نحو ذلك الزمن دخلت الطباعة بالحروف الى تونس ، وانشأت الحكومات مطابع لها في بعض أنحاء الشرق . وما بدأ الأفراد بتأسيس المطابع في أرض الشرق العربي الا بعد انقضاء زمن على المطابع الحكومية ، وكانت عنايتهم بما يطبعون دون عناية الحكومات ، ذلك لأن القائمين بأمرها توخوا الربح قبل كل شيء ، وتوهموا الأرباح تأتي من طريق الاقتصاد في النفقة من كل باب ، وكان معظم من عانوا الطباعة لا شأن لهم في العلم والأدب ، فأساء بعضهم الطبع بالطبع ، وأخذت الشناعة ببعض ما طبعوا : لا دقة في التصحيح ، ولا ذوق في وضع الصفحات والحواشي ، وقد يخلطون في الكتاب كتاباً آخر لا علاقة له بالكتاب الأصلي ، فتستغرق الصفحات بالأصول والزوائد ، ويختارون للطبع أسقم الحروف ويتخيرون أدنى الورق ، ويتطلبون الرخص في كل شيء ، وبذلك خلت مطبوعاتهم من كل بهجة وروعة .

ولما كان اكثر من عانوا طبع الكتب من طبقة العامة ، لم يهتموا لجهلهم بغير كتب الخرافات والغراميات على الأغلب ، بدعوى أنها اروج من كتب

العلم ، ظانين أن طبع الكتب من جملة ضروب التجارات لا تحتاج الا لما تحتاجه التجارة عامة من رأس مال ، ومعرفة بطرق التوفير ، واقتناص الربح ، والتجارة تخوّلهم أن يطبعوا ما شاؤوا ، ويعملوا بالكتب ما شاؤوا ، على أن تكون الغاية من كل ذلك الكسب المضمون ، لذلك ما تعفف بعض الوراقين عن طبع كتب المنامات والتخريفات وأشياء سموا كتبها الروحانيات ، واشياء هي من الاسرائيليات ، وكتب أسرار الحرف ، والجفر ، وكتب الكيمياء وعمل الذهب ، وكتب السخف والمجون ، وطبعوا واكثروا من طبع كتب ابي معشر والديربي واضرابهما ، وكل الكتب المنسوبة لأمثالها تعبث بالعقول وتزيد قارئها جهلاً الى جهل

طبع كتب العلم

قويت العزيمة على الاستكثار من طبع كتب العلم لما كثر تبرّم الناس بتلك الكتب المضرّة وزاد عدد المتعلمين على الطرق الحديثة ، فأدرك العارفون قصورهم عن احياء كتب السلف ، فطبعوا في مصر أسفار مالك والشافعي وابن حنبل وابي حنيفة والغزالي وابن حزم وابن تيميـة وابن القيم وابن الجوزي وابن قتيبة والجاحظ وثابت بن قرة وحنين بن اسحق والآمدي والشاطبي والقرافي وابن رشد والباقلاني وابن عبد البر والسرخسي واخوان الصفا وابن جني وابن منظور وابن سيده الى عشرات امثالهم من علماء الأمة وحكمائها وأدبائها ومؤرخيها ولغوييها .

واختصت الهند بطبع كتب الحديث ورجاله وما شاكل ذلك من علم الكلام واللغة ، كما تفردت ايران بطبع كتب الامامية بالعربية وغيرها ، وزنجبار بطبع كتب الخوارج والإباضية ، ودمشق وبيروت بطبع الكتب المنوعة ، وخصت أوربا بطبع كتب العلوم كالطب والكيمياء والأقرباذين وجرّ الأثقـال والزيجات والأرصاد والفلك والرياضيات والطبيعيات والنبات والتاريخ والجغرافيـا والرحلات واللغة والأدب والشرع وغير ذلك من العلوم التي نقلتها العرب عن أهل الحضارات

القديمة وزادت فيها ، او كانت وقفاً عليهم كعلوم القرآن والسنة واللغة والشعر .

شرعت أوربا من نحو أربعة قرون بطبع ما عثرت عليه من كتب الرازي والبيروني والبتاني والكندي (الفيلسوف والمؤرخ) وحنين بن اسحق والخوارزمي ونصير الدين الطوسي وعبد الرحمن الصوفي وابن النديم والفارابي وابن سينا ويوحنا ابن ماسويه والطبري واليعقوبي والدينوري والمسعودي وابن خلكان وابن الاثير وأبي الفدا والقزويني وحمزة الأصفهاني والشريف الادريسي والمقدسي والاصطخري وابن حوقل وابن خرداذبة والهمداني والبلاذري والبكري وابن عذاري وابن سعد وابن سعيد ومِسكوَيه وابن جُبير وابن هشام والبيضاوي وعشرات من اضرابهم مما لا يقل عن خمسمائة مجلد ، وكلها كتب مختارة بذلوا الوسع لمعارضتها على نسخ متعددة ووشحوها باختلاف الروايات وحلّ عويص مشكلاتها ، وزينوها بالفهارس ، وقربوا منال الانتفاع بها على المطالعين ، عملوا كل ذلك بأمانة وتدقيق وتحقيق ، وكانت الغاية من طبعها واحيائها خدمة العلم ، وما قصر الهولانديون والألمان والطليان والفرنسيون والبريطانيون والروسيون والاسبانيون والبولونيون والاميركان وغيرهم في احياء كتب العلوم وطبع كتب اللغة والتفسير والحديث أيضاً

طلع القرن الرابع عشر من الهجرة ، وأهم مواطن طبع الكتب العربية في الشرق القاهرة وبيروت وتونس والاستانة وحيدر آباد الدكن وطهران وفاس ، وجهلة الوراقين قابضون على قياد الطبع لا يهتمون بغير الكسب ، وقلّ من الكتب ما تولى تصحيحه العارفون ، ومنها ما نشرته الحكومة المصرية وبعض الجمعيات العلمية والدينية . وكان المؤلفون في بلاء من أكثر الورّاقين يتحكمون فيهم ، ويستثمرون جهودهم ، واذا أرادوهم على عمل فهارس للكتب تسهل على المطالعين تجهموا لهم ، واذا اقترحوا عليهم أن يختاروا الجيد من أصناف الورق هزؤوا بهم .

جمعيات طبع الكتب

وهذا ما دعا الى تأليف عدة جمعيات من الغُبر على العلم ، ومن أعضائها الشيوخ الأجلاء ومنهم بعض أرباب المكانة في المجتمع المصري فلم يوفقوا في عملهم ، لما كان ينقصهم من بعد الهمة والمشاكلة في الثقافة ، والتجرد عن التعصب ما امكن في اختيار ما يطبعون ، وتألفت منذ أواخر القرن الماضي في مصر عدة جمعيات لهذا الغرض ، ومنها ما طبع بضعة كتب وانهزم من الميدان ، ومنها ما قصد طبع كتاب بعينه فلما أتمه لم يحاول طبع غيره . وقد انحلت هذه الجمعيات لأنها لم تسر على نظام ثابت يضمن لها البقاء ، ولأن القائمين بها أرادوا حلها عجزاً عن المضي فيها ، ولأن الفردية تغلب على الشرقي فلا ينجح مجتمعاً وكثيراً ما يفلح منفرداً الفلاح كله .

وأنشأ بعض النابهين من المتعلمين على الأسلوب الحديث لجنة في القاهرة في سنة ١٩١٢ سموها «لجنة التأليف والترجمة والنشر» وما زالت تزيد رقياً سنة عن اخرى ، تطبع الكتب الجديدة والقديمة ، وتعنى بألاّ تخرج مطبوعاتها قبل عرضها على جماعة من الاختصاصيين من أعضاء هذه اللجنة أو من غيرهم ، وأكثرهم معلمون وأساتذة وموظفون ، وقد طبعوا الى الآن اكثر من مائة وثلاثين كتاباً في الطبيعة والرياضة والفلسفة والتاريخ والأدب والاجتماع وغيرها ومنها ما يدخل في مجلدات ، ومنها ما هو من القطع الكامل ، ومن كتبهم ما نقلوه عن اللغات الاجنبية ومنها ما ألفه الأعضاء أو غيرهم ، فأثبتت اللجنة أن الشرقي اذا أحب العمل وأتقنه لا يقل عن الغربي .

يتنافس الناس اليوم في اقتناء المطبوعات الجيدة ، وكان المأمول أن يكتب لها الرواج اكثر مما قدّر لكتب المجون ، ومن هذه ما يطبع عشرات الألوف كالقصص والروايات ، ومنها مالا يشبع الجمهور منه لأول نشره بأقل من عشرة آلاف نسخة ، وما يقال في الكتب يقال في المجلات — والمجلات أيضاً كتب

دورية — فان أرقى المجلات العلمية الأدبية باللغة العربية تطبع بضعة الوف ، ومجلات العامة تطبع العشرين والثلاثين الفاً وربما اكثر من ذلك ، وما يروق الخاصة لا يروق العامة ، وخواص كل أمة اقل من عوامها . وكان لارتقاء فن الطباعة في الغرب دخل كبير في رقيّ المجلات العربية وما صارت اليه من التفنن في الطبع والتصوير . ولم يدخل على الكتب من هذا التحسين شيء كثير يناسب فائدة الكتب ، وتناسى السواد الأعظم ان الكتب تخلد وتورّث وتتناقلها الأيدي اكثر من المجلات والصحف ، وهذه ما خرجت عن كونها ابنة يومها بل ساعتها .

أصناف الكتب

تقسم الكتب في مصر الى قسمين صفراء وبيضاء ، فالكتب الصفراء هي ما طبع على ورق اصفر من الجنس الرديء ، وهذه يسمونها الكتب الأزهرية ، والبيضاء هي التي تطبع على ورق ابيض ، وهي كتب الجمهور على أنواعها وكتب المدارس النظامية ، والكتب الصفراء رديئة الطبع ، رديئة الوضع ، تشوش القارئ وتبغض اليه المطالعة ، بما تحمل من هوامش وهنات ينبو عنها النظر ، والعكس في الكتب البيضاء المشرقة فانه تستجاد لها الحروف والورق وهي خالية من الهوامش الا ما كان منها داخلاً في الموضوع ، وقد تبذل العناية بتصحيحها اكثر من الكتب الصفراء .

دب الكساد في الكتب الصفراء قليلاً ، وكتب الرواج مع الزمن للكتب البيضاء ، بقاعدة بقاء الأنسب ، وبما دخل من التحسين على أذواق الأمة ، وما برح مع هذا بعض الطابعين بمصر يجوزون لأنفسهم طبعها كما يطبعون كتب التضليل والتدجيل ، يصدرونها الى بلاد الزنوج في أواسط افريقية والى بلاد المالايو ، يطبعون منها مقادير برسم التصدير الى الخارج غالباً ، ولو كان لي من الأمر شيء لجرّمت كل من يجرؤ على طبع مثل هذه الأسفار المضرة بالعقل والدين ، ومضرتها لا تقل عن كتب المجون والسفاهة ، وكتب الالحاد والاباحة ، ذلك لأنها تباع على انها كتب دين ، والدين لا يعرفها وليست منه بسبيل .

مضار الكتب الساقطة

لا جرم ان من يبيع من الجهلاء كتباً تزيدهم جهلاً وغباوة كمن يحمل المخدّرات الى السذّج ويزين لهم استعمالها ، او كساقٍ يسقي السم الزّعاف لمن يطلب اليه ان يسقيه ماءً قراحاً ، وليست كتب الجهالات في تخريب العقول بأقل من تخريب المخدرات والمسكرات في الأجسام . الحكومات تخاف من كتب فيها ما لا ترضاه سياساتها ، ولا ترى واجباً عليها أيضاً أن تحظر على الطابعين طبع المضرّ من الكتب ، لئلا يحملوا الى القراء كتباً غير محررة ولا معتبرة ، فان هذه بالنسبة لجمهرة الأمة لا تقل مضارها عن تلك

ربما يقول بعضهم ان هذا مما يفتح للحكومة باب التدخل في حرية النشر وسلب حق الناس في الحرية . وما كان لأمة لا تعرف مالها وما عليها ، وما يصلحها وما يفسدها ، وليس لها من نفسها مراقب ولا محاسب ان تتمتع من الحرية بالمقياس الواسع ، وخير أن يرجع في النشر الى قاعدة من ان تطغى هذه الفوضى على ما يطبع ، وترجع الأفكار الى عصور الظلمات ، وينقطع الأمل من تأليف امة منورة متجانسة حتى بعد قرون .

مظاهر الكتب وترويجها

وبعد فقد كان في الامكان الاستعاضة عن هذه التجارة المحرمة في الكتب بتجارة محللة فيها بطبع الكتب المفيدة ، فان ما يطبع في مصر من الجيد تروّجه شهرتها في الأقطار ، وتزيد الكتب رواجاً بين مختلف الطبقات بقدر ما يتقن الطابعون طبع ما يطبعون من الكتب وينتقون أسفارهم ، ويبذلون العناية بالتصحيح والتهذيب. وقد رأينا بأخرة بعض الطابعين تنصرف هممهم الى الخروج عن الطريق القديمة بعض الشيء كأن يقلدوا الطابعين في ديار الغرب بعنايتهم واتقانهم ، ويجعلوا فهارس للكتب ، ويتوقوا الأغلاط المطبعية في الجملة ، فزادت بذلك كتبهم حرمةً وقبولاً .

جمال الكتاب وطبعه مما يزيد الرغبة فيه ويزينه في الأعين، وفي العادة أن كل بضاعة تبرز في قالب مقبول صنعًا ووضعًا تحتل من النفوس أحسن موقع، فما الحال بالكتب التي هي أكثر البضائع اعتبارًا وخلودًا، ولقد بلغ حب الاتقان من أهل الغرب، وحب الاعلان عن كل شيء ان عهدوا الى مفننين عرفوا بسلامة الذوق وسعة الحيلة، ليصفوا بضائعهم صفًا يلفت الأنظار، ويعلنوا عنها في الصحف وغيرها بما يبعث العزائم على اقتنائها، وان لم ترغب في ذلك كثيرًا، فهل عنينا نحن بكتبنا وقدرنا أنها على الأقل بضاعة من البضائع تحتاج لمن يروجها ؟ ان الكتب العربية تحتاج الى ان تأخذ حظًا من الاتقان اللازم وتهيأ لها من طرق الدعاية والنشر مثل ما يهيئه الطابعون والوراقون في البلاد المتمدنة لنشر مطبوعاتهم . ولو كانت كتبنا اسفاط جواهر مخبوءة في مستودعات الطابعين ما تنبه الناس لها بدون اعلان ولا دعاية .

بعض طرق الغربيين في نشر الكتب

في يوم واحد ينشر الورّاق الانكليزي [1] الكتاب الجديد في كل بلد تقرأ فيه اللغة الانكليزية من أصقاع الغرب والشرق، وفي يوم واحد تكتب الصحف والمجلات نقد الكتاب وتقريظه وتلفت الأنظار اليه، وفي يوم واحد يقرأ هذا الكتاب ابن بريطانيا العظمى وابن اليابان وابن كندا وابن استراليا وابن زيلاندة الجديدة وابن الولايات المتحدة وابن الهند ونزيل جنوبي افريقية ومصر والسودان . والوراق الانكليزي لا يضنّ لترويج كتبه بين القراء بكل مافي وسعه، ينشرها بكل حيلة، وكذلك سائر الوراقين من جميع الأمم الممدنة، فعلينا أن ندرس طرائقهم، وعلى الوراقين عندنا ألا يضنوا بخمسة أو عشرة في المئة يضمونها على نفقات

(١) ان مما قرأناه في هذا الشأن كتابًا نقل الى الفرنسية من الانكليزية في حقيقة الطبع لمؤلفه ستانلي اونون واسمه Stanley Unwin: La vérité sur l'édition و « الكتاب » لالبر سيم Albert Cim: Le livre

الطبع للاعلان عن مطبوعاتهم ، فيخدمون بذلك أنفسهم ويخدمون المؤلف ، ويخدمون المدنية والمعارف .

قصور وراقينا في النشر

وإنا لنجد الكتاب الذي يصدر في مصر لكثرة تدنيق بعض الوراقين في النفقات قد لا يصل الى البلاد العربية في أقل من سنة . يعتمد الكتبي في ترويج كتابه على الطبيعة والمصادفات اكثر من اعتماده على التذرع بذرائع النشر الكثيرة ، وربما طبع الكتاب الجيد وما عرف به من يهمهم اقتناؤه الا عرضاً وبعد سنين تمضي على نشره ، فهل يحق بعد هذا لورّاق أن يشكو من قلة الرواج ؟ والرّواج بيده ، ولو بذل القليل لربح الكثير . ولو صرفت العناية بالاعلان عن الكتب وترغيب الناس فيها وعرضها في المدن والقرى وتحبيب اقتنائها للرجال والنساء والأطفال لزاد عدد المطبوع والمبيع من كل كتاب قديم او حديث ، ولقلّ بهذا العمل عدد العاميين في البلاد العربية جمعاء ، ولا يمضي عشرون عاماً حتى تتغير تصورات الناس وأخلاقهم وآدابهم ومناهجهم في الحياة . بيد الطابع وبيد المؤلف نشر حضارة أمة فلينظر الوراقون ماذا يعملون ، ولتعمل الحكومات الواجب عليها نحو الطابعين ، ولتراقبهم لما فيه مصلحتهم ومصلحة الجماعة .

نحن في أشد الحاجة الى التجدد في مطبوعاتنا ، وان نجدد في مظاهر الطبع من حروف واشكال وصور ، وقطع ووضع وورق وتجليد ، ونجدد في المبالغة بتصحيح الكتب والتعليق القليل بما يبين غامضها ، فليس كل الناس يفهمون ما يقرؤون ، فعلينا أن نسهل عليهم فهمها ، كأن نشكل دائماً محال الإشكال من الألفاظ ولا نترك غامضاً ولا مبهماً ، ونحن إذا فعلنا هذا لا نغشّ المطالع بل نستميله الى الاكثار من المطالعة . واذا صنا كتبنا عن تلقين المبتدئين أغلاطاً تتأصل في عقولهم فتؤذيها نصون الدين والآداب والمدنية ، ولا تقل التبعة الملقاة على عواتق الطابعين عن التبعات اللاحقة بالحاكمين والمسيطرين .

نقابات طبع الكتب

نحتاج الى التجديد في طرق النشر، ولا يتم ذلك الا بانشاء نقابة او نقابات تفكر في اقرب السبل الى الاتقان والنشر والربح، وتصدر مجلة توزعها مجاناً على دور العلم ورجاله وطلابه، تفيض في الكلام على ما صدر ويصدر من الكتب، وعلى مافي القديم منها من الحسنات وغيرها فتكون خير اعلان لما طبع ويطبع، وأصدق مرشد لمن اراد ان يقتني الاطايب من الاسفار، ولا ينفق فيها اكثر مما تمكنه حالته من انفاقه، ويعان عَلَى ان يكون له منها مع الزمن خزانة خاصة يستفيد منها هو وأولاده وأحفاده.

العصر عصر الشركات، وقد رأينا الطابعين او الوراقين الذين ضعفت رؤوس أموالهم لا يأتون شيئاً يعتدُّ به في هذه التجارة، ورأينا المطابع الكبرى او الشركات المموّلة المنظمة في عملها تربح كثيراً وتفيد اكثر من غيرها. فاذا اجتمع الوراقون في مصر مثلاً، وألفوا شركةً او شركات يدخل فيها فقراء الورّاقين وغيرهم تنغير أشكال الطبع وأشكال الأسفار، وتخف شكوى المتجرين بالكتب من قلة الرواج، وشكوى المؤلفين والمترجمين والمصححين، وشكوى القراء من سخافة المطبوع والمنشور، وشكوى الكتب من الكساد، وتدخل في طور اتقان وعناية على النحو الذي نراها عليه عند أصغر أمم الحضارة لعهدنا.

سبيل رواج الكتب

يتوهم بعض الوراقين عندنا ان الاشتطاط في الربح يوصل الى الغرض من هذه التجارة، ونسوا ان الربح القليل من شيء كثير أعود عليهم من ربح كثير من شيء قليل، ولو ادركوا ذلك ما توقفوا عن تغيير أساليبهم في الطبع والنشر وتقدير الربح، ولأيقنوا أن من مصلحتهم المهاودة في الأسعار والعناية بتجويد بضاعتهم. ولكتاب يطبعه طابعه ويبيعه في مدة قصيرة أنفع له من كتاب يبيعه في المدد الطويلة

ليربح منه ما يقدّره لنفسه من الأرباح ، وهذا من أيسر قواعد التجارة التي يعرفها الأطفال في الغرب فعلى الرجال أن يتعلموها عندنا .

من جملة طرق الرواج في الكتب جودة طبعها وحسن خدمتها ، ونقصد بخدمتها المبالغة بتصحيح أصولها وتجاربها ، وحلّ المشكلات من متونها وشروحها ، فقد كان الطابعون فيما مضى يتوهمون أن كل مخطوط صحيح صالح للطبع لا يحتاج الى اكثر من ان يدفع الى المنضد لتنضيد حروفه وترتيب صفحاته ، ويجعل على الآلة الطابعة تخرجه ملازم ملازم . والكتب التي تطبع لأول مرة والتي يتكرر طبعها تدفع الى رجل أزهري اذا كان على شيءٍ من العلم فيكون من الطبقة التي تعرف الاعراب فقط ، وليس النحو والصرف كل شيءٍ في عالم العلم .

الفرق بين الغربيين وبيننا في الطبع

رأينا كتبًا طبعها أعاجم من الغربيين وهم علماء فخرجت صحيحة سالمة من الشوائب ، على ضعف ناشريها احياناً في القواعد وبعدهم عن حفظ الدساتير ، ورأينا اسفاراً طبعت في اتقن المطابع بعناية أقدر المصححين تفيض بالأغلاط ، مثال ذلك تاريخ ابن خلدون المطبوع في المطبعة الاميرية ، لو تصفحته لتعوذت بالله مما فيه من تحريف الأعلام ، وسقطاته كثيرة قد تكون كلمة او اسطراً او صفحات ، ولا تخلو صفحة منه من بضع غلطات شائنة تحرّف النص وتُحيل المعنى ، وظن مصححوه أن ما يعرفونه من قواعد الاعراب كافٍ في تصحيح مثل هذا الكتاب . وإلى اليوم تقع لأعظم المطابع خطراً اغلاط من هذا القبيل تحمرُّ لها الوجوه ، والواجب على من يعرف صنفًا من العلوم ألا يظن نفسه انه يحسن الاضطلاع بجميع الأصناف . ولعل احد الباحثين يضع لنا كتاباً فيه متاع وعبرة ، يلمُّ فيه بأغلاط المطابع ، ويدوّن لنا مايكتبه المصححون في اول الكتب وآخرها من مدح الطابع ومدح من طبعت في أيامه ، كأن طبع كتاب عِدلٌ لفتح قلعة او ثغر ، او اعمار بلد او قطر .

تصحيح الكتب المطبوعة مسألة المسائل في فن الكتب ، وكم من كتاب قديم

طبع على نسخة واحدة في بلادنا وزاده جهل الطابع والمصحح أغلاطاً الى اغلاطه ، وقالوا لقارئه انت وشأنك في هذا الكتاب ، ذلك لأنه قلّ ان يُعنى أرباب المطابع باختيار مصححيهم ، يختارون اكثرهم من المرتزقة ، من الصنف الذي يصحح الملزمة ببضعة قروش ، ولو اعطى الطابع مصححاً يكون على شيء من العلم المئات لما كان مغبوناً ، ولهان على من يتناولون الكتاب ان يقتنوا ما أُتقن طبعه وعُني بتصحيحه ، وان يعطوا زيادة عشرة في المئة تضاف على قيمة الكتاب

كان تحريف جهلة الناسخين للكتب وتحريفها بصنع جهلة الطابعين مما أضاع على طلاب العلم اوقاتهم ليتوفروا على اصلاح ما كان واجباً على غيرهم أن يصححه ، وينعبون وهم مئات ، وكان الأولى ان يتعب واحد او اثنان ولا يشغل النـاس بالعبث ولا تباع منهم مجموعة اغلاط · اي كتاب لأجدادنا طبعته مطبعة من مطابعنا التي نعدها راقية قبل هذا العهد الجديد ، ولم تحص عليه الأغلاط الكثيرة حتى الأمهات من كتب الشرع واللسان ؟ وأي كتاب طبع فأنفق الطابع على تصحيحه مالاً ، وهو يعتقد ان واجبه ان يعمل هكذا بكتابه ؟ ليت كل ورّاق يعرف ان ما يصرفه في تقويم الكتاب لا يعدُّ مالاً ضائعاً بل لابد منه لرواج كتابه ، والامانة تتقاضاه ذلك ·

عبث الطابعين الجهلة بالكتب

ان من اعظم البلاء ان تتقدم العامة فتتولى طبع الكتب ، وما كان اجدر بالخواص ان يعمدوا وحدهم لمعاناة هذه الصناعة ويرقوها بكل ما عند من سبقهم الى الحضارة بأنواع الترقي ، ويغاروا على تجديدها كما يغار المرء على حرمانه ومقدساته · نعم ان بعض الوراقين اليوم في مصر هم من الأُميين حقيقة لا يعرفون ما يطبعون وما يطبع لهم · وما ينتظر من أُمي ان يقوم به في باب العلم ؟ ومنهم نصف أُميين وهؤلاء بلاؤهم أشد ، هم جاهلون ويدعون المعرفة · ولو كانت حكوماتنا تفكر أبداً في نهوضنا العلمي لما سمحت لرجل ان يطبع كتاباً وينشره الا اذا كان حاملاً

شهادة من المدارس الوسطى على الأقل ، فضرر الكتبي الجاهل لا يقل عن الضرر الذي يأتي على يد الصيدلي الجاهل.

ومما تألم له النفس ألا يكون عمال المطابع على شيء من المعرفة وألا يتخيروا من الشباب الدارسين . وقد شهدت اعظم المطابع الراقية في هذا الشرق القريب تختار صبياناً نصف أميين لتنضيد الحروف وعمل سائر ما يتعلق بالطبع ، ارادة الاقتصاد من أجورهم ، فيتعب بذلك المصحح كثيراً بتقويم التجارب ، ولا يخلو المطبوع مهما صحح من غلطات تبقى بعد معاودة الاصلاح مرات ؛ ولو كان المنضدون يحسنون فهم الكلام لاكتفى الطابع بتجربة واحدة .

واشهد أني أفضل ان ابتاع كتاباً عربياً طبع في الغرب من كتبنا القديمة بعشرين أو بثلاثين ضعفاً عما يباع به مثله من الكتب المطبوعة في الشرق ؛ لأني اجد في ذاك من المحسنات وكل ضروب الاستفادة والتيسير ما لا اجده في طبعاتنا ، ولا أجد في الكتاب المطبوع في ربوعنا على الأكثر الا بشاعة وركاكة ، وأغلاطاً لا تجد لها اولاً ولا آخراً . وقد اقدم بعض طابعي الكتب الصفراء في العهد الأخير على تحسين نوع الورق والحروف وجادوا بعض الشيء على المصححين فنشروا كتباً خرجوا بها بعض الشيء عن مألوف ما كانوا طبعوه وطبعه آباؤهم ، وأهم ما عملوا أنهم وسدوا النظر في الكتاب الى عالم فخرجت كتبهم عن أسلوب الكتب التجارية ، وصارت تعد في كتب العلم ، واظنهم ما خسروا بما عملوا بل نفعوا وانتفعوا ، فاذا خطوا خطوة أخرى الى الأمام وعدلوا عن صيغهم القديمة في الطبع سيحمدون ولا شك غبّ عنايتهم ، يبدؤون في الطباعة عهداً جديداً فيه الخير لهم وكل الخير للمدرسين والدارسين .

لجان علماء للنظر في الكتب

حبذا يوم نرى فيه كل مطبعة كبيرة تعهد الى لجنة من الخبراء والعلماء النظر

في كل ما تطبع ، وتراقب الكتاب من وضعه وتأليفه الى صفّ حروفه الى وضع صفحاته الى تصحيح ملازمه الى طبعها الى طيها الى جمعها وضمها كتاباً برأسه . هذا اليوم الذي تقضي به هذه اللجنة على صاحب المطبعة ان يعمل بقرارها لرواج مطبوعاته ، واختيار ما يعم الناس نفعه ، هو اليوم الذي يكون في تاريخ الطباعة بدء عهد جديد ، بل عهد حضارة ما سبق لنا نظيره منذ أخذنا نطبع الكتب ونقلد الغرب .

نعم ان طبع الكتب يحتاج الى مراقبة شديدة أهونها ألا يطبع شيء قبل أن تنظر فيه لجنة تقر نفعه ، فان المكررات من الكتب التي لدينا من نوعها الأمهات المعتبرة ، وكتب التخريف والتافهات ، وكتب المجون والغراميات وغير ذلك لا ينجينا من آفاتها الا سلطان المراقبة الشديدة في كل كتاب للقدماء والمحدثين فلا يطبع برأي طابع لا رأي له الا النفع المتوخى من الكتاب ، وغايته الوحيدة الاكتساب المرجى منه ، ولو بالقضاء على العلوم والآداب ، والاتيان على الفضائل واحياء الرذائل ، وشغل الناس بالسخف والهراء ، وما كنت أوثر التوسع في هذا الموضوع لولا أن ايراد الأمثلة ضربة لازب لتجلية المراد .

مثال من سخف الكتب المطبوعة

لو عرض طابعا كتاب «حلية الأولياء» للحافظ ابي نعيم الأصفهاني المتوفى سنة ٤٣٠ على عالم بالكتب والمؤلفين قبل ان يتكلفا طبع كتاب عظيم مثل هذا يقع في عشرة مجلدات وتبلغ صفحاته اربعة آلاف صفحة — لقال لهما ان هذا الأصل الذي طبعتما عنه وقع في الغالب الى يد أحد الجهلة فأضاف الى كل ترجمة من عنده سخافات ما انزل الله بها من سلطان ، وما كانت من كلام المؤلف ، وكتابه قد شهد له الثقات بالجودة ، وهذه الاضافات تقدح في جودته لو كانت من المؤلف ، وقرأها من شهد للكتاب بالاجادة . وهاكم مثالاً من مئات الأمثلة من

هذه الزيادات التي شوهت الأصل ، وجعلت الكتاب على ما فيه من الفوائد جعبة ترهات ورقاعات ·

من ذلك (ص ١٠ ج ١) وهم (اي المتصوفة) المصونون عن مرامقة حقارة الدنيا بعين الاغترار ، المبصرون صنع محبوبهم بالفكر والاعتبار (٢٨ - ١) بدأنا بذكر من اشتهر من الصحابة بحال من الأحوال ، وحفظ عنه حميد الأفعال ، وعصم من الفتور والاكسال ، وفضل الله له العهود والحبال ، ولم يقطعه سآمة ولا ملال · ونحن نقول : ان هذه العبارات المفككة المرتبكة تنادي بلسان الحال والمقال ، انها من اسخف ما دونته الأجيال ، في تراجم الرجال ، وانها املاء دجال لا يخاف الله بحال ·

(٣١ — ١) وقد قيل ان التصوف السكون الى اللهيب في الحنين الى الحبيب (كذا) (٣٣ — ١) ان التصوف استنفاذ الطوق ، في معاناة الشوق ، وتزجية الأمور ، على تصفية الصدور (٣٩ — ١) وما عهد منه (سيدنا عمر) في ملازمته للتفريد ، ومحاماته على معارضة التوحيد ، وان لا ينهنهه عن مصاولتهم العدة والعديد · (٤٨ — ١) وكان (عمر) عن فناء الملاذ منتهياً ، ولباقي المعاد منتفياً ، يلازم المشقات ويفارق الشهوات وقد قيل ان التصوف حمل النفس على الشدائد الذي هو اشرف الموارد (٦٢ — ١) التصوف مرامقة المودود ومصارمة المحدود (٦٨ — ١) التصوف اسلام الغيوب الى مقلب القلوب (٧٠ —) التصوف الارتقاء في الأسباب الى المقدرات من الابواب (٧٢ — ١) التصوف البروز من الحجاب الى رفع الحجاب (٨٧ — ١) التصوف النزوح بالأحوال والتخفف من الاثقال (٨٩ -) التصوف الوفاء والثبات والتسامح بالمال والجدات · في ترجمة مصعب بن عمير الداري (١٠٦) ورغب عن التتريف والتسويف ، وغلب عليه الحنين والتخويف وقد قيل ان التصوف طلب التأنيس في رياض التقديس (كلام لا معنى له) وأيضاً (ص ١١٠ — ١) التصوف المفرق البينونة الى مقر الكينونة ! (١١٢ — ١) التصوف اقامة الدنف المعذب على حفاظ الكلف المهذب ! (١١٨ — ١) التصوف الوطئ على جمر الغضا الى منازل الأنس

والرضا (١٢١—١) التصوف استنشاق النسيم والاشتياق الى التسنيم ! (١٢٤—١) التصوف مشاهدة المشهود ومراعاة العهود ومحاماة الصدود ! (١٢٩) تصحيح المعاملة لتصحيح المنازلة ! (١٣٩—١) التصوف تسور السور الى التحلل بالحور ! (١٤٧) التصوف قطع العلائق ، والأخذ بالوثائق (١٥٧) التصوف التأله والتدله من غلبات التوله ·

يا سيدي القارئ الكريم بربك اعذرني على نقل هذا الهراء ، ولو أردت لنقلت من هذه السخافات المضحكة المبكية مئات ، دسها الداسون في كتاب حاول مؤلفه أن يترجم لنساك الأمة فاختلط سمينه بغث ذاك العابث · وربما تساءل القارئ وكيف لم يهتد الطابعان الى ما شان الكتاب ؟ فالجواب هذا من عمل العلماء لا من عمل الطابعين ، ولو وقع الأصل لعارف ما تلكأ لحظة عن القول بما قلناه في هذه النقول ، وانت لو فتحت أي ترجمة لما رأيتها على الأغلب تخلو في مقدمتها من مثل هذا الهذيان · وبالله بعد ان عرفت درجة الحافظ ابي نعيم في العلم هل تجوّز عليه أن يقول : ومنهم الذاكر الفكري ، خليد بن عبد الله العصري ، كان لمحبوبه ذاكراً ، والى مشاهدته ساهراً ، وان تقول ان هذا تصوف · والله لا يقول هذا الا من اختل ذهنه باجماع اطباء الامراض العقلية · الا يستحق ان يأوي الى مستشفى المجاذيب من يقول (ص ٢٥٨ ج ٢) التصوف عويل حتى الرحيل وحويل الى المقيل (٢٩٠ ج ٢) التصوف التمتع بالحضور والتبتع للخطور (١٨٣ — ج ٢) التصوف الصفو للزيق والرقو للفيق !

واي هذيان اعظم من هذا الهذيان ينشر في هذا الزمان منسوباً الى رجل من رجال الحديث المشهورين · ألا يوافق العقلاء بعد ذلك على تأليف لجان علمية تنظر فيما يطبع قبل أن يضيعوا وقت الناس ويؤذوا عقول ناشئتهم واذهان القراء

ولا أحب أن اختم هذه العجالة قبل ان أشير الى كتاب آخر ارتكبت في طبعه فقط مثل هذه السخافات ، عنيت به « البداية والنهاية » لابن كثير · فقد

طبع منه حتى الآن اثنا عشر مجلداً بالقطع الكبير لا تقل عن ثلاثة آلاف صفحة وبقي منه أربع مجلدات ووقع على ما يظهر في أيدي مصحح لا يعرف التاريخ ولا يعرف الأدب ، حتى ليخيل الينا ان مصححه منضد حروف او فراش في المطبعة يرزق كل يوم خمسة قروش . هناك أسماء الأعلام محرفة تحريفاً مخجلاً حتى أنك تقرأ العَلَم على صورة في صفحة من الصفحات فاذا قطعت صفحتين أو ثلاثاً تقرؤه على شكل آخر وهو هو ، وكذلك الأبيات الشعرية ، اجارك الله من تحريفها فانك اذا تلوتها تعاف الشعر وتنكر الأدب ، فان كثيراً منها لا يفهم ، وبعضها لا وزن له مطلقاً ، كأن الناظر فيه من طبقة العوام لا يحسن الوزن ولا يعرف المعنى . الا يجدر بمثل هذا الكتاب الذى يكلف طبعه المئات من الجنيهات أن يصرف على تصحيحه عشرات من الدنانير ويعهد بتصحيحه الى أناس يحسنون فن الأدب وفن التاريخ ، ولا يكتفى منهم ان يعربوا جملة صحيحة ، ويقرؤوا عدة مقاطع بلا غلط ؟ ان طبع هذا الكتاب على هذا النحو يعدُّ جناية على الأدب وتجنياً على العلم والمعارف ، وبه ثبت ان كل شيء يتبدل في العالم الا عقول اكثر الطابعين في مصر فانها جامدة لا تتحرك ولا تحاول ان تتحرك .

الأمثلة كثيرة في هذا الباب وقد مثلنا لذلك بما حضرنا من امثلة ، ويرى القارئ النقاد ان هذا الموضوع جليل في ذاته يجب أن يعانيه الدارسون والمدرسون والعالمون والمتعلمون وكل من يهتمون للحياة العلمية في الأمة العربية ، ونحن الآن اذا قصدنا الطابعين فقد نقدنا من قبلُ المؤلفين ، وكل ذلك بسائق الغيرة على اوضاعنا وحضارتنا وحباً بالتجدد وبعداً عن الجمود .

هذا وقد رأينا بعض النفوس تزهد في الكتب بعض الزهد وتستغني بعض الاستغناء عن القراءة ، ومن ارتقى عقله يستحيل عليك ان تضطره الى قراءة مثل حلية الأولياء بهذه الزيادات عليه . الناس مأخوذون بما هم محكومون له من التفنن في طرق النشر الحديثة من صحف ومجلات ومذياع ، وهذا ما يدعو الى التفكير

كثيراً في مصير الكتاب والعقبات التي ستقوم في مستقبل الأيام أمامه من أجل رواجه ، وانا ليؤسفنا ان نرى الكتب وما يطبع منها لا يزيد مقدار المطبوع منه كثيراً بالقياس الى ما وصلنا اليه من الحضارة ، فالكتب لم تَروُج الرواج المطلوب بل وقفت عند حد لم تتقدم فيه الى الأمام كثيراً ، ذلك لأن ما كان يرجى أن يزيد عدد المطبوع منها بكثرة قارئيها قد اخذته الجرائد والمجلات ولا سيما المجلات التي لا تعني كثيراً بمسائل الجد ، فكان من ذلك ان شغل جمهور كبير من محبي المطالعة بالتافهات والهزليات ، وكان آباؤهم بالأمس يصرفون كل وكدهم في اقتناء كتب الجد المخطوطة ، ويفاخر حتى العوام بما اقتنوا أو ورثوا من كتب يحتفظون بها كما يحتفظ غواة العاديات اليوم بعادياتهم ولا ينزلون عنها لغيرهم ولو افتقروا .

محمد كرد علي

ما أُلف عن النساء

سمرنا ليلة عند صاحب لنا أديب ، فنفضنا الأحاديث نفضاً ، ثم ملنا الى ذكر النساء وأخبارهنّ والعرب وآرائها فيهنّ ، وكان في مجلسنا متأدب أخذ اللغة عن الأعاجم فنهج نهجهم في آرائه ، ونحا نحوهم في تفكيره ، فوهّم أن العرب والمسلمين قد استخفوا بالنساء فلم يحفلوهنّ أو يُعنوا بهنّ ، ولم يخصوهن بالتآليف أو يفردوا لهنّ التصانيف ، وأيد وهمه هذا بأقوال بعض المستشرقين .

وقد أردتُ تتبع هذا الزعم بالرد لتبيان وهنه ووهيه ، واستقرأت ما استطعتُ استقراءه من تراث الإسلام والعرب ، فإذا فيه تآليف حسان وتصانيف ملاح ؛ خصوها بالمرأة وجنسها ، وجلوا فيها عن أسرار وأخبار ، ولم يدعوا امرأً أدركوا صلته بهن الا تكلموا عليه وبحثوا فيه .

ولو أنّ هذا التراث العظيم كان قد سلم ، لرأينا من لطائفه وطرائفه كل معجب مطرب ، ولسمعنا من أخبار النساء وأحاديثهن وأسرارهن وشذوذهن كل رقيق جميل .

١ – فقد ألف عنهن في الجاهلية كتب كثيرة منها :

١ — كتاب « الموءودات »[1] لهشام بن محمد الكلبي النسابة الأخباري (٢٠٦)

٢ — كتاب « المعروفات من النساء في قريش » [2] لابن الكلبي أيضاً

٣ — كتاب « مناكح أزواج العرب » [3] له أيضاً

٤ — كتاب « المردفات من قريش » [4] لعلي بن محمد المدائني المحدّث المتكلم (٢٢٥)

---

(١) معجم الادباء ١٩/٢٨٨ — ٢٩٢ (طبعة دار المأمون) . والفهرست ص ٩٦

(٢) المصدر السابق (٣) الفهرست ص ٩٧ (٤) معجم الادباء ١٤ - ١٣٣ .

٥ — كتاب « الكلبيات » [١] له أيضاً

٦ — كتاب « بغايا قريش في الجاهلية » [٢] للهيثم بن عدي الراوية الأخباري (٢٠٩)

٢ — ثم خصوا نساء النبي وأمهاته بالرضاع وبناته بعدد من الكتب لا يحصى منها:

١ — كتاب « أمهات النبي » [٣] للمدائني الذي مرّ ذكره

٢ — كتاب « أمهات النبي » [٤] لابن الكلبي

٣ — كتاب « أزواج النبي » [٥] لمحمد بن عمر الواقدي (٢٠٧)

٤ — كتاب « بنات النبي وأزواجه » [٦] لأحمد الرقي الراوية الحافظ الثقة .

٥ — كتاب « ازواج النبي » [٧] لمحمد بن عمر المعروف بابن القوطية وكان نحوياً لغوياً أديباً شاعراً (٣٦٧) .

٦ — كتاب « أزواج النبي » [٨] لابن الكلبي .

٣ — وتكلموا على نساء المسلمين ممن أوتي الشهرة والملك في كتب شتى منها:

١ — كتاب « أمهات السبعة من قريش » [٩] لمحمد بن حبيب وكان من علماء بغداد ومهرة مؤدبيها . (٢٤٥)

٢ — كتاب « امهات الخلفاء » [١٠] لابن الكلبي

٣ — كتاب « من تزوّج من نساء الخلفاء » [١١] للمدائني وغيرها .

٤ — ثم ألفوا في أخبار النساء كتباً كثيرة بينوا فيها أحوالهن وطبائعن وطرق معائشهن . وأوصافهن وما يعجبن به او يعرضن عنه وما قيل فيهن أو روي عنهن منها :

(١) الفهرست ١٠٢ . ومعجم الادباء ١٤ — ١٣٤ (٢) معجم الادباء ١٩ — ٣١٠ . الفهرست ص ١٠٠ ، وانظر وفيات الأعيان ج ٢ . (٣) معجم الادباء ١٤ — ١٣٣ . (٤) الفهرست ص ٩٨ (٥) الفهرست ص ٩٩ (٦) معجم الادباء ٤ — ١٣٣ . وانظر الصفدي في الوافي ج ٢ ق ٣ ص ٢١٩ . (٧) معجم الادباء ١٨ — ٢٧٥ (٨) الفهرست ص ٩٧ . (٩) معجم الادباء ١١٢/١٨ — ١١٧ . الفهرست ص ١٠٦ . (١٠) الفهرست ص ٩٨ . (١١) الفهرست ص ١٠١ .

١ — كتاب « النساء »[١] للجاحظ (٢٥٥)

٢ — كتاب « النساء »[٢] للهيثم بن عدي (٢٠٩)

٣ — كتاب « النساء »[٣] لحفص بن عمرو العنبري ذكره ابن النديم

٤ — كتاب «اخبار النساء»[٤] لهارون بن علي المنجم وكان أديباً شاعراً راوية نديماً

٥ — كتاب « أخبار النساء »[٥] للمدائني

٦ — كتاب « أخبار النساء »[٦] للرقي

٧ — كتاب « النساء »[٧] لابراهيم بن القاسم القيرواني ، وكان شاعراً رقيقاً (٤٠٠) قال ياقوت « إن كتابه عن النساء كبير »

٨ — كتاب « اخبار النساء »[٨] لابن حاجب النعمان ، عبد العزيز بن ابراهيم ، وكان يملك خزانة لم يُر مثلها لأنها كانت تحوي على كل كتاب عين .

٩ — كتاب « النساء والغزل »[٩] لمحمد بن خلف بن المرزبان

١٠ — كتاب « النساء والعزل »[١٠] لابن قتيبة العالم الاديب المؤرخ (٢٧٦)

١١ — كتاب « اخبار النساء »[١١] لعلي بن محمد بن الشاه الظاهري .

١٢ — كتاب « من وصف امرأة فأحسن »[١٢] للمدائني

١٣ — كتاب « اخبار النساء » لابن قيم الجوزية (مطبوع)

١٤ — كتاب « اخبار النساء » لابن الجوزي (مخطوط في الظاهرية)

٥ — ثم أخذوا يؤلفون في الموضوعات الدقيقة الخاصة بهن . فبينوا احوالهن الدينية في كتب شتى منها :

١ — كتاب «الحيض»[١٣] للقاسم بن سلاّم امام اهل عصره في كل فن من العلم (٢٢٤)

(١) معجم الادباء ١٦ — ١٠٧ . (٢) معجم الادباء ١٩ — ٣١٠ . والفهرست ص ١٠٠
(٣) الفهرست ص ١٠٠ . (٤) معجم الادباء ١٩ — ٢٦٢ . (٥) معجم الادباء ١٤ — ١٣٣
(٦) معجم الادباء ٤ — ١٣٣ . (٧) معجم الادباء ١ — ٢١٦ . (٨) الفهرست ص ١٣٤
(٩) الفهرست ص ١٥٠ . (١٠) الفهرست ص ٧٧ . (١١) الفهرست ص ١٥٣ .
(١٢) معجم الادباء ١٤ — ١٣٣ . (١٣) معجم الادباء ١٦ — ٢٦٠

٢ — كتاب « العدّة » [1] لمحمد بن ادريس الشافعي (٢٠٤)
٣ — كتاب « الرضاع » [2] له أيضاً
٤ — كتاب (الطلاق) [3] له أيضاً
٥ — كتاب (الشغار) [4] له ايضاً
٦ — كتاب (الصداق) [5] للمدائني

وهذه الكتب وافرة اكثر من ان تحصى فلتلتمس في الفهرست .

٦ – وقد افردوا للتزين والتجمل والتحلي كتباً كثيرة ذلك لأنها أمور ذات شأن عند النساء ، ومن هذه الكتب :

١ — كتاب (الثياب والحلي) [6] لأحمد بن سعد ابو الحسين الكاتب الشاعر
٢ — كتاب (الحلي) [7] لأحمد بن فارس اللغوي (٣٦٩)
٣ — كتاب (الزينة) [8] للرقي
٤ — كتاب (التزين) [9] له أيضاً .
٥ — كتاب (نخر المشط على المرآة) [10] لعلي بن محمد الظاهري الميكالي الأديب المفاكه

٧ — ورأوا أن الظرف احلى خصائص المرأة ، فألف فيه كتب شتى منها :

١ — كتاب (المتظرّفات) [11] لاحمد بن ابي طاهر احد البلغاء الشعراء الرواة (٢٨٠)
٢ — كتاب (المتظرفين والمتظرّفات) [12] لعبيد الله بن احمد بن ابي طاهر

(١) و (٢) و (٣) و (٤) : معجم الادباء ١٧ / ٣٢٤ — ٣٢٧ . وانظر طبقات المفسرين ص ٢٢٧ ، وطبقات القراء ٢ — ٩٥ . ووفيات الاعيان ٢ — ٤٤٧ . (٥) معجم الادباء ١٤ — ١٣٣
(٦) معجم الادباء ج ٣ — ٣٩ . (٧) معجم الادباء ٤ — ٨٤ . (٨) معجم الادباء ٢٠ — ١٣٣
(٩) المصدر السابق . (١٠) معجم الادباء ١٤ — ١٥٦ . (١١) الفهرست ص ١٤٦ .
(١٢) الفهرست ص ١٤٧ .

٣ — كتاب (المتظرّفات)[١] لمحمد بن احمد الوشاء ابي الطيب النحوي (٣٢٥)

٤ — كتاب (عرائس المجالس)[٢] لمحمد بن احمد بن عبد الله الكاتب المعروف بالمفجع الشيعي (٣٢٧)

٥ — كتاب (المحبوبات والمكروهات)[٣] للرقي

٨ — ولم يغفلوا عن حياة النساء الخاصة في دورهنّ وصلتهن بأزواجهنّ ، فألفوا في ذلك كتباً كثيرة منها

١ — كتاب (اختلاف الزوجين) [٤] للشافعي

٢ — كتاب (من هجاها زوجها)[٥] للمدائني

٣ — كتاب (من شكت زوجها)[٦] له أيضاً

٤ — كتاب من (مُيِّل عنها زوجها) [٧] له ايضاً

٥ — كتاب (من نهيت عن تزويج رجل فتزوّجته) [٨] له ايضاً

٦ — كتاب (النواكح والنواشز)[٩] له ايضاً

٧ — كتاب (المتزوّجات)[١٠] لخالد بن طليق الراوية النسابة

٨ — كتاب (من وافقت كنيته كنية زوجته) [١١] لمحمد بن عبد الله بن حيويه

٩ — ثم تطرقوا فألفوا في علاقات الرجل بزوجه ممـا يكون بينهما ، وهذه التآليف كثيرة لا جدوى في سردها .

١٠ — ولقد ذهبوا الى أبعد من ذلك ، فخصوا الشذوذ الجنسي بكتب وتآليف منها :

(١) الفهرست ص ٨٥ . (٢) معجم الادباء ١٧ـ ١٩٤ . (٣) معجم الادباء ٤ ـ ١٣٤

(٤) معجم الادباء ١٩/ ٣٢٤ — ٣٢٧ . (٥) و (٦) و (٧) و (٨) : معجم الادباء ١٤ ـ ١٣٣

(٩) الفهرست ص ١٠٢ . (١٠) الفهرست ص ٩٥ . (١١) هذا مخطوط في المكتبة الظاهرية بدمشق . قسم المجموعات : أدب ١١٦ .

١ — كتاب (السحق)[1] لمحمد بن حسان النملي أحد الكتاب الادباء في عهد المعتصم ٠

٢ — كتاب (البغاء)[2] له ايضاً

٣ — كتاب (السحاقات والبغائين)[3] لمحمد بن اسحاق الصيمري (٢٧٥) وكان أديباً مليحاً هجاء ونديماً للمتوكل

٤ — ولقد خصّ ابن النديم مسرداً باسماء الكتب التي الفت في (الحبائب المتطرّفات) ولم يذكر مؤلفيها منها :

٥ — كتاب (ريحانة وقرنفل)

٦ — كتاب (رقية وخديجة)

٧ — كتاب (سكينة والرّباب)

٨ — كتاب (سلمى وسعاد) وغيرها[4] ٠

١١ — وكما ألفوا في أخبار السواقط فقد ألفوا في أخبار الشواعر والعواقل والصالحات ٠ ومن ذلك :

١ — (كتاب (أشعار النساء)[5] لمحمد بن عمران المرزباني الراوية الأخباري (٣٨٤)

٢ — كتاب (العواقل)[6] لابن الكلبي

٣ — كتاب (بلاغات النساء) لأحمد بن ابي طاهر (٢٨٠) ذكر فيه طرائف كلامهن واخبار ذوات الرأي منهن واشعارهن في الجاهلية والاسلام (طبع سنة ١٩٠٨)

٤ — كتاب (الرسا للصالحات من النسا)[7] لعالم الشام في القرن العاشر يوسف ابن عبد الهادي

(١) الفهرست ص ١٥٢ ٠ ومعجم الادباء ١٨ ـ ١١٩ ٠ (٢) المصدر السابق ٠
(٣) الفهرست ص ١٥٢ ٠ (٤) الفهرست ص ٢٠٧ ٠ (٥) معجم الادباء ١٨ ـ ٢٦٩ ٠
(٦) الفهرست ص ٩٨ ٠ (٧) هذا مخطوط في المكتبة الظاهرية بدمشق رقمه ٤١ ادب ٠ جمع فيه طائفة من أخبار النساء وما ورد في الصالحات منهن وصدّر ذلك بحديث « موّدوا نساءكم المنزل فانه أزين لهن وأرزن ٠٠٠»٠

١٢ — وقدعنوا أيضاً بأخبار القيان والجواري والمسمعات والمغنيات والنوائح وأمهات الاولاد ، وهذه الكتب وافرة جداً نذكر منها :

١ — كتاب (القيان) [١] للجاحظ

٢ — كتاب (القينات) [٢] لاسحق بن ابراهيم الموصلي

٣ — كتاب (اخبار عزّة الميلاء) [٣] له ايضاً

٤ — كتاب (قيان الحجاز) [٤] له ايضاً

٥ — كتاب (قيان مكة) [٥] للمدائني

٦ — كتاب (المغنيات) [٦] له ايضاً

٧ — كتاب (القينات) [٧] له ايضاً

٨ — كتاب (الاماء والشواعر) [٨] لأبي الفرج الأصفهاني

٩ — كتاب (القيان) [٩] ليونس بن سليمان المعروف بالمغني

١٠ — كتاب (اشعار الجواري) [١٠] للمفجع الشاعر الشيعي

١١ — كتاب (النوائح) [١١] لأحمد بن مطرّف القاضي المصري

١٢ — كتاب (امهات الأولاد) [١٢] للطبري المحدّث الفقيه

١٣ — كتاب (عتق امهات الأولاد) [١٣] للشافعي

* * *

تلك هي الكتب التي استطعت ان اعثر عليها في تضاعيف الامهات وثناياها ، ولعل هناك كتباً كثيرة غفلت عنها ولم اعلم بها

(١) معجم الادباء ١٦ ـ ١٠٧ . (٢) الفهرست ض ١٤١ . (٣) المصدر السابق .
(٤) المصدر السابق . (٥) الفهرست ص ١٠٢ . (٦) المصدر السابق . (٧) معجم الادباء ١٤ ـ ١٣٣ . (٨) الاغاني ـ المقدمة ـ ج ١ طبعة دار الكتب المصرية . (٩) الفهرست ص ١٤٥
(١٠) معجم الادباء ١٧ ـ ١٩٤ . (١١) معجم الأدباء ٥ ـ ٦٣ (١٢) معجم الادباء ١٨ / ٦١ ـ ٨١
(١٣) معجم الادباء ١٧ ـ ٣٢٤ — ٣٢٧ .

١٣ — على أن الى جانب هذه الكتب فصولاً كثيرة مبعثرة هنا وهناك خُصت بالنساء وأخبارهنّ وصفاتهن وأحوالهن وتراجمهنّ، كالتي كتبها ابن عبد ربه في العقد، والنويري في نهاية الأرب، والزمخشري في ربيع الأبرار (مخطوط) وابن قتيبة في عيون الأخبار، والقالي في الأمالي والجاحظ في البيان والتبيين والسخاوي في الضوء اللامع وغيرها ·

* * *

افبعد ذلك كله — وإن قلّ ! — تقولون ان العرب والمسلمين لم يحفلوا بالنساء ولم يؤلفوا في اخبارهن ··؟

دمشق : صلاح الدين المنجد



الغوطـة

- ٢ -

مدنية الغوطة

أجمع من وصفوا الغوطة على اختلاف العصور أن فيها قرى كالمدن ، وأن أهلها كأهل الحاضرة أي دمشق ، ومنذ القرن الثامن قال ابن بطوطة ان في اكثر قرى الغوطة الحمامات والمساجد الجامعة والأسواق وسكانها كأهل الحاضرة في مناحيهم ، ولولا أن تبدلت معالم الغوطة مرات لشهدنا عمراناً قديماً ، وما زلنا كلما حفرنا في الحقول البعيدة عن مراكز القرى نعثر على دمن تدل على عمران قديم فخم ، وعلى ثروة وحضارة . وكان بناؤهم بالحجر الصلب على بُعد المقالع عن الغوطة ، ومعظم بنيانها الآن باللبن ويقل فيها البناء بالحجر .

وحدثتنا الكتب أنه كان في بعض قرى الغوطة جوامع متقنة ، وكان فيها قصور صبرت على الأيام مثل قصر بيت لهيا في طريق الواصل من مدينة السلام بغداد والراحل اليها ، كانت لغنيّ اسمه السكسكي ، وكان له في اقليم بيت لهيا عدة قصور مبنية بالحجر والخشب الصنوبر والعرعر ، في كل قصر منها بستان ونهر يسقيه ، وكان هذا القصر في ارض حرستا . وروى المؤرخون ان القصر الذي بُني للمتوكل كان في طريق داريا ، وان البانين اختاروا هذا المكان لبعده عن ضباب الغوطة ورطوبتها ، قال المسعودي : ان المتوكل لما نزل بدمشق أبى ان ينزل المدينة لتكاثف هواء الغوطة عليها ، وما يرتفع من بخار مياهها ، فنزل قصر المأمون وذلك بين داريا ودمشق على ساعة من المدينة في أعالي الأرض ، وهذا الموضع بدمشق يشرف على المدينة واكثر الغوطة ، وكان يعرف بقصر المأمون الى سنة ٣٣٢ ، وفي عيون التواريخ للكتبي ان المتوكل أقام بدمشق سنة ٢٤٤

وبنى بها القصور ، وهي التي بطريق داريا ، ثم انه استوخمها ورأى أن هواءهـا بارد رديء وماءها ثقيل بالنسبة الى هواء العراق ومائه ، ورأى أن الهواء يتحرك بعد الزوال في زمن الصيف فلا يزال في اشتداد يثير الغبار الى قريب من ثلث الليل ، ورأى كثرة البراغيث بها ، ودخل عليه فصل الشتاء فرأى من كثرة الأمطار والثلوج أمراً عجيباً ، وغلت الأسعار وانقطعت الأجلاب ، فضجر منها بسبب كثرة الشتاء والثلوج ، ومعلوم أن المتوكل كان غريب الأطوار ضجرت منه أمته فقتلته ، ولا عجب أن أضجره هواء دمشق وماؤها

ومن يك ذا فم مر مريض يجد مراً به الماء الزلالا

وكان في الغوطة في القرون الوسطى والقرون الأخيرة قصور مشهورة ، منها ما بناه الملوك ، ومنها ما بنته الرعية او الأغنياء . ولما انقطع عيث البادية في الغوطة أوائل هذا القرن الهجري صحت نية اغنياء دمشق ممن يملك أرضين في ضاحيتها او قراها على اقامة القصور الجميلة ، وخربت هذه القصور والدور البديعة في الثورة السورية (١٩٢٥ — ١٩٢٦) . وأهم ما أصابه الحريق والتدمير قصور برزة والقابون والعنابة وجرمانا والمنيحة والحديثة وزبدين وحمورية والافتريس وجوبر والمزّة ، ومن القرى ما دثر برمته مثل جسرين والمنيحة وبرزة كما خربت في دمشق أجمل دورها وقصورها الأثرية .

كانت الأرض الموقوفة في الغوطة كثيرة جداً ، وقد قلت في العهد الأخير واستبدل بعضها ، وكان من السلاطين من يقفون سهماً من ضيعة أو ضيعة برمتها أو ضياعاً على اعمال الخير كما فعل نور الدين محمود بن زنكي صاحب مصر والشام فانه بنى قصراً للفقراء في الربوة ووقف عليه قرية داريا اعظم قرى الغوطة واغناها ، لتكون قصورهم الى جانب قصور الأغنياء فقال الشاعر الكندي :

إن نور الدين لما أن رأى في البساتين قصور الأغنيا
عمر الربوة قصراً شاهقاً نزهة مطلقة للفقرا

وبقيت قصور الأغنياء في الربوة الى القرن العاشر، وما من اثراليوم لأنقاض قصر الفقراء ولا لقصور الاغنياء ولا لقصر المأمون والمتوكل ولا للقصور الدارسة في الربوة والشرف الأعلى والشرف الأدنى من غربي دمشق ، كل أولئك خرب على عهد العثمانيين ، بما لاقته البلاد في القرن الذي قبل القرن الماضي من تعدي عسكر الانكشارية وسوء ادارة القائمين بالأمر ·

روى البدري انه كان في كل شرف من ذينك الشرفين عدة من المدارس والمساجد ولكل واحد ما يكفيه من الأوقاف استولت عليها أيدي المتشبهين بالفقهاء فأظهروا فيها انواع المفاسد ، قال النواجي :

ألا إن وادي الشام أصبح آية محاسنه ما بين اهل النهى تتلى
وإن شرفت بالنيل مصر فلم يزل دمشق لهابالغوطةالشرف الأعلى

وفي الشرف الأعلى اليوم قامت حديقة الأمة والمشتل الزراعي ومدرسة التجهيز للذكور ، وهي من المباني المحدثة البديعة ، وفي الشرف الأدنى أقيمت الثكنة الحميدية والجامعة السورية والمستشفى الوطني ودار الآثار والتكية السليمانية ·

ذكر ابن عبد الهادي من اهل القرن التاسع في تاريخ الصالحية من المحاسن محلات الشرفين المطلين على الميدان أي الميدان الأخضر الذي نطلق عليه اسم مرج الحشيش اليوم ، وكان عامراً من الطرفين ، وفيه خطب ومدارس ودور الأمراء وتدق نوباتهم في كل ليلة ، وفيه حوانيت وخانات حتى يوصل منه الى النيرب ثم منه الى الدهشة ومنها الى الربوة ، قال وكان جميع ما تقدم في تاريخ السبعمائة عامراً آهلاً ، وتعدى عليه في عصر الثمانمائة وبطلت منه الخطب والى الآن ، قال : وبقية الأماكن من الربوة الى السهم والنيرب والشبلية ومحلة طاحون الشنان ومحلة الميطور وقصر اللبان والشرفين فكلها تبدلت بعد الأماكن بالجنان ·

ومع شدة اختلاط الغوطيين بأهل الحاضرة لا تزال الأمية غالبة عليهم ، ولا تزيد المدارس الابتدائية التي أنشأتها الحكومة فيها عن ثنتين وعشرين مدرسة

للذكور والاناث ، والواجب أن تكون ثمانين نصفها الذكور والنصف الآخر للاناث ، ولم ترسل الحكومة اليها الوعاظ والخطباء من طبقة جيدة فأصبح المجال رحباً للمخرفين ، يؤذون العقول بخرافاتهم ويستلبون مافي الجيوب ، ويقلّ الذكاء في الغوطة ويكثر النشاط .

خرج من الغوطة أجلة المحدثين والفقهاء والأدباء والحفاظ ومنهم الحافظ الزملكاني والحافظ اليلداني ، وخرج من حرستا محمد بن الحسن صاحب الامام أبي حنيفة ، ذكر بعض من أخرجتهم أرضها ممن كتبوا في خطط هذه المدينة وغوطتها ، وعنوا بالرجال من أهلها فترجموا لهم ولا سيا لحفاظ الحديث .

نعم كانت معظم قرى الغوطة أشبه بمراكز علم ورواية ، ومن جملة تآليف الحافظ ابن عساكر من أهل القرن السادس كتاب روايات ساكني داريا ستة أجزاء ، وكتاب من نزل المزة وحدث بها جزء واحد ، وكتاب أحاديث كفرسوسية جزء واحد ، وكتاب احاديث صنعاء الشام جزءان ، وكتاب فضل الربوة والنيرب ومن حدث بها . وكتاب حديث الحميريين وقيبية جزء واحد ، كتاب حديث أهل فذايا وبيت أرانس وبيت قوفا جزء واحد ، وكتاب حديث أهل قرية البلاط جزء ، ومن حديث اهل زبدين وجسرين جزء واحد ، ومن حديث سلمة بن علي البلاطي جزءان ، ومن حديث أهل بيت سوى جزء واحد ، ومن حديث دومة ومسرابا والقصير جزء ، ومن حديث جماعة من أهل حرستا جزء ، ومن حديث أهل كفربطنا جزء ، ومن حديث أهل دَقَانِية [1] وجيرة وعين ثرماء وَجدَيا وطرَميس جزء ومن حديث جماعة من أهل بيت لهيا جزء واحد . ومن حديث يحيى بن حمزة البتلهي جزءان . ومن حديث أهل برزة جزء . اه وجميع هذه القرى من قرى الغوطة والذي دثر منها صنعاء الشام أو صنعاء دمشق ، وكانت في منتصف الطريق بين دمشق والمزة خرج منها محدثون كثار ، ومنها النيرب والحميريون وفذايا وبيت أرانس وبيت قوفا والقصير

(١) ذكرها ابن طولون في ضرب الحوطة والغالب انها دثرت بعد القرن الحادي عشر

ولاقانية وجديا وطرميس وبيت لهيا وقبيبة . وبعض قرى الغوطة كانت الى القرن الثامن والتاسع تزدان ببعض العلماء والأدباء ، ويكفي ان مثل الحافظ الذهبي في القرن الثامن كان يدرس في كفربطنا ، وزعم ابن طولون الصالحي ان الذهبي من جماعة من الأئمة المحدثين الذين خرجوا من كفربطنا أي انه من أهل هذه القرية .

وبعد فان الغوطة اليوم ينقصها كثير من مرافق المدنية ، اذ أتت عليها قرون كانت الحكومة تأخذ خيرها وأموالها ولا تنفق عليها واحداً في المئة مما تأخذ ، فتأخرت بمعارفها وتعطلت طرقها وجسورها ومدارسها وجوامعها ، وليس فيها غير بضع طرق معبدة في الجملة ، وهذا مما تم في العهد الأخير ، وطرقها القديمة عريضة جداً فاستصفى اكثرها بعض من يستحلون كل شيء في جمع ثروتهم

هذا وليس في الغوطة من آثار المدنية سوى خط ترام كهربائي يربط دمشق بحاضرة الغوطة الشمالية اي دومة ، وطوله أربعة عشر كيلو متراً يمر ببساتين العنابة وأرض جوبر وزملكا وعربيل وحرستا ودومة ، واذا امتد هذا الخط الكهربائي فوصل بين دومة وداريا فدمشق ماراً بأمهات قرى الغوطة الوسطى والجنوبية مثل حمورية وسقبا و كفربطنا وجسرين والحديثة وزبدين والمليحة وجرمانا وعقربا ويلدا وببيلا والقدم و كفرسوسية والمزة ، اي ربطت الغوطتان القبلية بالشمالية ، ومدت قساطل ماء عين الفيجة الى القرى كافة (والقوم يشربون الى اليوم من آبار لهم ترشح من الأنهار القذرة) تصبح قرى الغوطة محيطة بدمشق احاطة الهالة بالقمر ، وتغدو هذه المزارع والقريات كأنها بعض أحياء الفيحاء ومحلاتها ، وتنقلب بعض تلك الدساكر مصايف ومشاتي ، وكلما زاد عدد الجادات العظمى فيها وبنيت الفنادق والمقاهي تغدو الغوطة قبلة المتنزهين ، وكلما زاد عدد البيوت والقصور استحالت الغوطة من أرض زراعية الى منازل تتسع بها دمشق حتى تصبح عاصمة كبرى كالقاهرة .

اذا تم هذا يتحقق في الغوطة ما ادعاه بعض المفسرين في قوله تعالى « إرَم ذاتِ العمادِ التي لمْ يُخلق مثلها في البلاد) من أن ذات العماد هي دمشق حاضرة

الغوطة وكان فيها فيما قيل أربعمائة الف عمود ، وفي قوله تعالى (وآويناهما الى رَبوةٍ ذَاتِ قرارٍ ومَعين) من انها أيضاً مدينة دمشق بأرض يقال لها الغوطة .

طرائقها الزراعية

قال أحد العارفين ان لمدينة دمشق طابعاً خاصاً في مرافقها ومصانعها وأوضاعها ومناحيها ، قد لا ترى ما يماثله في البلدان الأخرى ، وهذا الطابع يتناول غوطتها أيضاً ، فان الناظر في ارجائها لا يزال الى اليوم يرى الزراعة فيها على الطرق القديمة ، لم تتسرب اليها الأساليب الحديثة الا قليلاً ، ثم ان ما أدخلته من التحسن في زراعتها وصناعاتها الزراعية قد تلحظ أنها تمثلته وتبنته ، فهي تسير في معظم حالاتها على أصول الأجداد ، ولكن مع الاتقان والاحتفاظ أبداً بطابع القرون الغابرة ، ومعظم ما عملته فيها الأيدي والعقول لا يبدو عليه التجدد الا بقدر الخال في الوجه الجميل ، ذلك لأن من عادة الغوطيين الا يبادروا الى اقتباس الجديد الا اذا قامت لهم البراهين على عظيم فائدته ، ويعصون على مالم يألفوا ، لا يخرجون عن طبيعة أرضهم ، وقد عرفوا بالصبر على استثمار الشجر واستنبات النبات .

يستخرج الغوطيون الزيت من زيتونهم ، والدبس من عنبهم ، والعصير (القمرالدين) من مشمشهم ، والورد والعطور من زهرهم وورودهم ، والصابون من زيتهم ، والأجبان والسمون والزّبد والقشدة من البانهم ، والطحينة والشيرج من سمسمهم ، والنشاء من برّهم . ويقطفون الزيتون والجوز بعصيهم ، وينقعون القنب في حُفرهم ، ويستخرجون أليافه على أسلوبهم ، ومنها يفتلون حبالهم وخيوطهم ، ويدبغون من جلود حيواناتهم سختيانهم ، ويحيكون من صوفهم قماشهم وثيابهم ، ويتخذون من اخشابهم أدوات زراعتهم وصناديق فاكهتهم ومنجور بيوتهم ، ووقودهم من حطبهم وبناؤهم من ترابهم وما برحوا يعلفون دوابهم بالقديم من طرائقهم ، ويحرثون الأرض ويزرعونها ويسقونها على نحو ما كان يفعل آباؤهم .

وما جلب بعض الغوطيين الآلات الرافعة واعتمدوا عليها لإرواء صعيدهم إلا

لما أعوزتهم اسالة المياه من أنهارهم ، وشحت الجداول في بعض السنين لخافوا أن تصوّح ادواحهم ، وما عرفوا الأسمدة الكيماوية الا عندما قلت الأسمدة الطبيعية ، وما عادت تكفي لما طمحت نفوسهم الى تسميده وتجديده من الأرَضين ، وما ألفوا تذرية الحبوب بالآلة التي اوجدها احد مواطنيهم الا لما ثبت لهم ان تذريتها بالمذراة وتحين هبوب الريح ، مما يطيل امد استخراجها من تبنها ، وتضيع عليهم بعض حباتها .

وكأن الغوطة السمحة التربة ، المعتدلة الهواء ، الصافية الأديم تعطف على الفقير أيضاً ، فلا ترى أن تقطع رزقه ، وتحرم الصانع والعامل من أبنائها أجور سواعدهم ، فلا تعمد الى الآلات والأدوات الحديثة الا في أحوال شاذة . الغوطة تتوقى الغلطة التي وقع فيها الغرب لما استعاض عن الأيدي العاملة بما اخترع من الآلات ، فهي لا تريد أن ترتكب هذه السقطة لئلا يكثر فيها الناقمون والموتورون ، ثم تعم الاشتراكية ، وتنتشر الفوضى ، ويفسد الأمن ، ويتقلقل الحكم .

ورث الغوطيون عن آبائهم معرفة تأثير الهواء في الزروع والأشجار ، وأخذوا عنهم أصول زراعة الارض واستثمارها ، ومعرفة تربتها وارروائها ، وما يصلحها وما يضرها ، لا يُخلون بشيء مما نقلوه عنهم ، وأساليبهم في ذلك سليمة في الجملة ، وقد تكون أقرب الى العمل من كثير مما اهتدى اليه العلم الحديث ، وصعب عليهم تطبيقه ، والانتفاع به حق المنفعة . رسخت في نفوسهم طرائقهم القديمة ، فمن الصعب ان تزين لهم طرقاً جديدة يتبعونها ، وندر من تعلم الزراعة من ابنائهم على الأصول الحديثة ، اكتفاء بالذي ثقفوه عن أجدادهم .

فعلى عاتق الحكومة ، والحالة هذه ، واجب تعليم الغوطيين فيما تربو به مكاسبهم ، وتعتقد فيه هناءتهم وناعمَ عيشهم . وعليها ان تقيم لهم المخابر والمشاتل والمناحل وحظائر الدواجن الى ما شاكل ذلك على ما يقضي به العلم العصري ، ويفرض على حكومة ترى من الواجب عليها انماء الثروة العامة ، أن توجد للعاطلين أشهراً من كل عام ، عملاً

يقتاتون به . ولو صرفت العناية بالصناعات الزراعية ، ولا سيما تربية المواشي والنحل وتربية الدواجن والطيور اكثر مما عليه الحال الآن ، لكان للغوطة من وراء ذلك أرباح ثابتة لا يُستهان بها تُضاف الى رَيع أرضها وغاباتها ، فان البقر البلدي والماعز البلدي في الغوطة هما من عرق أصيل لا يكاد يكون له مثيل في سائر أقاليم الشام ، لكثرة ما يدرُّ من الألبان الجيدة . وهذه الأنواع من الضرع لا تعيش في غير ظلال الغوطة ، ولا تستمرئ غير مراعيها ومياهها ، ويسقط النحل بما في الغوطة من أشجار مثمرة وأزهار عطرة على غذاء شهي لا مثيل له في الأقاليم الأُخرى .

كان في الغوطة صناعات زراعية رابحة نازعتها صناعات أرقى ظهرت في اقطار أخرى ، فعطلت تلك الصناعات او ضعفت ضعفاً محسوساً لقلة الصادر منها الى الاقطار المجاورة على الأقل ، كما حدث للصابون لما نازعه الصابون الغربي الذي هو هناك وليد الكيمياء الحديثة ، وكما حدث للعطور والطيوب لما اخترعت الطيوب الاوربية نتيجة لازمة ايضاً لانتشار الكيمياء ، وكما توقفت منسوجات القطن والكتان والحرير فبارت .

وقد أبقى لنا شيخ الربوة من أهل القرن الثامن في كتابه (نخبة الدهر في عجائب البر والبحر) صورة استخراج العطر من ازهار الغوطة وورودها ، قال : ان حراقته تلقى على طرقات المزّة وفي دروبها وازقتها كالمزابل فلا يكون لرائحتـه نظير ، ويكون ألذّ من المسك الى مدة انقضاء الورد . وذكر صنعة اخراجه بالكركات والانابيق ، ورسم صورها وطرق استعمالها ، وما هنالك من كركات أخرى يستخرج منها ماء الورد وغيره من المياه بلا ماء بل بوَقود الحطب ، وذلك بعد حشو القرع بالورد وبلسان الثور وبزهر النيلوفر أو البان وزهر النارنج والشقشقيق والهندباء او بورق القرنفل .

قال ويحمل الورد المستخرج بالمزة الى سائر البلاد الجنوبية كالحجاز وما وراء ذلك ، وكذلك يحمل زهر الورد المزي الى الهند والسند والصين والى ما وراء ذلك ، ويسمى هناك الزهر . ومما أرخوه انه كان لقاضي القضاة الحنفية ولأخيه قطعة بأرض تسمى شوز الزهر طولها مائة وعشر خطوات ، وعرضها خمس وسبعون خطوة ،

باع منها عشرين قنطاراً باثنين وعشرين الف درهم ، وذلك سنة خمس وستين وستمائة ، وهذا لم يسمع بمثله .

وفي العهد القديم أيضاً كانت بعض القرى تختص بأشياء قد لا توجد في غيرها ، فقد ذكر القرماني أن في «عقربا» العنب الزيني الذي لا نظير له ، واليوم ليست كذلك ، ولا يجود هذا الصنف من العنب في غير قرية داريا ، ويجود في مدينة دمشق وحدائقها انواع العنب الكبير الحجم كالبلدي والبيتموني وغيرهما ، وكان ينسب القماش الى عقربا ايضاً فبطل عمله فيها من قرنين على الأغلب

روى البدري في محاسن الشام انه كان بالغوطة أشجار تحمل الواحدة منها اربع فواكه كالمشمش والخوخ والتفاح والكمثرى ، وبها ما يحمل الثلاث واقلهن اللونان من الفاكهة قال : وهذا موجود الى يومنا هذا (القرن التاسع) فاني رأيت بها الكرمة الواحدة تطرح العنب الأبيض والاسود والاحمر ، رأيت بوادي النيربين شجرة توت تطرح التوت الابيض والاسود قال : وهذا من صنعة الفلاحة ويسمى التطعيم ، وذكر صورته كما هي معروفة الى اليوم .

ورأينا لهذا العهد قرية جرمانا تصنع أعبئة من الحرير والمرعز وغيرهما تليق ان تكون كسوة الملوك والملكات لجمال صنعها وتفويفها ، وقد نازعتها الألبسة الجديدة حتى كاد يقضى على انفع لباس اخترعته العرب في الدهر السالف ، وهو صالح لكل زمن لأنه لباس وغطاء ووطاء ، يقي البرد والحر ويتجمل به الرجال والنساء .

متنزهات الغوطة

في الغوطة عدة متنزهات هام بها الشعراء وذكروها ، وحنوا اليها حنو الحبيب لحبيبه ، منها (سَطرا) و (مَقرا) وفيها يقول عبد الرحمن ابن خطيب داريا وقد أحسن التورية :

خليليَّ ان وافيتما الشامَ بكرة وعاينتما (الشقراء) والغوطة الخضرا
قفا واقرأا عني كتاباً كتبته بدمعي لكم (مقرا) ولا تنسيا (سطرا)

و (الشقراء) مطلة على المرج الأخضر وعندها اليوم طاحون يقال لها طاحونة الشقراء ، و (مَقرَا) المكان المعروف عند طاحون الشنان في شمالي شرقي البلد . و (سطرا) عند جامع منجك قرب برج الرؤوس من ناحية الشرق ، وكان (البلكي) متنزهاً حسناً بين سطرا ومقرا . روى البدري ان الناس يجتمعون فيه أيام زهر السفرجل ويطلقون الماء تحت أشجارها ، ويوقدون في ظلمة الشهر قشور البيض ويطلقونها في الماء ، ويعلقون قشور النارنج موقدة في الاشجار ، ويضربون الخيام في بستان الحاجب ، ويقطعون فيه أياماً وأوقاتاً من اللذة والانشراح يعجز الوصف عنها .

قال ابن طولون الصالحي : أعظم متنزهات دمشق (الربوة) كان بها اربعة مساجد وجامع بخطبة ومدرسة وكان بها (التخوت) وهو قصر مرتفع على سن جبل به قاعة وطبقات على هيئة الايوان ينظر الجالس هناك من مسافة يوم لو لم يكن حائل به ، وكان بها خمسة مقاصف[1] اثنان شرقي نهر بردى وثلاثة غربيه ، وكان بها (العاشق) و (المعشوق) وهما برجان للحمام في لحف الجبل الغربي وشماليها برج عتيق يسمى (العذول) . وقال : انها خربت ثم عمرت وهكذا مراراً ، وفي عهده بقيت مأوى للوحوش قال بعضهم :

شوقي (يزيد) وقلب الصب ما بردا (وبان يامي) من (المعشوق) حين غدا
ومدمعي (قنوات) والعذول حكى (ثورا) بلوم الفتى في عشقه حسدا
على مغنية (بالجنك) جاوبها شبابة كم بها من (عاشق) سهدا
فالبدر (جبهتها) والدف (ربوتها) وخلها مات في (خلخالها) كمدا

و (الخلخال) و (العاشق) و (المعشوق) و (الجنك) و (الجبهة) و (الدف) كلها من متنزهات دمشق في غربي المدينة .

(١) التقصف : اللهو واللعب على الطعام والشراب ، والمقصف محله وكانت المقاصف قبل ان تكون المقاهي وكلاهما يتشابهان .

يقول ابن طولون : وفي شرقي الربوة (قطية) وهو مكان كان فيه سمان وشرائحي ومقاصفي وقد خربت ، وشرقها في الطريق المذكور (الجبهة) على حافة نهر بردى له مسجد ودكاكين ومقصف ، وظل الدف والجنك معروفين الى القرون الأخيرة فقد ذكر الرحالة الخياري في القرن الحادي عشر (الباسطية[1]) من متنزهات الصالحية وقال انه مرّ أيضاً في طريقه الى الربوة بالنيربين والجنك والدف والميطور وهي أسماء متنزهات . وقد مدح الأمير منجك قصر والده في غربي المدينة بقوله :

قصر الأمير بوادى النيربين سقى ربالك عني من الوسميّ مدرارُ
كم مرّ لي فيك أيام هواجرها أصائل ولياليهنّ أسحار
حيث الشبيبة بكر في نضارتها وللصبابة احلاف وأنصار
حيث الرياض تغنيني حمائمها (بالدف) و(الجنك)و(الميطور)لي جار
حيث الخمائل أفلاك بها طلعت زهر من الزّهر والندمان أقمار

وتشوّق ابو المحاسن الشواء الحلبي الى متنزهات دمشق ، ومنها ما دثر اسمه اليوم بقوله :

عاطياني حديثَ (سطرا)و(مقرا) وابسطالي في هجري الكأس عذرا
أنا مالي وشربَ كاسات خمر شغلتني عنهن كاسات ذكرى
كم نعمنا في (بيت لهيا) بلهو وعلونا (بالقصر) و (السهم) قصرا
ومررنا (بدير مران) نشدو فيه نظماً وتسجع الوُرق نثرا
نتفيا مابين (الارزة[2]) والقا بون دوحاً يبدل القيظ قُرا
إن عندي يا (بيت أبيات) و (السيـ لون[3]) شوقاً اليكما مستمرا

(١) لم يذكر اسمها فيما أمامنا من الأسفار .
(٢) أرزة كانت الى القرن العاشر موجودة كما قال ابن طولون .
(٣) بيت ابيات حارة كانت غربي الصالحية ـ قاله ابن طولون الصالحي ـ ولم يذكر في المراجع اسم (سيلون) وسيلون اليوم بستان مطلّ على الربوة من أرض المزة وهو ملك سمو الامير يوسف كمال .

بأبي (برزةً) فكم قد برزنا نتهادى فيها الى القصف جهرا
يا خليليَّ ساعداني واني كنت بالحب قبل ذا اليوم غِرّا
خبراني عن (القصير [1]) و (حرنا) بخبير وددت لو كان خبرا
(معربا)و(الدريج [2]) و (التل) جنا ت بعدنا عنها ولم نأت وزرا
و (مَنين) بها مناي فمن لي أن أقضي فيها من العمر شطرا
فثنايا على (الثنية) قصا وابسطا لي عذراً بأكناف (عذرا)
عللاني (بكفربطنا) و (جديا) وذراني من ذكر لُبنى وعفرا
واسألا لي عن (جوبر) ثم (جرمانا) فلي فيهما مآرب أخرى
واكم بين (دومة) و (حرستا) غرف توقف النواظر حسرى
ودَّ جفني ان لو غدا بين (يروى) و (كثار [3]) يكاثر المزن قطرا
(فلقلبين) بات قلبي مشوقاً و (لعربين) ظلت العين عبرى
(بزملكا)و (عين ثرما)و (سقبا) و (بجسرين) ظلت اربع شهرا
لي رياض كأنهن السموا ت تضاهي زهر الكواكب زهرا
ثم قصّا عليَّ أخبار (أشفانية [4]) تغنما بذلك اجرا
فلنا حولها مطارح لهو مسَّ كف الحيا ثراها فأثرى
(حاقباتا) و (بيت قوفا) و (ببيلا) و (يلدا) قرىً بها أنا مغرى
انتحي حيثما توجهت ظلاً وأرى حيثما تلفت نهرا
ولنا تحت دوحها حرم نأ وي اليه اذا الهجير استمرا
(بحجيرا) و (تلفياتا) و (دير البالسي [5]) انهمكت في اللهو سرا

(١) في ضرب الحوطة ان القصير غربي كفرسوسية
(٢) معربا والدريج وحرنة ومنين والثنية ثنية العقاب من قرى جبل سنير أي قاموق، شمالي النوطة .
(٣) ان كلة كثار ويروى اسم قريتين أو متنزهين من متنزهات الغوطة على ما يظن .
(٤) أشفانية لم نتحققها ولعلها شفونية أو اشفونية من قرى المرج
(٥) من القرى التي لم نعرف لها ذكراً فيما لدينا من الكتب .

دمن لو أقيس حسن دماها بسواها لجئت شيئاً نكراً
واذكرا (عقربا) و (دير الصفاف ير[1]) لسمعي ان شئتما ان تسرا
فالى (بيت رانس) والى (دير النوا طير[2]) هزني الشوق سكرا
ولنا (بالبلاط) أوقات أنس نجتليها مجملاتٍ غُرّا
كم فتكنا بالهمّ فيها وأوسعْ نا صروف الزمان هجراً وهجرا
وشممنا من روض «راوية» نفحة ريح أذكى من المسك نشرا
ياليالي «بكفرسوسية» كانت وهي «بالمزة» الأنيقة زهرا
ويك عودي لا اخضر عودي ان رمت مدى الدهر عن جنابك صبرا
فسقى واكف الحيا ربوة ذات قرار بهمي ليالي عشرا
جاء في محكم الكتاب لها وصف فماذا يقول من قال شعرا

ومن متنزهات الغوطة [السهم] وهو متصل بأرض الصالحية قال البدري في محاسن الشام: وهو درب ما بين دور وقصور وفاكهة وزهور ومياه تجري بهدير كالبحور، وفيه يقول القيراطي:

دمشق بواديها رياض نواضر بها ينجلي عن قلب ناظرها الهمُّ
على نفسه فليبك من ضاع عمره وليس له فيها [نصيب] [ولا سهم][3]

قلنا: ان من متنزهاتها الخلخال، وكان هو والمنيبع محلتين، وفي محلة الخلخال سويقة وحوانيت وفرن وحمام وهي مسكن الأتراك (في القرن التاسع) وكذلك المنيبع والشرفان وبه تدق طبلخاناتهم وبها زاويتان، وفي المنيبع محلة وسويقة وحمام وافران وبها مدرسة الخاتونية وهي من أعاجيب الدهر يمر بصحنها نهر بانياس ونهر القنوات على بابها وبجوارها دار الأمير ابن منجك [قاله البدري] يتبع

(١) من قرى المرج (٢) قرية أو متنزه لم نرَ له ذكراً في الكتب.

(٣) السهم من متنزهات دمشق والغالب أن اسم نصيب هو متنزه أيضاً ولكن ليس له ذكر فيما رجعنا اليه من المصادر، ونصيب قرية من قرى حوران.

مخطوطات ومطبوعات

ديوان الشبيبي

أذكر ان السيد محمداً رضا الشبيبي هبط دمشق الشام سنة ١٩٢٠ ، وأقام بغرفة تُطل على شجرات شارع جمال باشا الذي سمي بعد انزعاج الترك عن الشام : شارع النصر ، وقد كنت أزوره في تلك الغرفة وأتمتع بسهولة خلقه ، وهدوء طبعه ، واني لفي زيارته في يوم من الايام اذ مرّت بالشارع صِرْمة من الإبل يحدوها فتى أعرابي ، فوقعت عين السيد الشبيبي على تلك الإبل فانحدرت دموعه على خديه ، فبلغ مني العجب كل مبلغ ، ولكني لم اسأله عن بكائه ، ولم يستطع ان يكتم سبب البكاء ، فقال : أتعرف لماذا أبكي ؟ اني لما رأيت هذه الإبل ، ذكرت العراق وإبل العراق وصحراوات العراق ، فاشتد بي الحنين الى الوطن فبكيت .

اذا شاء القارئ ان لا يجد في هذا الخبر شيئاً ذا بال فله رأيه ، غير اني لا استطيع ان امرّ بمثل هذا الخبر من دون ان اجعل له صلةً قوية بشاعرية السيد محمد رضا الشبيبي ، فان تلك الدموع المضطربة على خديه كانت لي عنوان شعره ، ولم اعجب بعد ما رأيت من فرط رقته من ان يكون ديوانه مرآة صادقةً تعرض علينا ما تعاقب على العراق في خلال ثلاثين سنة من احداث ، وما تقلب فيه من آلام .

وسواء أكانت هذه المرآة تعرض علينا صورة الحماسة ام الاجتماع ام الاخلاق ام الوجدان ام الوصف او الرثاء فانها مرآة من العصر الذي عاش فيه البحتري وأمثاله ، على صورها رقة ذلك العصر ، وعذوبة تلك الأيام ، والذين يرون في زمننا هذا ان الشعر العربي قد مات او كاد يموت فاني اقول لهم : طالعوا ديوان

الشبيبي ، فان الشعر العربي النقي الديباجة ، الطاهر الغرض ، لا يزال حياً ، ولا تخلو هذه النقاوة وهذه الطهارة من كثير من البساطة ، والبساطة انما هي عنوان العظمة في كل شيء ، وقد فطن السيد الشبيبي الى فضلها فقال :

متى خيروني في الكلام ونسجه رضيتُ بسيط القول لم أتأنق

ولماذا لا اذكر نموذجاً من هذا الشعر :

يا راكبين الى دمشق تزودوا منا السلام ، لكل ركب زاد
الملك مضطرب النظام ، كأنه جسد ، دمشق الشام منه فؤاد
هل في مروج الغوطتين لأهلها ولرائديهـا مَربع ومَراد
وهل الرُّبا حُلل ضوافٍ طُرِّزت وطرازها الازهار والأوراد
وشيت من الروض الاريض مطارف خضرُ الأديم ، وفوِّفت أبراد
بين الغصون ومن مشين تشابه في الحال ، كلٌّ مورق مياد
تلك القصور كأنهن قلائد فوق الشطوط كأنهـا اجياد
أو ما تزال على معاهد جلقٍ ترد الضيوف ونصدر الورَّاد

* * *

هذا هو الشعر الذي اذا قرأته فانك تشعر بأنك تقرأ شعراً عربياً عليه آثار بيان العرب وأسلوب العرب وتصوير العرب ، فلا عجمة في هذا البيان ، ولا غرابة في هذا الأسلوب ولا رطانة في هذا التصوير .

شفيق جبري



كتاب الذخيرة أيضاً

في مثل هذه الايام من العام الماضي علق البصر بهذا السفر النفيس لابن بسام فسرحت الطرف في فهرسه ألتهم موضوعاته وانا لا اكاد اصدق من فرط السرور ان الزمان سيسمح بنشر هذا الكتاب . وقفت عند رقم يتعلق بالامام ابن حزم الذي كنت انتهيت من اصدار كتابي عنه قبيل ذلك، فقرأت متثبتاً ما ذكر عنه ابن بسام، فوقفت عند بعض التصحيف ولما طالعت ما كتب في التعريف بالكتاب في مجلة المجمع العلمي العربي احببت ان ارفع ماعنّ لي من ملاحظة الى الأساتيذ الأجلاء الذين فرغوا انفسهم لخدمة هذا الأثر الجليل ولحضراتهم الفضل :

١ — في ص ١٤٤ هذا البيت :

كأنك بالزوار لي قد تنادروا وقيل لهم اودى علي بن احمد

ولا معنى فيه لـ [تنادروا] والصواب : [تبادروا] بالباء كما في ارشاد الأريب ونفح الطيب [ترجمة ابن حزم]

٢ — في ص ١٤٥ :

هنالك تدري ان للعبد غصة وأن كساد العلم آفته الغرب

والصواب كما يقتضيه السياق وكما في المصدر السابق :

هنالك تدري ان للعبد قصة وان كساد العلم آفته القرب

٣ — أرجح ان [تشوقوا] في قوله ص ١٤٥ :

فوا عجبا من غاب عنهم تشوقوا له ودنو المرء من دارهم ذنب

محرفة عن [تشوفوا] بالفاء بمعنى اشرأبوا، وهو اجود .

٤ — لم اجد معنىً مناسباً لكلمة [سغب] الواردة في قوله ص ١٤٦ :

وان رجالاً ضيعوني لضيع وإن زماناً لم انل خصبه سغب

والصحيح مافي ارشاد الأريب : وان زماناً لم انل خصبه جدب

٥ — وكذلك كلمة (ميقعة) في قوله ص ١٤٦ :

ذو الفضل كالتبر طوراً تحت ميقعة وتارة في ذرى تاج على ملك

والميقعة — كما في القاموس — خشبة القصار يدق عليها ؛ والمطرقة ؛ والموضع الذي يألفه البازي والمسن الطويل . وليس لأحد هذه المعاني مناسبة في البيت . وانما الصواب : « تحت متربة » كما في نفح الطيب

٦ — في ص ١٤٢ : « جهله بسياسة العلم التي هي اعرض من ايعابه » والذي احفظه : « اعوص من اتقانه »

٧ — في ص ١٤٢ : « ابوه الوزير المعَقَّل في زمانه » ولم ار مسوغاً للتشديد لأن [المعْقِل] بالتخفيف اسوغ .

٨ — في ص ١٤٢ : « فما من شرف الا مسبوق عن خارجية » ولعل صوابها : فما من شرف إلا مسوق عن خارجيته : كما في ارشاد الأريب [ترجمة ابن حزم] .

٩ — لعل الأولى في كلمة [رحم معقومة] المذكورة في ص ١٤٢ ان يقال : « رحم معقوقة » بالقاف لا بالميم

١٠ — ضبطوا في ص ١٤٤ [تحرقوا] بفتح فسكون ؛ وانما الفعل بالمعنى المذكور رباعي لا ثلاثي ؛ فالصواب : [تُحرقوا] بالضم فالسكون .

١١ — في ص ١٤٣ : « الفصل بين اهل الآراء والنحل » والمعروف من المصادر : « الفصل في الملل والأهواء والنحل » والكتاب مطبوع متداول . وكذلك كتاب « كشف الالتباس ما بين اصحاب الظاهر واصحاب القياس » صواب [ما] ان تكون [لما] .

هذا ما لفت نظري في الصفحات الخمس المتعلقة بابن حزم . وقد اعجبتني الاعجاب كله كلمة الدكتور طه حسين في ختام مقدمته :

هناك نصوص لم تستقم لنا ولم نوفق الى اقامتها ، ومن الجائز بل من الراجح ان تكون هناك اغلاط قد مرت بنا أو مررنا بها فلم نود ان تكشف لنا عن

نفسها ولم نستطع نحن ان نكشف لانفسنا عنها . ولكن الانتاج العلمي مشاركة كله ، بل أخص صفاته انه تعاون بين المنتجين والمستهلكين كما يقول اصحاب الاقتصاد. فليصلح القراء ما فات الناشرين ومن يدري لعلهم ان يضطروا في كثير من الاحيان الى ان يصلحوا ما فات المؤلف نفسه . والمهم ان نعمل وان نسعى جهدنا الى الخير وعلى الله قصد السبيل »

ان هذا الكلام لا يقوله الا الاثبات الثقات من العلماء الذين كثرت معاناتهم لآثارنا وتصحيحها ، والذين استطال تحرهم وتدقيقهم . واني بعد لشاكر لكل من ساهم في هذا العمل المجيد أخلص الشكر ، مكبر لهم غاية الإكبار .

سعيد الافغاني



الآداب الاسلامية

تأليف السيد علي فكري في ٢٥٥ صفحة

طبع في مطبعة عيسى البابي بمصر سنة ١٩٣٧ م

كتاب لطيف الحجم حسن الطبع ضمنه مؤلفه الفاضل أهم ما يحتاج اليه المرء في دينه ودنياه من الآداب الصحيحة ، والاخلاق الفاضلة . وقد جعل الاستشهاد فيه مقصوراً على ما ورد في القرآن الكريم والسنة الصحيحة : فكان اول ابوابه ادب المرء مع الله تعالى ثم مع رسوله صلى الله عليه وسلم وولاة الأمور والوالدين والاقارب والجار والصاحب وسائر الناس : كيف يزورهم ، ويجالسهم ، ويحادثهم ويؤاكلهم : فهو يذكر الآيات والاحاديث الواردة في ادب من الآداب ثم يفسرها موجزاً تارةً ومسهباً أخرى . ويعلق عليها من عنده احياناً تعليقاً فيه سهولة وفيه لين في التعبير بحيث يفهمه حتى عامة الناس . مثال ذلك تعليقه في موضوع الصدق قوله [فالتزم

ايها الإنسان نهج الصدق لتكون الصديق ذا المكانة العالية بين الناس ، والدرجة الرفيعة عند الله ، ولا تغشَ الكذب حتى لا تكون الفاجر الاثيم ، والكذاب المهين . واجعل صفحتك بيضاء نقية ، ومكانتك في المقربين علية ، ولقد صدق الشاعر في قوله :

واكرم الآداب صدق المنطق   اكرمْ به اكرمْ به من خلق

اعدل شاهدٍ على الصلاح   اقرب منهاجٍ الى الفلاح

ولم يستشهد المؤلف في كتابه الا بقليل من الشعر على نمط ما سمعت من هذين البيتين . ومن الشعر الذي استشهد به قصيدة ابتهالية في الحث على عبادة الله للشاعر اللبناني المشهور [الشيخ ناصيف اليازجي] وقد جاء في هذه القصيدة قول الشاعر [واطلب رضاه فانه لا يحقد) والقول ان الله تعالى لا يحقد على عبده المذنب تعبير مسيحي كان ينبغي للمؤلف ان ينبه اليه في ذيل الصفحة : لان وصف الله بالحقد ونفيه عنه لم يردا في الشرع الاسلامي كما لم يرد وصفه سبحانه بالحسد . بخلاف ما ورد مثل الغضب والانتقام مثلاً فان الله يوصف بهما ولكن لا يقاس عليهما غيرهما مما لم يرد .

وفي الكتاب اغلاط لغوية قليلة : من ذلك مافي ص ١٢ [دين الملة الحنفية السمحاء] وصوابه السمحة وفي ص ٤٥ [ان النبي صلى الله عليه وسلم أعظم رجل يجب احترامه وتهذيبه وتوقيره] فقوله وتهذيبه صوابه ان يقال مكانه [وتعزيره] بالراء وبالزاي وكلاهما بمعنى التعظيم والتوقير ، وفي ص ٤٧ قوله [ومكالمتكم معه] صوابه ومكالمتكم اياه او له على ان التكليم هنا افصح من المكالمة وغير ذلك مما تحملنا قلته على شكر المؤلف الفاضل واكبار عنايته في ابراز هذا الأثر المفيد ، فنلفت انظار الآباء والمربين اليه .

المغربي

الحضارة الاسلامية

في القرن الرابع الهجري

تأليف آدم متز وتعريب محمد عبد الهادي أبو ريدة طبع على نفقة بيت المغرب
الجزء الأول في ٤٥٦ الجزء الثاني والجزء الثالث في ٣٨١ صفحة
مطبعة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة

كان مؤلف هذا الكتاب من أساتذة جامعة بال في سويسرا كتب كتابه بالالمانية ونشر بعد وفاته «١٩١٧» ثم نقل الى الانكليزية والاسبانية وتقدم احد مدرسي كلية الآداب بالقاهرة الاستاذ بوريدة ونقله الى العربية بلغة راقية راداً فيه نصوص المؤلف الى الاصول العربية التي اخذ عنها من الكتب العربية القديمة ومعتمداً على نحو اربعين تأليفاً عربياً حفظت في خزائن الكتب في باريز وليدن ولندن وبرلين وليبسيك ومونيخ وفينا مما لم يكتب له ان ينشر بالطبع ، وهو عمل شاق قام به الاستاذ الناقل احسن قيام .

وموضوع الكتاب من اجل الموضوعات المفيدة للباحثين من ابناء الشرق والغرب في هذه الحضارة الاسلامية العجيبة ، تناول المؤلف كل ما رآه مهماً في جلاء حقائقها فتكلم على المملكة وعلى الخلفاء والامراء وابناء الذمة من النصارى واليهود وعلى الشيعة ، وعرض للادارة والوزارة والوزراء والمسائل المالية ورسوم دار الخلافة والاشراف والرقيق والعلماء وعلوم الدين والمذاهب الفقهية والقضاة واللغة والادب . وافاض في الجزء الثاني في خدمة العرب لفن الجغرافيا وما حدث من التطورات في الدين والأخلاق والعادات ومستوى المعيشة واحوال المدن والاعياد والحاصلات والصناعات والملاحة النهرية والبحرية والمواصلات البرية .

كل ذلك بأسلوب الافرنج الراقي في التأليف ، يأتيك بالنصوص وقد سلكها في سلك بديع ، وما رأى ان يدخل شخصه ويبين رأيه الا عند الضرورة ، ولئن

كان المؤلف لم يواته الاجل لاعادة النظر في كتابه ونشر بعده قبل ان ينقحه ويزيد وينقص فيه، إنه من خير ما كتبه الغربيون في هذه الحضارة تشهد فيه مسحة جميلة من الانصاف ومعرفة ثاقبة في ايراد الحقائق من دون عصبية ولا عنجهية ، وهذا قلّ ان يشاهد فيمن يكتبون في غيرهم من امم الحضارة الحديثة . قلّ في الناس من ينصف غيره من نفسه ، ولذلك كان معظم من كتبوا فينا من اهل الغرب كانوا اما مفرطين في كيل المديح لنا كيلاً وإما مغرضين في محاسبتنا على النقير والقطمير بدون انصاف ولا قسط ؛ اما آدم متز فنمط جديد فهو الهدوء والكمال والخلق والعلم .

ان هذا الكتاب من ابدع ما يقتنيه العربي ليقف على اقوال الباحثين في مدنية اجداده ، والشكر للمعهد الخليفي وللجنة التأليف على اختيارهما هذا الكتاب لنفع الناس . ومعظم الثناء يتوجه الى الاستاذ الناشر ولا يبعد ان يكون عانى من التعب في نقل هذا السفر البديع اكثر مما تعب المؤلف في جمع مواد كتابه ، أثابهم الله كلهم عن العلم .

محمد كرد علي



مجلة المجمع العلمي العربي

الجزء السادس حزيران سنة ١٩٤١ جمادى الآخرة سنة ١٣٦٠ ١٨٧

صفحات مطوية

عنيت منذ سبع سنين بوضع تاريخ لمدينة صفد عاصمة إحدى الممالك الشامية في دولتي المماليك المصرية واستعنتُ على ذلك بالعالم المصري أحمد تيمور باشا الذي توفاه الله في سنة ١٣٤٩ هـ ١٩٣١ م فأعانني بكتبه وخزانته الفنية وقيد لي بيده الكريمة شتى الفوائد مما سأذكره له في مقدمة التاريخ عند تمثيله بالطبع.

أما ما أريد نشره من الصفحات المطوية فهي أيضاً من فضل الاستاذ تيمور باشا رحمه الله وقد كان بعث بعضها الي في عداد مواد تاريخ صفد والبعض الآخر في سياق الاخبار التي تلت فتح عكا الاخير واجلاء الصليبيين عنها لأنني أخذت بالعمل على اعداد المواد اللازمة لتاريخ عكا أيضاً .

ولما كانت تلك الاخبار والتراجم المنقولة عن كتب مخطوطة تتعلق بدمشق وما اليها رأيت أن في نشرها بمجلة المجمع العلمي العربي فائدة لتاريخ البلاد لأن بعض هذه الاخبار لم يدوّن في التواريخ المطبوعة

عبد الله مخلص

من كتاب تاريخ الاسلام[1] للحافظ شمس الدين محمد بن احمد الذهبي

المتوفى سنة ٧٤٨ هـ ١٣٤٧ م نسخة دار الكتب المصرية رقم ٤٢ تاريخ

من حوداث سنة ٦٩١ هـ ١٢٩٢ م

وفي جمادى الاولى دخل دمشق الملك الاشرف ثم صلى بجامع دمشق يوم الجمعة بالمقصورة ، وأسرجت له شموع كثيرة وخلع على الخطيب عز الدين الفاروقي ، واقام السلطان بدمشق عشرة أيام وسار الى حلب فدخلها في اواخر الشهر بالجيوش

(١) تاريخ الاسلام للإمام الذهبي من أجلّ كتب التاريخ الاسلامي وقد أنار كثيراً من غوامض تاريخ دمشق خاصة ، مما أوجز الكلام عنه في التواريخ الاخرى ، وسننشر في جزء خاص من أجزاء المجمع ما جاء فيه عن تخريب المغول لدمشق سنة ٦٩٩ ـ ٧٠٠ للهجرة بتحقيق المستشرق المجري الاستاذ يوسف صومغي مع مقدمة له ممتعة .

وضيفه صاحب حماة وبالغ في الاحتفال وادخله الحمام . الى ان قال : وفي ثامن جمادى الآخرة نازل السلطان وجيوشه قلعة الروم وحاصرها شهراً وثلاثة أيام . وفي حادي عشر رجب فتحت قلعة الروم بالسيف عنوة ودقت البشائر وزينت البلاد وترحل السلطان وبقي عليها عسكر الشام والشجاعي لعمارتها وترميم ما تشعث بالمجانيق . وقدم السلطان حلب وعزل عنها قراسنقر المنصوري وأمر عليها سيف الدين بلبان الطباخي المنصوري متولي الساحل وامر على السواحل طغريل الابغاني وامر على قلعة الروم الامير عز الدين الموصلي . وفيه فتح الشجاعي الذاكات ، وهي معاقل الارمن على الفرات ، واخذ منها نحواً من الف نفس . وفيه بدت من الجمال المحقق معيد القيمرية هفوة في الدرس ، فقام مدرس القيمرية صدر الدين بن رزين وشكاه ، وجرت امور اوجبت ان المحقق اسلم عند القاضي شرف الدين الحنبلي وحكم باسلامه وحقن دمه ، وترك اعادة القيمرية وقايض نجم الدين الدمشقي الى اعادة الرّواحية . وفي تاسع شعبان دخل السلطان دمشق مؤيداً منصوراً والأسرى بين يديه منهم خليفة الارمن ، واما نائب السلطنة بيدرا وسنقر الأشقر وقراسنقر وبكتوت العلائي وكثير من الجيش فسار الى بعلبك ثم الى جبل الجرديين (كذا) ووافاهم من جهة الساحل ركن الدين طقصو وعز الدين أيبك الحموي فنزلوا على الجبل فخضر الى بيدرا مَن فتّر همته عنهم ، وتمكنوا من اطراف الجيش في تلك الجبال الوعرة ونالوا منهم ، فرجع الجيش شبه المقهورين ، وحصل للجبليين الطمع والقوة ثم هادنتهم الدولة وخلع على جماعة منهم وحصل بذلك للعسكر وهن . ثم قدم بيدرا دمشق فعاتبه السلطان فتألم ومرض وزاره السلطان ثم عوفي وعمل السلطان ختمة بجامع دمشق لعافيته . وليلة نصف رمضان توفى صدران كبيران موقعان عديما النظير فتح الدين محمد بن محيي الدين بن عبد الظاهر ، ومن الغد توفى سعد الدين سعد الله الفارقي . وفي رمضان احضر الامير علم الدين الدواداري من حبس الديار المصرية الى دمشق وانعم عليه السلطان وأعاده الى الامرة وافرج عن امواله

وحواصله ثم سار صحبة الركاب الشريف ٠ وفيه ولى الخطابة دمشق[١] موفق الدين محمد بن محمد بن جيش الحموي عوضاً عن الشيخ عز الدين الفاروقي فباشر يوم الجمعة الثامن والعشرين من رمضان وحضر السلطان يومئذ بالمقصورة ٠ وهرب الامير حسام الدين لاجين بسبب مسك الامير ركن الدين طقصور وخرج السلطان الى المرج في طلبه ونادت المنادية بدمشق علي الامير لاجين ٠ وفي سابع شوال دخل الشجاعي بعسكر دمشق اترا من ناحية قلعة الروم وقد فرغوا من اشتغالهم ٠ ويومئذ قيد الامير شمس الدين الاعسر وبعث الى مصر وعُزل الشجاعي من نيابة دمشق بعز الدين الحموي، وتوجه السلطان الى مصر في عاشر شوال بسحر، وبات اهل الاسواق بظاهر البلد مرتين بالشمع الى ميدان الحصى ٠ الى ان قال : وفي ذي الحجة قدم الشام نحو ثلثماية فارس من التتار مفقزين وتوجهوا الى القاهرة ٠ وفي أوائلها وقيل في اول سنة اثنتين احضر السلطان بين يديه سنقر الاشقر وطقصور فعاقبهما فأقرّا انهما عزما على قتله وان حسام الدين لاجين لم يكن معهما فأمر بهما فخنقا بوتر وافرج عن لاجين بعد ان كان الوتر في حلقه، وقيل خُنق وتُرك بآخر رمق فشفع فيه بيدرا والشجاعي فأطلقه وانزل الآخران الى البلد فسلما الى اهلهما واهلك معهما امراء منهم جرمك وسنقران والهاروني ٠

سنة ٦٩٢

في المحرم حكم بدمشق القاضي حسام الدين الحنفي للضاكيين بصحة نسبهم الى جعفر بن ابي طالب رضي الله عنه بعد ان سعوا وتعبوا ٠ وفي المحرم جاءت ريح عظيمة على الركب بمعان وبرد ومشقة ٠ وفيه نزل لصدر الدين بن الوكيل حموة شيخنا تاج الدين بن ابي عصرون عن تدريس الشامية الجوانية ٠

وفيه طلب السلطان من صاحب سيس قلعة بهسنا ومرعش وتل حمدون ؛ اما

(١) لعلها سقطت كلة بجامع بين الخطابة ودمشق عند النسخ

بهسنا فكانت للناصر صاحب حلب وبها نوّابه ، فلما اخذ هولاكو البلاد كان في بهسنا الامير سيف الدين العقرب فباعها لصاحب سيس بمائة الف درهم وسلمها اليه فبقي على المسلمين منها ضرر فأذعن صاحب سيس بتسليمها واضعف الحمل مع ذلك وتسلمها نواب السلطان في رجب ودقت البشائر · وفي المحرم قدم الدواداري وجماعة من امراء الديار المصرية وعز الدين ايبك الخزندار متولياً نيابة طرابلس عوضاً عن سيف الدين طغريل الايغاني · وسرح الى حلب ابن ملى فولى بعده تدريس الرواحية الشيخ كمال الدين بن الزملكاني · وفيها طهر السلطان أخاه الملك الناصر دام بقاؤه وابن اخيه موسى بن الملك الصالح واحتفلوا لذلك بالقاهرة احتفالاً زائداً · وفيها عمل للسلطان دهليز جليل اطلس مزركش بطراز وغرم عليه اموالا عظيمة · وفيها ولى ولاية البريد بدمشق سيف الدين اسندمر في رجب · وحج بالناس الامير بكتاش الطيار · وفي صفر جاءت زلزلة هدمت وانكت في غزة والرملة والكرك · وسار من دمشق اميران وعدد من الحجارين والصناع لاصلاح ما تهدم من ابرجة الكرك · وفيها مسك الامير عز الدين ازدمر العلائي وقيد بدمشق وبعث الى مصر وتوجه من دمشق شمس الدين سنقر المساح بطلب الى مصر وجاء على خبزه بدمشق بلبان الجبلي الخزندار · وفي ربيع الآخر توجه على البريد الى مصر صاحب حماة وعمه الملك الأفضل علي وجاء مملوك لسيف الدين طغجي بمرسوم بالحوطة على ابن جرادة فمسك ونفذ الى مصر واخذ ماله ونكب · وفيه تردد عيارة الفرنج في البحر الى الساحل وشعثوا بانطرسوس وطلعوا الى صيدا · وفي جمادى الاولى عزم السلطان على البيكار ونقدمه الاعسر فهيأ اقامات ومؤنة من الناحية القبلية ، وقدم الصاحب ابن السلعوس في جمادى الآخرة ثم قدم بعده بيدرا نائب السلطنة ثم السلطان فنزل بالقصر · وفيه تسلم نواب السلطان حصنين للأرمن وهما كديربرت وابرما ثم تسلموا حصن بكازر وقد كان السلطان في مجيئه مر بقلعة الشوبك وبالكرك ثم بعث جماعة لخراب قلعة الشوبك ثم خرج الى المرج ·

وفي رجب دخل دمشق الامير حسام الدين لاجين وصحبته الامير مهنا بن عيسى واخوته محتاطاً عليهم وذكر ان السلطان أمر بالقبض عليهم عند سلمية لأمر نقمه عليهم . وفي اثناء رجب رجع السلطان الى الديار المصرية ، ودرس بعد الشيخ تقي الدين بن الواسطي بمدرسة الشيخ ابي عمر الفقيه شمس الدين بن التاج ثم عزل بعد ثمانية اشهر . وفي رجب سافر طوغان نائباً عن قلعة الروم . وفي آخر رجب انكسفت الشمس وصلى بجامع دمشق خطيبه موفق الدين الحموي وخطب . وفي رمضان جاء الى دمشق مرسوم بالزام الدواوين [1] بالاسلام ومن امتنع يؤخذ منه الف دينار فأسلم اربعة في ثامن رمضان . وفي شوال بلغنا ان السلطان صادر الامير عز الدين الافرم ايبك وضيق عليه واخذ منه اموالاً كثيرة واعطى خبزه للامير حسام الدين لاجين المنصوري .

سنة ٦٩٣

في ثاني عشر المحرم قُتل السلطان الملك الاشرف بتروجه اقدم عليه نائبه بيدرا وعطف عليه بالسيف لاجين ، ثم قُتل بيدرا من الغد وحلفوا للسلطان الملك الناصر محمود بن المنصور ، وهو يومئذ ابن تسع سنين ، وهلك الصاحب ابن السلعوس تحت العقوبة المفرطة الخ .

من كتاب تاريخ الدول والملوك لمحمد بن عبد الرحيم

المعروف بابن الفرات المتوفى سنة ٨٠٧ هـ ١٤٠٤ م

« نسخة الخزانة التيمورية المنقولة عن نسخة المكتبة الامبراطورية في وينا بالنمسة »

في حوادث سنة ٦٦٤ هـ ١٢٦٥ م

ورحل السلطان « الظاهر بيبرس » من صفد متوجهاً الى دمشق فنزل بالجسوره وأمر بأن العساكر لا تدخل دمشق بل تبقى على حالها لتتوجه الى سيس ، ودخل

(١) لعلها سقطت كلة عمال قبل الدواوين والمفهوم العمال غير المسلمين

دمشق جريدة ورسم بتوجه الملك المنصور صاحب حماة مقدماً على العساكر الى سيس ووصاه بما يعتمده وجهزه ، وفي ثالث ذي القعدة من هذه السنة توفي كرمون آغا ، وفي ثامنه انعم السلطان على امراء دمشق وقضاتها وارباب المناصب بالتشاريف ولما استقر السلطان بدمشق نظر في امر جامعها ومنع من مبيت الفقراء به وازال صناديقهم التي كانت ضيقت الجامع ووسعه للمصلين قال الله تعالى « في بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه » قال العلماء تغلق فلا تفتح الا اوقات الصلاة ، وفي عاشر ذي القعدة الشهر المذكور جلس الاتابك مع الامير جمال الدين لكشف ظلامات الناس والتوقيع على القصص بدار السعادة وتوجه السلطان الى عذراء وضمير متصيداً وما أحضر احد صيداً الا خلع عليه السلطان حتى الغلمان والسوقية وفرغت الخلع فاطلق السلطان لهم دراهم .

من كتاب الوافي بالوفيات لصلاح الدين

خليل ابن ايبك الصفدي المتوفى سنة ٧٧٤ هـ ١٣٧٢ م «نسخة الخزانة التيمورية في القاهرة»

ترجمة علاء الدين طيبرس الوزيري

طيبرس الامير الكبير الحاج علاء الدين الوزيري صهر السلطان الملك الظاهر توفي بمصر سنة تسع وثمانين وستمائة ، وكان كثير الصدقات قليل الأذية أوصى بثلاثمائة الف درهم تنفق في الجند الضعفاء ، ووصفه الشيخ شهاب الدين ابو شامة بكل قبيح فقال وفي ثالث القعدة سنة ستين وستمائة وصل من مصر الى دمشق عسكر مقدمة الامير عز الدين الدمياطي وبكر الدخول الى دمشق فخرج الناس يتلقونهم ومعهم الحاج علاء الدين طيبرس الوزيري نائب السلطنة بدمشق فلما وصل اليه ليكارشه على ما جرت به عادة الملتقين قبض الدمياطي بيده الواحدة على عضد طيبرس الوزيري وبيده الأخرى سيفه وانزله عن فرسه واركبه بغلاً وشده عليه ثم قيده وتركه بمصلى العيد، فلما دخل الليل عليه وكل به وسيره الى مصر وهرب

أصحابه ثمّ استخرجت امواله التي بدمشق بعد ما سير منها ما كان سير مع العرب وقبضت حواصله وكان الحاجّ طيبرس قد اهلك اهل دمشق باخراجهم من بلدهم والترسيم على اكابرهم باخراجهم عيالهم وانفسهم وأهانهم وضيق على الناس بتمكين العرب من شراء الغلال من دمشق وتخويف الناس من التتار فكان البدويّ يجلب الجمل ويبيعه بأضعاف قيمته ويشتري به الغلة رخيصة لأن الناس يحتاجون الى السفر الى مصر ·

وله ترجمة بالمنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي لابن تغري بردي المتوفى سنة ٨٧٤ ﻫ ١٤٦٩ م لا تختلف عن هذه الآ بأنّ وفاته ذكرت بآخرها بدل ذكرها بالأول ·

من كتاب الاعلام بتاريخ الاسلام

لأحمد بن محمد قاضي شهبة المتوفى سنة ٨٥١ ﻫ ١٤٤٧ م
«نسخة الخزانة التيمورية المنقولة عن نسخة المكتبة الاهلية في باريز بفرنسة»

ترجمة القونوي

سليمان بن علي بن امين القونوي الحنفي قال ابن رافع سمع متأخراً من قاضي القضاة علاء الدين القونوي ودرس بالاقبالية ، توفي في ذي القعدة سنة ٧٦٨ ودفن بمقابر الصوفية وخلف ثروة ·

عبد الله مخلص

القَسَم في القرآن

القسم : ضرب من ضروب التوكيد والتوثيق يؤتى به لتقوية الخبر وتحقيقه ، ومعلوم ان القرآن الكريم جاء على اسلوب كلام العرب ومناحي خطابهم ، ولذلك جاء فيه اقسام متنوعة في مواضع شتى ، لتوكيد ما تقضي الحال بتوكيده من الأخبار ، لتقريرها في النفوس ، وتثبيتها في الأذهان . وقد جاء القسم فيه على ضروب شتى : فمن القسم بذاته تعالى وصفاته الى القسم بأظهر ما يقع عليه الحس ، او يدركه العقل ، من نماذج البدائع الكونية ، الدالة على عظمة المبدع ، وبالغ حكمته ، فأقسم بالسماء وما بناها ، وبالشمس والقمر ، وسائر السيارات ، والثوابت ، وبالليل والفجر ، والصبح والضحى والنهار ، وبالعصر ، والليالي العشر ، والشفع والوتر وبالارض وبحارها وجبالها ، والتين والزيتون والبلد الامين ، والبيت المعمور ، وبالرياح المرسلات والذاريات الناشرات والسحب والأمطار وبالنفس وما سواها ، وبالوالد وما ولد ، وبحياة الرسول الكريم ، وبالقرآن العظيم ، وباليوم الموعود ، وبالقوى الروحانية الصالحة ، وبالقلم وما يسطرون ، وبما يبصرون ومالا يبصرون . اما الامور المقسم عليها فلا تكاد تخرج عن اصول اربعة :

١ — تثبيت اساس التوحيد وترصينه .

٢ — تقرير أمر الرسالة والاشارة بصدق صاحبها .

٣ — البرهنة على الحياة الأخرى وما يتصل بها من حساب فثواب او عقاب .

٤ — ايضاح بعض التصرفات البشرية في هذه الحياة .

وهذه كما تراها اسس الدين واراكينه ، وقد تكلفت التفاسير بايضاح المقاصد المختلفة في هذا الباب : كما ان بعض الاعلام افرده بالتأليف . وقد كنت — ابان قيامي بتدريس التفسير في جامعة آل البيت — رأيت ان الخص زبدة ما وقفت

عليه من كلام الاولين ، في رسالة خاصة . مع اضافة ما عنّ لي من النقد والتحليل لبعض تلك الآراء .

وابرز ما عنيت به في رسالتي تلك البحث عن المناسبات بين المقسم به والمقسم عليه ، مما لم اوفق للوقوف على الكثير منه في كلام الأسلاف عليهم الرحمة .

ولا يخفى ان هذا النوع من التناسب يرفع من قدر الكلام ، ويزيد في روائه وبهائه . ولما كانت الانظار تتفاوت فيه والافكار تختلف ، رأيت ان انقل للقراء الكرام نماذج مما جاء في تلك الرسالة على سبيل الايجاز ، فمن ذلك قوله : (والنجم اذا هوى . ما ضل صاحبكم وما غوى ...) اقسم بالكوكب المنير الذي لا يضل السبيل ، وبه يهتدي السارون في ظلمات البر والبحر . ان النبي الكريم على اهدى السبل واقصدها . ومعلوم ان العرب تضرب الامثال بهداية النجم والاهتداء به . يقولون : فلان اهدى من النجم . ولا يضل حتى يضل النجم (وبالنجم هم يهتدون) فالمناسبة بين المقسم به وهو النجم عند انحداره في سيره على محيط دائرته ، والمقسم عليه وهو كون الرسول على انهج الطرق واقومها — ظاهرة جلية .

وقريب من هذا قوله : (فلا اقسم بمواقع النجوم ، وانه لقسم لو تعلمون عظيم انه لقرآن كريم ...) .

فالنجم من اعلام الاهتداء في الماديات ، والقرآن علم الهداية في المعنويات ، كما ان النجم يضرب به المثل في الرفعة وعلو المنزلة ، وكذلك القرآن فانه في المكانة التي لا تسامى ؛ ومواقع النجوم : مجاريها في دوائرها ، اومابينها من الابعاد المتناسبة .

ويقرب من هذا قوله : (فلا أُقسم بالخنس الجوار الكنس . والليل اذا عسعس والصبح اذا تنفس . انه لقول رسول كريم) فانه اقسم بالدراري التي نراها ونحن على الارض ، تجري مع الشمس ، ثم نراها كأنها راجعة حتى تختفي في ضوء الشمس ، واردف ذلك بالليل عند إدباره ، والصبح عند اقباله — على ان القرآن وحي ينقل بواسطة ملك شريف والوحي الالهي بمثابة النور يستضاء به لمعرفة مالا

تستقل العقول بادراكه (وانزلنا اليكم نوراً مبيناً) فالقسم بالنيرات ، على اثبات النور ، من المناسبة بمكان . ومعلوم ان الوحي يأتي حيناً دون حين ، وعند ظهوره تنجاب امامه دياجير الضلالة في المعنويات ، وكذلك النيرات في الماديات . والواقع ان ما يتلقاه الرسل من الوحي يتداوله اتباعهم على حقيقته حيناً من الدهر ، ثم يأخذون بالانحراف عنه شيئاً فشيئاً ، حتى تترامى الشقة بينهم وبين الاصل ، فيرسل الله رسولاً بوحي اليه مابه صلاح الفاسد وتقويم المائل ، وتجديد الداثر ، فيتلقاه أتباعه عنه على حقيقته . ثم — مع الزمن — يأخذون بالابتعاد عنه الى ان تقضي الارادة الإلهية بارسال رسول يعيد امر الاصلاح الى نصابه ، مع زيادة مايقضي الزمان بزيادته ! وهكذا . وبهذا تتجلى المناسبة بأجلى مظاهرها بين الوحي والنيرات التي تظهر حيناً فيهتدي بها المهتدون ، ثم تختفي حيناً ، ثم تظهر وهكذا كما تتضح المناسبة بين الوحي واقبال النهار ، لأن هذا للابصار ، وذلك للبصائر (كتاب أنزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور) .

فان قلت : اذا كان من ديدن اتباع الرسل — اذا طال عليهم الامد — الانحراف عن الجادة وسلوك بنيات الطرق ؛ فمن الضروي الاستمرار على ارسال الرسل ، فكيف نوفق هذا مع القول بأن محمداً (ص) خاتم النبيين ، وآخر المرسلين ؟ قلنا : ان ما أشرنا اليه كان والبشرية لم تبلغ من الرشد مكاناً علياً ، أما البعثة المحمدية فقد جاءت على حين ارتفعت مكانة العقل الانساني ، واصبح قادراً على القبض على زمام كثير من شؤون الحياة ، ولذلك عقد له القرآن الحكيم راية الزعامة ليسير في نوره الى حيث الكمال الانساني (والعلماء ورثة الأنبياء) —

وقال : (ن والقلم وما يسطرون . ما انت بنعمة ربك بمجنون ...) كان المشركون يقولون للرسول الامين : (يا أيها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون) فجاء الجواب بالسلب المؤكد ، فأقسم بأبسط عناصر القول ، وبأخص أدوات العلم ،

وبالعلم نفسه ، على تنزيه النبي الكريم عمـا رموه به زوراً وبهتاناً ، فحروف الهجاء أبسط عناصر القول ، والقلم من اوائل أدوات العلم ، ثم العلم نفسه . كل ذلك من خصائص الانسان العاقل ، فالمناسبة بين المقسم به والمقسم عليه اجلى من ان تحتاج الى جلاء .

وقال : (والضحى والليل اذا سجى . ماودعك ربك وما قلى ...) اقسم بالضوء في شباب النهار ، وبالظلام عندما يضرب على الارض بجرانه انه لم يهمل أمرك أيها الرسول ولم يبغضك . جاء هذا القسم على اثر تخلف الوحي عن الرسول الكريم ، بضعة عشر يوماً ، فاشتد حزنه (عليه السلام) واندفع اعداؤه بأراجيفهم فقالوا : « ان ربه ودعه وقلاه » ومن هنا تتضح المناسبه بين المقسم به والمقسم عليه ، فالصلة بين الضياء والوحي وثيقة ، بقدر وثوق الصلة بين الظلام وانقطاع الوحي ، وفيه اشارة الى ان الوحي وعدمه يتعاقبان كتعاقب الليل والنهار ، فمن كان في الليل لا ييأس من قدوم النهار ، ومن كان في النهار لا يتردد في مجيء الليل . وفي هذا تسلية للرسول (ص) وتبكيت للمرجفين من اعدائه .

وقال : (والذاريات ذرواً ، فالحاملات وقراً ، فالمقسمات امراً ، ان ما توعدون لصادق ، وان الدين لواقع ...) اقسم بالريح التي تذرو البخار فينعقد سحاباً ، ثم تحمله فتجري به في اجواز الفضاء ، وتوزعه على مختلف البقاع — على صدق الموعود من البعث والنشور والحساب فالثواب او العقاب .

وفي هذا تمثيل للبدء والعود ، فقطرة الماء بعد ان تتفرق ذرات دقيقة ، وتتبعثر في متابه الفضاء ، ترجع الى سيرتها الاولى من جديد فتنحدر الى انهارها ، فبحارها ، وان طال عليها الزمن ، وكذلك حال الانسان (كما بدأكم تعودون) فالمناسبة ظاهرة .

ومثله قوله (والمرسلات عرفاً ، فالعاصفات عصفاً ، والناشرات نشراً ، فالفارقات فرقاً ، فالملقيات ذكراً ، عذراً أو نذراً ، ان ما توعدون لواقع ...) فالمرسلات

الرياح الطليقة والعرف التتابع والعاصفات الشديدة والناشرات الرياح التي تثير ذرات الماء فتنشرها في الفضاء (يرسل الرياح فتثير سحاباً فيبسطه في السماء) والفارقات : المقسمات . والرياح واسطة يستمد منها الانسان كثيراً من المعلومات الجوية ، فهي الملقيات ذكرا اي علما ، فالرياح هي التي تبشر بالمطر قبل نزوله (وهو الذي يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته) ، كما تنذر بكثير من العوارض الجوية ، فالمعلومات المستمدة من خواص الرياح منها ما يبشر بالخير ومنه ما ينذر بالشر (عذراً او نذراً) .

وجواب القسم قوله (انما توعدون لواقع) فالمناسبة ظاهرة على ما ألمعنا اليه آنفاً .

ومن هنا نعلم ضعف القول المشهور من ان المراد بالمرسلات هنا طوائف الملائكة ، يرسلهن الله تعالى بأوامره فيعصفن في مشيهن عصف الرياح الشديدة ؛ وبطوائف أخرى تنزل بالوحي فتنشر الشرائع وتحيي بهـا النفوس الميتة ، وبذلك تلقى على المرسلين علماً يكون عذراً للمحقين او نذراً للمبطلين . وهذا القول — على شهرته — يأباه اسلوب العربية ، اذ لو اريد هنا الملائكة لجاءت الصفات مجموعة جمع الذكور العقلاء كما هو المعروف في العربية والمعهود في القرآن نفسه . قال : (وترى الملائكة حافين) ولم يقل حافات . وقال : (الملائكة المقربون) ولم يقل المقربات . وقال : (والملائكة باسطوا ايديهم) ولم يقل باسطات ايديها ، فلو كان المراد بالمرسلات الملائكة لجاء بصيغة المرسلين ؛ وأما التأويل المشهور وهو ان المراد طوائف الملائكة فتكلف لا داعي له ، زيادة على ما فيه من ضياع المناسبة التي اشرنا اليها .

طه الراوي

الغوطة

- ٣ -

أدب الغوطة

أعجب العرب بالغوطة منذ كانوا يرتحلون اليها في الجاهلية فردد شعراؤهم اسمها وفي مقدمتهم حسان بن ثابت شاعر الرسول عليه الصلاة والسلام، وما زالت الغوطة في الاسلام يتغنى بها الشعراء، ويعجب بها أهلها والقاصدون اليها حتى قال أبو بكر الخوارَزْمي: ان جنان الارض اربع: صُغد سمرقند، ونهر الأُبلة، وشِعب بوّان، وغوطة دمشق. قال انه زارها كلها فكان في رأيه فضل غوطة دمشق على الثلاث كفضل الاربع على غيرهن، وقال: كأنها الجنة وقد زخرفت وصُوّرت على وجه الأرض. وبالطبع لم يكن يومئذ ذكر لحدائق بلاد الغرب الآخذة بمجامع القلوب لجمعها بين الجمال الطبيعي والصناعي

يتألف من مجموع ما ورد على ألسن الشعراء في وصف الغوطة ديوان لطيف، ومنه ما كان من الشعر الجيد لأنه صدر عن شعراء مشهورين، وأدب الغوطة يجمع بين خصائص كثيرة منها الوصف والعاطفة والتاريخ، وأرض كلها شعر لايستغرب فيها أن توحي الشعر للشعراء ويتغنوا بما خصها به الفاطر من البدائع ويخلدوها مجمعين على محاسنها.

ولا بأس ان نقتطف بعض باقات من تلك الازهار ونذكر بما طاب من جماع تلك الاشعار، نقدمها متعة للنفس، وذكرى لما في بطن الغوطة من خيرات.

أطلق البحتري على الغوطة اسم صحراء دمشق في قصيدته التي مدح بها المتوكل العباسي لما نقل دواوين الملك الى عاصمة الشام وهي التي يقول في مطلعها:

العيش في ليل داريا اذا بردا   والراح نمزجها بالماء من بردى

الى ان قال :

أما دمشق فقد ابدت محاسنها وقد وفى لك مطريها بما وعدا
اذا اردت ملأت العين من بلد مستحسن وزمان يشبه البلدا
يمسي السحاب على أجبالها فرقاً ويصبح النبت في صحرائها بددا
فلست تبصر الا واكفاً خضلاً أو يانعاً خضراً او طائراً غردا
كأنما القيظ ولّى بعد جيئته أو الربيع دنا من بعد ما بعدا

وقال الصنوبري :

امرُّ (بدير مران) فأحيا واجعل بيت لهوي (بيت لهيا)
وتبرد غلتي بردى فسقيا لأيامي على بردى ورعيا
تفيض جداول البلور فيها خلال حدائق ينبتن وشيا
فمن تفاحة لم تعدُ خداً ومن رمانة لم تخط ثديا
ونعم الدار داريا ففيها حلا لي العيش حتى صار أريا
ولي في باب جيرون ظباء أعاطيها الهوى ظبياً فظبيا
هي الدنيا دمشق لساكنيها فلست أريد غير دمشق دنيا

قال ابن منير الطرابلسي من أهل القرن السادس

حيّ الديار على علياء جيرون [1] مهوى الهوى ومغاني الخرّد العينِ
مَرَاد لهوي اذ كفى مصرّفة أعنة العيش في فيح الميادين
(فالنيربين)(فمقرى)(فالسرير)(فجمـ رايا) فجو حواشي جسر (جسرين)
(فالقصر) (فالمرج) (فالميدان) (فالشـ ـرف الاعلى)(فسطرا)(فجرمانا)(فقلبين)
(فالماطرون) (فداريا) فجارتها (فآبل) فمغاني (دير قانون)

(١) جيرون سقيفة مستطيلة على عمد وسقايف وحولها المدينة تطيف بها — قاله في المعجم . وفيه أن جيرون حصن قال : والمعروف اليوم أن باباً من أبواب الجامع بدمشق وهو بابه الشرقي يقال له باب جيرون وفيه فوارة ينزل عليها بدرج كبيرة في حوض من رخام وقبة خشب يعلو ماؤها نحو الرمح ، وقال قوم : جيرون هي دمشق نفسها .

تلك المنازل لا (وادي الأراك)ولا   (رمل المصلى) ولا اثلات(يبرين[١])
واهـاً لطيب غديات الربيع بهـا   وبرد أنفاس آصال التشارين
ويطبيني[٢] لدار الروم ما شهرت   (بدير مران) أعيـاد الشعانين
أبدت دمشق ربيعاً جلّ صانعه   يأتيك في كل حين غير ممنون

والماطرون موضع قرب دمشق عدّ من بدائعها ونسب ليزيد بن معاوية قوله :

ولها بالماطرون اذا   اكل النمل الذي جمعا
خُرْفة[٣] حتى اذا ربعت   ذكرت من جلق بيعـا
في قباب حول دسكرة   بينها الزيتون قد ينعا

ويستبعد ان يقول أمير المؤمنين يزيد هذا فانهم وضعوا عليه أشياء لم يفعلها ، ومنها بيتان قيل انه قالها لما أصاب المسلمين سبأ بأرض الروم وهما :

وما أُبالي بما لاقت جموعهم   بالخذقونة من حمى ومن موم
اذا اتكأت على الأنماط مرتفعاً   بدير مران عندي ام كلثوم[٤]

وقال العماد الكاتب كاتب صلاح الدين يوسف بن أيوب :

اهدى النسيم لنا ريا الرياحين   أم طيب أخلاق جيراني بجيرون
هبت تنبه أطرابي وتبعثهـا   مني وتوجب للتهويم تهويني
وما دريناأ (داريا) لنا أرجت   أم دار في دارنا عطار (دارين[٥])
ورب همّ فقدناه (بربوتها)   ورب قلب أضعنـاه (بقلبين)
لولا جسارة قلبي ما ثبت على الـ   عبور من طرب في جسر (جسرين)

(١) وادي الاراك قرب مكة يتصل بغيقة والمصلى موضع بعينه في تحقيق المدينـة، ويبرين من أصقاع البحرين وهناك الرمل الموصوف بالكثرة بينه وبين الفالج ثلاث مراحل وبينه وبين الاحساء وهجر مرحلتان وهو فيما بينهما (ياقوت) (٢) في القاموس : طَبَيْته عنه صرفته وإليه دعوته كأطبيته (٣) الخرفة بالضم المخترف والمجتني كالخرافة (٤) الموم البرسام وأم كلثوم امرأته والخذقونة أو الغذقدونة بلد في الروم وهو الثغر الذي فيه المصيصة وطرسوس وأذنة وعين زربة

(٥) دارين فرضة بالبحرين يجلب إليها المسك من الهند (ياقوت)

يصبيك (ميطورها) طوراً (ونيربها) طوراً ويوليك احساناً (بتحسين[1])
نعيمها غير ممنوع لساكنها كالخلد والمن فيها غير ممنون
أهوى مقري (بمقرى) والرياض بها للزهر ما بين تفويف وتزيين
هاجت بلابل قلبي المستهام بها بلابلُ الأيك غنتنا بتلحين
تتلو (بسطرا) أساطير الغرام على صوامع الدوح وُرق كالرهابين
قمريها مقريٌ يشدو بنغمته آياً يعلمها من غير تلحين

وختمها بقوله :

حرستا في (حرستا) العيش من شظف دوما (بدوما) على حفظ القوانين

ولابن منقذ الكناني في وصف دمشق حاضرة الغوطة الكبرى وما اليها قصيدة مطولة جمع بها كل المحاسن ومما قال فيها :

وإذا مررت على المنازل معرضاً عنها قضى لك حسنها ان تقبلا
ان كنت لا تسطيع ان تتمثل الـ فردوس فانظرها تكن متمثلا
واذا عنان اللحظ اطلقه الفتى لم يلق الا جنة او جدولا
او روضة او غيضة او قبة او بركة او ربوة او هيكلا
او وادياً او نادياً او ملعبا او مذنباً او مجدلا او موئلا
او شارعاً يزهو بربع قد غدا فيه الرخام مجزّعاً ومفصلا
وفواكه متخالف أصنافها مما يشوقك مطعماً وتأملا
مصفر تفاح بدا في أحمر يحكي المحب أتى الحبيب مقبلا
والورد مثل الخد يعلوه من الـ ريحان صدغ شعره قد رجلا
وبنفسج كنفاضة من اثمدٍ تبديه أجفان البكاء تذللا
وتخال نورَ الباقلاء اذا بدا للواحظ الأبصار طرفاً احولا

(١) لم نعرف قرية أومتنزهاً بهذا الاسم .

نشرت مطارفه وجاءك نشرهـا فحسبتها وشيـاً تأرج مندلا
ويهزُّ مرُّ نسيمها أشجارهـا فتخـال غادات تشكت إفكلا [١]
وعلت غصون خلافه محمرةً وهفت بها ريح فضاهت مشعلا
واذا البلابل اسمعت ترجيعها السالي تراجع وَجـده متبلبلا
ومتى هوى وَرق الغصون وجدته ذهبًا وكان زمرداً لما علا
وكأن واديها قراب اخضر يستل من بردى حساماً منصلا [٢]

وقال ابن عُنين وهو بالهند يتشوق الى دمشق وغوطتها

حنين الى الأَوطان ليس يزول وقلب عن الأشواق ليس يحول

الى أن قال :

كأن الثريا غرّة وهواءهم له من وميض الشعريين حجول
ألا ليت شعري هل ابيتن ليلة وظلاك (يا مقرى) عليّ ظليل
وهل أربني بعد ماشطت النوى ولي في ذرى روض هناك مقيل
دمشق فلي شوق اليها مبرح وإن لجّ واش او ألح عذول
بلاد بها الحصباء در وتربهـا عبير وانفـاس الشمال شمول
تسلسل فيها ماؤها وهو مطلق وصح نسيم الروض وهو عليل
فياحبذاالروض الذي دون(عزتا) سحيراً اذا هبت عليـه قَبول
ويا حبذا الوادي اذا ما تدفقت جداول (باناس) اليه تسيل
وفي كبدي من(قاسيون)حرارة تزول رواسيـه وليس تزول
اذالاح برق من(سنير)تدافعت بسحب جفوني في الخدود سيول
فلله أيامي وغصن الصبا بهـا وريق واذ وجه الزمان صقيل

وعزتا او عزة قرية من نواحي وادي بردى ربمـا كانت قرب الفيجة ، وقد

(١) الرعدة من الخوف أو البرد (٢) حسام منصل مخرج من قرابه .

أكثر الشاعر من ذكرها في ديوانه ، ويقول ابن فضل الله العمري في مسالك الأبصار: ان عين الفيجة تخرج من مكان تحت حصن عزتا فلعلها هي التي يتغزل بها الشاعر.

وقال : في روضة (بالنيربين) أريضة رضعت أفاويق السحائب حفّلا
أنى اتجهت رأيت ماءً سابحاً متدفقاً او يانعاً متهدلا
وكأنما أطيارها وغصونها نغم القيان على عرائس تجتلى
وكأنما الجوزاء ألقت زهرها فيها وأرسلت المجرة جدولا
ويمر معتل النسيم بروضها فتخال عطاراً يحرق مندلا

وقال فتيان الشاغوري يصف أصول أنهار دمشق ويستفتح ببردى ، وهو من أهل القرن السابع :

كأن طيور الماء فيه عرائس جلين على شاطيه خضر الغلائل
اذا كرعت فيه تيقنت أنها تزق فراخاً وهي زغب الحواصل
وكم سمك فيه عليه جواشن من التبر صيغت وهو بادي المقاتل
جريح بأطراف الحصا لخريره أنين له من جس تلك الجنادل
اذا قابل النهر الدجى بنجومه أرانا بقعر الماء ضوء المشاعل
تغلغل في الوادي فوافى كقينة منعمة حسناء ليست بعاطل
فعانقها حتى انثنت مشمعلة تقل على ظهر الصفا بطن حامل

قال ياقوت وكان حسان بن نمير المعروف بعرقلة الدمشقي يذكر (جلق) ويصف كثيراً من نواحيها ، وجلق كحمص بكسرتين مشددة اللام وكقنب دمشق او غوطتها .

ومن أجمل ما ورد فيه اسم جلق من الشعر القديم ابيات لأبي فراس طراد بن علي السلمي الدمشقي المتوفى سنة اربع وعشرين وخمسمائة وهي :

يا نسيماً هبّ مسكاً عبقاً هذه أنفاس ريّا [1] جلقا

(١) الريا الريح الطيبة

كفّ عني والهوى ما زادني برد أنفاسك الا حُرَقا
ليت شعري نقضت أحبابنا يا حبيب النفس ذاك الموثقا
يا رياح الشوق سوقي نحوهم عارضاً من سحب عيني غَدِقا
وانثرى عقد دموع طالما كان منظوماً بأيام اللقا

ذكر الصلاح الكتبي ان هذه الابيات اشتهرت وغنى بها المغنون، وروي عن بعضهم انه مرَّ يوماً ببعض شوارع القاهرة وقد ظهرت جمال كثيرة حُمولتها تفاح فتجي من الشام فعبقت روائح تلك الحمول فأكثر التلفت لها ، وكانت امامه امرأة ، ففطنت لما داخله من الاعجاب بتلك الرائحة فأومأت اليه وقالت : هذه أنفاس ريا جلقا .

ومن قصيدة وازن بها عرقلة قصيدة أبي نواس (أجارة بيتينا أبوك غيور) مدح بها صلاح الدين يوسف بن أيوب وقصده بها الى مصر كما فعل أبو نواس في قصيدة الخصيب جاء فيها .

عسى من ديار الظاعنين بشير ومن جور أيام الفراق مجيرُ
لقد عيل صبري بعدهم وتكاثرت همومي ولكن المحب صبور
وكم بين اكناف (الثغور) متيم كئيب غزته أعين وثغور
وكم ليلة (بالماطرون) قطعتها ويوم الى (الميطور) وهو مَطير
سقى الله من (سطرا) و(مقرا) منازلاً بها للندامى نضرة وسرور
ولازال ظل (النيربين) فانه طويل ويوم المرء فيه قصير
ويا (بردى) لازال ماؤك بارداً وماء الحيا من حافتيك نمير
أبى العيش الا بين اكناف جلق وقد لاح فيها أشمس وبدور

وقال عرقلة أيضاً :

أما دمشق فجنات مزخرفة للطالبين بها الولدان والحورُ

ما صاح فيها على أوتاره قمر ... إلا وغناه قمريّ وشحرورُ
يا حبذا ودروع الماء تنسجها ... أنامل الريح الا أنها زور

وقال :

تؤرّق ورقُ الغوطتين لواحظي ... وينحل جسمي حب غزلان (جاسم)[1]
أأحبابنا ان كنتم قد عزمتمو ... على البعد من أطلالكم والمعالم
فلا ترسلوا برقاً الى غير ساهر ... ولا تبعثوا طيفاً الى غير نائم

وقال :

دمشق حييت من حي ومن نادي ... وحبذا حبذا واديك من وادي
يا رائحاً غادياً عرّج على بردى ... وخلني وحديث الرائح الغادي
كم قد شربت به من ماء دالية ... في ظل دالية تنبيك عن عاد
في جنب ساقية من كف ساقية ... كادت تثنى بقد غير مياد
لها بعيني اذ ماست معاطفها ... جمال مياسة في عين مقداد

وقال ابن الدهان الموصلي من قصيدة

نشوى تغنى لها ورق الحمام على ... أوراقها ويد الأنواء تسقيها
صفا لها الشرب فاخضرت أسافلها ... حتى ضفا الظل وابيضت أعاليها
وصفق النهر والاغصان قد رقصت ... فنقطته بدُرّ من تراقيها
كأنما رقصها أوهى قلائدها ... وخانها النظم فانثالت لآليها
واعين الماء قد أجرت سواقيها ... والأعين النجل قد حارت سواقيها
وقابل الغصن غصن مثله وشدت ... أقمارها فأجابتها قماريها

ومنها :

سماء دوح ترد الشمس صاغرة ... عنا وتبدي نجوماً في نواحيها
ترى البدور بها في كل ناحية ... ممدودة للنجوم الزهر ايديها

(١) جاسم من قرى حوران ينسب إليها ابو تمام الشاعر العظيم .

اذا الغصون هززناها لنيل جنىً صارت كواكبها حصباء ارضيها
من كل صفراء مثل الماء يانعة تخالها جمر نار في تلظيها

وقال عين بصل الحراني من قصيدة :

اما ترى الأرض اذ أبكى السحابَ بها آذارها ضحكت اذ جاء نيسانُ
والزهر كالزهر حياه الحيا فبدت في الروض منه الى الأبصار ألوان
زمرّد قضب فيها مركبة جواهر ويواقيت ومرجان
كأنما الورد خد الحب حين غدا له العذار سياجاً وهو ريحان
كأن منثورها اذ لاح مبتسماً جيش من الروم بانت منه صلبان
كأنما البان اهدى المسك حين بدا فعطر الكون لما أورق البان
كأن ريح الصبا طافت بخمر هوى من الرياض فكل الكون نشوان
كأنما حمرة التفاح خدّ رشا لي في هواه عن السلوان سلوان
كأن نارنجها نار وباطنه ثلج وفيه لجين وهو عقيان
والطير تُطرب بالعيدان نغمتها ما ليس يطرب بالأوتار عيدان
أبدت فنوناً فأفنت صبر سامعها بالنوح اذ حملتها فيه افنان
بلابل هيجت منا بلابلنا وهاج منا صبابات واشجان

وقال مجد الدين الاربلي يتشوق الى دمشق من قصيدة :

مواطنُ فيها [السهم] سهمي فكلنا نحث مطايا اللهو فيه ونُعنقُ
كلا جانبيه معلم بمجمد من الماء في اطلاله يتدفق
اذا الشمس حلت بينه فهو مذهب وان حجبتها دوحه فهو أزرق
وان فرّج الأوراق جادت بنورها رَقَم (١) أجادته الاكف منمق
أطل عليه قاسيون كأنه غمام معلى او لغام معلق

---

(١) الرَّقم ضرب مخطط من الوشي او الخز او البرود

تسافر عنه الشمس قبل غروبها وترجف اجلالاً له حين تشرق
وتصفر من قبل الأصيل كأنها محب من البين المشتت مشفق
وفي (النيرب) المرموق للبر سالب من النظر الزاهي وللبر مونق؟
بدائع من صنع القديم ومحدث تأنق فيه الحدث المتأنق
رياض كوشي البرد تزهو بحسنها جداولها والنور بالماء يشرق
فمن نرجس يخشى فراق فريقه ترى الدمع في أجفانه يترقرق
ومن كل ريحان مقيم وزائل تضاعف رياه الرياح فيعبق
كأن قدود السرو فيه موائساً قدود عذارى ميلها يترقرق
اذا ما تداعت للتعانق صدها عيون من النوار المفتح ترمق
وقصر يكل الطرف عنه كأنه الى النسر نسر في السماء محلق
زها ببديع الوشي حسناً كأنما مدبج روض في نواحيه ملصق
وكم جدول جار يطارد جدولاً وكم جوسق عال يوازيه جوسق
وكم بركة فيه تضاحك بركة وكم قسطل في الماء للماء يدفق
وكم منزل يغشى العيون كأنما تألق فيه بارق يتألق
وفي (الربوة) الشماء للقلب جاذب وللسمع اصمات وللعين مرمق
فهام بها الوادي ففاضت عيونه فكل قرار منه بالدمع يملق
تكفل من دون الجداول شربها (يزيد) يصفيه لها ويصفق
اذا أشرف الولدان من شرفاتها رأيت بدوراً في بروج تألق
وفي (بردى) مغنى يشوق ومنظر يروق ومأوى للسرور ومطرق
اذا أنت من أعلاه اشرفت ناظراً تجيل عنان الطرف فيه وتطلق
رأيت به بحراً من الدوح مزبداً وغدرانه حيتانه منه ترمق
تميل مع الأفنان فيه كأنها نشاوى وما دار الرحيق المعتق

وتعطف اعطاف الغصون حمامة　　اذا ما تغنت والغدير يصفق
وتجمع فيه كل حسن مفرق　　وشمل الأسى عن حاضريه مفرق
كأن رياض الغوطتين جنوده　　يقسم فيها جوده ويفرق

وهكذا اجاد وأطال وذكر المزة وسطرا ومقرا وبيت ابيات وجسرين وتل راهط وبعض شوارع دمشق وجامعها توفي سنة ٦٩٧

وقال ابن الصائغ العروضي (٧٢٢ هـ) يتشوق الى عاصمة الغوطة ايضاً ويذكر أرياضها ورياضها بدأها بقوله :

لي نحو ربعك دائماً ياجلق　　شوق أكاد به جوىً أتمزق

الى ان قال مخاطباً دمشق :

ولكم أُحدث عنكِ من لاقيته　　وجميع من سمع الحديث يصدق
والأرض في عرض وطول دائماً　　لم يحو مثلك غربها والمشرق
لله (وادي النيربين) وظله　　لا(الرقمتين)و(رامة)و(الأبرق)[1]
وسقى ديار (الصالحية) وابل　　يهمي على تلك المنازل مغدق
و (السهم) مافترت ثغور أقاحه　　الا ودمع سحابه يترقرق
كم فيه من قصر منيف مشرف　　يبدو به قمر منير مشرق
(وبيت لهيا) لا تعداه الحيا　　طلل عليه من النضارة رونق
هو منزل آثاره مشهورة　　ولأهله عهد عليّ وموثق
وحباك يا أطلال (جوبر)واصلا　　غيث مريع مستهل مشفق
لله سرحة[2] ذلك الربع الذي　　قلبي يهيم به وذاك الجوْلق[3]

(١) الابرق في اللغة والبرقاء حجارة ورمل مختلطة وكذلك البرقة وهي عدة اماكن تضاف الى امكنة أخرى • ورامة منزل بينه وبين الرمادة ليلة في طريق البصرة الى مكة وفيها جاء المثل : تسألني برامتين سلجما • والرقمتان تثنية الرقة وهو مجتمع الماء في الوادي والرقمتان روضتان احداهما قريبة من البصرة والاخرى بنجد •

(٢) السرح شجر عظام اوكل شجر لا شوك فيه او كل شجر طال (القاموس)　　(٣) الشوك

والوادي الشرقي لا برحت به ديم تسح ووبلها يتدفق
فغياضه ورياضه كعيونه هذا يعوم به وهذا يغرق
ولكم قطعت به زماناً لم أزل أشتاقه ما دمت حيًا أرزق
في سكر (زبدين) الى (جسرين) كم حيا الحيا حيًا عليه رونق
فالواديان كلاهما الغربي والـــشرقي نزهة من برفق يرمق
أنى اتجهت رأيت دوحاً ماؤه متسلسل يعلو عليه جوسق
و (القصر) و(الشرفان) و(الثقراء) (والميدان) عشقاً للذي لا يعشق
فلكم حوت تلك المنازل صورة فيها الجمال مجمع ومفرق
فمخضب ومؤزر ومعمم ومزنر ومبرقع ومقرطق
كم من غزال بالنفوس متوج وقضيب بان بالعيون ممنطق
والريح تكتبوا الجداول أسطر خط له نسخ الربيع محقق
والطير يقرأ والنسيم مردد والغصن يرقص والغدير مصفق
ومعاطف الأغصان أثنتها الصبا طرباً فذا عار وهذا مورق
وكأن زهر اللوز أحداق الى الزوار من خلل الغصون تحدق
وكأن أشجار الرياض سرادق في ظلها من كل لون نمرق[1]
والورد بالألوان يحلو منظراً ونسيمه عطر كمسك يعبق
فبلابل منها تهيج بلابلاً وكذاك أثواب الشقيق تشقق
وهزاره يصبو الى شحروره ويجاوب القمري فيه مطوق
وكأنما في كل عود صادح عود حلا مزمومه والمطلق
والوُرق في الأوراق يشبه شجوها شجوي وأين من الخلي الموثق
تتلو على الاغصان اخبار الهوى فيكاد ساكن كل شيء ينطق

(١) النمرُق والنمرقة مثلثة الوسادة الصغيرة والنمرقة بالكسر من السحاب ما كان بينه فتوق

ومن أجمل ما يروى في ادب الغوطة قصيدة عبد المنعم الجلياني الأندلسي شاعر صلاح الدين، وكان نظم فيه عشرة دواوين قال :

عهود ليلى وما ضمت لياليها أهدت جديد صباباتي بواليها
لا تقدحي في ضنا جسمي معاتبة فشعل أعضائه الأنفاس توريها
أيام جلق والأهواء مسعدة ونضرة العيش تنهيها مباديها
في الغوطة الغبطة الممدود نعمتها أرواح جنة عدن في نواحيها
جلنا بأعطافها نُرعي نواظرنا منادحاً يزع الأوصاب زاهيها
حتى استقلت بنا وخادة رُسم مضمرات غايظ قلب حاديها
بفري المهامه مما استصرخت فرقاً أجاب داعيها أو خاب راعيها
بطاويات الفلا ثقلاً حقائبها وراميات الدجى خفاً هواديها
كأن من بمطاها في ذرى قزح في كفه النسق الشامي يثنيها
اذا وخدن فما تنحاز أرجلها وان زملن فما تمتاز أيديها
شتى المطالب جمع في مساربها قصوى المنازل دنيا في مساريها
وردن مصر فأبقت من تذكرها دمشق ناراً نواريها فنوريها
ويومنا والمنى تعطي أعنتها طوع القياد وتجني حب جانيها
والمرج كالعين والأنهار ادمعها وظل شجرائهـا جفن بغشيها
كأنه ثبج[1] يحوي زمردة أو طرف زرقاء مكحول مآقيها
للطرف والطرف في ميدانه نزهٌ تأتي النفوس له مرضى فيشفيها
تُرخي الضحى والعشايا وسطه عذباً تعلو الظهيرة فوضاها فتزويها
ونحن نرفل في ثني ملاءته مقلصاً ذيلها طوراً ومضفيها
أنيسنا ذات خلخال تجول به ولا يجول ويجلوه تثنيها
شق الحياة مزاج الروح جائلة في رُوعه فمعانيه معانيها

(١) اعالي الامواج

لو لم يشق حسنها شاقت جبلتها   قبل التلاقي تلاق في مبانيها
تجر للدّل ذيلاً في ترقبها   وتشمر الشمس ليلاً في تراقيها
وما نسيت فلا انسى عشيتنا   (بالنيربين) وقد رقت حواشيها
للآبنوس على الغيطان راصعة   من الاصيل وعاجاً في روابيها
وساجع غرد في يانع خضل   ترنح قضبانه أنى يغنيها
وقفت بين سماء ين الكواكب من   فوقي وتحتي نجوم است أحصيها
من كل زاهرة غضراء باهرة   تفرق الحسن نهباً في نواحيها
قد فوّف الناجم النامي أسافلها   وزخرف الساجم الهامي أعاليها
وأزهرت فبرت حسنى ديابجها   واثمرت فمرت اسنى أياديها
وصافح الكرمة التفاح معتنقاً   فاحمر نشراً لما تطوي دواليها
والورد خجلان من ضحك البهار له   والظل يغضبها طوراً ويرضيها
والحمل شهب بأفق القضب طالعة   والياسمين سحاب فوق أرضيها
كم سطرت فيه كف الصنع من حكم   يقرا بها أثر الابداع قاريها
من نظم مشتبه في جيد مختلف   يسقى بمتحد شتى مجاريها
السارحون جداهم في مناشرها   والسائحون مداهم في مطاويها

* * *

وليلة الربوة الشماء معلمة   حتى الصباح بروح الذكر نحييها
مأوى ابن مريم في مسرى سياحتها   قد بوركت بمعانيه مغانيها
تحفها سبعة لو سد مسربها   لطم شامخة الآطام طاميها
كأنها الحجر الملق عصاه به   موسى ففجر للأسباط جاريها
كأنها درة أضحى (يزيد) لها   خيطا بلبات آكام تواليها
معينة بجحار يلتطمن بها   معينة لخيار أخبتوا فيها

* * *

وصخرة المزة الغراء ناطحة قرن الغزالة في مبدا تجليها
محلة السفح ما شيب السفوح بها بل مثل ما روّق الصهباء ساقيها
يغذى بها القلب أنفاساً بلا كدر فلن يحل الوبا أطراف ثاويها
ان الهواء اذا رقت مناسمه في بلدة لطفت أخلاط أهليها
واذكر ضحى الشرف الاعلى اذا طلعت ذكاء من أفق أشجار تواريها
ومنظراً يستبي الألباب رائعه ويشغل النفس عن أشهى أمانيها
يرنو الى بردى ينساب في بَرَد في بُردتي سندس خضر حواشيها
تكسر الماء بلوراً وراكده كالفضة الحوق[1] مصقول عواليها
وحيث شئت فأشجار تمد على ال أنهار ظلاً يغشي من بوافيها
فكل صورة أنس في منازلها وكل نزهة نفس في روابيها
لولا أمور وأرزاق مقدرة لم يرتحل عن دمشق حاضر فيها

وقال في وصف الغوطة امير الشعراء احمد شوقي من المعاصرين من قصيدة :

آمنت بالله واستثنيت جنته دمشق روح وجنات وريحان
قال الرفاق وقد هبت خمائلها الارض دار لها (الفيحاء) بستان
جرى وصفق يلقانا بها (بردى) كما تلقاك دون الخلد رضوان
دخلتها وحواشيها زمردة والشمس فوق لجين الماء عقيان
والحور في (دمر) اوحول (هامتها) حور كواشف عن ساق وولدان
و(ربوة)الواد في جلباب راقصة الساق كاسية والنحر عُريان
والطير تصدح من خلف العيون بها وللعيون كما للطير ألحان
وأقبلت بالنبات الأرض مختلفاً أفوافه فهو اصباغ والوان
وقد صفا (بردى) للريح فابتردت لدى ستور حواشيهن افنان
ثم انثنت لم يزل عنها البلال ولا جفت من الماء أذيال وأردان

(١) الحوّق من حاق الشيء يحوقه : دلكه وملسه

خلفت (لبنان) جنات النعيم وما ُنبئت أن طريق الخلد لبنان

سيداتي سادتي

هذا ما امكن التقاطه من ادب الغوطة ومن استقصى اكثر مما استقصيت يسقط على شعر كثير في هذا الباب ربما كان ما كتب لي جناه احط مما يجنيه الباحث اليقظ . وهذا ما عرفته مما يفيد ترداده في الغوطة وخيراتها وحسناتها جعل الله أيامكم كأيام الربيع في الغوطة .

محمد كرد على



مخطوطات ومطبوعات

تلخيص وتصحيح

رحلة الوزير في افتكاك الأسير

تأليف

الوزير محمد بن عبد الوهاب الغساني

[٢٨٢ صفحة بقسميه العربي والإسباني والفهارس]

مطابع الفنون المصورة ، بوسكا ١٩٦٠ العرائش (المغرب)

السلطان المظفر مولاي إسماعيل من أعاظم سلاطين المغرب واكثرهم حزما وعقلاً ودهاءً وضرباً في الأرض في سبيل التوسع . بويع سنة ١٠٨٢ ه (١٦٧٢ م) « فنهض بأعباء الملك وضبط الأمور بشدة وحزم فتمهدت له البلاد ودان له قريبها وبعيدها وأخمد ثورة مراكش وثورة فارس . فلما دانت له البلاد المغربية من أقصاها الى اقصاها بعد معارك وحروب طويلة واستتب الأمن في الداخل وأجبر الانكليز على الانسحاب من طنجة سنة ١٦٨٤ م واسترجع العرائش من الإسبان سنة ١٦٨٩ وضرب الحصار على سبتة ، فكر في الفتوحات الخارجية : فاستولى على تخوم السودان وبلغ فيها الى ما وراء النيل ، فانتشرت دولته وامتدت مملكته من جهة الشرق الى قرب بلاد بسكرة ونواحي تلمسان .

فهابته دول أوروبا وتسابق ملوكها وسلاطينها الى خطب وده والتقرب اليه ، فبادلهم الولاء وابرام معاهدات الصداقة وإرسال السفراء .

وكان أقربهم اليه الدولة الاسبانية فبعث الى ملكها كارلوس الثاني وزيره « محمد بن عبد الوهاب الغساني »[1] سفيراً في أمرين هامين : تخليص الأسرى المسلمين

(١) ص 9

لدى الاسبان وجلب ما بقي في الأندلس من الكتب العربية في مختلف المكاتب الخاصة والآثار الاسلامية ، فقام الوزير بهذه الرحلة سنة ١١٠٢ هـ الموافقة سنة (١٦٩٠ — ١٦٩١ م) واستغرقت ثمانية أشهر من المحرم الى رمضان المبارك ، عاين خلالها الجليل والدقيق من أمر اسبانيا وشعبها وعاداتهم وأديانهم وأزيائهم وخيراتهم ووصف كل ذلك وصفاً شائقاً جذاباً ولم يترك أن ينعت لنا الحالة السياسية والدولية لعصره ، وهذا هو موضوع الكتاب الذي نحن بصدده .

يشعر قارئ الرحلة بلذة فائقة ، اذ استطاع الوزير الغساني ان يجعلنا على كثب مما شاهد بصدق لهجة وأمانة وسذاجة فذكر الوزير المؤلف ما عاين « من مرافق الحياة والعمران والحضارة في البلاد الإسبانية وما لاحظه من عادات ذلك الشعب ومدنيته ، وما سمعه واختبره في تلك البلاد من تطور سياسة الأمم وتحوير أنظمة الدول ، وما لقيه من الإكرام والاحترام وحسن الضيافة ، وما عمله لتوطيد الصلات وتبادل المصالح المشتركة وتأمين حسن الجوار بين إسبانيا والمغرب وابرام المعاهدات بين ملوك الدولتين العظيمتين ، فقد أتحفنا الوزير بملاحظات دقيقة واستنتاجات قيمة ورسم لنا صورة مصغرة طبيعية عن اسبانيا في عهد كارلوص الثاني ربما كانت من اقرب الرسوم الى الحقيقة وأفضل ما كتب عن اسبانيا في ذلك الزمن .

وقد بين المؤلف من ناحية أخرى ما كان للمغرب من عظمة ومجد وسؤدد . وما كان لسلاطينه العظماء من جلال الملك والأبهة والشهرة الواسعة ، وما كان عليه مولاي اسماعيل من دهاء وحزم وعظمة وبطش وقوة وسعة ملك ، وما كان له من فضل عميم وسعي مشكور في افتكاك ما بقي من اسارى المسلمين بإسبانيا ، وجلب كل الوسائل الفعالة التي تؤدي الى ما فيه عظمة الإمبراطورية المغربية وخيرها »[1]

وقد يعجب القارئ من دقة ملاحظته حين يسجل من التفاصيل كل ما هو

(١) ص 3

ذومغزى فقد عرفنا منه ان الاسبان على عهده كان لهم سوق عامة في فسيح من الأرض يقوم موسمها خمسة عشر يوماً في السنة (ص ٣٥) على مثل ما كان عليه العرب في جاهليتهم وصدر اسلامهم ، وأن من (الاكليريكيين) من يختصي لتحسين الصوت وترقيقه (ص ٣٦) ، وأن القوم كانوا يرتعون في بحبوحة من غنى مستفيض عقب استيلائهم على أمريكا فترفعوا عن التجارة والتغرب والمهن وصار اكثر من يقوم بذلك عندهم نزلاء فرنسيين لأن بلادهم كانت ضيقة المعاش (ص ٤٤)، ونرى (ص ٤٦ — ٥٦) معلومات طريفة عن أولية البيت المالك في اسبانيا ، ولم ينس أن يفيدنا عن سبب بناء الإسكوريال (ص ٤٨) ، ولا أن يصف لنا نظام تولية البابا ص ٦٧ ولا تصوير الانزلاق على الجليد تصويراً لاذاً (ص ٥٩) ، كما لم ينس نعت مقابلته لملك اسبانيا ووصفه ونعت قصره وحاشيته وطراز حياته ولا الساحة العامة في مدريد ولا مصارعة الثيران ، ولا المشافي (البيمارستانات) وعنايتهم بالمرضى الخ . ثم لم يهمل ان يطلعنا على اهتمام القوم بالأخبار الخارجية فقد عرف من منشوراتهم [جرائدهم] (ص ٧٩) أخبار السلطان سليمان القانوني وحربه مع امبراطور المانيا وازماعه حصار ويانه . كما عرفنا كثيراً عن التاريخ الدولي إذ ذاك وأيقنا بأن الوزير المؤلف خبير بعلاقات الدول دارس لتاريخهم درساً جيداً ، عليم بشؤون عصره وتفاصيل الحوادث ، فهو رجل دولة .

ويكاد ما ذكره ص ٨٣ — ٨٥ عن عاداتهم في الميراث وحوادثهم فيه ودقائق اموره سواء كان الموروث لقباً او مالاً أو عقاراً .. يكون نظاماً كاملاً في الإرث .

ومما يدل على فطنته وبعد نظره انه تكهن بوراثة امير فرنسي لعرش اسبانيا قبل حرب الوراثة الاسبانية وترشيح فيليب آنجو للعرش (ص ٨٥) وكان دقيقاً جداً حين علل شروع الاسبان بتعلم الفرنسية الى آخر ما في الرحلة من فوائد .

وذيل كتابه بفصل ممتع عن دخول العرب للأندلس وأحداثها الأولى

وعرفنا أنه دخلها رجل واحد فقط من أصاغر الصحابة مع موسى بن نصير اسمه المنيذر الافريقي وساق حديثًا عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ·

ومما يبعث على الاعجاب العظيم في هذا الفصل ويثير في العربي بل في كل إنسان أنبل الشعور وأسمى العواطف ماذكره ص ١١٥ من عادة خلفاء بني أمية بدمشق من أنهم «اذا وردت عليهم الجبايات استقدموا مع جباية كل موضع عشرة رجال من وجوه رجاله وخيارهم فلا يدخل بيت المال من الجباية لا دينار ولا درهم حتى يحلف الوفد بالله الذي لا اله الا هو : ما فيها دينار ولا درهم أخذ الا بحقه ، وأنه فضل أعطيات أهل البلد من العيال والذرية !!»

الحق ان الحضارة تحتاج الى قرون كثيرة حتى تسمو الى فهم الاسلام والمسلمين

* * *

وبعد فهل علي من حرج اذا أنا أثنيت على المؤسسة التي تعنى باخراج مثل هذه الكتب ونبشها من قبورها فتضيف الى تاريخنا صفحات مجيدة ، واذا خصصت بشكري الأستاذ ألفريد البستاني الذي توفر — على قدر طاقته — على نشره كتابنا بهذه الحلة · وأرى من تمام شكري لهذا السيد أن الفتنا لى أمور لا يجهلها في أصول نشر المخطوطات منها:

١ — اننا لم نعرف قيمة المخطوطات الثلاث التي اعتمد عليها ، ولا تاريخ كتابتها ومن الواجب أن ينشر صورة فتوغرافية لأول صفحة وآخر صفحة منها

٢ — الكتاب يكاد يكون حديثًا واحداً غير متميز الأجزاء ، ومن أول واجب الناشر أن يبوبه ليستريح القراء عند أول كل موضوع جديد · والكتاب ١٢٠ صفحة لم يذكر الناشر الواجب عليه الا في نحو خمس صفحات ·

٣ — نعيد هنا مالاحظنا عليه في كتاب آخر وهو ان الفهارس قليلة الغناء لأنها لا تخضع لترتيب ما فلا هي مرتبة على الحروف العربية ولا الاسبانية ولا على ترتيب القدم في الزمن · ونزيد هنا ان اهم الفهارس التي على المؤلف إثباتها ولا يستغنى عنه قط وهو فهرست الموضوعات ، قد أهمله الناشر اهمالاً تامًا وصار الذي

يريد ان يرجع الى حادثة في الكتاب مضطر الى اعادة قراءته من أوله حتى يظفر بضالته وهذا عيب في النشر كبير ·

٤ — هناك بعض جمل غامضة أو محرفة لم يجتهد الناشر في معرفة صوابها ولم يشر الى استشكاله اياها : كقوله : ص ا « وتصرفه الكاية ··· بالبيض الحامي » وتقديره ما أنفق على منبر جامع قرطبة بـ (٥٣٥) دينار فإن الصواب فيه ماذكر في حاشيته ص ٢٢ وهو (١٥٣٥) دينار وللناشر ان يستصوب ، وقوله ص ٢٧ « والمتجالات » لم نفهم المقصود منها فاما أن تكون محرفة واما ان يكون لها معنى محلي على الناشر ان يوضحه · ونرجح ان هناك خرماً بعد السطر الثامن عشر ص ٩٥ لأن الجملة ناقصة · وقوله ص ٩١ الرجل الى مدجرة الماء متبعوه ، وص ٩٨ (قنانيط وحجاب كيبار ؟) مما لم نفهمه

٥ — ملاحظة الناشر ص 3 أن المؤلف خلط بين طارق بن زياد وطريف بن مالك غير صحيحة ابداً وكل مافي الأمر ان الناسخ أخطأ فكتب طارقاً وهو يريد طريفاً وذلك في صفحتي ٥ ، ٧ بدليل ان الكلمة في مخطوطة بني بوزين (رقم ٢) جاءت صواباً (انظر ص ٥) · فعلى من يقدم على تخطئة المؤلفين ان يتثبت ويتروى طويلاً ·

٦ — وجدت في الكتاب هذه الجمل الملحونة : « ص ٢٤ يزعمونه النصارى ، ص ٢٥ يتولونها بقايا ص ٢٧ يحطن به اربعة عجائز ، ٢٩ طلبوا أهل ص ٨٦ لا يقدرون أهل الصليب ، ٩٦ ما يلقونه عليهم معلومهم ، فلم يفهموه جميع النصارى ، ٩٩ العشر كلمات ، يسمع لهم (أي النواقيس) صوت ، ١٠٠ خمس طواغي ، مسجد طليطلة وقرطبة وإشبيلية الشهيري الذكر ، ١٠٦ كل ناقوس منها ست وثلاثين شبراً » وظاهر أن جمع الضمير في الجمل الثلاث الأولى لغة ضعيفة وكذلك في (ص ٦٢ ويأتون بهم ويدخل اليهم (يقصد الثيران) و ٦٤و٦٦ الخ

وان الصواب في الرابعة : العشر الكلمات ، وان ضمير المذكور العقلاء في الخامسة

خطأ وكذلك الصواب في الشهيري : الشهيرة أو المشهورة لأنها صفة مالا يعقل ، والصواب أيضاً ان يقول : خمسة طواغي ، وستة وثلاثون شبراً . هن غلطات ست يستطيع الانسان أن يحملها المؤلف كما يستطيع ان يجعل اكثرها من تحريف الناسخين وهو ما أجزم به ، وكيفما كان فليس من السائغ أصلاً ان يقول الناشر : « أما الرحلة فانشاؤها مضطرب وتعابيرها ركيكة تظهر عامية أحياناً »[1] والصحيح أن لغة الرحلة سلسة صحيحة لا عامية فيها ولا ركاكة ، بل الإنشاء قوي متين كما احس به المستشرق الفرنسي المجانة هنري بيرس[2] على أعجميته . وجودة الوصف والإنشاء في الرحلة مما لا ينبغي – كان – أن يخفى على احد .

٧ – حذف الناشر ثلاث صفحات من الرحلة وصف فيها المؤلف « بصورة مشوهة ارتداد (شاوول) بولس الرسول وتكلم عن اعمال الرسل الإنجيليين ، وتعرض الى سر تجسد المسيح والى سلطة البابا الروحية وما يسنه من الشرائع والاحكام ، وذكر بعض مناظراته مع الرهبان في مدريد وتكلم عن طريقة الرهبان والكهنة في استعمالهم سر الاعتراف وأورد بعض أخبار ملفقة لا فائدة من ذكرها »[3] واكاد أقول ان هذا الحذف جريمة شنعاء في قانون النشر وتساهل في الأمانة العلمية . هذا وليس على الناشر من اداء الامانة حرج في دينه ، فان أبت عاطفته الا التنفيس فان الاصول المتبعة تبيح له التعليق والرد بعد اثبات النص بحذافيره . وعلى كل فان هذه الرحلة بتراء بسبب فعلة الناشر فقد حرمنا الاستمتاع برأي مشاهد مخالف . وغريب جداً ان يقول مع ذلك ص 2 : « فقد توخينا الامانة والصدق في النشر والترجمة محافظة على قيمة اصول المخطوط التاريخية » والعلم لا يجد في عمله هذا امانة ولا محافظةً على قيمة الاصول التاريخية

٨ – على الناشر ان يتجنب ما امكن الجمل المهلهلة التي لاطائل تحتها من مثل

(١) ص 2 (٢) ص 6 (٣) ص ٩٦

قوله ص 7 : «وبينما نحن في معترك البحث وميدان الدرس فوق مـائدة التشريح في المختبر العقلي نحلل مقاييس ومقادير عقدة هذه القضية الخ»

وأن يعتني بدرس قواعد لغته العربية فإن العمل الذي يمارسه يتطلب ذلك كما سترى .

٩ — قيمة الرحلة ونفاستها وجلال الموضوعات التي عالجتها ، كل ذلك يوجب علينا ان نثبت الاغلاط التي انتبهنا اليها وهي كثيرة جداً وغالبها من البدائه التي لا يجوز جهلها ابداً واني لأرجو ثانية [بكل حرارة] من السيد البستاني ان يتقن لغته ويدرس قواعدها ويعرض أعماله على من هو أخبر منه فيها فإن هذه الجريدة من الأغلاط في [١٢٠] صفحة إحدى الكبر في هذا العصر :

ص	الخطأ	الصواب	ص	الخطأ	الصواب
5	واستلاء الفرنسيون:	واستيلاء الفرنسيين	١٠	المقصودين	المقصودات اوالمقصودة
	التي وضعناه	التي وضعناها		الدار الذي	الدار التي
٢	هاتك	هاتيك	١١	الجوز	الجو
٣	مبدئ	مبدأ	١٤	واعتقادتهم	واعتقاداتهم
	دُعي	دعا	١٥	فتشير	فتثير
	=١١٥ فغزى	فغزا	١٨	وسبعة	وسبع
٤	فاطمئن	فاطأن	٢٠	كسى	كسا
٥	وقع هذا	ومع هذا		شمط	شحط
٦	لملاقتنا	لملاقاتنا	٢١	أيمحوا	أيمحو
	ثلاث مراكب	ثلاثة مراكب		هام	رام
٧	للملاقات	للملاقاة [١١،١٠،٨		المراعات والمحابات	المراعاة والمحاباة
		٣٩،٣٦،١٨،١٧ الخ]		جدبت ضبغي	جذبت ضبعي
٩	دار	داراً		زاد	زادي

ص	الخطأ	الصواب
٢٢	مصدفين	مصفدين
	العظيم أثر	عظيم أثر
	نزهت المشتاق	نزهة المشتاق
٢٣	القناطير	القناطر
٢٥	المندثر	المتدثر
٢٧	اربعة عجائز	اربع عجائز
٢٨	ذي	ذوي
	ابنة عشرون	ابنة عشرين
٢٩=٨٤	الغير	غيرهم
٣٠	اناس ذو	أناس ذوو
٣١	ثلاثة مسافات	ثلاث مسافات
	في كذلك	كذلك
	ونساءهم	ونسائهم
٣٢	ليس	فليس
٣٣	آخراً	آخر
٣٦	منتقات	منتقاة
	يستحسنوها	يستحسنونها
	وله سنين	وله سنون
٣٧	ليعصرونه	ليعصروه
٤٠	يسكونونها	يسكنونها
٦٩=٨٦،٨٢	تزويجها	تزوجها

ص	الخطأ	الصواب
٤١	يتهيئ	يتهيأ
	كملت الاثنى عشر	كمل الاثنا عشر
٤٢	ورجلاً	ورجالاً
٤٤	سينين	سنين
٥٢	للاختلاطهم	لاختلاطهم
٥٤	ألزاموا	ألزموا
	احسن ومن	احسن من
٥٥	ستةوعشرين سنة	ست وعشرين سنة
٥٦	علىم	علام
	اربعة عشر سنة	اربع عشرة سنة
٥٧	ذالك	ذلك
٥٩	الاخيريين	الاخرين
=١١٩	عصى	عصا
٦٠	بلادنا	في بلادنا
٦٣	حضرت عيد	حضرت عيداً
	ليراه الناس ويعرفونه	...ويعرفوه
٦٤	كنائساً	كنائس
	عجائزاً	〃
	آخراً	آخر
٦٧	ولم يتولى	ولم يتول
٦٩	ابنت	ابنة
٧٠	فمال	فقال
	فأغلقها	فأغلقه

ص	الخطأ	الصواب	ص	الخطأ	الصواب
٧١	ابدلواه	ابدلوه	٩٣	بالسان	باللسان
	مبلغه اثني عشر	مبلغ اثنى عشر (او مبلغه اثنا عشر)	٩٤	تجد	تجسد
	ونساءهم	ونسائهم	٩٥	ثلاث ابواب	ثلاثة أبواب
٧٢	والردا	والردى	٩٧	الستة واربعين	الستة والأربعين
٧٣	الشنئان	الشنآن		زبنته	زنته
٧٤	بد حرب	من حرب		اربعةعشر مدرسة	اربع عشرة مدرسة
٧٥	تدعوني	تدعونني	٩٨	تسمع اصوات	تسمع اصواتاً
٧٦	مزعمين	مزمعين	١٠٠	يمت	يموت
٧٨	ست مائة داراً	ستمائة دار		إذا	إذ
	فجهوا	فوجهوا	١٠١	داره الذي	داره التي
٨١	أخلا	أخلى	١٠٣	نرجوا	نرجو
٨٣	ولداً ذكر	ولداً ذكراً		نقضوه	نقضيه
	يرثه	يرثها	١٠٤	في بناءه	في بنائه
٨٤	يتوعدون	يتواعدون	١٠٦	ثلاثة ارباع الذراع	ثلاثة ارباع الذراع
٨٥	مبالات	مبالاة	١٠٨	بالهباء	بالهبات
٨٧	الكنائسي	الكنسي	١١٠	بأكثره من	بأكثر من
٨٨	ممزجاً	ممزوجاً	١١٥	قريئت	قرئت
٩٠	معد	معداً		المعنى ؟	
	يدعوا	يدعو	١١٦	خباسة ؟	
	تناوله	مناولته		وصاروا	وصدروا
	الستة	في الستة	١١٧	التابعان	التابعيان
٩١	تغسل له	تغسل لي	١١٨	لسبليه	لسبيله
			١١٩	الشي	السبي

هذا وقد احسن الناشر بترجمته ترجمة موجزة الأعلام الواردة في مقدمته وفي الكتاب باللغتين العربية والاسبانيـة · وآسف لجهلي الاسبانية وحرمان القراء من إطلاعهم على قيمة الترجمة ودقتها ·

وأتمنى في الختام لهذه المؤسسة اطراد التوفيق وللناشر الفاضل زيادة الاطلاع على مبادئ لغته وترقيه في خدمتها ، وإذاً نهنئه بدقة الاخراج كما هنأناه هنا بالإخراج ، ولا ننكر ان مهمته شاقة ولكن همته الصادقة كفيلة بالتغلب على الصعاب فله منا — إذا فعل الشكر — والتحية والتقدير

سعيد الافغاني



الموافقة بين اهل البيت والصحابة

هذا سفر جميل لمؤلفه الحافظ ابي سعيد اسماعيل بن علي بن زنجويه الرازي السمان المتوفى سنة ٤٤٥ هـ اختصره العلامة جار الله ابو القاسم محمود بن عمر الزمخشري المتوفى سنة ٥٣٨ وحذف منه الاسانيد والمكررات · ذكر الذهبي في ميزان الاعتدال ابن زنجويه بقوله انه صدوق لكنه معتزلي جلد · وذكره ابن حجر العسقلاني في لسان الميزان واشار الى من اخذ العلم عنهم وقال ان له تصانيف وحفظاً وأشعاراً ورحلة كبيرة ومشايخ يجاوزون ثلاثة آلاف · ونقل عنه ابو الحسين المطهر ابن محمد بن علي العلوي بالري قال : سمعت أبا سعيد السمان إمام المعتزلة يقول : «من لم يكتب الحديث لم يتغرغر بحلاوة الاسلام» وقال فيه إنه كان من الحفاظ الكبار ، وكان فيه زهد وورع ولم يتأهل ، وله تفسير في عشر مجلدات وسفينة النجاة في الإمامة وغير ذلك ·

ذكر صاحب الموافقة كيف أحب الصحابة بعضهم بعضاً ، وما قال بعضهم في

وصف بعض ، وخصوصاً الخلفاء الراشدين ، ورأينا فيه أن علياً يُعلي مقام أبي بكر وعمر ، وأن أبا بكر وعمر يعرفان لعلي مقامه ، ومشاهده وفضله وقرابته ، ويعليان أبداً قدره . وفي هذا الكتاب مقتل عمر بن الخطاب ومحضر الشورى وما قيل فيها ووصف بكاء الامة يوم وفاة ابي بكر وموت عثمان ، وفيه خطب بليغة وكلمات بارعة نقل بعضها رجال التاريخ والادب ، وبعضها مما رواه الباقلاني في اعجاز القرآن مثل خطبة علي في تأبين أبي بكر . وفيه حوار طويل وخطب لعلي عن سويد بن غفلة ، وهو ممن صحب أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً من التابعين ، في الرد على من تنقصوا أبا بكر وعمر ، وقول علي في الشيخين انهما أخوا رسول الله ووزيراه قائلاً : ما بال أقوام يذكرون سيدي قريش وأبوي المسلمين بما أنا عنه متنزه ومما يقولون بريء ، وعلى ما يقولون معاقب ، فو الذي خلق الحبة وبرأ النسمة ، لا يحبهما الا مؤمن تقي ، ولا يبغضهما الا فاجر ردي ، صحبا رسول الله بالصدق والوفاء ، يأمران وينهيان ، ويعاقبان فما يجاوزان فيما يقضيان ، الى أن قال : ان أبا بكر سار سيرة رسول الله حتى قبض ثم ولي الأمر من بعده عمر بن الخطاب ، واستأمر في ذلك الناس فمنهم من رضي ومنهم من كره ، وكنت ممن رضي ، فوالله ما فارق عمر الدنيا حتى رضي من كان له كارهاً ، فأقام الأمر على منهاج النبي وصاحبيه يتبع آثارهما كما يتبع الفصيل اثر امه .

أما أخبار الفتنة فتنة عثمان ففيها اشارات مهمة لبراءة علي كرم الله وجهه من الانغماس فيها على ما حقق المؤرخون . ومنها عن ابن ربيعة سمعت علياً يقول : والله لئن شاءت بنو أمية لأتيتهم بخمسين غلاماً من بني هاشم يحلفون بالله ما قتلت عثمان ولا مالأت عليه .

وأصل هذا الكتاب في دار الكتب المصرية وهو جدير بالنشر .

محمد كرد علي

حول تاريخ الكهرباء

قصص العلماء والمخترعين : أخبارهم ونوادرهم وسر نجاحهم

للاستاذ محمد عاطف البرقوقي

مفتش العلوم الطبيعية بوزارة المعارف المصرية وخريج جامعة بريستول بانكلترا

الجزء الاول عن الكهربيه واللاسلكي من قدماء المصريين الى القرن العشرين

انا لا نوفي هؤلاء العلماء والمخترعين جزءاً مما ندين به لهم مهما عملنا من اجلهم تمجيداً وتخليداً فالمدنية الحاضرة والمقبلة صنع أيديهم وبنات افكارهم قضوا الليالي والأيام وراء حقيقتها العلمية يبغونها في تواضع واخلاص لا يبغون في الغالب اجراً ولا شكوراً . وقد طغى تاريخ السياسة بل تاريخ الأدب على ذكر هؤلاء العلماء واخبارهم ومن رأينا ان التاريخ الجدير بالدرس والاعتبار ليس بتاريخ الدم البشري يسيل في المعارك والمجازر للاسباب الدنيا وانما هو تاريخ الفكر البشري يحمل شعلته المباركة هؤلاء العلماء المخترعون يسيرون بها في طريق الخير دوماً الى الامام .

ولهذا نستقبل خير استقبال كتاب السيد البرقوقي عن تاريخ الكهرباء واللاسلكية : وقد وفق المؤلف في سرد تاريخ الكهرباء وهو الحافل بالقيم والطريف فأتى كقصة جذابة لم يكن الشرح العلمي وهو مختصر قليل لينفر منها ، قصة حوادثها كشوف الكهرباء الخطيرة ، وكل منها عنوان عصر في حياته وتفكيره ومبلغ رقيه ، وابطالها جمهرة من اساطين العلم نكبر قدرهم لما بلغوه من شأن في كشوفهم ويزداد اكبارنا حين نطلع على الناحية الانسانية في حياتهم وجهادهم وعلى النوادر المستحبة المأثورة عنهم ، قصة تبدأ بكشوف الاقدمين على حجري المغناطيس والكهربا وأرادها المؤلف ان تنتهي باللاسلكي المعاصر .

وفي الواقع يشعر المطالع لهذا الكتاب من الصفحات الأولى ان اللاسلكي هو الخاتمة المنتظرة والحلقة الاخيرة لسلسلة الكشوف في الكهرباء «حمام الزاجل ، الاتجاه الصحيح نحو اللاسلكي ، جرثومة اللاسلكي ، مفتاح اللاسلكي ...» كأن جهود العلماء

والمخترعين من قدماء ومحدثين رمت كلها الى اللاسلكي في الحين الذي يبعد فيه تعيين ما تقود اليه الابحاث العلمية وما سيبنى عليها في المستقبل . والكشف العلمي ، على قول فاراداي وكما اورده المؤلف، كالطفل ساعة ولادته لا يعرف ماينتظره في مستقبله، والعالم في مخبره كالرائد في الأرض لا يعلم ما تخبأ له الآفاق البعيدة . لقد كان اللاسلكي نتيجة طبيعية مهمة لتقدم الكهرباء اما ان نرى فيه الهدف الأول والآخر لهذا الفرع من العلوم الذي لما تفرغ جعبته ولن تفرغ ففي ذلك اكبار للاسلكي واهمال لحلقات اخرى بعده ذر قرنها ولها شأنها .

ذلك اننا لم نكن لنأخذ هذا على المؤلف لولا ان الأبواب الاربعة الاخيرة من الكتاب ضحيت على هامش اللاسلكي — اللاسلكي في البواخر والطيارات وفي الأمن والحروب وفي مصر ... -- مما لا علاقة كبيرة له بصلب الموضوع فأتت هذه الأبواب غير منسجمة أبداً في سويتها الثقافية وفائدتها مع الأبواب الاولى من الكتاب ، مع ان هنالك ، كما تقدم ، مادة غزيرة حول كشوف كهربية قيمة — انفراغ الكهرباء في الغازات وفي الخلاء والأشعة المهبطية وتطبيقاتها ، دقائق الكهرباء من كهارب وسواها وعلاقتها بالمادة ، حقيقة الكهرباء والتموج الكهربا مغناطيسي على ضوء النظريات الحديثة ... — لم يتعرض المؤلف لها ، وكم كان من المستحب ان تملأ فراغ الأبواب المذكورة فيكون تاريخ الكهرباء تامًا حتى السنين الأخيرة .

وقد اراد المؤلف وهو على حق ، كما جاء في مقدمته ، ان يكون الكتاب مفيداً للخاص والعام ، ولكنه جاء في سويته العلمية مسايراً للعام بل كأنه أخذ بيد الجمهور الى السهل الطريف الأخاذ مما ضيق على الايضاح العلمي المجال ولو انه رفع من مستوى الكتاب وجعله أغزر مادة لكان فيه التوجيه العلمي المبتغى .

وتبدو هذه المسايرة العامية في الباب الأخير واضحة جلية : فما جاء فيه اجدر بمجلة اسبوعية للجمهور الكبير منه بكتاب علمي رفيع : « اشعة الموت ، علماء بناء

وعلماء تدمير ، انتصار هؤلاء على اولئك ، انتهاء قصة الحياة ... خلاص العالم من هذه الحياة الدنيا » . وما كنا لنريد لتاريخ الكهرباء الطلي هذه الخاتمة المفجعة : ان الفكرة العظيمة التي ينجلي عنها تاريخ العلوم هو ان العلم بريء في الأصل وسائر الى الامام دوماً ، واذا كان هنالك من تفاوت بين تقدم علوم المادة والاخلاق فلهذا حديث آخر .

وكما في كل كتاب علمي تبرز معضلة المصطلحات العلمية العربية الى العيان والمؤلف العلمي في اللغة العربية أول من يعاني صعوبتها فان هذه المعضلة لم تستوف حقها من البحث سواء كان من قبل علماء اللغة او من قبل الاخصائيين في العلوم .

وأخيراً نصارح المؤلف القول بالطابع المصري والمحلي الذي طبع به كتابه وهو مؤلف عالمي انساني : فالكتاب يبدأ من قدماء المصريين على بعدهم عن الموضوع وينتهي ببحث مطول للاسلكي في مصر ولقضايا محلية عديدة قد تكون مفيدة في كراس خاص ولكنها لا تجد مكانها في قصص العلماء والمخترعين . انا نجل الرجالات الذين اتى على ذكرهم والذين كان لهم في تاريخ اللاسلكي والاذاعة في مصر شأن دعا المؤلف ، لاعتبارات يسهل فهمها ، الى التحدث عنهم ولكنّ لامثال فاراداي وماكسويل شأناً ولهؤلاء شأن على تقديرنا لهم وانما يزين الكتب العلمية التجرد قبل كل شيء .

وعلى الاجمال فموضوع الكتاب قيم وفق المؤلف في اختياره وهو حري بالمطالعة وقد اصابت وزارة المعارف المصرية بمنحه جائزة المباريات الادبية لعام ١٩٣٨ — ١٩٣٩ وانا للأجزاء التالية لمنتظرون

جمال الفرا

تفصيل آيات القرآن الحكيم

طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر سنة (١٣٤٢)

يقع في (٧١٤) ص بالقطع الكبير عدا مقدمته وفهارسه البالغه (٣٤) ص

وهو كتاب وضعه باللغة الافرنسية الاستاذ جول لابوم ، ونقله الى اللغة العربية الاستاذ محمد فؤاد عبد الباقي ، وقدم له في أوله الاستاذ محمد فريد وجدي ، وكنا نود لو ان مقدمة المؤلف اثبتت مع الكتاب ليطلع القارئ على غاية المؤلف من وضع هذا الكتاب ، وعلى منهاجه في الترتيب ، ورأيه في الاسلام والقرآن .

والكتاب يرتب آيات القرآن الكريم على موضوعات مقسومة الى (١٨) باباً ، ولكل عدة فروع يبلغ مجموعها (٣٥٠) فرعاً ، وكل فرع له عنوان يأتي تحته جميع ما ورد في موضوع هذا العنوان من آيات التنزيل ، وقد تتكرر الآية الواحدة في عدة عناوين لدلالتها على عدة مواضيع

والابواب الثمانية عشرة هي : التاريخ ، محمد صلى الله عليه وسلم ، التبليغ ، بنو اسرائيل التوراة ، النصارى ، ما وراء الطبيعة ، التوحيد ، القرآن ، الدين ، العقائد ، العادات ، الشريعة ، النظام الاجتماعي ، العلوم والفنون ، التجارة ، علم تهذيب الاخلاق ، النجاح

ومن استقراء عدة مواضع في الكتاب وجدنا ثلاث ملاحظات ينبغي التنبيه عليها :

أولاً — لا توجد المطابقة في بعض الاحيان بين الآيات وما عنون لها به ، من أمثلة ذلك ما ورد في ص (٥٠٩) (السبت) ذكر تحت هذا العنوان آيتين الاولى : انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه ، وهذه الآية مطابقة لما عنون له ، ولكن الانسان يحار في الآية التي بعدها اي علاقة لها في هذا الموضوع وهي : يا أيها الذين آمنوا اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع ذلك خير لكم ان كنتم تعلمون ، فاذا قضيت

الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون

وكما في عنوان (مكة) ص ٥٠٩ فقد أورد تحت هذا العنوان عدة آيات لا يدل عليها هذا العنوان وغاية ما فيها انه خطاب لقريش راجع ص ٥١١ و ١٢ و ١٣

ثانياً — ان المؤلف لا يتتبع في بعض الأحيان كل ما ورد في الموضوع الذي عنون له كما في عنوان السبت ص ٥٠٩ ذكر تحت هذا العنوان آية واحدة تتعلق بالسبت ، وآية أخرى تتعلق بالجمعة لا بالسبت مع وجود اربع آيات اخرى تتعلق بالسبت وهي (١) واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر اذ يعدون في السبت اذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم (٢) ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت (٣) كما لعنا اصحاب السبت (٤) وقلنا لهم لا تعدوا في السبت ، وكعنوان المساجد ص ٥٠٩ ذكر فيه آيتين فقط مع وجود عدة آيات أخرى

ثالثاً — انه يضع عدة عناوين لآيات موضوعها واحد كما في ص (٦٧٨) عنوان العهارة وفي ص (٦٨٤) عنوان الخلاعة ، ولكن الآيات الواردة تحت عنوان الخلاعة ينطبق عليها عنوان العهارة لا عنوان الخلاعة فلو أضيف ماجاء تحت عنوان الخلاعة الى ما جاء تحت عنوان العهارة لكان اجمع للبحث واخصر للعناوين .

وهناك ملاحظات أخرى تعود على الترجمة كما في عنوان (العفو) ص ٥٢٠ والصواب ان يكون العنوان (الترخيص) لأن الآيات الواردة فيه هي في الترخيص والتيسير لا في العفو وقد عنون له في ص ٦٤٨ و ٦٥٣ ، ومثل ذلك عنوان (المبادهة) ص ٧٠٩ ذكر تحت هذا العنوان آيتين بمعنى ولفظ واحد : قل يا قوم اعملوا على مكانتكم اني عامل ، ولا معنى للمبادهة هنا والصواب ان يكون العنوان هكذا

(المباراة) ففي المختار : فلان يباري فلاناً اي يعارضه ويفعل مثل فعله وهذا ما تدل عليه الآية .

وبعد فان فكرة تقسيم القرآن الى عدة موضوعات هي فكرة قديمة حاولها كثير من المتقدمين كابن جرير الطبري الذي قسم القرآن الكريم الى ثلاثة أقسام : التوحيد ، والأخبار ، الديانات ، وقسم علي بن عيسى القرآن ايضاً الى ثلاثين موضوعاً كما ان بعضهم افرد نوعاً خاصاً منها على حدة كآيات الاحكام ، والجهاد ، والقصص ، وآيات الصبر ، والمصيبة الخ ولكننا لم نطلع على مؤلف جمع واستوعب جميع اصناف موضوعات القرآن ، لذلك فان هذا السفر الذي نكتب عنه هذه الكلمة هو الكتاب الوحيد في هذا الموضوع ، وقد سد فراغاً كبيراً لدى الباحثين ممن يتطلب موضوعاً من موضوعات القرآن الكريم ، كما أحسن كل الاحسان الاستاذ محمد فؤاد عبد الباقي في اختياره ترجمة هذا الكتاب الى اللغة العربية ، والعناية بنشره فعمت به فائدة الدارسين والباحثين

دمشق : محمد أحمد دهمان

حياة دزرائيلي

في ٢٦٢ صفحة من القطع المتوسط

ألف هذا الكتاب الأديب الفرنسي الشهير أندره موروا ونقله الى العربية السيد حسن محمود وطبعته لجنة التأليف والترجمة والنشر في مصر . وهو صورة جميلة للحياة السياسية في انكلترة خلال القرن التاسع عشر ، وتاريخ روائي لحياة هذا الرجل

العصامي واليهودي المتنصر الذي تمكن بذكائه ومطامعه وصبره وجدّه وإخلاصه للملكة فكتوريا، من أن يصبح اكبر رجل دولة في بريطانيا العظمى، مدّة غير قصيرة ·

ولغة الترجمة حسنة اجمالاً · ومما لاحظناه على المترجم (ص١٢و٨٩) استعماله لفظة الغذاء بالذال المعجمة بدلاً من الغداء اي طعام اول النهار او طعام الظهر، واستعماله في تضاعيف الكتاب الكهولة بمعنى الهرم، والكهل للطاعن في السن · وقوله في الصفحة ٤٣ «عندما زار قصر الحمراء جلس على عرش بني سريج · وهم بنو سراج · وقوله في الصفحة ٤٩ «والبلاد التي لها حق التمثيل اختيرت بطريقة غير نظامية قط» ومن المعلوم ان لفظة (قطّ) ظرف زمان لاستغراق ما مضى وانها تختص بالنفي · فلكي تصح الجملة وجب جعلها هكذا «والبلاد التي لها حق التمثيل ما اختيرت قط بطريقة نظامية» · وقوله في الصفحة ١٨٦ «نحن المؤلفون يا سيدتي» والصحيح «نحن المؤلفين» · وقوله في الصفحة ٩١ «في معرض اثبات صحة نيابة اعضاء المجلس» وهو تتابع خمس إضافات لأسماء ظاهرة · وقد ساغ في جانبه قول الشاعر «حمامة جرعى حومة الجندل اسجعي» ·

ولئن كان ذكر هذه الملاحظات ضرورياً في مجلة مجمعنا فمما لا مرية فيه ان الكتاب الذي نحن في صدده يعدّ من غرر التراجم وان في تلاوته فائدة ولذّة ·

الشهابي

آراء وانباء

نظائر «التكملة» للجواليقي

كتب الاستاذ «التنوخي» في مقدمته لرسالة «تكملة إصلاح ما تغلط فيه العامة» لأبي منصور الجواليقي[1] أن لهذه الرسالة نظائر ذكر منها .

١ — ما تلحن فيه العامة	للكسائي [١٨٩][2]	
٢ — لحن العامة	للدينوري [٢٩٠]	
٣ — لحن الخاصة	للعسكري [٣٩٥]	
٤ — اللحن الخفي	لهاشم بن احمد الحلبي [٥٧٧]	
٥ — لحن الفامة	للسبتي [٧٣٣]	

وقد اهتديت اثناء مطالعاتي الى كتب أخر تشاكل التكملة وتناظرها ، اردت ذكرها للفائدة :

١ — كتاب «ما يلحن فيه العامة»

ألفه احمد بن حاتم ابو النصر الباهلي ، وكان راوية ثقةً مأموناً مات سنة [٢٣١)[3]

٢ — كتاب «ما تلحن فيه العامة»

ألفه ابو عثمان بكر بن محمد المازني امام عصره في النحو والآداب وتلميذ ابي عبيدة والاصمعي مات سنة [٢٤٩][4]

٣ — كتاب «ما تلحن فيه العامة»

---

(١) كتاب ذو شأن حققه الأستاذ التنوخي فعلق عليه وجعل له الهوامش والشروح واتبعه بالفهارس والمسارد . وهو من مطبوعات المجمع العلمي العربي . (٢) ذكر الأستاذ التنوخي ان وفاته كانت سنة (٢٨٩) وهو خطأ والصواب ما ذكرت . وفي الفهرست أن وفاته كانت سنة ١٨٧ (٣) معجم الأدباء ج ٢ ص ٢٨٦ (طبعة دار المأمون بمصر) . (٤) معجم الأدباء ج ٧ ص ١٢٢ والفهرست ص ٥٧

ألفه ابو الهيذام اللغوي كلاب بن حمزة العقيلي المحدّث العالم بالشعر [١]

٤ — كتاب « ما تلحن فيه العامة »

ألفه سهل بن محمد ابو حاتم السجستاني مات سنة ٢٥٥ [٢]

٥ — كتاب « الفاخر فيما يلحن فيه العامة »

ألفه المفضل بن سلمة اللغوي النحوي ، وكان منقطعاً الى الفتح بن خاقان [٣]

٦ — كتاب « ما تلحن فيه العامة »

ألفه ابو عبيدة معمر بن المثنى المتوفى سنة ٢١٠ [٤]

صلاح الدين المنجد

عظماء العلماء والكتاب

فجعت الآداب العربية في العهد الأخير ببضعة رجال من المصريين خدموا الآداب والعلم والاجتماع أجل خدمة وخلفوا آثاراً خطيرة استفاد منها ابناء الجيل الحاضر وستستفيد منها الاجيال القادمة . منهم الاستاذ فخري ابو السعود صاحب المقالات البديعة في مجلة الرسالة في المقابلة بين الادبين العربي والانكليزي . ومنهم الاستاذ محمود مصطفى صاحب كتاب اعجام الأعلام والادب العربي ومنهم العلامة محمد بك مسعود صاحب التآليف العلمية والادبية الكثيرة ، وآخرهم الاستاذ عبد القادر حمزة باشا صاحب المقالات الرائعة في السياسة والتاريخ ومنشئ جريدة البلاغ ، واليه انتهت مشيخة الصحافة المصرية ، وكان في مناقشاته السياسية آية في اعتداله وجميل مأتاه ، ومن اعرق المنشئين في عرض افكاره بايجاز معجب واسلوب مقنع . اجزل الله ثوابهم وعوض الآداب عنهم خيراً

(١) معجم الأدباء ج ١٧ ص ٢١ . وقد ضبط الاسم هكذا « ابو الهيذام » أما في الفهرست فقد ورد « ابو الهندام » ص ٨٢ (٢) معجم الأدباء ج ١١ ص ٢٣٣ . والفهرست ص ٥٨ . (٣) الفهرست ص ٧٧ . (٤) الفهرست ص ٥٤


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

المجلد السادس عشر ١٨٨ و ١٨٩ الجزء السابع والثامن

مجلة المجمع العلمي العربي

أنشئت سنة ١٣٣٩ هـ الموافقة لسنة ١٩٢١ م

تنشر في دمشق مرة في الشهر

تموز و آب سنة ١٩٤١ م

رجب و شعبان سنة ١٣٦٠ هـ



دمشق

المجمع العلمي العربي

قيمة الاشتراك السنوي { في سورية ولبنان ٣٠٠ قرش سوري
الدفع مقدماً { وفي جميع الأقطار ٤٠٠ 〃 〃

مطبعة الترقي بدمشق

في الهزيمتين

من مذكرات الاستاذ محمد كرد علي

« وهي تعد الآن للنشر »

من أجمل الذكريات ذِكرياتُ الصبا وما فيه من مرَح ومغامرات ، وما يتخللها من توفيق وخيبة ، قد لا يصيب المرءَ مثلها ، ولا يجسر على اقتحام أخطارها ، اذا عَلتْ به السن ، « والذِكرياتُ صَدى السنين الحاكي » كما قال احمد شوقي . والذكرياتُ يُحرَص على تدوينها في الغالب لما تحمل في تضاعيفها من عبر وسلوى .

وهذا تفصيل ما وقع لي عند هزيمتي مرّتين ، من وجه من أراد بي السوء من عمــال العثمانيين قبل اكثر من ثلاثين سنة ، وهو تدوين لا يخلو فيما أرى من طَرَافة وتفكيهٍ .

ولكثرةِ ما انهزمتُ ، ووفقتُ في هزائمي كلها ، فأبنتُ عن مهارة في الهزيمة دعاني بعض الظرفاء « هزيمةً » وأرادني أحد العلماء من المصريين (العلامة احمد زكي باشا رحمه الله) ان أؤسس في القاهرة مدرسة أعلم بها كيف ينهزم الخائف الذي يترقب ، كما يتعلم الطلبة علوم الدين في الجامع الازهر وعلوم الدنيا في الجامعة المصرية . ولعلي كنت أجيب الطلب لو طال ذاك الحكم في بلادنا اكثر مما طال .

أقام والي سورية دعوى على جريدتي المقتبس ، واحتال لاقفال الجريدة والمجلة والمطبعة قبل صدورِ الحكم علينا ، وبعث الى مرجعه الأعلى في الاستانة يستأذن في الموافقة على مقترحاته ، فوافقه بلسان البرق على القاء القبض عليّ واقفال الجريدة والمطبعة . وجاءني بعد منتصف الليل شابان من محلة القيمرية ، كان لأحدهما اتصال بادارة البرق عرف بالأمر فطلب اليَّ ان البس ثيابي حالاً وأسير معهما ،

فان الشرطة تأتي بعد حين الى داري لتفتشها وتقبض عليّ ، وكان الأمر كما قدّرا ، وسرت معهما وانا لا أعرفهما وغاية ما عرَف أخي أنهما مشتركان بالجريدة ومن أرباب المروءة من الشبان ، فبت ليلتي في دار أحدهما وهي دار الشيخ غزال ، وبعد أيام اكرم أهل الدار مثواي فيها انتقلت الى حيّ السوَيقة ، وأويت الى دار صديقي الشيخ عبد الرحيم البابلي يطربني بصوته وانشاده البديع ، ثم عدت الى داري واعددت معدات الرحيل ، وقلت : ما دمت مضطراً الى الاختفاء هنا في البيوت ريثما يُنظر في دَعواي ، وقد يطول النظر فيهـا عمداً ، فالأولى ان اصرِفَ هــذا الوقت في اوربا ، وكنت منذ سنين أريد الرحيلَ اليها للدرس والبحث فتعوق العوائقُ .

وفي ليل الثلاثين من شهر رمضـان سنة ١٣٢٧ هـ ركبتُ من دمشق يرافقني صديقي السيد شريف تقي الدين ، وكان بطلاً نزّالاً يعرف الطرق والمسالك والمخابئ . ومن قرية القابون مرْنا قبيل الفجر ، ومنها الى قرى برْزة فمعربا فبسيمة فدَير مقرّن فكفير الزيت فدير قانون فكفر العواميد ، وفي هذه القرية بتنا ليلتنا الأولى . ومن الغد قصدنا الى سوق وادي بردى فعيتا الفخار فكامد اللوز فَجب جينين فلالا فبعلول ، وفي هذه القرية بتنا الليلة الثانية . وفي اليوم الثالث قصدنا مشغرة بلد المدابغ ، وأنجدنا قاصدين جزّين . وعاد صاحبي الى البلد وسرت وحدي الى تاتِر فعماطور فالمختارة فدير القمر وبتُّ فيها ، ووصلت الى البارُوك مارًّا ببيتِ الدين ، وكفر نبرخ وبت ليلتين في الباروك ومنها سرت الى عين زَحلتا فبت فيها ، ومنها الى حمانا فقرْنايل فصليما وبت فيها ثلاث ليال ، ومنها الى بحنس فبكفيا فبيت شباب ، وقضيت في هذه القرية الكبيرة فيما أذكر ثلاث ليال ثم قصدت الى قرية الشاوية فقضيت فيها نحو عشرة أيام ، واخترت المقامَ في هذه القرية لأكون على مقربة من الفرَيكة بلد الاستاذ امين الريحاني فأقضي معه بعض ساعات النهار ، ومن الشاوية نزلت الى بيروت وبت في دار صديقي احمد إياس

ريثما تيسر لي بعد الغروب النزول الى باخرة نمساوية قبيل اقلاعها بقليل ٠

كان رآني في فندق دير القمر السيد صادق الكسم من تجار دمشق فأنكر عليَّ جرْأتي في رحلتي ، وقال لي ان الوالي يفتش عليك في كل مكان ، وكان الوالي عدوي نقل من دمشق الى بيروت ، فالأولى ان ترحل الى مصر براً ٠ فقلت له هذا لا يتيسر الآن فقال : اذاً تأوي الى القرى ، وتتخذ من بيوت العجائز مسكناً ، ولا تنزل في الفنادق ، ولا تجتمع الى الرجال ، وعلى هذا أردتُ النزول في عين زحلتا في دار عجوز ، ولما وقعت عينها علي بكت ، فسألتها ما يبكيك يا أماه ؟ فقالت : كان لي ولد في اميركا مات منذ مدة وليس لي غيره ، وكان يشبهك بالصورة ، فلما رأيتك تذكرته ٠ ثم سألتني عن ديني فقلت لها : برتستانت ، ففرحت ، وقالت : وأنا برتستانت وهذه التوراة ، واشارت الى المنضدة ، والقسُّ يسهر عندنا ٠ فلما سمعت باسم القس خفت ان يجيءَ تلك الليلة وتنكشفَ له حقيقتي ٠

وكنت قرأت تاريخ الاصلاح الديني ، وعلقت في ذاكرتي شبه البرتستانتية على الكثلكة ، حتى لأستطيع أن أتكلم ساعة في البرتستانتية ولا أعرف ، إلا أن يكون المخاطب قساً مثلاً ، فانه اذا كان ذكياً يتجلى له أمري بعد قليل ٠ فلما قالت المرأة ان القسَّ يجيئها من الليل ، ادعيتُ ان غرفتها لم تعجبني ، واكرمتها ببضعة قروش ، وخرجت الى اسفل القرية فنزلت في الفندق ٠ وكنت صنعت اسماً أردت ان اتسمى به ذاك اليوم ، وهو اسم احد اصحابي المسيحيين بدمشق (خليل العبسي) فلما رآني صاحب الفندق وعرف اني دمشقي قال لي : ان خليل العبسي شريكي في هذا الفندق ، وكان الآن عندي وسافر ، فحمدت الله على اني لم استعر اسمه ، وسألني عن اسمي فاخترت له اسماً آخر من اسماء النصارى ، وأظنه أعفاني من السؤال عن مذهبي ٠

وفي لبنان لا بدَّ لك ان تبوح بثلاثة وأنفك راغم : مذهبك وذهبك وذهابك ،

أمور كانت العرب تحرص على كتمانها . واللبناني لتدينه يحاول ان يعرفك بما تدين ، ليزيد أنسه بك وتبسطه معك اذا كنت على مذهبه ، ويريد ان يعرفك اذا كنت (مقرشاً) ام لا ، فان معاملة الموسر تختلف عن معاملة المعسر ، ويودّ ان يطلع على مقامك عنده ليكون على بصيرة فيما يقول لك وما لا يقول . وأنا في تلك الحال لا استطيع ان اقول الا اني برتستانتي ، والحكومة تطاردني ، والوالي غاضب عليّ ، والأنظار ترمقني . وقد جازت برتستانتيتي على من نزلت عليه ، وهو خوري الشاوية وعلى الخورية امرأته . واتفق ان ابتعت من الطريق عدة كتب من كتب البرتستانت ، فتمت الحيلة على الخوري والخورية عشرة أيام . وكان الخوري يراني اقرأ كتب البرتستانت ، وانا اقصد بالقراءة الا أطيل الحديث معه ، وهو يسألني لماذا يقرأ البرتستانت كثيراً ، فأجيبه لأن رؤساءنا يوصوننا بذلك . واتماماً لما تحيلتُ له كنت اطلب من الخورية ان تأتيني بزجاجة عرق ، وليس من نيتي أن اشرب منها ، فاذا انصرفت عني أخذت قدحين وصببتها في الحديقة ، لأوهمها اني تناولت من عرقها .

ودعوى البرتستانتية ما نفعتني في «بيت شباب» ذلك ان امين الريحاني قال لي إنه زار حبيس ماربطرس قرب بيت شباب ، وهو يلبس المسوح على عادة قدماء الرهبان ، وأنه كتب فيه مقالة بالانكليزية فقلت له : وأنا اريد أن أزوره واكتب فيه مقالة بالعربية . فقال لي : وانت في اي حال الآن ؟ فقلت له : لا بدّ من زيارته ، ومن الغد استصحبت ولداً من ابناء القرية يدلني على قلاّية الحبيس ، فما إن حييته حتى كان أول سؤال وجهه إليّ بالطبع سؤالي عن مذهبي . فقلت له : برتستانت ، فصاح : انت هالك ، انت هالك ، وهل انت الذي صبأت عن دينك الأصلي ؟ قلت له : جدي . قال : وهل لك راتب من البرتستانت ؟ قلت لا ، قال : أتعرف القراءة ؟ قلت : قليلاً . قال : اقرأ الكتاب المقدس تعرف ان لوثيروس ما قال بالبرتستانتية الا ليتزوج ، الى غير ذلك مما أفاض فيه . واظن

معلوماته عن النصرانية لا تزيد على معلومات العامة ، وربما كانت معلوماتي يومئذ أرقى من معلوماته ·

وكان الحبيس اكرمني بجفنة من التين المجفف فأخذت أتناول منه ، والغلام الذي يرافقني يحدُجني بنظره ، والغالب انهم لا يتناولون منحة القس امامه ويجعلونها للبركة فقط ، كما يتبارك حجاج المسلمين بماء زمزم · وبدأ المطر ينهمر ، فلا والله ما خلصت من عظاته ، وتكفيره لي ، وتخويبي عاقبة أمري ، الا بانقطاعها ، وهرولت أنا ودليلي ، وقد اعطيت الحبيس شبه وعدٍ ان اعود الى قراءة الكتاب ، وارجع الى حجر الكنيسة · ومرّ دليلي بما سمع من وعظ الحبيس لي · وقال لي ان اعمل بنصيحته حتى أنجو من العذاب يوم الدّينونة · ثم قال : (يا معلمي ، شفت هذا الحبيس ؟ كان قبل ان ينقطع في صومعته يقف ساعة امام المرآة يصفف شعره ويَرْطله ، وكان من شباب البلد ، وخطب ابنة عمه فأبت ان تتزوج به ، ولما امتنعت منه امتناعاً قطع معه أمله ، دخل في الرهبنة) فقلت له : هذا قد يقع فيعشق المرء ويخيب امله في عشقه فلا يجد غير الرهبانية والانقطاع الى الله عزاءً له وسلوى عما شغل قلبه مدة ·

صادفت في الباخرة النمساوية التي هربت عليها من بيروت ، صديقي سعاد بك مدير صحة ولاية سورية ، وشقيق حسين جاهد بك رئيس تحرير جريدة « طنين » التركية في الاستانة ، ومن زعماء حزب الاتحاد والترقي ومن اكبر كتاب الترك ، ومعه صديقه صلاح الدين حجوز بك صاحب جريدة « قره كوز » الهزلية التي تصدر في الاستانة ، ففرح سعاد لتمكني من الهرب ، وسرته نجاتي من الوالي ، وكان من انسبائه الا انه مشهور بكراهته له ، وأحبّ ان يغيظه فقال لي سأكتب اليه : كيف تدعي انك كنت ناظراً للضبطية (مدير الامن العام) لمثل السلطان عبد الحميد ، وهذا عدوّك يمرُّ من تحت لحيتك في بيروت ولا تدري به فأين معرفتك ويقظتك ؟ فرجوته ان يرجئ هذا المزاح والتشفي من نسيبه على حسابي

الى مابعد اقلاع السفينة من ميناء يافا ، حتى لا يكون للوالي ولا للدولة العثمانية بجندها وحرابها سلطان عليّ .

وفي هذه الرحلة قضيت في باريز أشهراً حتى برئت ساحتي ، ورجعت الى بلدي عن طريق الاستانة . وكان الداعي الى الرحلة شراً فأنتج خيراً كثيراً .

* * *

أما الهزيمة الثانية فكانت أهم من الأولى لتشعبها وطول الطرق التي سلكتها براً ، ولأني كنت فيها كل ساعة معرّضاً للخطر ، وقد أرسلت حكومة الولاية بصورتي الى جميع المخافر والثكنات والمرافئ في سورية لأُعرف عند رجال الدرك والشرطة فيقبض عليّ حالاً . ونوعت الأساليب حتى أعفي أثري ويغمّ على الوالي أمري ، وأُقنعه بأني خرجت من البلاد فما اقتنع ، حتى ان احد اصدقائي أتاني بورقة من اوراق الرسائل وبغلاف مطبوع عليهما شعار البواخر الفرنسية (الميساجرى ماريتيم) وكتبت كتاباً بالرّيشة الدقيقة يشعر بأني كتبته على ظهر الباخرة ، ووضع في البريد من بيروت باسم أخي حتى ينفس خناقه قليلاً ويكفّ الطلب عني ، فلما ألقي الى الوالي تأمله فقال : الخط خطي ، والورقة المطبوعة ورقة الباخرة ، لكني مابرحت دمشق . وبهذا فقط أثبت انه ناظر ضبطية قديم .

لما فوجئت بهذه الدعوى الجديدة كنت راجعاً من رحلة الى المدينة المنوَّرة استغرقت ثلاثة وعشرين يوماً . وكان غرض الوالي من هذه الدعاوي الملفقة اشتغالي بنفسي ، والراحة ، ولو أياماً قليلة ، من نقد صحيفتي . وكان الوالي في هذه المرّة أشد نقمة عليّ من المرات السالفة ، وذلك لاعتصامه بالاتحاديين ، وكانوا أتوا به الى سورية ليعاضدهم في انتخاب اعضاء مجلس النواب ، فعمل بما ارادوا ، مع انه ما كان من حزبهم ولن يكون ، فرأى بذلك الفرصة سانحة للقضاء عليّ آخر الدهر . ولما فررت أشاع في جماعة الشرطة والدرك ان كلّ من يأتي بي اليه حياً او ميتاً يُرَقيه من جندي عادي الى رتبة « يوزباشي » مباشرة ، عدا ما يعطاه من مكافأة نقدية .

كنت قادماً بعد العصر الى ادارة الجريدة ، فرأيت سرية من الجند تحيط بها ، فغمزني أحد شبان حي سوق ساروجا ان ارجع ، و كنت على بضع خطوات من الباب فرجعت وتبعني فقال لي : إن اخاك قبضوا عليه الساعة ، وهم في تفتيش الادارة . ولما رجعت الى داري وقع في قلبي ان القوة المسلحة لا تلبث ان تأتي للقبض عليَّ . وكان الأمر كما حسبت ، فخرجت من داري سائراً على قدمي بين الحدائق لا ألوي على شيء ، ومعي السيد حكمة العسلي ، وانا افكر كيف اقطع نهر يزيد الحائل بيني وبين الجبل ، وكان الوقت ربيعاً ، والانهار طافحة بالمياه ، فطلبت الى فلاح هناك ان يجتاز بي النهر فمشى الى مجاز يعرفه ، وما كان اكثر تعجبه ان رأى شجرة صفصاف كبيرة قلعت من جذعها وأُسندت على شاطئي النهر ، كأنها جسر وُضع لأعبر عليه ، ومررت قليلاً حتى بلغت قبة السيار ، ومنها سقطت الى دمر اقصد بيت صديقي الامير عمر الحسني ، وكان حانقاً عليَّ لأني كتبت ، او كتبت الجريدة ، تعريضاً بأخيه الامير عبد الله باشا لما قام بدعوة الجمعية المحمدية هو والسيد عبد القادر العجلاني في دمشق ، وكانت قامت هذه الجمعية بايعاز السلطان عبد الحميد ، لقلب النظام الدستوري ، وإعادة الحكم المطلق الاستبدادي ، وسيق القائمان بها الى الاستانة للمحاكمة وبعد جهد جهيد كتبت لهما النجاة من القتل .

قصدتُ دار الأمير عمر لأنه افرنسي التبعة ، ومن المتعذر تفتيش داره ، ومع هذا احتاط وخبأني ثلاثة أيام في دار بعيدة عن داره . وفي اليوم الرابع ركبنا مع الامير طاهر ابن اخي الامير عمر من وراء جبال دُمر فبلغنا المزّة وفي تلك الليلة بحثت الحكومة عني في قرية المزة ، وكبست في صالحية دمشق دار صديقي عبد القادر بك المؤيد ، ولم نقف في المزّة بل اجتزنا ارضها فقط ومنها مررنا الى قرية بلاس وهي مزرعة الامراء آل الامير عبد القادر ، فنزلت في دار الامير محمد ابن السيد محي الدين ، وامه ابنة الامير عبد القادر الكبير ، فقضيت عنده أياماً على غاية من الهناء والطمأنينة ، حتى ابتاع لي الامير طاهر ثياباً بعضها من سوق الخَلَق

كالمعطف والعباءة ، وهذه اول مرة لبست بها في حياتي ثياب غيري ، ولا سيما مثل هذه الثياب الوسخة ، وقد تكون موبوءة ، وذلك لينطلي امري على من يراني ، وكنت اطلقت لحيتي من يوم استترت ، وشعثت هندامي حتى أشبهت صورتي بعض سكان الحاضر في حماة . وكان جاءني احد اصدقائي عبد القادر آغا سكر من اعيان حي الميدان وابطال الرجال يريد ان يصحبني الى مصر فظننته هازلاً فاذا هو يجدُّ ، ورجع بعد ايام يركب حصانه ، وقد ابتعت حصاناً يحملني معه ، وفي الساعة التي كانت النار تلتهم سوق الحميدية بدمشق ، والحكومة والناس مشتغلون باطفائها قال الوالي : الآن يفرُّ صاحب المقتبس مغتنماً فرصة اشتغالنا بهذه الفادحة ، فأمسكت عليَّ محطات السكك الحديدية كلها ، وفاته ان لدمشق عشرات من المنافذ وان من اتهم تهمتي لا يهرب من طريق السكة الحديدية ما دامت الأرض واسعة . ومررنا عصر ذاك اليوم من بلاس حافظاً لصديقي الأمير محمد اجمل ذكرى ، وقد كتم وجودي في بيته حتى عن اهله وانسبائه ، ومنهم من كان يكرهني ، وربما كان يتقرب من العثمانيين بدلالتهم على مخبئي .

* * *

سلكنا سبيلاً معوَجاً من اول مرحلة رحلناها من حوْش بلاس ، فاجتزنا ارض المزة وبلاس والاشرفية وصحنايا والدرخبية والطيبة وشقحب من قرى وادي العجم فدَير العدس فالحارة من اقليم الجيدور حتى النقرة من اقليم الجوْلان ، وانتهينا عصر اليوم التالي الى نهر الرّقاد ، ولم نُهوّم في الطريق الا دقائق قليلة ، لأن صاحبي كان يوجس خيفة من ان يعرف بالامر أحد من اصحاب الحكومة فيلحق بنا الجند ، وكنا رأينا في الليل ، والقمر ليلة البدر ، بضعة انفار من الدرك فوقفنا عليهم وشربنا ماء ، وكلمهم صاحبي بلهجة مغربية فعرفوا اننا مغاربة (وسأل أحدهم في عودته عن سبب مرابطتهم هناك ، فقالوا : (ان صاحب المقتبس سيمر من هذه الأرجاء وقد امرتنا الولاية بالقبض عليه)

وتعرّف صاحبي عبد القادر آغا في الجولان الى رجل نجدي اسمه عبد العزيز المحيسنيّ يقود الى مصر مع ستة من الرعاة سبعة وسبعين جملاً ، هي ملك احد اصدقائي الحاج ياسين دياب من تجار دمشق . فذكر عبد القادر آغا للمحيسنيّ ما وقع لي وما يتوقع من شرّ يصيبني اذا سقطت في يد أحد رجال الحكومة ، وانه رافقني حتى يبلغني مأمني ، فقال انه سمع بقصتي في دمشق . ومما قال له صديقي انك اذا اخذته تحسن لأهل دمشق ، وهو يحمل دراهم يعطيك بقدر ما تحب . فأجابه : تقول لي انك تحسن لأهل دمشق اذا هرّبته ونجا بروحه ، وتعرض عليّ ان آخذ منه اجرةً ، ومتى كان العربيُّ يأخذ أجراً على المعروف .

وعاد صاحبي عبد القادر آغا سكر الى دمشق ومررت على بركة الله مع جمال النجديين ، فقطعنا سهل الجوْلان وبتنا تلك الليلة دون عقبة فِيق . واقترب مني ساعة نزولي فارس من خفراء شركة الدخان ، يحادثني ويتحبب اليّ ، فأزعجني بكلامه ، ولاحظ أني متعب كثيراً فقال لي : مالك وللجمال تجر بها — ورُعاة الجمال يوهمون كل انسان اني انا صاحبها — لو فتحت لك دكاناً في سوق باب البريد ببلدك لعشت في نعيم ، وخلصت من هذا الشقاء ، ومن قطع الصحاري والبراري ، فتثاءبت وتناومت . فقال لرفاقي : « انه تعبان المسكين » وتركني وانصرف

ومن الغد هبطنا العقبة فأشرفنا على اراضي غوْر بيسان وبحيرة طبرية ونهر الأردنّ (الشريعة) فاجتزنا الجسر القديم المتداعي سباحةً على الدواب ، ثم توقلنا الجبل الى موقع الدّلايكة ، وهو بين جبلين منفرجين متآزبين ، وبتنا ليلتنا في سوق الخان بلد الصبيح على ساعتين من الناصرة . وفي اليوم الرابع دخلنا في غابة عظيمة من شجر البطم نحو ساعتين ، فبلغنا قرية دبورية ، وفي منقطع ارض هذه الدسكرة يبتدئ مرج ابن عامر (سهل يَزْرَعيل) فقطعناه عرضاً في اربع ساعات حتى بلغنا قرية اللجون ، ومنها الى وادي عارَة ، وطوله ثلاث ساعات ، وهو ضيق متوازي الأضلاع . وبتنا الليلة الخامسة في عيون الأساور على ساعتين من قيسارية ، واجتزنا

في اليوم السادس بقرى نابلس مثل قاقون وقلنسوة والطيرَة ومسكة فبلغنا نهر العوْجاء على ساعة ونصف من يافا .

وحدثني من اثق به بعد مدة ؛ أن جماعة من اعيان نابلس وشبانها المثقفين ؛ ومعظم شبانها مثقف ؛ استصرخوا قرى نابلس التي يلاحظ اني اجتاز بها ؛ وطلبوا الى بعض سكانها اذا رأوني ان يحملوني الى مكان بعيد ؛ ويكرموا مثواي ؛ ويبعدوني عن انظار كل من له علاقة بالحكومة ؛ فكان اهل القرية من القرى المستصرخة ينتدبون أُناساً من شجعانهم واصحاب المروءات منهم يقفون على الطرق في الليل والنهار ، لينقذوني من مخالب الظالمين . وباتوا بها يترصدون المعابر والمسالك أياماً وليالي حتى قرأوا في الصحف المصرية أني بلغت مصر . وهذه مروءة عربية استرق بها النابلسيون قلبي ما دمت حياً .

وفي اليوم السابع اجتزنا قرى الساحل مثل جبنة ، سدود ، مجدل ، بربرة ، بير هِدِيد ؛ غزة . ورأينا بعض المستعمرات اليهودية الزاهرة بالعمل والانتاج . وقضينا الليل في دير البلح . وفي اليوم الثامن دخلنا في رمال على نحو ثلاث ساعات من غزة ، وبعد مسيرة ست ساعات بلغنا محطة رفح أول حدود مصر والشام . وفي اليوم التاسع دخلنا في رمال خمسة أيام حتى قالت الاسماعيلية : ها أناذه . وكنا نسير في هذه الجفار على مقربة من البحر لا نبعد عنه كثيراً ، والرمال لا يتبدل شكلها .

ذكرت هذه المراحل لأني قطعتها على راحلتي وما كنت لأقطعها لو خُيرْت . وقد استفدت من هذه الرحلة فائدة جغرافية وطوبوغرافية لا تقدَّر . وما كان يومئذ خط حديدي يصل بين آسيا وإفريقية او بين دمشق والقاهرة ، ولا طرق معبدة تسلكها السيارات . وقصدت بتقييدي هذا تسجيل ظاهرة غريبة ، أو بدْع قديم بَطلَ ، وذكرى أيام قضيتها في عالم الأباعر فاستحليتها وهي مُرَّة .

* * *

قلت في محاضرة ألقيتها في الاسبوع الذي بلغت فيه القاهرة ، في فندق

ادن بالاس ، اجابة لمقترح جماعة من السوريين ، بعد ان عددت ما وقع لي منذ خرجت من بلدي الى ان دخلت الاسماعيلية ، وألممت بتاريخ ذاك الطريق الذي كان من اعمر الطرق منذ كان الاسلام : وكأن رحلتي في الشهر الماضي الى الحجاز وجنوبي الشام ونزولي على اهل البادية من اهل المدر والوبر كانت مقدمة لما امتحنت به هذا الشهر من مؤاكلة الاعراب في صحفة واحدة وفقدان الملعقة والشوكة والسكين والفوطة والكأس ، والاكل من طعامهم ثمن العراق والبرغل جريش الحنطة والتمر والخبز المعمول بالملة او على الساج يسجر ببعر الأباعر، والرمال تسفو فتدخل كل ما يعمل هناك من خبز وأدم ، ومأكول ومشروب ومطبوخ ومسلوق ومقلي ومعجون .

ولقد حملوا لي الماء في قربة فما هي الا ساعات حتى تغير منه الطعم واللون والرائحة ، وبقيت خمسة أيام أسقى من هذا الماء وأعده نعمة بالقياس الى مياه الجفار البشعة المهوّعة ، وهي بعض ماء البحر روّقتها الرمال قليلاً . وأذكر ان « َخويبي » الحيسني ناداني مرة ، وجمالنا مسرعة في طريقها ، وحاديها يحدو لها بصوت يذكر بنجد واهل نجد ، فالتحقت به مسرعاً ، وما انحرفنا دقائق عن قارعة الطريق حتى كنا وسط فريق من العرب فاستسقى فأتوه « بذُكرة » شرب منها واعطاني فاذا بها لبن رائب ثم أرادني ان اشرب وأشرب ، وأردت ان اعطيهم شيئاً فأشار اليّ ألا أفعل . وكنت اتمنى شربة واحدة من هذا اللبن كل يوم وادفع فيها جنيهاً وأنا غير مغبون . وكنا َمرّة نزولاً على بئر أنشئ على عهد الخديوي عباس الثاني ، وعليه زُبر اسمه فأتاني وليد بمقطف من الطماطم (البندورة) الصغيرة فأحببت ان أعطيه ريالاً فصرخ َخويبي « بشلك » ثم قال لي : اذا توسعت في اكرام البدو هذا التوسع تضرُّ بنا لأنا لا نزال نجتاز بهم طول السنة فاذا تعودوا على الكثير نضطر ان نعطي كل مرة كما اعطيت فلا يستقيم لنا بعد ذلك حال معهم .

وكنت في الليلة التي نجتاز في صباحها برفح آخر الحدود العثمانية المصرية قلقاً جداً ، وقضيت ليلي وانا في هواجس أُدبر وأُقدر . ومررت قبيل الفجر أمام قطار

الجمال وأنا أقول في نفسي : الآن فصل الخطاب فاما ان ادخل ارض مصر ناجياً من العثمانيين ممتعاً بالنعيم بعد هذا الشقاء ، أو اعود أدراجي وانا في قبضـة الترك الى ′مطبق من مطابقهم ، ألقى ما ألقى من معاملتهم الجائرة . وبعد خمس ساعات سألت المحيسني متى نبلغ رفح فقال : قطعناها منذ كذا ساعة ودفعنـا عنك للجندي ثمن علبة دخان لما اعترضنا قائلاً ان اخراج الخيل من الأرض العثمانية ممنوع فأقنعناه بأن هذا حصان صاحب الجمال الذي تراه . فأخذ « البشلك » وهي قطعة تساوي قرشين ، ولم يمسسنا بسوء ولم يحقق من امرنا غير ما رأى .

وسعدت في هذه الرحلة ان رأيت بين الشام ومصر صورة مصغرة من عيش اهل جزيرة العرب ، وذلك بالاختلاط مع تجار الجمال ورعاتهـا ، وكلهم نجديون لا يعرفون الفضول ، وما رأيت أحداً سأل خويي عبد العزيز عني بالإشارة ولا بالعبارة ، وكانوا في كل مساء وصباح يختلفون الينا ونختلف اليهم ونشرب القهوة معاً وحديثهم في البعير وسوقه ورعيته وثمنه ورواجه وكساده . ولم اسمع في اربعة عشر يوماً بلياليها كلمة ′هجر وبذاء ولا تجديفاً ولا لعناً ولا نميمة ولا غيبة ولا كذباً ولا منكراً . وكان أولئك الأعراب بأجمعهم مواظبين على صلواتهم ، يتيممون بالرمل اذا اعوزهم الماء ولا يسرفون فيه اذا وجد . وأنست بلهجتهم وفيها كثير من الفصح ولها رنة تطربك .

نزلت في الخيام في الشهر الذي وقع قبل هذه الرحلة ثلاث ليال في أرض ابل على شيخ من عرب الشرور اسمـه محمد ابراهيم ، وأخرى في بير البيطـار على محمد ابي الفرج شيخ بني عطا ، وهذان المنزلان على مقربة من وادي موسى ، وبت ليلة في الزيزاء (الزيزة) عند صديقي فواز بن سطام شيخ مشايخ بني صخر فرأيت العيش البدوي على اختلاف درجاته ، وكان العيش في الليلتين اللتين قضيتها في بلاد الشراة « ديمقراطياً » وفي ارض البلقاء « ارستقراطياً » نمنا فيها على فرش الحرير محشوة بريش النعام ، وشربنا في الصبح لبن النياق .

سألني احد الأعراب اي العيش افضل لنا نحن البدو: الحضارة ام البداوة ؟ فقلت له : ابقوا على بداوتكم واقتربوا من المدنية ما سمحت لكم حالتكم واياكم ان تغفلوا عن تعليم اولادكم . واني أخاف اذا عاشرتم الحضر فأكثرتم من عشرتهم ان يختلط عليكم امركم وتخرجوا عن فطرتكم واخلاقكم الى ماتئن منه حضارتنا من النفاق والكذب والتزوير والخديعة . ولولا الغارات المتواترة عندكم لآثرت ان اعيش في هذه الديارات بين البوادي ولو اشهراً في السنة .

زرت في تلك الرحلة عمان والصلت والكرك ومادبا ومؤتة ، وجئت معان فقصدت الى متصرف الكرك صاحبي القديم حليم بك ابو شعر وطلبت منه ان يصحبني بدركي لزيارة وادي موسى فنادى دركياً واسرَّ اليه شيئاً في أذنه واظنه قال له ان ينتبه لحديثي مع البدو وان يجيئه بخبري كله . وشكرتُ له لأنه لم يقل له جئني برأسه ، ولو فعل لجلب السرور الى قلوب الاتحاديين ، القابضين على زمام المملكة يومئذ ، ولرقيت درجته في ذاك الاسبوع الى والٍ . وانتهى بنا السير قبيل الغروب الى عين ماء عذبة على خمس ساعات من معان فقلت للدركي : نتعشى هنا ، فاستنكر ذلك وقال : وهل يمكن هذا وبعد ساعة نصير الى قبيل العرب فيذبحون لنا ؟ فأقنعته بأن نأكل من زادنا لأني لا أريد ان اشق على الفقراء فنزل واكلنا .

وفي العشاء كنا نزولاً على العربان فما ان ترجلنا حتى سمعت صوت « المهباج » لعمل القهوة وأصواتاً أخرى تنبئ بأن الخروف يذبح . فقلت للدركي : قل لهم انا تعشينا ، فقال : هذا كلام لا يسمع ، دع هؤلاء الذين تراهم من الصبيان والشبان والرجال يأكلون الليلة على جرايرك (بسببك) فانهم ينتظرون قدوم الضيف على شيخهم حتى يذبح له فيأكلون الفضلات . وانتظرنا ساعتين فخرج الخروف في قصعة صغيرة وجعلت تحته رقاق من الخبز لتت بالمرق فأصبنا منه قليلاً ارضاءً لهم ، وكنا نراهم ، والقريب من القصعة يتبعض للبعيد عنها ، فتسافر قطع اللحم من

فوق رؤوسنا وتتعاور العظامَ ايدي البدو فأسمعهم وهم يَعرقونها بأسنانهم كما يعرق الكلاب العظم . وخمنت من تناولوا من الخروف تلك العشية بنحو خمسين نسمة ، ولو لم نجئهم لباتوا على الطوى . ولو قدرت اننا سننزل على مثل هؤلاء الأعراب يكرموننا هذا الاكرام على فقرهم لحملت اليهم من معان على الأقل بعض الثياب اكسو بها بعض ابنائهم وبناتهم لأنهم كانوا اشبه بعراة .

وأعظم ما ملأ نفسي سروراً في رحلتي الى المدينة المنوّرة ان رأيت العمران بدأ يسري بفضل السكة الحجازية ، الى بعض المحطات ، وأخذت المدنية تدخل في تلك القفار ويجري الانتفاع بالمياه المخزونة في بعض الأودية في ارواء الأرض ، فأنشئت الحقول والحدائق بعد بلدة معان ، وبدأ الأعراب هناك يتذوقون طعم السكنى ، ويتعهدون الزرع والشجر ، ولو ظلّ استثمار الخط الى اليوم لرأيت قرىً قامت على جانبي هذا الطريق الطويل وصار للبادية ما تتبلغ به وتعيش ولقامت بعد الديار الشامية حتى مدينة الرسول « هجرات » على النحو الذي قامت في بلاد نجد بفضل الملك عبد العزيز آل سعود فأغنى اهلها عن الغارة ، وعلمهم الحرث والكرث ، وحضرهم وحبب اليهم عيش المدَر بعد عيش اهل الوبر .

ولاحظت في مسجد الرسول عليه الصلاة والسلام ان جميع العناصر الاسلامية تدخل بخشوع وادب لا يكونان في أبناء العرب ، فهؤلاء يضطجعون ويأخذون حريتهم ، ويلقون بنعالهم كيف اتفق ، مما لا يصدر مثله من الهنود والأفغان والجاويين والايرانيين والقوقازيين والسودانيين والاتراك ، كأن ابناء العرب يرون أن صاحب هذا القبر الشريف هو بعض ابناء عمهم او احد إخوتهم ترتفع بينهما الكلفة على ما هو الحال بين ابناء أسرة واحدة .

وتسألني وقد أتعبتك بما قصصت عليك ، وأنت هل تعبت بقطع هذه المساوف التي قطعتها راكباً حتى بلغت مصر ، فأقول لك ان ربك يبتلي عبادَه ويُعينهم . كنت اذا ركبت دابتي الى قريتي ثلاثة ارباع الساعة أضطجع اذا نزلت عنها

ساعة او ساعتين للاستجمام ، ولم تنقص اقل مرحلة قطعناهـا هذه المرة عن اثنتي عشرة ساعة ، وكثيراً ما كنا نسير ثماني عشرة ساعة في اليوم ، وسرنا في اليوم الاول اربعاً وعشرين ساعة متتابعة ، فكانت مرحلتنا الأولى كسائر المراحل غير شاقة ، وما أحسست بتعب يذكر ، وقد نكتفي بنوم ثلاث ساعات ننشط عقبهـا للركوب كأننا نمنا ثماني ساعات على فراش وثير ، ذلك لأن نومنا كان بالعراء على الأرض بعيدين عن المستنقعات والقاذورات . وكنت أنشط اليوم بعد اليوم وآلف هذا العيش لا اتبرم به كثيراً لأنه جديد بالنسبة لابن المدن والرفاهية .

ولما بلغت بعد ظهر اليوم الاخير من هزيمتي الثانية مدينة القاهرة قصدت الى « اسبلنديد بار » تواً ولم أكن احمل معي شيئاً الا ما عليّ من ثياب وسخـة . فكان كلما جاء واحد من أصحابي الصحافيين يعمى عليه امري ، حتى اتكلم واضحك ، أو يذكر له من سبقه اسمي الصريح ، وتجمع عليّ منهم بعد ساعتين عشرات شغلنـا نصف البراني من القهوة ، والانظار تحدجنا ، والطليان ينظرون الينا شزراً ، وكان مقهاهم وراء مقهانا ، ولعلهم ظنوني بعض أولئك الأعراب الفارين من ليبيا ، وكانت الحرب يومئذ على ساق وقدم بينهم وبين جيوش العثمانيين . واخذني حقي بك العظم وصورني بذاك الهندام العجيب ، وساقني رفيق بك العظم امامه الى داره ، فقلت له : انزل في الفندق ، فقال : ما من فندق في القاهرة يقبلك وانت على هذه الوساخة . ومن الغد خلعت حلتي ، وحلقت لحيتي ، وعدت الى قيافتي . وعندهـا بدأ التعب يدب في جسمي ، ولم ترجع اليّ قواي الا بعد نحو اسبوعين ، وحمدت الله على السلامة ، وأنشدت مع من أنشد « أنت يا مصر ملجأ الأحرار »

حلقة مفقودة

من سلسلة التاريخ الاسلامي

يحتاج تاريخنا الاسلامي الى معالجة دقيقة وتهذيب وتنسيق ، فكثير من احداثه ناقصة مبتورة ، وكثير من حلقاته مبعثرة متفرقة ، وكثير من مصادره لا تزال حتى اليوم في دور الخفاء ، وكثير من كتبه المطبوعة تحتاج الى تصحيح وتحقيق وفهارس علمية .

ان عدداً كبيراً من دول وامارات اسلامية لا يعرف عنها شيء الا بعد بحث وعناء ، فلو اراد الباحث ان يعرف شيئاً عن دولة بني رسول التي كانت في اليمن ، او عن السلجوقيين ، او السبكتكيين ، او الخوارزميين ، او الامارات التي قامت في بلاد الروم (الاناضول) لما عرف عنها الا شيئاً قليلاً بعد عنت كبير وعناء عظيم مع وجود مصادر عديدة في هذه الموضوعات . وهناك ما هو أشد خفاء ، واكثر عناء مثل البحث عن الامارات والسلطنات الاسلامية في الحبشة والسودان ، وبلاد الهند ، وايران وغيرها .

عنيت منذ خمس سنين بدراسة واسعة عن الدولة الايوبية واماراتها وعصرها وكان مما عثرت عليه أثناء دراسة العصر الايوبي ، والممالك الايوبية مملكة مستقلة قامت في مدينة (حصن كيفا) وعاشت نحواً من ثمانية عشر ومئتي عام .

ومن العجيب ان تعمر سلطنة مثل هذا العمر الطويل ولا تدخل في سجل التأريخ ولا يشير اليها احد من المؤلفين الا عفواً

فمعلمة الاسلام لم تشر اليها في بحث الايوبيين ، وبحث (حصن كيفا) ونقلت عن كتاب (شرف نامه) عبـارة تدل على هذه السلطنة دلالة مبهمة . فقد جاء في بحث (اوزون حسن) انه انتزع (حصن كيفا) من أيدي الاكراد

الأيوبيين ، وهذا كل ما أشارت اليه . ولم نر لهذه المملكة ذكراً في الاجزاء المطبوعة من كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك للمقريزي ، ولا في تاريخ الحافظ ابن كثير ، ولا في تاريخ القرماني مع ولوعه باستقصاء الممالك والسلطنات والامارات .

وأشار لهذه المملكة القلقشندي بما لا يشفي الغليل ، ومعظم ما نقله عن كتابي التعريف والتثقيف ، وكانت نقول كتاب التثقيف مضطربة مشوشة مثل نقول القلقشندي [١] فهما لم يستندا في بحثهما الى تحقيق علمي ، وانما اخذا معلوماتهما من افواه بعض التجار والقصاد [٢] وقد استطعنا ان نجمع حلقات هذه السلسلة الايوبية من كتب التراجم بعد ان أعيانا البحث عنها في كتب التاريخ السياسي ، ولكننا لم نستطع التعرف الى خمسة من ملوكها وان كنا قد علمنا أسماءهم .

حصن كيفا [٣]

مدينة من مدن الجزيرة الفراتية ، قائمة على الشاطئ الأيمن من نهر دجلة ، وهي في منتصف الطريق تقريباً بين ديار بكر وجزيرة ابن عمر ، وتبعد عن كل منهما مسيرة ثلاثة أيام .

وهذه المدينة عريقة في القدم ، فالمغاور والكهوف التي لا تزال فيها ترجع الى ماقبل العصر الكلداني وأصبحت (حصن كيفا) حسب التنظيم الاداري التركي جزءاً من قضاء العوينة في لواء ماردين (ولاية ديار بكر) وهي قائمة بين قضاءي العوينة ومدياد . وسكانها أتراك واكراد وارمن وسوريون مسيحيون

تاريخها الاسلامي

انضمت هذه المدينة مع بقية الجزيرة الى المملكة العربية الاسلامية بين سنتي

---

(١) راجع صبح الأعشى ج ٤ ص ٣١٧ (٢) جمع قاصد وهو من ترسله الحكومة لايصال رسائلها الرسمية (٣) ملخص من معلمة الاسلام ، وصبح الأعشى ، والنجوم الزاهرة ، ومعجم البلدان وغير ذلك من كتب التاريخ وتقويم البلدان .

(١٨ — ١٩ هـ) أيام خلافة عمر بن الخطاب · ولما ضعفت الخلافة العباسية دخلت حصن كيفا تحت سلطة بني حمدان ، ثم بني مروان ، ثم بني أرتق الذين جعلوها عاصمة لهم منذ سنة (٤٩٥ هـ) فبلغت في عهدهم اقصى فخامتها وروعتها · وفي سنة (٥٧٩) حاصر صلاح الدين بن أيوب مدينة آمد وجاء لخدمته نور الدين محمد بن قرا أرسلان صاحب حصن كيفا فأحسن صلاح الدين لقاءه ووعده بآمد · فلما فتحها صلاح الدين في السنة المذكورة وفى بوعده لصاحب حصن كيفا واعطاه آمد ، ومن ذلك الوقت خضعت حصن كيفا للمملكة الايوبية خضوعاً معنوياً مع استقلالها الذاتي · وبين سنتي (٦٢٩ — ٦٣٠) اخذ الملك الكامل صاحب مصر مدينة آمد مع حصن كيفا من الملك المسعود بن الملك الصالح ابي الفتح محمود بن نور الدين محمد بن فخر الدين قرا ارسلان بن ركن الدولة داود بن قطب الدين سقمان بن ارتق · واصبحت يومئذ من الممتلكات الايوبية وفي حدود سنة (٦٣١—٦٣٢) اعطى الملك الكامل حصن كيفا لابنه الملك الصالح نجم الدين ايوب فبقي فيها حتى مات ابوه فترك الحصن وتوجه الى الشام وحصلت له وقائع كثيرة حتى صار ملكاً على مصر سنة (٦٣٧) · وكان ابقى في الحصن ابنه الملك المعظم توران شاه جد ملوك الحصن وهم الذين وضع هذا البحث فيهم

الملك المعظم توران شاه

هو جد ملوك حصن كيفا واصلهم الذي يرجعون في النسب اليه · جعله ابوه الملك الصالح نجم الدين ايوب لما ذهب الى مصر نائباً عنه على حصن كيفا وغيرها من اعمال ديار بكر وهو يعتبر آخر ملوك مصر من الأيوبيين · ولما توفي والده الصالح نجم الدين سنة (٦٤٧) والافرنج محدقة بالديار المصرية أخفت شجرة الدر موت الصالح أيوب ، وصارت تدبر الامر خوفاً من اضطراب البلاد ، وارسلت الى حصن كيفا تدعو توران شاه للحضور الى الديار المصرية فحضر اليها في اول

المحرم[1] سنة (٦٤٨) فأعلن حينئذ موت الملك الصالح وملكية ابنه المعظم توران شاه . واتفق ان العساكر الاسلامية انتصرت في ذلك الوقت انتصاراً باهراً على الافرنج الواغلين في الديار المصرية فاستبشر الناس بيمن سلطانهم الجديد استبشاراً عظيماً ، ولكن الملك الجديد كان شاباً غراً منهمكاً في اللذات بعيداً عن السياسة والتدبير ، نشأ في بيئة تختلف كل الاختلاف عن الديار المصرية . ويقول الامير حسام الدين ابن ابي علي كنا نقول للملك الصالح : لماذا لا تحضر ابنك الى مصر ؟ فكان يقول دعوني من هذا فألححنا عليه يوماً ، فقال : اجيبه الى ها هنا أقتله ؟ والظاهر من هذا أن أباه كان لا يراه أهلاً لأن يملك على مصر ، ومن أعماله انه ارسل الى شجرة الدر زوج أبيه — وكانت قد ذهبت الى القدس ابتعاداً عنه — يهددها ويطالبها بالاموال ، فكاتبت الأمراء واغرتهم به وكانت نفوسهم تغيرت عليه لتهديده لهم بالقتل ايضاً فاتفقوا على قتله ونفذوا ذلك ، فكان مدة ملكه على مصر أقل من شهر . فقد قدم اليها في مستهل المحرم وقتل يوم السابع والعشرين من هذا الشهر سنة (٦٤٨) هذه رواية النجوم الزاهرة

ويقول ابن شاكر الكتبي في فوات الوفيات : ان المعظم توران شاه كان قوي المشاركة في العلوم حسن البحث وانه لما دخل دمشق قام الشعراء بين يديه فابتدأ العدل تاج الدين بن الدجاجية فقال :

كيف كان القدوم من حصن كيفا   حين ارغمت للاعادي انوفا

فأجابه المعظم بقوله :

الطريق الطريق يا الف نحس   تارة آمنا وطوراً مخيفا

ولما قتل رثاه نور الدين بن سعيد بقصيدة منها :

ليت المعظم لم يسر من حصنه   يوماً ولا وافى الى املاكه

---

(١) هذه رواية صاحب النجوم الزاهرة ، وأبو الفدا يقول انه وصل المنصورة في ٩ ذي القعدة وكانت مدة ملكه شهرين وأياماً .

ان العناصر اذ رأته مكملاً حسدته فاجتمعت على اهلاكه

الملك الموحد تقي الدين عبد الله بن الملك المعظم توران شاه

يعد هذا الملك اول ملوك الحصن من الايوبيين المستقلين بها ولكننا لا نعرف عنه شيئاً غير ما ذكره عنه ابو الفداء في تاريخه . فقال عنه في حوادث سنة (٦٣٨) انه بعد ذهاب ابيه تورانشاه الى مصر بقي مالكاً لحصن كيفا الى أيام التتر وطالت مدته بها

الملك الكامل مجير الدين ابو بكر شادي

وهو ثاني ملوك الحصن ، ولا نعرف عنه غير كنيته ولقبه جاء ذكرهما عفواً في الدرر الكامنة في ترجمة ابنه ايوب ونصه : كان المعظم لما تقرر في سلطنة الديار المصرية نقلا من حصن كيفا ترك ولده الموحد تقي الدين عبد الله فاستمر في مملكة الحصن المذكور . وتولى بعده ولده الكامل ابو بكر . وهذا كل ما عرف عنه . وفي الضوء اللامع للسخاوي ما يفيد بان اسمه شادى ولقبه مجير الدين . وفي شذرات الذهب ايضاً ما يفيد بان اسمه شادى . وقد خلف ولدين توليا بعده ، احدهما ايوب ، والآخر محمد

الملك الصالح نجم الدين ايوب بن ابي بكر شادى

وهو ثالث ملوك الحصن ، ويقول عنه في الدرر الكامنة انه استقر في المملكة بعد ابيه الملك الكامل ابي بكر فحج في سنة ٢٦ فقدم القاهرة وتلقاه الملك الناصر واكرمه ، فلما رجع من الحج عارضه اخوه فحاربه فقتل ايوبَ هذا وولدَه واستولى اخوه على المملكة وذلك في اوائل سنة (٧٢٧) وذكر مثل ذلك ابو الفدا في حوادث سنة (٧٢٦) ولم يثبت حجه فيقول: وفي شعبان حضر نجم الدين صاحب حصن كيفا متوجهاً الى الحجاز ، ثم ابطل المسير الى الحجاز وسار الى عند السلطان الى مصر فأنعم عليه السلطان وأعاده فعبر على حماة وتوجه الى حصن كيفا وفيها حال

وصوله قتله اخوه ، وكان اخوه مقيماً هناك ، وملك اخوه الحصن والمذكوران من ولد تورانشاه ابن الملك الصالح ايوب ابن الكامل ابن العادل ابن ايوب ، واشار لهذه الحادثة ايضاً العمري في التعريف (ص ٣٣) ولقبه بالملك الصالح فقال : وكان آخر وقت منهم الملك الصالح ، قصد الابواب السلطانية ، فلما اتى دمشق عقبته الاخبار بأن اخاه قد ساور سريره ، وقصد بسلطته سلطانه ، فكر راجعاً ولم يعقب ، فما لبثت الأخبار ان جاءت بأنه حين صعد قلعته ، وكر نحو سريره رجعته ، وثب عليه اخوه المتوثب فقتله وسفك دمه ، ثم أظهر عليه ندمه ، وكتب الى السلطان[1] فأجيب بأجوبة دالة على عدم القبول لأعذاره ، والسرائر مكدرة ، والخواطر بعضها من بعض منفرة اه

هذا كل ما اطلعنا عليه من اخباره ولكننا لم نطلع على اسم اخيه الذي ثار عليه وقتله وتولى بعده ، كما اننا علمنا ان نسله انقطع ما دام اخوه قد قتله مع اولاده

وحينما نرجع الى تراجم ملوك الحصن لا نجد احداً يتصل نسبه بنجم الدين هذا ، وانما نرى الملك العادل فخر الدين سليمان قد ذكر نسبه هكذا : سليمان بن الملك الكامل غازي بن محمد بن ابي بكر شادى ، ومن هذا يظهر ان محمداً المذكور هو اخو نجم الدين . ولكن هل هو الذي قتله وتولى بعده ام هناك اخ ثالث ؟ والظاهر انه هو الذي تولى بعده وان كنا لا نجزم بذلك .

الملك الكامل مجير الدين محمد

وهو رابع ملوك الحصن ، وهو ابن ابي بكر شادى ، والمظنون انه هو الذي قتل اخاه الملك الصالح نجم الدين ايوب بن ابي بكر شادى ، ولا نعرف عنه اكثر من ذلك

(١) وهو الملك محمد بن قلاوون تسلطن للمرة الأولى سنة (٦٩٣) فبقي سلطاناً سنة واحدة ثم خلع لصغر سنه ، ثم تسلطن للمرة الثانية سنة (٦٩٩ — ٧٠٠) فبقي سبع سنين ثم خلع نفسه وذهب إلى الكرك ، ثم تسلطن للمرة الثالثة سنة (٧٠٢) فأقام ملكاً حتى توفي سنة (٧٤١) .

الملك المجاهد شهاب الدين غازي

ويعد الملك الخامس من ملوك الحصن ، وهو ابن مجير الدين محمد ولا نعرف عنه شيئًا .

الملك العادل فخر الدين سليمان

وهو السادس من ملوك الحصن ، وهو ابن المجاهد غازي ، ابن الملك الكامل محمد ، ابن الملك ابي بكر شادى ، وبواسطته عرفنا اسم ابيه وجده وابي جده[1] ترجمه في الضوء اللامع ونقل عن ابن حجر في انباء الغمر : انه اقعد ملوك اهل الأرض في مملكة حصن كيفا (يريد اطول ملوك عصره عمراً) الا صاحب صعدة الامام الزيدي فانه اقعد في المملكة منه . ملك الحصن بعد ابيه فدام نحو خمسين

(١) ترجمه صاحب الشذرات كما ترجمه صاحب الضوء اللامع ، ويتفق الضوء مع الشذرات في اسمه واسم أبيه وجده ولكنهما يختلفان في القابهم ، فصاحب الشذرات يلقب أباه بالملك الكامل غازي ونرجح ما في الضوء بأن لقبه الملك المجاهد لتردد هذا اللقب عدة مرات على هذه الصفة .

وقد وهم في اسم (الملك العادل فخر الدين سليمان) صاحب كتاب التثقيف كما نقله عنه القلقشندي في صبح الأعشى (ج ٤ ص ٣١٧) ووهم في لقب أبيه وجده ولكنه يتفق مع الشذرات والضوء في اسميهما . ففي التثقيف أن الذي اتضح له آخراً في رمضان سنة (٧٧٦) أن صاحبها (أي حصن كيفا) الملك الصالح سيف الدين أبو بكر بن الملك العادل شهاب الدين غازي ابن الملك العادل مجد الدين محمد ، ابن الملك الكامل سيف الدين أبي بكر .

فيوافق أن أباه شهاب الدين غازي وجده مجدالدين محمدوأبا جده أبو بكر ، ولكننا نراه يخالف في ألقابهم الملوكيه ، فيلقب الأب والجد بالملك العادل ثم يستشكل كيف أن أباً وابنه يكونان بلقب واحد ولكن الوهم الذي وقع فيه هو الاسم الأول وهو — الملك الصالح سيف الدين أبو بكر — لأن الذي كان ملكاً سنة (٧٧٦) هو الملك العادل فخر الدين سليمان بن الملك الكامل غازي صاحب هذه الترجمة لانه توفي سنة (٨٢٧) وجاء فيترجمته أنه بقي ملكاً نحو خمسين سنة فإذا طرحنا واحداً وخمسين من سنة وفاته فانه يكون ملكاً سنة (٧٧٦) ومهما يكن فصاحب التثقيف مشكك فيما ذكره والصواب ماحققناه . راجع صبح الأعشى ج ٤ ص ٣١٧ .

ووهم القلقشندي أيضاً في صبح الأعشى إذ قال : الذي أخبرني بعض قصاد صاحبها سنة (٧٩٦) أن الملك القائم بها يومئذ اسمه سليمان بن داود وذكر لي لقبه فنسيته اه والصواب أن اسم الملك يومئذ هو سليمان بن الملك غازي .

سنة ، وشكرت سيرته ، وحسنت ايامه وله فضائل ومكارم وادب وشعر واعتناء بالكتب والآداب . ويقول صاحب الشذرات انه تسلطن في الحصن بعد موت ابيه وحسنت ايامه وكان مشكور السيرة محبباً للرعية مع الفضيلة التامة والذكاء والمشاركة الحسنة وله نظم ونثر وديوان شعر لطيف ومن شعره :

أربعان الشباب عليك مني ... سلام كلما هب النسيم
سروري مع زمانك قد تناءى ... وعندي بعده وجد مقيم
فلا برحت لياليك الغوادي ... وبدر التم لي فيها نديم
يغازلني بغنج والمحيا ... يضيء وثغره در نظيم
وقدٌ مثل لدن ان تثنى ... وريقته بها يشفى السقيم
اذا مزجت رحيق مع رضاب ... ونحن بليل طرته نهيم
ونصبح في ألذ العيش حتى ... تقول وشاتنا هذا النعيم
ونرتع في رياض الحسن طوراً ... وطوراً للتعانق نستديم

ويقول القلقشندي ان بعض قصاد حصن كيفا ذكر له ان الملك سليمان يقول الشعر واحضر معه بيتاً مفرداً من نظمه وهو :

وجارية تعير البدر نوراً ... ولولا نورها عاد الظلام

فنظم القلقشندي ابياتاً وبعث بها اليه صحبة قاصده وأولها

سليمان الزمان بحصن كيفا ... له في الملك آثار كرام
زكا اصلاً فطاب الفرع منه ... وطاب الغصن اذ طاب الكمام
بنو ايوب ابقوا منه ذخراً ... ونعم الذخر والقيل الهمام
وجارية تعير البدر نورا ... ولولا نورها عاد الظلام

توفي الملك العادل سليمان سنة (٨٢٧) بعد ان ملك نحواً من خمسين عاماً

الملك الاشرف احمد بن الملك العادل سليمان

وهو السابع من ملوك الحصن ترجمه صاحب الشذرات وصاحب الضوء اللامع بأنه صاحب حصن كيفا واعمالها من ديار بكر وليها بعد ابيه في سنة سبع وعشرين وكان مشكور السيرة محبباً لرعيته لوفور عقله وسياسته وديانته مع فضل وميل زائد الى الأدب ومشاركة في فنون وكرم وشجاعة وظرف ذكره ابن حجر في انباء الغمر ، وقال انه خرج في عسكره لملاقاة السلطان [1] على حصار آمد فاتفق انه نزل لصلاة الصبح فوقع به فريق من التركمان فأوقعوا به على غرة فقتل وذلك في شوال سنة ست وثلاثين وثمانمائة ودفن بحصن كيفا . ويقول ابن حجر عنه انه كان فاضلاً اديباً له شعر حسن ووقف على ديوان شعره وهو يشتمل على نوائح في ابيه وغزل وزهديات وغير ذلك وانه كان جواداً محبًا للعلماء ومن نظمه :

بدا حبي وقد خضب اليدين ... فأتلف مهجتي بالحاجبين
وبين النوم والجفن اختلاف ... كما بين الذي اهوى وبيني
ترفق ياحبيب القلب واعطف ... لتنعم بالرضا عيني بعيني
اذا [ما] رمت سلواً إلفي قلبي ... يجرجره الجمال بقائدين
وان اذنبت ذنباً ياغزالي ... أرى لك عند قلبي شافعين
يعنفني فؤادي كيف اسلو ... مليحاً ساكناً في الناظرين
يذوب القلب مني حين يضحي ... شروداً للغرام محركين
فزرني ياحبيبي تلق اجراً ... ودس فضلاً على رأسي وعيني

انتهى عن الضوء والشذرات

(١) هو السلطان الأشرف برسباي الدقاقي الظاهري تولى مملكة مصر والشام سنة (٨٢٥) وتوفي سنة (٨٤١) خرج سنة (٨٣٦) بالعساكر المصرية والشامية لقتال الأمير التركماني عثمان قرايلوك صاحب ديار بكر وآمد وماردين فحاصره في آمد شهراً ثم صالحه .

الملك الكامل خليل بن الملك الاشرف احمد

وهو الملك الثامن من ملوك الحصن · وهو خليل بن احمد بن سليمان بن غازي ابن محمد بن ابي بكر بن عبد الله بن توران‌شاه الملك الصالح ثم لقب بالملك الكامل ابو المكارم · استقر في مملكة الحصن بعد قتل والده سنة (٨٣٦) وكان محباً للعلماء خصوصاً الشافعية ، وسار في بلاده سيرة حسنة ونشر العدل ، ووصفه الحافظ ابن حجر بأنه من أهل الفضل وان له نظماً وأنه ارسل بديوان من شعره على عادة ابيه الى الديار المصرية فقرظه له الادباء ومما انتقاه ابن حجر من ديوانه

بانوا فأجروا عيوني · من بعدهم كالعيون
في حبهم مت عشقاً · ياليتهم قبلوني

وكتب اليه الكمال بن البارزي يمدحه

أبحر الشعر ان غدت · منك في قبضة اليد
غير بدع فانها · للخليل ابن احمد

وثب عليه ابنه ناصر فقتله في ربيع الاول سنة (٨٥٦)

الملك العادل ناصر بن خليل بن احمد

وهو التاسع من ملوك الحصن قتل أباه وتملك بعده فبقي نحو سبعة أشهر ثم ثار عليه ابن عمه حسن بن عثمان بن الملك العادل سليمان فقتله ثأراً لأبيه

الملك الكامل احمد بن خليل بن احمد بن سليمان

وهو العاشر من ملوك الحصن ، ولما قتل اخوه ناصر اباهما الملك الكامل خليل فر خوفاً من أخيه الى جهانشاه ملك تبريز ، فلما ثار ابن عمه على أخيه ناصر وقتله استدعاه ابن عمه من تبريز وجعله ملكاً على الحصن فبقي فيه ملكاً نحو سنتين ، ثم حصلت ثورة في بلاده وتغلب على ملكه ابن عمه خلف بن محمد ففر الى قلعة ارغيس

من معاملة الحصن ثم الى بغداد ثم الى مصر فأكرمه عتيق جده مرجان العادلي مقدم المماليك وتوفي في مصر أيام الملك الظاهر خشقدم

الملك العادل خلف بن محمد بن سليمان بن احمد

وهو الحادي عشر من ملوك حصن كيفا ثار على ابن عمه الملك الكامل احمد في حدود سنتي (٨٥٨—٨٥٩) ففر الملك الكامل واستولى على المملكة فبقي مالكاً سبع سنين . ثم جرى له ما فعله بسلفه ، فثار عليه أبناء عمه : زين العابدين ، وايوب وعبد الرحمن ابناء علي بن محمود بن العادل سليمان فقتلوه وولده هارون في حدود سنة (٨٦٥) وذكره صاحب الشذرات فيمن توفي سنة (٨٦٧) وكان العادل شجاعاً مقداماً ذا بطش وقوة وله نظم ليس بالجيد . واليه الاشارة بقول الصدر بن البارزي مما كتب به اليه .

قالوا بموت الكامل الحصن وهت وعزها قد حاد عنها وصدف
فقلت ان كان مضى كاملها فان فيها خلفاً عن من سلف

الملك الصالح زين العابدين

وهو الثاني عشر من ملوك الحصن ثار هو وأخواه ايوب وعبد الرحمن ابناء علي ابن محمود بن العادل سليمان فقتلوا ابن عمهم العادل خلف بن محمد وتملك زين العابدين على الحصن وبقي ايوب وعبد الرحمن كالوزراء ثم اختلف الثلاثة فيما بينهم فهاجم الحصن حسن بيك الطويل (أزون حسن) بن قرايلوك عثمان صاحب آمد واستولى على الحصن وقتل الثلاثة بين يديه صبراً في ذي القعدة سنة (٨٦٦) وبذلك انقرضت هذه السلالة الأيوبية

هذه خلاصة ما اطلعنا عليه من اخبار هذه السلالة ، واكثرها لا يعدو كونه تراجم ، ولكنها بمجموعها تعطينا فكرة قيمة عن هذه الامارة ، وبعد ذلك نتساءل لماذا كانت اخبار هذه الامارة غامضة في اول نشأتها فلم يعرف عن احوالها الا النزر

اليسير ، ولماذا لم يعرف شيء عن ملوكها الخمسة الأول ، وما السبب في ان المؤرخين اخذوا يذكرون تراجم ملوكها منذ منتصف القرن الثامن الهجري ؟

اني ارى ان صغر هذه الدولة وضعفها كان له اكبر الأثر في ذلك ، يضاف اليه ان هذه الدولة تعتبر صاحبة الحق الشرعي في اعتلاء عرش المملكة في مصر والشام كما تعتبر دولة المماليك البحرية (مماليك جدملوك حصن كيفا) مغتصبة لعرش الأيوبيين ، وهاضمة لحقهم ، ومنكرة لنعمتهم ، وعاقة لولائهم .

لذلك كان من المعقول ان لا يجرأ احد من المؤرخين على ذكر دولة ملوك الحصن الا رمزاً خوف تنبه الأفكار اليها ، بخلاف ملوك حمص وحماه التي بقيت امارتهم مستقلة استقلالاً اداريًا في عهد المماليك ، لأنهم ليس لهم صبغة قانونية في حق العرش ولم يسبق لأحد من اجدادهم ان امتلك دمشق او حلب او مصر ، وهي العواصم الكبيرة التي كان يقوم في كل منها مملكة ايوبية كبرى

لذلك كان ابناء ملوك هذه البلدان الثلاث موضع ريبة وحذر في دولة المماليك البحرية ، وكانوا موضع بطش وانتقام من هذه الدولة ايضاً

ولما التقى جيش التتر بقيادة كتبغا مع الجيش المصري الذي يقوده الملك المظفر قطز كان قد انضم الى جيش التتر الملك السعيد حسن بن الملك العزيز عثمان ، والملك الأشرف موسى صاحب حمص — حرصاً على بلادهما من تدمير التتر لها — ولما اسفرت المعركة عن انتصار الجيش المصري وانهزام جيش التتر حضر الملك السعيد الى الملك المظفر قطز ليعتذر اليه فأمر قطز بضرب عنقه فضربت ، وارسل الملك الاشرف صاحب حمص الى قطز يطلب منه امانًا على نفسه وبلاده فأمنه وأقره عليها

فان كان الانضمام الى التتر يعد جريمة وخيانة لا تغتفر فلماذا ينتقم من الملك السعيد فتضرب عنقه ، ويعفى عن الملك الاشرف وتعطى له بلاده ؟

ليس لهذا سبب في نظري الا ان الملك السعيد هو ممن يحق له ان يطالب

بعرش المملكة لأن جده هو الملك العادل اخو صلاح الدين فلذلك حكم عليه بالقتل تخلصاً من مضايقته

ونرى الملك الظاهر بيبرس يحتال على الملك المغيث صاحب الكرك ثم يلقي عليه القبض ويتهمه بأشنع التهم ويقتله شر قتله ، وليس لهذا من سبب الا انه كان احق الناس بتاج مصر

ويحدثنا التاريخ ايضاً بأن الظاهر بيبرس لما رأى الناس يلهجون بذكر الملك القاهر بن الملك المعظم عيسى ملك دمشق اغتاله بسم وضعه في نبيذ قمز (١) سقاه منه

ولم يقف الامر بالظاهر بيبرس عند هذا الحد بل عمد الى أعظم حيلة تسقط حق الايوبيين من عرش بلادهم ، فأعاد الخلافة العباسية في مصر ، لأن الخلفاء العباسيين في نظر الناس هم اصحاب الحق في حكم العالم الاسلامي اجمع ، والدول والملوك الذين يحكمون في البلاد انماهم نواب عنهم ، واصبح الملك الظاهر نائباً في الحكم عن الخليفة العباسي ، وبذلك لفت انظار الناس عن الايوبيين الى الخلافة العباسية الوهمية وكاد للايوبيين مكيدة لم تقم لهم قائمة بعدها

هذه كلها (في نظري) اسباب منعت المؤرخين أن يذكروا احداً من ملوك حصن كيفا خوفاً من بطش المماليك ، حتى اذا استقرت قواعد دولة المماليك في البلاد ، ونسي الناس عهد الايوبيين ، وانفلت عرش الملك من المماليك البحرية ، الى المماليك الشراكسة استطاع المؤرخون ان يذكروا هذه الدولة ويؤرخوا لملوكها ، ولكن أسلوب كتب التاريخ كانت قد تغير واصبح طراز كتبها منذ القرن الثامن الهجري مثل كتب التراجم تجمع بين العلماء والوجهاء والملوك والامراء والتجار الخ ، كما فعل الحافظ ابن حجر ، والسخاوي ، وابن العماد ، وبذلك استطعنا ان نجمع حلقات هذه الدولة المبعثرة وان نبعث تاريخها من جديد ولعل الباحثين من العلماء والمؤرخين يرشدوننا لما لم نطلع عليه فنكون لهم من الشاكرين

محمد أحمد دهمان

(١) نبيذ يتخذ من ألبان الخيل يعنى بشربه الترك والتتار .

غريب الحديث

لا تعرف العربية بعد القرآن الكريم كلاماً يسامي الكلام النبوي او يدانيه ؛ فصاحةَ مبنى وبلاغة معنى ، وجمال أُسلوب ، وجلال قدر ، وبراعة تركيب ، وروعة تأثير ، وانه لكما يقول شيخ الكتاب ابو عثمان الجاحظ «لم يسمع الناس بكلام قط ؛ اعم نفعاً ، ولا أصدق لفظاً ، و لااعدل وزناً ، ولا اجمل مذهباً ، ولا اكرم مطلباً ، ولا احسن موقعاً ؛ ولا اسهل مخرجاً ، ولا افصح عن معناه ، ولا ابين عن فحواه ، من كلامه صلى الله عليه وسلم» ورب قائل يقول : اذا كان الامر على ما وصفت فمن أين تسللت الغرابة الى بعض الفاظه ، وتطرق التعقيد الى بعض معانيه ، والغرابة لا تساكن الفصاحة ، والتعقيد لايجاور البلاغة ، فنحن نقول ان الكلام النبوي منزه عن التعقيد ، والغرابة بالمعنى الذي يريده المتأخرون من علماء البيان . لأنهم لا يريدون بذلك الا الخروج عن جادة المألوف من الألفاظ بالنسبة الى المتكلم والمخاطب فاذا كان اللفظ من مألوف المخاطبين فليس لأحد ان يسمه بسمة الاغراب . او يصمه بوصمة الابهام ، وان كان غير مألوف عند غير المخاطبين به من الناس . اذ الاعتبار — في هذا الباب — مقصور على من يتوجه اليه الخطاب ، دون غيره . ولو ذهبنا في تفسير الاغراب والتعقيد عند البيانيين غير هذا المذهب ، وقلنا من شرط الفصاحة في الكلام ان يكون عارياً من كل لفظ غير مألوف للناس اجمعين في كل زمان ومكان ، لما وجدنا كلاماً لمتكلم من عرب الجاهلية وصدر الاسلام يستحق ان تخلع عليه حلة الفصاحة ضافية او غير ضافية . لأنا لا نعرف لهم كلاماً منثوراً او منظوماً يخلو من الفاظ غير مألوفة بالنسبة للاجيال المتأخرة تدفع السامع او القارئ منهم الى استنطاق دواوين الادب ومعاجم اللغة ، والاستنجاد بالشروح والتعاليق .

والحقيقة ان الغرابة نسبية تختلف باختلاف الناس والزمان والمكان ، فرب لفظ

يكون شائعاً ذائعاً عند قوم ؛ وعديم الاستعمال قليله عند آخرين . ورب لفظ يكون معروفاً مألوفاً في زمان او بلد ، ومنكوراً مجهولاً في زمان او بلد آخر ، على ما ألمعنا اليه في بحث مفردات القرآن .

هذا واعلم ان النبي (ص) كان يشافه العرب ويكاتبهم أفراداً وجماعات ، وكانوا على ما تعلم من اختلاف اللحون واللغات ؛ وتباعد المواطن واللهجات . وكان يخاطب كل قوم بلغتهم ، وعلى اسلوب تفاهمهم ، وان كان ما يكلمهم به غير معروف تمام المعرفة عند قومه واهله ، بل قد تجهله قبائل معد كلها . فقد روي ان علياً كرم الله وجهه قال للنبي (ص) وقد سمعه يكلم وفد بني نهد بلحنهم : يا رسول الله نحن بنو اب واحد ، ونراك تكلم وفود العرب بما لا نفهم اكثره . فقال له « ادبني ربي فأحسن تأديبي » .

ومن يرجع الى أسفار الآثار ، ويقف على تلك الرسائل التي كان يبعث بها النبي (ص) الى بعض قبائل العرب غير العدنانية يأخذه العجب مما أُوتيه الرسول الكريم من البسطة في البلاغة ، وسعة الاطلاع على مختلف لغات القبائل وأساليب تخاطبها . وبعدُ فاذا وجدنا في كلامه شيئاً مما لم يكن مألوفاً في لغات الجمهرة من قبائل مضر ، فلا نحكم على هذه الالفاظ بالغرابة المطلقة ، بل علينا ان نبحث عن مواردها ، ونقف على ما تكتنفها من زمان ومكان . وبذلك نصل الى انها قيلت في موضعها ، ووقعت في موقعها ، بحيث لو حل محلها غيرها مما نسميه مألوفاً الآن لوسم بسمة الاغراب والاندار .

ثم ان كثيراً من الكلام النبوي نقل الينا بالمعنى ، دون الالفاظ ، والنقلة اكثر من ان يحصوا ، وهم مختلفو الانساب قبيلة وبلدا ، منهم القرشي ، والكناني ، والبكري والتغلبي . ومنهم الهمداني والكندي ، والقضاعي ، والزبيدي . ومنهم المكي ، والمدني ، والحضرمي ... الخ .

فاذا نقل أحدهم الحديث بالمعنى كان اللفظ له ، وعلى اسلوب كلام قومه ، أو أهل بلده ·

ومن هنا ينكشف لنا السر في ورود بعض الاحاديث على نمط لم يكن مألوفاً في لغة اهل الحجاز ، وان كان الخطاب معهم ، وما ذلك الا لأن اللفظ لبعض الرواة وهو غير حجازي القبيلة او البلد · وهذا هو السر ايضاً في ان المتقدمين من النحاة لم يجعلوا الحديث أساساً في الاستشهاد لتقرير قواعد النحو واستخراج مسائله ، وأول من وسع دائرة الاستشهاد به ، وعول عليه في اثبات القواعد وتقرير المسائل ، امام المتأخرين من النحويين محمد بن عبد الله بن مالك الاندلسي (المتوفى سنة ٦٧٢) ه والحق معه لأن المتقدمين الاولين من نقلة الحديث معظمهم ممن كلامه حجة في العربية · فاذا ابدلوا بعض الفاظ الحديث بألفاظ من عندهم فليس معنى ذلك انهم خرجوا به عن العربية المعربة الى غيرها ·

ولنرجع الى ما نحن بصدده من الكلام في تاريخ علم غريب الحديث فنقول :

اول من جمع في هذا العلم شيئًا ابو عبيدة معمر بن المثنى ، جمع فيه كتاباً صغيراً ذا أوراق معدودات · لانه مبتدئ ولأن في الناس اذ ذاك بقية ؛ وغصن اللغة لم يزل وريقاً · فلم تكن الحاجة ماسة الى الكثير مما يعده المتأخرون غريباً ، لأنه لم يكن اذ ذاك بالغريب ·

ثم جاء النضر بن شميل المازني فجمع في ذلك كتاباً اكبر حجماً من كتاب ابي عبيدة · وأوسع فيه الشرح والايضاح ، ولكنه لم يخرج عن ان يعد من المختصرات ·

وألف الاصمعي كتاباً اربى فيه على كتاب ابي عبيدة من حيث المادة والتبسط في البيان والتوضيح · ثم ان كثيراً من ائمة اللغة جمعوا طوائف من الاحاديث ، وتكلموا على لغتها ومعناها · وهم في الغالب يتواردون على الحديث الواحد ، فيشرحه كل على قدر مبلغه من العلم ، ولم يكد احدهم ينفرد عن غيره بالشيء المهم ·

وغبر الناس على هذا الى ان جاء ابو عبيد القاسم بن سلاّم فألف كتابه المشهور

في هذا الموضوع ، وجمع فيه من الاحاديث والآثار ما لم يجتمع في كتاب من قبله . وقد روي عنه انه كان يقول : جمعت كتابي هذا في اربعين سنة ، فهو خلاصة عمري ، وقد انتشر هذا الكتاب وذاع صيته لذلك العهد ، واعتمد الناس عليه في موضوعه .

فلما كان عصر عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ورأى ما عليه الناس من الاعتماد على كتاب ابي عبيدة ، ووجد ان هذا الكتاب لم يأت على معظم الاحاديث واكثر الآثار التي تحتاج الى الايضاح والتبيين — عمد الى تأليف كتاب جمع فيه ما اغفله ابو عبيد في كتابه ، ونحا فيه ما نحاه من طريقة التفسير والشرح . وكان ابراهيم بن اسحاق الحربي معاصراً لابن قتيبة فألف كتاباً واسعاً جمع فيه الشيء الكثير من الاحاديث والآثار . وبسط القول وأطال الشرح ، ولكن الناس زهدوا في هذا الكتاب لأن المؤلف اطاله بذكر الاحاديث بطرق اسانيدها وذكر متونها من اولها الى آخرها . وان لم يكن في بعضها الا الكلمة والكلمتان مما يحتاج الى الشرح والتفسير .

ثم تتابع الأئمة على التأليف في هذا العلم واقبلوا عليه ايما اقبال ، فقلما نجد كبيراً من كبراء اهل العلم الا وله شيء في هذا الباب . مثل شمر بن حمدويه ، وابي العباس ثعلب ، وابي العباس المبرد ، وابي بكر الانباري ، وابي عمر الزاهد وغيرهم .

ثم جاء الامام ابو سليمان احمد او (حمد) بن محمد الخطابي البستي (المتوفى سنة ٣٨٦) فألف كتاباً سلك فيه مسلك ابي عبيد وابن قتيبة ، ولكنه قصره على ذكر مالم يورداه في كتابيهما ، فجاء كنحو من احدهما حجماً .

ومضى الناس زمناً يتداولون هذه الامهات الثلاث ويعولون عليها في بابها ، ولكن هذه الكتب وما قبلها — ما عدا كتاب الحربي — لم تكن مبوبة تبويباً يسهل على الناس المراجعة . وفي هذا ما فيه من العناء على المراجعين ، فاذا اراد المرء معرفة كلمة غريبة وردت في احد الاحاديث لا يهتدي اليها الا بعد جهود كثيرة

زيادة على انه لا يدري ان الحديث المطلوب في اي الكتب الثلاثة هو ، فيحتاج الى استقرائها واحداً واحداً . فلما كان عصر ابي عبيد احمد بن محمد الهروي — وكان معاصراً للخطابي — ألف كتابه المشهور في غريبي القرآن والحديث ، ورتبه مقفى على حروف المعجم ، على ما قلناه في مفردات القرآن . وقد جمع في كتابه هذا ما في كتاب ابي عبيد وابن قتيبة وغيرهما ، واضاف الى ذلك ما تتبعه بنفسه مما لم يرد في كتب من تقدمه .

ثم جاء الامام العلامة محمود بن عمر الزمخشري (المتوفى سنة ٥٣٨) فألف كتابه « الفائق » ورتبه على حروف المعجم . ولكنه كان عندما يريد شرح كلمة غريبة من حديث يشتمل على اكثر من كلمة غريبة يورد الحديث كله او بعضه ويشرح كل ما فيه من الغريب . وبذلك يشرح كثيراً من الكلمات في غير حروفها ، فيعسر على المتتبع العثور على مطلوبه بالسرعة ، ولذلك لم يشتهر كتابه اشتهار كتاب الهروي ، مع ما أودعه فيه من الحقائق اللغوية والتدقيقات العلمية .

وجاء ابو موسى محمد بن ابي بكر المديني الاصفهاني فألف كتابه في الغريبين ، جمع فيه ما فات الهروي من غريبي القرآن والحديث على ما علمت في الكلام على غريب القرآن .

وألف ابو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي كتاباً في الغريب نهج فيه نهج الهروي . بل هو كالمختصر منه .

وكان من معاصريه العلامة المحقق ابو السعادات المبارك بن محمد المعروف بابن الاثير الشيباني الجزري (المتوفى سنة ٦٠٦) فرأى ان احسن ما يرجع اليه في هذا الشأن كتابا الهروي وابي موسى المذكورين . وقد رأى ان الانسان اذا أراد كلمة غريبة يحتاج الى ان يتطلبها في احد الكتابين فان وجدها فيه والا طلبها من الكتاب الآخر . وهما كتابان كبيران في مجلدات . فعمد الى جمع ما فيهما من غريب الحديث مجرداً من غريب القرآن . وأضاف كل كلمة الى اختها في بابها تسهيلاً

لكافة الطلب ، وقد ضم اليهما الشيء الكثير مما لم يوفقا اليه من غرائب الكتب الصحاح كالبخاري ومسلم وغيرهما من الكتب المدونة في اول الامان واوسطه وآخره ، ومن كتب اللغة على اختلافها . وقد سلك طريقة الكتابين المذكورين في الترتيب والتبويب على حروف المعجم ، ملتزماً الحرف الاول والثاني من كل كلمة ، واتباعهما بالحرف الثالث منها ، ناظراً الى الحروف الأَصلية من الكلمة دون الزوائد الا انه كثيراً ما يعتبر الحروف الزائدة في اوائل بعض الكلمات بمثابة الحروف الاصلية ، تسهيلاً على الطلاب ولا سيما الذين لا يكادون يفرقون بين الاصلي والزائد . على انه عندما يذكر ذلك ينبه على أصل الكلمة ، لئلا يظن ظان ان الزائد اصلي فيختلط عليه الأمر .

واسمى كتابه هذا « النهاية في غريب الحديث والأثر » وهو اجل كتاب أُلف في هذا العلم واجمعه وعليه الاعتماد في فنه . وقد صار مادة لمؤلفي المعاجم اللغوية من بعده . ولا نعرف ان أحداً أُلف بعده كتاباً يساويه او يقاربه غير ان جلال الدين السيوطي المتوفى سنة ٩١١ كان قد لخص هذه النهاية في كتاب اسماه (الدر النثير تلخيص نهاية ابن الاثير) . وقال انه ضم الى كتابه هذا كثيراً مما فات صاحب النهاية . ومن وقف على النهاية ثم وقف على هذا الكتاب لم يرق لنظره الرجوع اليه مرة أخرى ، لأن الجلال السيوطي بتلخيصه هذا ذهب برونق الاصل وجماله ، وضيق منه واسعاً فسيحاً . هذا وانما تزاحمت اقلام اهل العلم في باب غريب الحديث اكثر من ازدحامها في باب مفردات القرآن . لأن الاحاديث والآثار فسيحة الرقعة منتشرة الاطراف ، واسعة الارجاء . وقلما توفق العالم المبرز الى استقصاء اكثرها . فيأتي عالم آخر من بعده فيستدرك عليه كثيراً مما فاته . ثم يأتي ثالث فيستدرك على الثاني وهكذا على ما علمت فيما مر . بخلاف القرآن الكريم فانه مجموع بين دفتين ، متواتر بكل مافي معنى التواتر من قوة . وبهذا يسهل على اهل العلم استقصاء كل مافيه من المفردات . فلم يبق الا اختلاف انظارهم في تفسير بعض الكلمات ، واختلافهم

في ايجاز الشروح او الاطناب فيها ، واختلاف اذواقهم في الترتيب والتبويب ، والتنقيح والتهذيب ، وهذه امور ليست من الصعوبة بمكان . بخلاف ما يعانيه المؤلفون في غريب الحديث من التتبع الكثير ، والاستقراء الواسع ؛ هذا ابن الاثير بعد ان وقف على ما وقف عليه من جهود العلماء في هذا الباب ، واستقرى ما وصل اليه جهده من المصنفات الكثيرة في الحديث والآثار ، تجده مع ذلك كله يقول في خطبة نهايته : « كم يكون قد فاتني من الكلمات الغريبة التي تشتمل عليها أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه وتابعيهم جعلها الله ذخيرة لغيري يظهرها على يده ليذكر بها . ولقد صدق القائل : كم ترك الاول للآخر .

يقول هذا وهو من هو في غزارة العلم وسعة الاطلاع ، وطول الباع ، في علوم الشريعة وفنون الآداب .

طه الراوي



من ذخائر قبة الملك الظاهر

تاريخ علماء اهل مصر لابن الطحان

مجموع ١١٦ (١٢)

اسم الكتاب والمؤلف : —

و : ١[أ] : الجزء الأول [والثاني كما في و : ١٧[أ]] من تاريخ علماء أهل مصر تأليف أبي القاسم يحي بن علي بن محمد بن ابراهيم الحضرمي المعروف بابن الطحان .

سمع المؤلف الحديث قبل سنة ٣٦٨ كما ورد في ترجمة صالح بن علي الحصيني (و : ١٨[أ]) وتوفي سنة ٤١٦ كما في كشف الظنون في مادة تواريخ مصر ٢٣٢/١ وفي فهرس معجم البلدان طبعة وستنفلد ٧٦٨/٦ . ولم نعثر للمؤلف على ترجمة ويقول بروكلمان ان له ترجمة في (Wustenfeld: geschichte ص ١٨٠) .

وصف موضوع الكتاب ومحتواه

ذكر ابن خلكان (٢٧٨/١ من طبعة سنة ١٣١٠) وصاحب كشف الظنون ٢٣٢/١ ان لابي القاسم الحضرمي ذيلاً على تاريخي ابن يونس الصدفي (— ٣٤٧) وأحد هذين التاريخين كبير لاهل مصر والآخر صغير للغرباء الواردين اليها . ويخيل من اسم كتابنا انه ذيل على تاريخ اهل مصر الكبير .

والحق انه ذيل على الاثنين لأن فيه تراجم علماء غرباء مروا بمصر كابن عبد ربه (و : ٣[أ]) .

ويتفق هذا مع ماذكر ابن خلكان (٣٠٥/١) من انه ذيل لتاريخي ابن يونس المصري دون تفصيل وما ذكره السخاوي في الاعلان بالتوبيخ (ص١٣٠) من انه ذيل لهما معاً ويختلف مع ما ذكر ابن زولاق (في الولاة والقضاة للكندي ص ٥٨٥) من

ان له كتاب الغرباء وذكر ترجمة شخص محلها في القسم المخروم من كتابنا . ويعتقد بروكلمان ان ذيل تاريخ مصر غير كتابنا هذا (GALS ١/٥٧١) ولعل اختلاف الاسم دعاه الى ذلك .

يترجم الكتاب للمصريين او من وردوا الى مصر من المحدثين والرواة خاصة ويرد فيه حيناً ذكر الشعراء والفقهاء والمعدلين والمعلمين والمؤدبين والقضاة والنحويين والمؤرخين والوراقين من أهل السنة . وهو مرتب على حروف المعجم لأسماء العلماء ، لكن ترتيبه غير مضبوط فقد يرد اسم جناح قبل جعفر وحبيب بعد حمدان ولكن لا غلط في ترتيب الحرف الاول من الاسم . والتراجم مختصرة ، يذكر المؤلف اسم العالم بالتفصيل وان كان عرفه قال عرفته والا قال حدثت عنه وقد يذكر تاريخ الوفاة ويورد بعض قصص ويذكر أشعاراً بالمناسبة . واغلب العلماء الذين ترجمهم ممن عاشوا في القرن الرابع غير ان منهم من عاشوا في القرن الثالث بل اوائله كعلي بن عبد الله الحضرمي ولد بمصر سنة ١٨٠ وتوفي سنة ٢٤٥ (و : ١٩[ا]) وكان يجب الا ترد هذه الترجمة فيه بصفته ذيلاً لابن يونس ولعله ذكرها لانها اهملت في ابن يونس . وقد الف الكتاب بعد سنة ٤١١ فقد ذكر عالماً توفي في هذه السنة (و : ٢٥[ا]) . واكثر التراجم التي وردت فيه مهملة في كتب التواريخ المطبوعة ، وكذلك فالكتاب يكشف عن تراجم علماء مصريين مجهولين .

وننقل على سبيل المثال تراجم الشعراء الذين ورد ذكرهم

و : ٣[ب] : احمد بن محمد بن عبد ربه الشاعر بالاندلس يكنى ابا عمر حدثونا عنه

و : ١٢[ا] : الحسن بن علي بن احمد بن وكيع بن خلف الشاعر ابو محمد اصله بغدادي ومولده هو بتنيس سمعت منه

و : ١٥[ب] الخليل بن احمد الشاعر ابو القاسم توفي في جمادى الاولى سنة ثمان وخمسين وثلثمائة انشدني الخليل بن احمد لنفسه

يا خالق الخلق انت لي جارُ   وانت للمذنبين غفـار

فارحم عُبيداً أتاك معترفـاً خاطٍ له بالذنوب اقرار
ان تعف عنه فالخلد مسكنه وان تعاقب فداره النار

وأنشدني الخليل لنفسه

شيب الفتى موت له عاجل يأتيه موت بعده آجل
فعمره عنه به راحل والموت في ساحته نازل
من لم يزل عن ملكه طايعاً فالملك عنـه عنوةً زايل

و: ١٧ ٢ : سعيد بن احمد بن محمد بن عبده الشاعر مولى بني امية يكنى اباعثمان حدثونا عنه .

و : ٢٢ ١ : عثمان بن حجاج بن يوسف الخولاني الشاعر ابو عمرو ، توفي في صفر سنة ست وستين وثلثمائة سمعت منه ، انشدني عثمان بن حجاج لنفسه

سلام على الأيام يوم حصولنا على شرْجع جوف القليب توارى [1]
وتوحش دار بعد انس بأهلها بحادث ليـل ناتما [2] ونهـار

اول النسخة

و : ١ ٢ : عونك اللهم قال ابو القاسم يحيى بن علي ... باب ابراهيم ، ابراهيم بن عبد الله بن محمد بن يحيى المعافري

و : ١٧ ٢ : تم الجزء الأول من الأصل

آخرها

و : ٣٠ ٢ : محمد بن عبد الله بن الحسين بن عبيد البزاز

فالكتاب غير كامل ينقصه من الاسماء ما يقارب الثلث ولم يرد فيه من اسماء المحمديين الا اربعة .

وصف النسخة المخطوطة

المخطوطة في حال حسنة الا انها كما رأينا مخرومة وتجليدها في المجموع الذي الحقت

(١) في الأصل سرجع ولا معنى لها ، والشرجع : النعش ، والقليب : البئر أو العادية القديمة منها (القاموس) ومعناه هنا القبر (٢) لعلها « تارة » .

يدل على أنها كانت ناقصة مذ كانت في الخزانة العمرية قبل سنة ١٢٩٧ ﻫ . ورقها اسمر متين ، عدته ثلاثون ورقة ، ابعاده ١٤/١٨ سم ، عدد اسطره يختلف بين ١٧ الى ٢٠ سطراً ، ويبلغ هامش الكتاب ثلاثة سنتمترات . خطها مقروء منقط على الغالب ومضبوط في بعض محاله . وفي النسخة بعض أغلاط في النقل اشير اليها باشارة خاصة بخط ناصل يغلب ان يكون من قلم محمد الذهبي ، وصححت حيناً واهمل حيناً أصحيحها . وبمقابلة النسخة ببعض نصوص من الكتاب وردت في معجم البلدان لا سيما ٦٧٦/٣ نبين وجود بعض الاختلاف البسيط في النص عما نقل عن الكتاب . الخط كبير الحرف وقد كتبت اوائل الاسماء بخط كبير ليهتدى اليها والكتابة متتابعة دون فاصل اللهم الا في الاشعار فقد خصصت لها اسطر خاصة .

كتبت النسخة قبل سنة ٦١٦ او ٦١٩ لأنه توفي في احدهما ابن الانماطي الذي ملك الكتاب .

وورد في الورقة الاولى الوجه الاول مايلي ولعل كل ذلك بخطوط العلماء المذكورين:

فرغ منه محمد بن [احمد بن عثمان بن قايماز] الذهبي (٦٧٣ — ٧٤٨)

طالعه وانتقى منه احمد بن احمد بن عبد الهادي

لخصه يوسف بن عبد الهادي (٨٤٠ — ٩٠٩)

علق منه محمد بن المحب ومحمد بن سند

ملك القاضي الفقيه ... تقي الدين ابي الطاهر اسماعيل بن [عبد الله] الانماطي (توفي سنة ٦١٦ او ٦١٩)

وقفه وجميع كتبه واجزائه الشيخ المحدث ابو الحسن علي بن مسعود بن نفيس [سنة ٦٦٧ كما اشار الى ذلك بخطه في و : ١ا من مخطوط الظاهرية رقم حديث ٣٣٩ وكان وقفه في دار الحديث الضيائية ومنه انتقل الى العمرية ومن العمرية الى الظاهرية .]

ونسختنا هي الوحيدة التي ذكرها بروكلمان

يوسف العش

مخطوطات ومطبوعات

الاسلام والحضارة العربية

تأليف الأستاذ محمد كرد علي

طبع في مطبعة دار الكتب بمصر ونشرته لجنة التأليف والترجمة والنشر

١٩٣٤ — ١٩٣٦

هذا كتاب كبير يقع في مجلدين يقرب عدد صفحاتهما من الألف ، خصه مؤلفه الجليل بالبحث في الاسلام والحضارة العربية بحثاً مسهباً مترعاً بالأخبار والاسرار حتى غدا مرجعاً في هذا الباب .

وموضوع الكتاب ذو قيمة وشأن . ما أحسب أن أحداً عني به قدر ما عني به الاستاذ المؤلف ، وما أحسب ان عالماً حفل باظهار حضارة الإسلام وسرد الدلائل عليها ، على الوجه الذي اظهرها هو فيه ، لأن تبيان هذه الصفحات الناصعات من تاريخ العرب ، والجلاء عن آياتهم البينات في الحضارة يتطلبان بسطة في العلم وصحة في النظر ، وذلك مالا يتهيأ لكل انسان ، دع عنك ما يستدعيانه من جهد دائم وما يتطلبانه من وقت طويل .

وقد تناول الاستاذ بالبحث طائفة من الموضوعات الهامة ، فذكر في المجلد الاول منازع الناقمين على الإسلام وناقديه ، اشباه رنان وجانو وغيرهما . وجلّى عن الشعوبية في الشرق والغرب فعرّفها وردّ على أهلها ، وفصل المسائل التي يرددها الشعوبيون كالقرآن والطلاق والحجاب والربا والرق والمسكرات . ودفع دسائسهم فيها . وهذا الفصل من امتع فصول الكتاب .

ثم بين المؤلف حالة العرب قبل الاسلام . وما اصبحوا عليه في دينهم الجديد ، والأشاوي التي امتازوا بها ، وسرد رأي لوبون ودوزي وغيرهما في الفتوح العربية ، وتكلم على ثروة العرب وعلومهم ، وأوضح أثر اللغة العربية في لغات الشرق والغرب ، وحالة اوربة في شباب الإسلام ، وأثر علوم العرب في اوربة ، وما كان للمسلمين والعرب من فنون ، وما كشفوه واخترعوه ، مستشهداً على ذلك بأقوال اساطين الغرب

وعلمائه ثم تطرق الى ذكر مدنية العرب في الاندلس وما نشأ عنها من علم ورقي وعمران ثم أوضح اثر العرب في صقلية ومدنيتهم التي تركوها فيها ، وكان ذلك مجهولاً لايعلمه الا القليل ، وانتقل الى البحث في الحروب الصليبية ، ومجازر اهلها وأثرهم في المسلمين ، وأثر المسلمين فيهم ، وسياسة صلاح الدين ، وهذا الفصل مترع بالأخبار واذكر اني سلخت زمناً في قراءة ما كتب عن الصليبيين ، فما وجدت بحثاً اكثر سعة واوفر مادة مما كتبه المؤلف .

اما المجلد الثاني فيبحث في العلوم والمذاهب في الاسلام كنشأة علم الحديث وعلم الكلام والتصوف والفلسفة والادب ، وميلاد الفرق الاسلامية ، وما لقيه العلماء من عنت واضطهاد في نشر أفكارهم ومذاهبهم . ثم بحث في الادارة الاسلامية فتناول ذكر الادارة عند كل خليفة منذ عهد الرسول الى زمن العثمانيين . وقلّ ان تجد مثل هذا الفصل في سعته واستقصائه وغزارة أخباره وأردف ذلك ببحث مطنب عن السياسة زمن الرسول والخلفاء الراشدين وبني أمية وبني العباس والماليك والعثمانيين .

والمؤلف في هذا كله يبدو حافل الخاطر يتدفق تدفق الينبوع الثر . لا يدعك تقرأ خبراً حتى يردفه بآخر . ولا يكاد يجلو أمراً حتى يلحقه بثان ، بأسلوب مرسل تترقرق فيه السلاسة والسهولة والصفاء ، وبايضاح لا تدليس فيه ولا موالسة هذا مع تنبيه على الدسائس ودحض للهواجس وتجرد من العواطف وبعد عن الأوهام .

لا جرم أن هذا الكتاب من العيون التي يحتاج اليها الشباب المتأدبين ولا يستغني عنها الشيوخ العلماء . أما الشباب فيجدون فيه ما جهلوه من الاسلام وحفول تاريخه وسمو تراثه . وأما الشيوخ فلا يعدمون فيه مرجعاً وسنداً ، وليت شعري من ذا الذي يكتب له أن يقرأ مؤلفاً فيه زبدة ستماية كتاب ما بين مخطوط ومطبوع ونادر فلا يسارع اليه ولهان ، او يقدّر له أن يقطف في كتاب ثمرة سنين طوال حافلات بالدرس والمطالعة فلا يبادر نحوه عجلان ؟

صلاح الدين المنجد

العقد الفريد

جزؤه الأول

أصدرته لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٩٤٠ م
بتصحيح الأساتذة : أحمد أمين ، أحمد الزين ، ابراهيم الأبياري

لا يخفى على كل متأدب ان العقد الفريد لابن عبد ربه من أمهات كتب الأدب وأنه اجمعها لفرائده ونوادره . وان طبعاته السالفة ملئت خطأ وتحريفاً . وان الحاجة ماسة الى اعادة طبعه طبعةً صحيحة تلائم منزلته . وتفي بحاجة الطلاب الذين أُدخل هذا الكتاب في برامج مسابقاتهم الامتحانية — كل ذلك جعلنا نرحب بهذه الطبعة الجديدة ونقول ها قد تحققت الأمنية . وعثر على الضالة .

وصفحات هذا الجزء تبلغ ٤٧٦ صفحة ذات قطع كامل . منها نحو ربعها يتضمن استدراكاتٍ وفهارس في المطالب المختلفة . أما العناية بالطبع والورق وجودة الحرف والتصحيح والتعليق فقد وثق بها القارئ وثوقه بلجنة التأليف التي طبعته . و (هيأة) الأساتذة التي صححته . على أن ذلك كله لم يحل دون وقوع أخطاء تفطن لها (استاذ جليل) فهو يتتبعها وينشرها مقالاتٍ في مجلة (الرسالة) . وقد اطلعنا من تلك المقالات على ما نشر في أعداد (٣٩٩) و (٤٠١) و (٤٠٣) و (٤٠٧) من السنة التاسعة . ومن ثمّ أهملنا في مقالنا هذا التعرض لشيء من تلك الأخطاء وتصحيحها محيلين القارئ الحريص الى مقالات (الاستاذ الجليل) المذكورة . اللهم إلا ما عثرنا عليه عفواً ونحن نتصفح الكتاب : من ذلك ماجاء :

في ص ١٤١ قول المصححين في تعليقهم على شعر عمرو بن معدي كرب (أعاذل عُدّتي بزِّي ورمحي) قالوا إنه جاء في الأغاني هكذا (أعاذل عدتي بَدَني ورمحي) و (بدني) تحريف اه أقول لاتحريف ولاتصحيف فان البدن معناه الدرع فكأن الشاعر يقول (أعاذل عدّتي درعي ورمحي) أما في الرواية الأخرى فهو يقول (عدتي سلاحي

ورمحي) وليوازن القارئ بين الروايتين ان شاء . قال ابن سيده : البدن الدرع القصيرة على قدر الجسد. وقيل هي الدرع عامة. وبه فسر ثعلب قوله تعالى (فاليوم ننجيك ببدنك) قال بدرعك . وذلك أنهم شكوا في غرق فرعون فأمر الله عز وجل البحران بقذفه على دكة في البحر ببدنه اي بدرعه فاستيقنوا حينئذ أنه قد غرق لأن الدرع درعه .

وفي ص ٣٧٢ ذكر صاحب العقد قول الشاعر في عبد الله بن طاهر

اشربْ هنيئًا عليك التاج مرتفقًا   من شاذياخَ ودع غمدان لليمن

أقول صوابه (في شاذياخ) وشاذياخ بستان الممدوح فالشاعر يقول له اشرب فيه كما هو في الرواية الأخرى (إشرب هنيئًا ... بالشاذياخ) على ان هذا الشاعر في قوله هذا إنما حذا حذو الشاعر الأول الذي قال في سيف بن ذي يزن :

إشرب هنيئًا عليك التاج مرتفقًا   في قصر غُمدان داراً منك محلالا

ومثل قول هذين الشاعرين القول المنسوب الى يزيد بن معاوية

اذا اتكأت على الأنماط مرتفقًا   في دير مُرّان عندي ام كلثوم

وكلمة (مرتفقًا) الواردة في هذه الأشعار تصحفت الى (مرتفعًا) بالعين وهو خطأ وصوابه القاف . ولكن ما معنى (مرتفقًا) بالقاف ؟ فسر مصححو العقد (مرتفقًا) بقولهم (ثابتًا دائمًا) والصواب أن تفسر بما فسرها به الشراح وأرباب المعاجم وهو متكئًا على مرفق يدك أو على مرْفقتك أي وسادتك وهي جلسة الرافه الوادع او المتكبر المتعظم . راجع اللسان في مادة (رفق) ص ٤٠٩ أما ماجاء في التاج في مادة (رفق) وهو قوله (وارتفق اتكأ على مرفق يده أو على المخدّة . وامتلأ . والمرتفق الواقف الثابت الدائم) فالعبارة الأخيرة منه لم نجدها في غيره وهي مقحمة في جملة كلام ليس من أصل التاج وانما هو هامش أو تعليق دخيل عليه فراجعه . ولو صحت العبارة لكان المعنى إشرب يا ابن ذي يزن في قصرك أو يا ابن طاهر في بستانك واقفًا ثابتًا دائمًا !! وهذا قول هراء لا طعم له .

وفي ص ٢٤٠ قوله (ضراعة سِنه وحداثة مولده) فسر المصححون (ضراعة سنه) بمعنى (شبابه) وكلمة (ضراعة) لا تكون بهذا المعنى وانما هي مصحفة وصوابها (غراعة

سنه) بالخاء المعجمة : في اللسان ان الخراعة اللين من قولهم امرأة خريع أي شابة ناعمة لينة ٠ وقال الأصمعي (الخريع) هي المرأة التي تتثنى من اللين ٠ والخريع ايضاً الغصن لنعمته وتثنيه ٠ وامرأة خِرْوَعة حسنة رخصة لينة ٠ قال ابو النجم (فهي تمطى في شبابٍ خروع) اﻫ والسن معناها العمر فمعنى خراعة سنه أنه في لينٍ ورخوصة ونعومةٍ من عمره ٠

وفي ص ١٢٩ يقول الشاعر (اذا هـابَ اقوام تجشمت كلّها) وهي احدى روايات هذا البيت وقد قال المصححون ان قوله (تجشمتُ كلها) لا معنى له ٠ والحق أن له معنى إذ (الكلّ) هنا بفتح الكاف وتشديد اللام بمعنى ثقلها اي ثقل الحرب وعبئها كما في رواية (تجشمت هولها) والتجشم التكلف ٠ فكان الأجدر ان يقال (إن قوله (تجشمت كلها) له معنى لكنه لا ينتظم أو لا ينسجم مع الشطر الذي بعده وهو قوله (يهاب حُمياها الألد المداعس) ٠

وفي ص ٢٨ قال المصححون (استكفيت أي وليت الاكفاء) وصوابه الاكفياء جمع كفيّ كغنيّ ٠ أما الاكفاء فجمع كفؤ بمعنى مثل ولا يجيء منه فعل على وزن استفعل بهذا المعنى ٠

وفي ص ٣٣ قال المصححون في تفسير قول الشاعر (فلم يترك لها سبد) ما نصه (السبد الشعر ويكنى به عن الإبل ؟ كما يكنى بالوَبر عن الغنم ؟ فيقال : ماله سبد ولا لبد ٠ أي ذو وبر ولا صوف متلبد يريد إبلاً وغنماً بنصّه اﻫ) وهذا الكلام كتب بعجلة وتحريره أن يقال (السبد الشعر وهو للمعز ٠ كما أن الوبر للابل ٠ والصوف واللبد للغنم ٠ وقولهم ماله سبد ولا لبد بمعنى لا يملك شيئاً من شعر ولا صوف وهو كناية عن الفقر أو المعنى انه لا يملك شيئاً من ذي سبد ولا ذي لبد أي لا يملك معزاً ولا غنما) ٠

هذا ومن كان حريصاً على تصحيح نسخته التي اقتناها من هذه الطبعة النفيسة فليرجع الى مقالات (الاستاذ الجليل) المنشورة في الرسالة فإن فيها غناءً

ومجلة المجمع تشكر لحضرات الناشرين والمصححين عنايتهم بابراز هذا الكتاب وتستزيدهم من العناية في تصحيح الأجزاء الباقية

المغربي

آراء وانباء

استدراك ورجاء

حول كتاب الاجابة

ذكرني ما نشر عن كتاب « الإجابة لإيراد مااستدركته عائشة على الصحابة »[1] بدين عليّ ، أرى من حق العلم أن أنوه بصاحبيه في هذه المجلة اعترافاً بفضلها وغيرتها على الحديث الشريف :

أما الأول فهو الشيخ سليمان الديراني الذي قرأ الكتاب بامعان وتحرٍ وقابل النقول بالأصول التي عزا اليها الزركشي ثم نبهني الى :

١ — ص ١١١ س ٨ قوله : « لم ينزل البلاء بالرسل حتى خافوا ... الخ » صوابه « لم يزل ... الخ »

٢ — ص ١٢٨ قوله : « هم الذين يكنزون .. » صوابه « هم الذين يكتمون . »

وأما الثاني فهو العلامة الاستاذ كرنكو الذي انتدب الى خدمة النسخة فور وصولها إليه ، ثم كتب الي كتاباً عنها ، أقتطف منه فقرة النقد فقط لما فيها من فوائد في أماكن بعض كتب الحديث الأمهات ، قد تعني المشتغلين بهذا العلم ، قال :

« ... إنكم مع جودة التهذيب وإتقان النشر وهمتم في عزو كتاب المسند للبزاز إذ هو بلا شك ابو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار — بالزاي ثم بعد الألف الراء — المتوفى سنة ٢٤٢ (انظر أنساب السمعاني) وقد حمل الي وقت إقامتي في الهند ، العالم عبد اللطيف الحرازي نزيل مدينة (لكنو) مجلداً فيه الجزء الثالث من هذا المسند ، وأعتقد أن أجزاء أخر موجودة في خزائن استانبول .

و ص٣٨ سطر٣ اللغوي المذكور هو أبوالقاسم عمر بن ثابت الثمانيني المتوفى سنة٤٤٢ .

وص ٦٢ سطر ١٣ كتاب (ايضاح مالا يسع المحدث جهله) فهو موجود في عدة

---

(١) مجلة المجمع العلمي العربي المجلد السادس عشر ص ١٢٩

نسخ في لندن واستانبول وبانكي‌پور ورامپور من بلاد الهند (انظر بروكلن ١ وتكملته ١/٦٣٣) والمؤلف هو الميانشي بالياء المثناة نسبة الى قرية في إفريقية ·

أما كتاب المعجم الاوسط للطبراني فهو مفقود سوى المجلد الثالث وهو الأخير فمن نسخة قديمة فيخزانة كوپريلي‌زادة بإستانبول ولكن لاأعرف مايضمن‌هذا المجلد·

وفي ص ١٣٣ سطر ١٧ وص ١٣٤ اخ الراوي عن ابن مسعود هو جابان بالجيم كما هو مضبوط في كتب الرجال ···»

ومع أن أكثر هذه التصويبات مطبعية لا تعدو النقطة فان القاريء لا ينتبه الى صوابها، وليس يسع المرء الا إكبار خدمة العلم المخلصين وشكرهم من أي ملة كانوا ·

هذا وفي الكتاب مواضع تركت بيضاء لأن خط المؤلف فيها كان كهذا الذي يكتبه الاطباء باللاتينية الى صيادلتهم، وقد أعوزتني المصادر التي نقل عنها الامام الزركشي وخاصة كتاب شعب الايمان للبيهقي لم أر أحداً يعرف له وجوداً ·

فالرجاء ممن استطاع تصحيح شيء عجزنا عنه ان ينبهنا اليه وله على ذلك شكر العلم وثواب الله (١)

سعيد الافغاني

---

(١) فيما نشر الاستاذ الشيخ محمد بهجة البيطار عن (الاجابة) ص ١٢٩ (المجلد السادس عشر) أشياء تحتاج إلى استدراك :

فقولي ص ٥ س ٧ « وعروة وابن الزبير » مقصود لا سهو فيه ، فابن الزبير إذا أطلق انصرف إلى عبد الله وكل من عبد الله وعروة أخذ وروى عن عائشة ·

وقول عائشة : « أدخل البيت الذي دفن معها عمر ص ٧٢ سطر ١٣ » لا خطأ به وحذف « فيه » منه جائز لغة كما هو معلوم من كتب النحو (انظر بحث الموصول في حاشية الخضري) · وقد صورت في النسخة الصفحة الوارد فيها هذا القول · والحديث لا يصحح اعتباطاً ولا عفو الخاطر وانما يرجع فيه إلى دواوينه وتتبع أصوله · ولو رجع الأستاذ البيطار إلى مستدرك الحاكم المطبوع بالهند (ج ٤ ص ٧) لوجد الحديث كما هو مثبت في النسخة تماماً ·

وكذلك قول الأستاذ : والصواب : « أعلى الدلاء من أسفلها » غير صحيح وهذا الحديث ذكر في السمط الثمين ص ٤٤ محرفاً أيضاً وانما الصواب فيه : « إن الغيرى لا تبصر أسفل الوادي من أعلاه » أنظر شرح المواهب للزرقاني ٤ : ٢٧١

ومراعاة النطق في رسم داوود أولى ، وكلّ جائز ·

مجلة المجمع العلمي العربي

الجزء الثامن   آب سنة ١٩٤١   شعبان سنة ١٣٦٠   ١٩٠

قصر الحير

اكتشاف القصر

في البادية الشامية — على بعد (٦٤) كيلو متراً من تدمر لمن يقصد دمشق عن طريق القريتين — اكمة تجد في زاويتها الشمالية الغربية بقية برج بزنطي مربع شاهق وهو آخر ما رممه المسلمون سنة ٥٨٣ هـ ٠ على ما تشير الى ذلك الكتابة المزبورة في مدخل هذا البرج ٠

ذكر هـذا البرجَ المعروف بقصر الحير والانقاض المبعثرة بجواره اكثر من بحثوا في تدمر وعمرانها واتساع سلطانها زاعمين ان تحت الاكمة انقاض حصن روماني مستنتجين ذلك من عتبة باب مزخرفة كانت ظاهرة في وسط سفح هذه الاكمة الشرقية نقوشها رومانية من عهد خرائب تدمر ٠ وابدت الرسوم الجوية التي التقطت فيما بعد صلة هذا البناء وماجاوره بسد خربقة الروماني الذي يبعد عنه نحو (١٥) كيلو متراً الى الجنوب ومنه كانت تستمد هذه المنطقة حاجتها من الماء بواسطة قناة مكشوفة يستقي منها السكان وتسقي الحدائق والمزروعات التي كانت محدقة بالقصر ٠ ولقد كادت تصبح هذه المزاعم عقيدة مسلماً بها لولا الحفريات التي قامت بها مصلحة الآثار في عام ١٩٣٦ باشراف أحد مفتشيها المسيو شلومبرجه لاظهـار العتبة الآنفة الذكر والباب الذي تظلله ٠ ولم يمض أيام على مباشرة العمل حتى كشف الباب بكامله بنقوشه البديعة وظهر بين الانقاض التي كانت تغمره كسر زخارف من الجص

يمت بعضها بصلة للفن البزنطي الهيليني وبعضها للفن الساساني ، ومنها ماهو مزيج من الفنين معًا . ولم يستنكر اجتماع كل ذلك في صعيد واحد وسورية ملتقى الحضارات . وشاع ذلك فيها في أواخر العهد الروماني لا سيما على مقربة من حدودها الشرقية التي كان لمدنها صلة وثيقة ببلاد ما بين النهرين . ولكن تقدم الحفريات وزيادة المكتشفات أوحت للقائم بها بفكرة جديدة وافقه عليها الاخصائيون وأيدتها نتائج الاعمال والابحاث : اتضح أن البرج القائم هو بناء بزنطي وتحت الاكمة أنقاض قصر أموي .

القصر

بناء مربع الشكل (طول ضلعه الشرقي ٧١٫٤٥ م والغربي ٧٣٫٠٥ م والشمالي ٧٠٫٤٥ م والجنوبي ٧١٫٠٥ م) بني جداره الخارجي من حجر نحيت بارتفاع مترين والباقي من اللبن والآجر وشيد في كل من اركانه برج مستدير ما خلا الركن الرابع اي الزاوية الشمالية الغربية فانها احتفظت بالبرج البزنطي الآنف الذكر ودعم وسط كل من اضلاع القصر بدعامة نصف مستديرة وحكم مدخل القصر في منتصف الضلع الشرقي بين دعامتين نصف مستديرتين . ينفذ من الباب الى مدخل مسقوف على جانبيه مساطب ومنه الى باحة رحبة مرصوفة يطوف بها رواق قائم على (٣٢) عمودًا مشيدة من حجر لم ينحت يكسوها الجص ويضاف اليها اربع دعامات مربعة قائمة في زوايا هذا الرواق ، وبني خلفه صفان من بيوت سكن وغيرها من المرافق البالغ عددها ستين ونيفًا وعثر على بقايا ادراج وانقاض يستدل منها بأنه كان للقصر اكثر من طبقة واحدة يؤيد ذلك ما جمع من أنقاض واجهة مدخل القصر وزخارفها البالغ ارتفاعها نحو (١٥) مترًا وللقصر صهاريج ماء ومراحيض ومجاري وبجواره حمام واسع على نسق حمامات دمشق وترتيبها وعلى هذا يشتمل على جميع اسباب الراحة وروعيت فيه كل الشروط الصحية المنزلية . وبها ندرك مدى رقي الفن المعاري في العصر الأموي وازدهاره في الحضر والبادية . وانه ليتعذر علينا في هذه العجالة التوسع في وصف هذا القصر وملحقاته وطرق الري اذ كل ناحية منها تتطلب بحثًا خاصًا يفرد لكل منها .

زخارف القصر

لا يتأتى لمن يشاهد القصر بحالته الحاضرة بعد ان كشفته الحفريات للعيان أن يصور فكرة صحيحة عن عظمته ابان ازدهاره . فهو اليوم بناء رحب جردته صروف الحدثان من كل المعالم التي تدل على نسبه العريق ومجده الغابر حتى أصبح أشبه بحصن تأوي اليه الجنود منه بقصر خليفة خضعت لسلطانه رقاب أمم وملوك .

ولم يصل الينا من ماضيه المجيد الا ما التقط بين الانقاض من كسر الزخارف التي كانت تزين القصر وقد زاد عددها على (٤٠٩٠٠٠) قطعة لا يتجاوز حجم اكبرها عشرات السنتمترات . كان منها بعد بذل جهود عظيمة تصوير القصر في صورته الأولى . وقد صنعت هذه الزخارف من الجص لتكسو بعض الجدران من الداخل والخارج وتزين نوافذه وقناطره وتفنن الصناع بتنويع أشكالها فمنها النباتية والهندسية وذوات الأرواح من أشخاص وحيوانات جاءت بمجموعها في غاية الابداع والإحكام وحسن التناظر والتناسق منها تمثال امرأتين كانتا فوق مدخل القصر احداهما جالسة والثانية مستلقية على ظهرها تشبه صنعتها التماثيل التدمرية المعروفة وكأنهما نقلتا عن صورة الجاريتين اللتين مر بهما اوس بن ثعلبة التيمي فاستحسنهما وأنشد فيهما :

فتاتي أهل تدمر خبراني ألما تسأما طول القيام
قيامكما على غير الحشايا على جبل أصم من الرخام

وفيهما قال أيضاً ابو دلف :

ما صورتان بتدمر قد راعتا أهل الحجى وجماعة العشاق
غبرا على طول الزمان ومرّه لم يسأما من ألفة وعناق

وعثر أيضاً على بقايا أنواع من الرخام والمرمر والفصوص الملونة والاخشاب المنقوشة والمصبوغة والمذهبة يستدل منها — وان لم يعرف كنهها — على تنوع زخارف

هذا القصر والعناية بزينته خصوصاً اذا أضفنا اليها ما اكتشف من الزخارف المصورة والملونة التي كانت مرسومة على جدران بعض غرف القصر وارضها ومن أعظمها ما عثر عليه داخل غرفتين منها رصفت ارضها بالجص المصور تمثل الاولى سماوة امرأة تحمل بين ذراعيها سلة فيها أثمار وقد التف حول عنقها ثعبان وفوقها صورة (قنطورسين) بهيئة رجلين نصفهما الاسفل بشكل ثعبان له مخالب سبع ورسم في أرض الغرفة الثانية مرزبان على جواده يطارد غزلاناً يرميها بالسهام ، وصورة قينتين الأولى تنفخ بزمار والثانية تضرب بمرهب الخشب على عود ذي خمسة اوتار وهذا ينفي ما نسب لزرياب مولى المهدي العباسي ورئيس المغنين [1] أنه هو أول من زاد الوتر الخامس في العود وهذا الرسم يثبت أن الوتر الخامس كان موجوداً قبل وفاة زرياب بـ (١٢١) سنة · وحجم هذه الصورة يعادل حجم الانسان ويزيد عنه في بعضها وهي متقنة الصنع زاهية الألوان ساذجة الخطوط طبيعية الحركات رشيقة لا تكلف فيها ولا اجهاد تدل على مهارة الصانع وسمو مواهبه الفنية ·

وقد استجلب للقصر من انقاض بناء قديم دعامتا باب المدخل وعتبته وهما تحاكيان بعظمة نحتها وجمال زخارفهما ما يعثر عليه من أنقاض خرائب تدمر الرومانية ·

تاريخه

سبق لنا القول بأنه عثر في القصر وجواره على بعض انقاض غير اسلامية ، وعلاوة على ما أقحم منها في البناء كالبرج ومواد بناء الباب فقد عثر في المدخل على عتبة عليها كتابة يونانية من القرن السادس للميلاد جاء فيها ذكر الحارث بن جبلة الغساني وهنالك مظاهر غيرها عديدة تدل على مصانع رومانية وبزنطية قديمة قام هذا القصر البديع على أطلالها · ثم ان المكان معروف قبل العهد الاسلامي وهو أحد المراحل بين نزالا (القريتين) وتدمر وقد جاء ذكره في تقويم بوتنجر (Peutinger) باسم هلياراميا (Heliaramia) وربما كان اسم الحير الذي

(١) نفح الطيب الجزء الثاني ص ١١١

عرفت به [1] هذه المنطقة محرفًا عنه . واما القصر الذي نحن بصدده فلا نشك في عصره ونسبه اذ وقع الباحثون فيه وفي جواره على ما يؤيد تاريخه واهمها الكتابة الكوفية التي وجدت على عتبة البناء المعروف بقصر الملح المجاور له وهذا نصها :

« بسم الله الرحمن الرحيم لا اله الا الله وحده لا شريك له . امر بصنعة هـذا العمل عبد الله هشام امير المؤمنين أوجب الله أجره . عمل على يدي ثابت بن أبي ثابت في رجب سنة تسع ومائة . »

وعثر ايضًا في الانقاض داخل القصر على قطع من اللخاف وهي لوحات صغيرة من المرمر الابيض كان يكتب عليها في صدر الاسلام وهي الوحيدة المعروفة من نوعها فقرأنا على احداها ما يأتي :

« بسم الله من هشام امير المؤمنين الى الوليد ابي العباس احمد الله اليك ... »
وكتب على أخرى الحروف الهجائية بالترتيب الآتي .

« ا ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز س ش ط ظ ص ض ع غ ف ق ك ل م و ن ه لا ي » وهو ضرب مفرد ثالث لترتيب الحروف لم يتصل بنا علمه وغير معروف عند اهل المشرق ولا المغرب [2] .

واذا اضفنا الى ما تقدم دراسة القصر من ناحيته الهندسيـة والمقابلة بينه وبين غيره من القصور الأُموية المعروفة المعاصرة له ، كقصر الحير الشرقي في سورية وقصور خرانة والتوبة والمشتى وعمرة في الشرق العربي وخربتي منية والمفجر في فلسطين تضافرت جميعها على تأييد نسبة هذا القصر للعصر الأُموي وليس ما يمنعنا من نسبة بنائه الى هشام بن عبد الملك ، ولعل هذا الموضع هو الزيتونة حيث الخلافـة أتت هشامًا وهو يتبدى فيها ، وهذا قبل ان يحدث الرصافة [3] .

(١) R. Dussaud - Topographie historique de la Syrie antique et médiévale. ص ٢٦٤ و ٢٦٥

(٢) صبح الأعشى الجزء الثالث ص ٢٢

(٣) فتوح البلدان ص ١٨٤ الطبري الجزء الثامن ص ١٨٠

قيمة القصر التاريخية والعلمية

لاكتشاف هذا القصر شأن عظيم في تاريخنا القومي ، واعظم من ذلك فائدته العلمية العالمية لمعرفة تسلسل الفنون الشرقية وتطورها . وقد بعث هذا الأثر ، بعد أن دُفن نحواً من اثني عشر قرناً ، وبعث معه ماضياً مجيداً حافلاً بكل طريف فاق كل ما كنا نتوقعه منه وكل ما كنا نعرفه عن نشأة الفن الاسلامي وتطوره السريع جاء نوراً ساطعاً وبرهاناً صادقاً أسكت ألسن الخراصين الذين كانوا يزعمون أن الاسلام قد قضى على الفن في المشرق وان العرب في الأندلس لم يتذوقوا الفنون الجميلة الا بفضل تشويق البيئة الغريبة عنهم ومنها نشأت نهضتهم الفنية وترعرعت .

ولم تكن دعوى هؤلاء باطلة يومئذ لأن الفن الاسلامي والاصح العربي لم يتصل بنا خبره الا بما خلفه لنا العرب في الاندلس وبلاد فارس حيث وجدناه في أقصى مراحل الكمال والابداع . لم يتصل بنا قبل اكتشاف قصر الحير الا النزر اليسير من الفن الأموي في مصانع اسلامية محضة اللهم الا ما خلفه لنا الزمن في قبة الصخرة في بيت المقدس والجامع الأموي بدمشق وذلك في نطاق ضيق لا يساعد وحده على دراسة نشأة الفن الأموي وتطوره . ولذلك ضن بعض المستشرقين على العرب ان يكون قصر المشتى [1] المشهور وغيره قد بني في عهدهم وأنكروا أن يكون مثل هذا العمل من صنعهم . وأنى للعرب أن يأتوا بمثله وهم بزعمهم حديثو العهد بالحضارة ولوازمها ، وهم امة لم تمارس الفنون من قبل .

لم ينشأ هذا الخطأ من قلة الوثائق فقط بل سببه جهل بعض علماء المشرقيات حقيقة الاسلام ومدى ما أتى به من تعاليم رفعت المستوى العقلي عند العرب الى درجة كبرى ، ورسمت للحياة مثلها العليا فأحدثت تطوراً جديداً في بلاد مترامية الاطراف لا وحدة بينها وتحقق ذلك بسرعة خاطفة لم يعرف التاريخ لها مثيلاً .

ظهر الاسلام وليس للعرب ما يحملونه للبلاد التي فتحوها بقوة إيمانهم وشدة

(١) J. Strzygowski - L'ancien art Chrétien de Syrie p. 129.

بأسهم سوى دينهم القويم وشريعتهم السمحة فكانوا خير عامل لحفظ حضارة البلاد التي سيطروا عليها من الاضمحلال فنقلوا تلك المدنية برمتها الى السلف بعد ان هذبوها وصقلوها وازدهرت في عهدهم ونمت وهكذا اتصل عصرنا الحديث بالثقافة الاغريقية وعلومها وفنونها . واجمع العلماء على ان العرب قد نقلوا لنا علوم اليونان وفلسفتهم ولكن قلّ من فكر منهم بأن العرب قد واصلوا الفن المعماري الهلليني (اليوناني) ، وزخارفه الشائع في بلاد الشام قبيل الفتح الاسلامي .

ان قصر الحير برهان جديد لا يقبل الجدل يجد الباحث فيه الحلقة المفقودة التي تربط الفن الهلليني بالفن الاسلامي المألوف ، فنرى الزخارف والاشكال البزنطية ممزوجة بالزخارف الساسانية الفارسية متداخلة بعضها ببعض بشكل يألفه النظر بسرعة ويستحسن هذا المزج الذي انبثق عنه الفن العربي وانتشر في العالم الاسلامي . وأحسن وصف لهذا القصر ما قاله مكتشفه في محاضرة له : « ان هذه الزهرة التي اكتشفناها في واحة قصر الحير نمت وترعرعت تحت سماء الاندلس وأعطت أبدع الأمثلة في غرناطة وقرطبة . ولنا أن نقول ان الفن المغربي وجد أصوله في قصر الحير كما ان الفن الروماني والفن القوطي أخذا عنه فن تنوع القناطر وعلى الاخص « القوس المكسور » الذي احتل في هندسة المعمار في القرون الوسطى مكاناً ممتازاً . فقد كنا نعده ابتكاراً غربياً فظهر ان الغرب أخذه بواسطة اسبانيا عن قصر الحير [١] »

بلغ اللخميون في الحيرة والغسانيون في الشام في المدنيــة شأواً بعيداً بالنسبة لحالة عرب الجزيرة وذلك لطول اختلاطهم بالفرس والروم وتأثرهم بهاتين المدنيتين كما تشهد بذلك آثارهم . وكان هؤلاء العرب أسبق الناس لانتحال الاسلام فكانوا العامل القوي لتسرب ثقافة الفرس والروم الى المسلمين وانتشارها بينهم .

كان من بين هؤلاء جماعة مارسوا مختلف الصناعات لا سيما البناء [٢] والنحت والتصوير ورصف الفسيفساء وزخارف الجص وقد واصلوا مهنهم بعد اسلامهم ، فساهم

(١) مجلة المحدث ١٩٦١ ص ١٦٤ — ١٦٥
(٢) تهذيب تاريخ ابن عساكر الجزء الاول ص ٢٠٠

بعضهم وغيرهم من عمال الفرس والروم [١] في بناء المسجد الاقصى وجامع دمشق وغيرهما من مصانع العصر الأموي فنجم من ذلك مزج الفن الفارسي بالفن اليوناني ودام هذا الحال حتى النصف الاول من القرن الثامن للميلاد ، ازدهر خلالها البناء وزخارفه على اختلاف أنواعه في بلاد الشام . وقد شهدنا الفن العربي بعد هذا التاريخ دخل في طور جديد فعم جميع الاقطار التي فتحها العرب وأصبح فناً اسلامياً ذا طابع خاص يعرف به وكيان يتميز به . ولولا الاكتشافات الاثرية الحديثة — ومنها قصر الحير — لضاعت أصوله وضللنا مصادره . وابرز مافي هذا التطور الجديد اهمال تصوير كل ذوات الروح والاقتصار على الخط والزخارف النباتية والهندسية وقد أبدعوا فيها وأتوا بآيات من الجمال .

وانا لا نستغرب هذا الاتجاه الجديد بل نعلق عليه ونشرحه . لأن الاسلام — الذي قضى على الوثنية — قد نهى عن تشبيه المخلوقات فلا عجب أن نفر منه المسلمون واهملوا هذه الناحية . هذه حقيقة كان يصح لنا السكوت عنها لو لم يتسامح المسلمون بالتصوير ويدخلوه دورهم وقصورهم في صدر الاسلام وهو أشد العصور تمسكاً بتعاليم الشريعة المحمدية ولو لم يعودوا اليه فيما بعد في بلاد الشام والاندلس ومصر وفارس وسمرقند بنسب متفاوتة .

فيجب علينا والحالة هذه بحث العامل الحقيقي لهذا الاهمال الذي تواصل نحو قرنين (الثامن والتاسع للميلاد) . وهذه الفترة تتفق مع ماحصل من مثيلها في الدولة البزنطية المجاورة لبلاد الشام حينما اشتد الانكار على الصور واصدرت قانوناً عام ٧٣٠ م حرمت فيه تكريم الصور والتماثيل واقتناءها كما حرمت صنعها واتلفت كل ما كان موجوداً منها في البيع والكنائس وعند افراد الشعب ، مما هو معروف .

ومن رأينا أن هذا الحدث هو العامل غير المباشر الذي قضى على صناعة تصوير المخلوقات ونحتها عند المسلمين وغير المسلمين الذين خضعوا لسلطانهم . ومن المسلم به

(١) الاغاني جزء ٣ ص ٨١

ان هذا المذهب قد نشأ بين نصارى بلاد الشام ومصر ومنهم انتقل الى القسطنطينية فدانت به حكومتها وفرضته على شعبها وعلى من كان يخضع لكنيستها حوالي قرنين (الثامن والتاسع م) فلا غرابة ان تشيع لهذا المذهب نصارى بلاد الشام الذين كان منهم البناؤون والمزخرفون والنقاشون والمصورون . وهكذا اهمل المسيحيون النحت والتصوير خلال هذين القرنين ففقدوا بعدهما كل رغبة في هاتين الصناعتين وتحولوا عنهما الى الزخارف النباتية والهندسية التي لاقت عند المسلمين كل ترحيب واقبال لأنها تتفق وتعاليمهم الدينية وتزكي فيهم ما توحي به الميزة البشرية من حب الجمال والزينة . وعليه يكون الحرمان المسيحي هو العامل الحقيقي في القضاء على النحت والتصوير في ديار الشام والحائل دون انتقاله للمسلمين ولولاه لبقي هؤلاء المسيحيون يمارسونها كبقية الصناعات التي ترفع عنها المسلمون في بدء عهدهم كالحدادة والصياغة وصنع الاسلحة فبرعوا فيهـا الى حد بعيد واقتبسها عنهم المسلمون فيما بعد حتى فاقوا أقرانهم عند مختلف الأمم والديانات وبرهنوا على سلامة ذوقهم ودقة صنعهم .

وكل هذا يحملنا على القول بأنه لو كانت الشريعة الاسلامية هي العامل الحقيقي في نبذ التصوير والنحت لكان أحق بها ان تفعل فعلها وتقضي على غيرها من الكبائر التي كانت ولم تزل شائعة بين كثير من المسلمين والاجماع على التشديد في تحريمها .

هذا هو القصر الذي تعمل الحكومة السورية على اعادة قسم منه لتلحقه بدار الآثار بدمشق وتبذل عنايتها لتحقيقه ليكون في المستقبل خير شاهد تدفع به وصمة طالما عابنا بها العيابون . وسيكون هذا العمل أعظم مشروع تم من نوعه في عصرنا تغبطنا عليه جميع متاحف العالم .

مدير دار الآثار

جعفر الحسني

ابو العلاء المعري واخوان الصفاء

إخوان الصفاء طائفة من العلماء الحكماء اجتمعوا على تصنيف كتاب في أنواع الحكمة وجعلوه إحدى وخمسين مقالة أو رسالة : خمسون منها في خمسين نوعاً من الحكمة ومقالة جمعت أنواع المقالات على طريق الاختصار .

وقد زعم هؤلاء أن الشريعة دنست بالجهالات ولا سبيل الى تطهيرها الا بالفلسفة لأنها حاوية للحكمة الاعتقادية والمصلحة الاجتهادية ومتى انتظمت الفلسفة اليونانية والشريعة العربية حصل الكمال . وقد سموها رسائل إخوان الصفاء . وفيها نعي على الحياة السياسية وتعريض بما طرأ عليها من الخلل والاضطراب ، ولما كانت مشتملة على ما لا يوافق الدين والسياسة خاف أصحابها على أنفسهم أن يصيبهم ما كان يصيب الزنادقة والملحدين فكتموا أسماءهم . وبثوها في الوراقين ووهبوها للناس ليصلوا الى الغاية المقصودة من إنشائها ووضعها

وكتمان هؤلاء الجماعة أسماءهم فسح المجال لاختلاف الناس فيمن وضع هذه الرسائل . فقال فريق إنها من كلام بعض الائمة من نسل علي بن أبي طالب واختلفوا في اسمه اختلافاً كبيراً وقال فريق ثان إنها تصنيف بعض متكلمي المعتزلة في العصر الاول وقال فريق ثالث وضعتها جماعة وقد ذكروا منهم أبا سليمان محمد بن معشر البستي ويعرف بالمقدسي وأبا الحسن علي بن هارون الزنجاني وأبا أحمد المهرجاني او النهرجوري والعوفي [1] وزيد بن رفاعة

وكل هذه الأقوال قائمة على الحدس والتخمين كما يتضح ذلك من كلام القفطي وغيره وقد ذكر الدكتور طه حسين في ذكرى أبي العلاء ص ١٧٩ وتجديده ص ١٥٠ أن أبا العلاء المعري كان يحضر المجمع الخاص الفلسفي الذي كان يأتلف

---

(١) لا تعلم حقيقة هذا الاسم فانه يقرأ العوفي والعرفي والعوقي .

يوم الجمعة بدار عبد السلام البصري وفيه يقول من قصيدة بعث بها اليه

تهيج أشواقي عروبة أنهـا اليك زوتني عن حضور بمجمع

ثم قال : وكأن هذا المجمع السري هو الذي أسماه إخوان الصفاء لشيوع هـذا اللفظ بين المسلمين في ذلك العصر ودلالته الخاصة على جماعة فلسفية تشترك في الاغراض والآراء وذلك حيث يقول

كم بلدة فارقتهـا ومعاشر يذرون من أسف علي دموعا
واذا أضاعتني الخطوب فلن أرى لوداد [1] اخوان الصفاء مضيعا
خالت توديع الأصادق للنوى فمتى أودع خلي التوديعا

وزاد على هذا في المقدمة التي كتبها في رسائل اخوان الصفاء فقال في ص ٧ في الكلام على الرسائل المذكورة: فهذا الكتاب .. يمثل من جهة فساد الحياة السياسية الاسلامية في ذلك الوقت لأن الذين كتبوه جماعة لا نعرف منهم أحداً لأنهم كانوا يعملون من وراء ستار وكانوا يعملون لغرض سياسي قبل كل شيء ... وانما كانت لهم أغراض سياسية متطرفة مسرفة في التطرف فهم من غلاة الشيعـة ولعلهم من الاسماعيليين ..

وقال في ص ٨ كان هؤلاء الناس اذن يعملون من وراء ستار ويؤلفون جماعة سرية وكان قوام جماعتهم هذه فيما يظهر سياسي عقلي [2] فهم يريدون قلب النظام السياسي المسيطر على العالم الاسلامي يومئذ .

وقال في ص ٩ وقد احتاط هؤلاء الناس في التستر والاستخفاء فلم نكد نعرف منهم أحدا كما قلنا وانما سميت أسماء لا تتجاوز الخمسة ولا تخلو من أن يحيط بها الشك وكل ما نستطيع ان نعرفه من أمر هذه الجماعة انهـا نشأت في البصرة في منتصف القرن الرابع وعرف لها فرع في بغداد وليس عندي شك في أن أبا العلاء قد

(١) في ياقوت لعهود (٢) كـذا في الاصل .

اتصل بهذا الفرع حين ارتحل الى بغداد آخر هذا القرن وكان يحضر اجتماعه يوم الجمعة من كل اسبوع نرى ذلك في سقط الزند بل نرى بعض أسماء الذين كانوا يحضرون جلسات هذا الفرع ونكاد نعرف المكان الذي كانوا يجتمعون فيه يوم الجمعة من كل اسبوع ونكاد نلمح في هذه الاجتماعات شيئاً من اللهو المعتدل الذي لابد منه فيما يظهر لتسنقيم فلسفة الفلاسفة . وقد أشرت الى شيء من ذلك في ذكرى أبي العلاء على أني أشد استيقاناً به الآن وأعتقد أنا نجد في رسائل اخوان الصفاء أحسن تفسير لكثير من غوامض اللزوميات . الى آخر كلامه .

ويظهر للمتأمل ان الاستاذ الدكتور جعل دار عبد السلام مجمعاً خاصاً للفلاسفة وان الاجتماع فيه يوم الجمعة وحجته في ذلك بيت ابي العلاء المتقدم . تهيج اشواقي ..

وانه استنبط من قول المعري في الابيات العينية المتقدمة ان هذا المجمع السري هو الذي سماه ابو العلاء اخوان الصفاء لشيوع هذا اللفظ في ذلك العصر ودلالته على جماعة فلسفية .... وانهم من غلاة الشيعة وان ابا العلاء منهم . وهذا استنباط غريب ؛ والأدلة على بطلان كل ما تقدم أمور كثيرة منها أن قول المعري عن حضور بمجمع ليس فيه تصريح بأن المجمع كان في دار عبد السلام ولا بأنه كان مجمعاً فلسفياً سرياً بل يجوز أن يكون المجمع دار العلم او الكتب التي كان عبد السلام خازناً لها وتخصيص يوم الجمعة يجوز أن يكون عبد السلام اختاره للمعري ليتمكن من زيارته بسبب فراغه في ذلك اليوم او ليجمعه برجال من العلماء والادباء كانوا يجتمعون في ذلك اليوم في دار العلم أو في غيرها للمذاكرة والمفاكهة والمطارحة والمؤانسة ونحوها وهذا أقرب الى القبول واكثر ملاءمة لما عرف به عبد السلام من الاشتهار بالقراءة ورواية الأخبار والحديث والتفسير وغيرهما ولو شعر الناس بأنه ينحو منحى الفلاسفة في عقيدته لأعرضوا عن روايته

ومنها ان هذا اليوم لو كان يوم المجمع السري لما صرح أبو العلاء بذكره في هذه القصيدة كيلا ينتبه له خصومه ومن البعيد أن يركن اخوان الصفاء

الى ابي العلاء وهو غريب عنهم وقد نقل عن ابي حيان انهم كانوا يجتمعون في منزل ابي سليمان النهرجوري . وكانوا اذا اجتمع معهم اجنبي التزموا الكنايات والرموز والاشارات ...

ومنها ان كلمة إخوان الصفاء في أبيات المعري المتقدمة لا تدل على ماأراده الاستاذ الدكتور بل الاقرب أن يراد بالصفاء هنا مصافاة المودة

وقد وقعت هذه الكلمة في كلام كثير من الشعراء والكتاب منهم عمرو بن شاس الأسدي حيث يقول [1]

تذكرت اخوان الصفاء تيمموا فوارس سعد واستبد بهم جهلا

ومنهم الخنساء حيث تقول [2]

ولم يجز اخوان الصفاء ويكتسي عجاجاً أثارته السنابك اكدرا

ومنهم ابو حبال البراء بن ربعي الفقعسي [3]

أولئك اخوان الصفاء رزئتهم وما الكف الا اصبع ثم اصبع

ومنهم اسماعيل بن يسار [4]

وان أيقنت ان الغي فيما دعاك اليه اخوان الصفاء

ومنهم عبد السلام بن رغبان [5]

فهاك اخاً لم تحوه بقرابة بلى ان اخوان الصفاء أقارب

ومنهم ابن الرومي

لو أن اخوان الصفاء تناصفوا لم يفرحوا بتفاضل الأعمار

وقال ابن المقفع في باب الحمامة المطوقة من كتاب كليلة ودمنة فهذا مثل اخوان الصفاء وائتلافهم في الصحبة

---

(١) معجم البلدان : « اومات » . (٢) ديوان الخنساء . (٣) حماسة ابي تمام .
(٤) حماسة البحتري . (٥) زهر الآداب ٣ ـ ١٧١ .

فهؤلاء كلهم ذكروا اخوان الصفاء وهم يريدون اخوان المودة الصافية الخالصة قبل ان تؤلف جمعية اخوان الصفاء وابو العلاء احتذى على مثالهم على ان ياقوتاً روى في معجم الأدباء ج ١ ص ١٧٥ عن ابي الوليد الدربندي قال انشدني ابو العلاء التنوخي في داره عند وداعي اياه وذكر الابيات الثلاثة المتقدمة وابو الوليد هذا هو الحسن بن محمد البلخي الدربندي المحدث الصوفي طاف الآفاق في طلب الحديث ثم رجع الى سمرقند وتوفي سنة ٤٥٦ كما قال ابن عساكر ج ٤ ص ٢٤٧ وذكره ياقوت في دربند وفي سقط الزند ج ٢ ص ١٣٦ انه قال هذه الأبيات على لسان البلخي ٠

وفي كلام الاستاذ الدكتور في مقدمة رسائل اخوان الصفاء تناقض بين وذلك انه قال : لأن الذين كتبوه جماعة لا نكاد نعرف منهم أحدا ٠٠ ثم قال وقد احتاط هؤلاء في التستر والاستخفاء فلم نكد نعرف منهم أحدا ٠٠ ثم قال وانما سميت بأسماء لا تتجاوز الخمسة ولا تخلو من أن يحيط بها الشك ٠٠ ثم قال وكل ما نستطيع ان نعرفه ٠٠ انها نشأت في البصرة ٠٠ وعرف لها فرع في بغداد ٠٠٠

ثم ما لبث ان ناقض نفسه وتخلص من هذه الشكوك وزاد استيقاناً فقال بعد ما تقدم : وليس عندي شك في ان أبا العلاء ، قد اتصل بهذا الفرع ببغداد وكان يحضر اجتماعه ٠٠٠ ثم قال : نرى ذلك في سقط الزند ٠٠ بل نرى بعض اسماء الذين كانوا يحضرون ٠٠ ثم قال ونكاد نعرف المكان الذي يجتمعون فيه ٠٠ ثم قال ونكاد نلمح في هذه الاجتماعات شيئاً من اللهو ٠٠٠ ثم قال على انني أشد استيقاناً به ٠٠ الى آخره ٠

وهذا التناقض يوقع الواقف على كلامه في ظلمات من الشك والحيرة فلا يدري على أي قوليه يعتمد أعلى قوله لا نكاد نعرف ٠٠ ام على قوله نكاد نعرف ونلمح ٠ ونرى ٠ واعتقد ٠٠٠

واذا أردنا ان نجري كلامه على طريقة العلماء في النصين المتعارضين ونعول

علي المتأخر منهما لا نجد له دليلاً يؤيده والقضايا التاريخية لا تقوم على ظنون وأوهام ولا على احتمال وتخمين ·

وأغرب مافي كلامه أن يحكم على اخوان الصفاء بأنهم من غلاة الشيعة أو الاسماعيليين ثم يزج بأبي العلاء بينهم فيجعله في عدادهم وابو العلاء ينفر عقله مغضباً من اتباع مثل الامامين مالك والشافعي مع اعترافه بفضلها وينكر على الشيعة والاسماعيليين أشد الانكار ولولا خشية الاطالة لأوردنا أمثلة تدل على مبلغ انكاره عليهم وبراءته من موافقتهم في شيء من عقائدهم · وحسبنا أن نحيل القارئ على رسالة الغفران فان فيها غنية للطالب ومقنعاً للمرتاب · ونجتزئ بهذا القدر للدلالة على أن أبا العلاء ليست له صلة باخوان الصفاء وما وقع في كلامه مما يشبه ما في رسائل اخوان الصفاء فحكمه حكم ما وقع في كلامه مما يشبه كلام غيرهم

والباحث في كلامه يجد فيه كثيراً من الآراء التي وافق فيها افلاطون وغيره وخالف فيها ارسطو وغيره وكثيراً من العادات التي استحسنها لاهل الهند وغيرهم ولم يكن من اشياعهم ولا أتباعهم ولا شهد مجامعهم

ولم يحدثنا التاريخ أن أبا العلاء كانت له أغراض سياسية متطرفة مسرفة في التطرف ·

واغرب من ذلك كله أن يعرف الاستاذ ويرى ويلمح وهو في مصر بعد الف سنة تقريباً مالم يعرفه ويره ويلمحه أهل بغداد والبصرة حين كان أولئك الجماعة بين ظهرانيهم ، وحين كان رجال الدين والسياسة يبالغون في التنقيب عن أمثالهم

ومما تقدم يتضح ان استنباط الاستاذ لطيف جميل لو مهد له السبيل وأناره بدليل ولكن شيئاً من هذا لم يكن · فسبحان الموفق

سليم الجندي



الديار الشامية

ونعني بالشام البلاد الواقعة بين العريش والفرات ، وقد سقطت بعد الحرب العالمية الكبرى (١٩١٤ - ١٩١٨) في يد الحلفاء ، فكانت فلسطين وشرقي الأردن من حصة بريطانيا العظمى ، وسورية ولبنان من حصة فرنسا ، ثم جعل لهما الانتداب على هذه البلاد بقرار من جمعية الأمم . ورأت بريطانيا العظمى في هذه الحرب الأخيرة (١٩٣٩ — ١٩٤١) الاستيلاء على سورية ولبنان لتصبح البلاد العربية كتلة واحدة امام دولتي المحور (المانيا وايطاليا) . فأرسلت حملة يوم ٨ حزيران ١٩٤١ احتلت حوران ، وأخرى خرجت من الساحل بين صور وصيدا ، وفي الثاني والعشرين من حزيران فتحت دمشق ، وكان جاء جيش آخر فاستولى على سق الفرات ثم على تدمر باتجاه حمص وحماة وحلب . واشتد الضغط على بيروت من البر والبحر والجو فاضطرت القيادة الفرنسية الى طلب الهدنة فعقدت هدنة بين الفريقين المتحاربين في المعسكر قرب عكاء بعد معارك دامت كما قالت جريدة التايمس اربعة وثلاثين يوماً بزحف بطيء يقصد منه تجنب اراقة الدماء . وهذا نص وثيقة الهدنة التي وقع عليها الطرفان ننشرها للتاريخ :

هذا نص الاتفاق الذي عقد للكف عن القتال في سورية ولبنان : —

بين الجنرال السر هنري متلند ولسون القائد العام لقوات الحلفاء في فلسطين وسورية (نائباً عن القواد العامين في الشرق الأوسط) من جانب

والجنرال دي فورديلاك نائب القائد العام للجنود الفرنسية في سورية (نائباً عن القيادة العامة) من جانب آخر

تم الرضى والاتفاق على انهاء الحرب في سورية ولبنان بالشروط التالية :

١ — بطلت الحرب في ١١ تموز سنة ١٩٤١ في الساعة الواحدة والعشرين والدقيقة الواحدة بوقت جرينتش أي ١ : ٩ مساء

٢ — تحتل قوات الحلفاء الأراضي السورية واللبنانية وتحتشد القوات الفرنسية في مناطق تختارها لجنة تؤلف من مندوبين عن الجانبين

ويتم هذا الاحتشاد في يوم الثلاثاء ١٥ تموز سنة ١٩٤١ في الساعة ١٢ ظهراً . وفي هذه الساعة تشرع قوات الحلفاء في احتلال مواقع حربية معينة

والى ان يتم تسريح الجنود الفرنسيين يظلون خاضعين لقيادة فرنسية في مكان محدود يقدم اليهم فيه ما يحتاجون اليه من المؤن الموجودة في المخازن

وقد وضعت تدابير خاصة لجبل الدروز فتبقى فيه — لأسباب خاصة بالأمن — حامية من الجنود الفرنسية الى ان يحل محلها جنود بريطانيون

٣ — لأجل ضمان استتباب الأمن العام يتم احتلال الجهات الرئيسة في سورية ولبنان طبقاً لبرنامج يمكن بمقتضاه ابدال الجنود الفرنسيين بقوات من جيش الاحتلال حالاً .

٤ — تعطى للسلطات المحتلة بيانات تكشف عن مواضع حقول الألغام سواء كانت في البحر او البر

٥ — تمنح القوات الفرنسية الاكرام الحربي التام فتسير الى المناطق التي اختيرت لها بجميع سلاحها ، وفي جملتها المدافع والمدافع الرشاشة والدبابات والسيارات المدرعة وما تملك من ذخيرة

وتتخذ القيادة الفرنسية جميع التدابير اللازمة لعدم ترك السلاح والذخيرة بلا حراسة في ميادين القتال أو في غيرهـا

وعلى السلطات العسكرية الفرنسية ان تسدي كل مساعدة ممكنة لجمع السلاح الذي قد يكون في ايدي أهل البلاد

٦ — وفيما يتعلق بالاكرام الحربي يسمح للضبـاط وضباط الصف والجنود

الفرنسيين بأن يحتفظوا بسلاحهم (كالبنادق او القرابينات والمسدسات والحراب والسيوف) ومع ذلك لا يباح للجنود بأن يحملوا ذخيرة . ولكن لكل وحدة أن تحتفظ بكمية يسيرة من الذخيرة لأسباب خاصة بالأمن

ويحتفظ رجال الدرك بسلاحهم ومقدار محدود من الذخيرة . أما سائر الاسلحة وفي جملتها المدافع وبطاريات السواحل والمدافع المضادة للطائرات وسيارات النقل العسكري فتخزن تحت رقابة بريطانية

ويتعهد البريطانيون هذه المهمات ويكون لهم الحق في أخذ مايكونون في حاجة اليه منها . ثم تتولى سلطات فرنسية تدمير الباقي باشراف بريطانيين

٧ — يطلق سراح الأسرى من قوات الحلفاء حالاً ومنهم الذين نقلوا الى فرنسا . وهؤلاء الاخيرون يحتفظ البريطانيون في أمرهم بحق استبقاء عدد مساوٍ لهم من الضباط الفرنسيين وبرتبهم على قدر الطاقة كأسرى حرب الى أن يطلق سراح الذين نقلوا الى فرنسا . ويطلق سراح الأسرى الفرنسيين عند احتلال أرض سورية ولبنان كلها وانفاذ مواد هذا الاتفاق . ثم يلحقون بكتائبهم لأجل اعادتها ، الى أوطانها .

٨ — يخير الافراد من عسكريين ومدنيين في الانضمام الى قضية الحلفاء واعادتهم الى أوطانهم . أما المدنيون الذين لا يريدون الانضمام الى قضية الحلفاء فتعنى السلطة البريطانية بالنظر في الطلبات التي يقدمونها للبقاء في سورية أو لبنان

٩ — يبقى موظفو السلطة التنفيذية وموظفو المكاتب الفنية وضباط الخدمات الخصوصية في مناصبهم مدة الحاجة اليهم لضمان استمرار الادارة في البلاد والى الوقت الذي يمكن فيه الاستغناء عنهم وحينئذ يرسلون الى اوطانهم اذا أرادوا ويجوز الاستغناء عنهم اذا لم يكن عملهم وسلوكهم مرضيين

١٠ — توافق السلطة البريطانية على أن يعاد على سفن فرنسوية الجنود الفرنسيون والرعايا الفرنسيون الى أوطانهم بشرط أن تقتصر هذه الاعادة على الذين يخيرون في

ذلك وتحتفظ السلطة البريطانية بحق الاشراف على جميع الأمور الخاصة بإعادة هؤلاء الاشخاص الى أوطانهم

١١ — تنقل ممتلكات الرعايا الفرنسيين الذين يُراد اعادتهم الى أوطانهم طبقاً لشروط تعين لذلك ويعاملون معاملة لا تقل عن معاملة البريطانيين الذين سافروا من سورية أخيراً

١٢ — تكفل للمعاهد الفرنسية الثقافية ومنها المستشفيات والمدارس والبعثات الدينية وغيرها حرمة حريتها على ان لا تناقض حرية هذه المعاهد مصالح الحلفاء الحربية

١٣ — جميع الأعمال العمومية ومنها سكك الحديد والترام والنقل والكهربائية والماء تبقى في عملها وتسلم سليمة

١٤ — جميع المواصلات ومنها التلفون والتلغراف والراديو والمخاطبة بالاسلاك البحرية تسلم سليمة الى السلطة المحتلة · ويسهل للقيادة الفرنسية استعمال التلغراف لمخاطبة فرنسا أسوة بالجمهور

١٥ — تسلم الموانىء والمؤسسات البحرية وجميع السفن وبينها البريطانية الراسية في المياه السورية واللبنانية والاقليمية سليمة الى السلطة المحتلة

١٦ — تسلم جميع الطائرات والمؤسسات الجوية والمعدات الحربية في سورية أو لبنان سليمة · وعند إمضاء الاتفاق الحالي يصبح من حق الطائرات البريطانية أن تستخدم أي قاعدة جوية كانت وأي منطقة كانت من مناطق نزول الطائرات في لبنان وسورية

١٧ — تسلم مقادير الوقود الموجودة في البلاد سليمة وتوضع المقادير الضرورية للنقل الحربي تحت تصرف القيادة الفرنسية

١٨ — تضمن سلامة العملة ووسائل الدفع الأخرى سواء كانت متداولة أو في الاحتياطي او في ملكية البنوك أو السلطات العامة الأخرى

١٩ — تحتفظ السلطات العسكرية البريطانية بحقها في أن تدخل في خدمتها

« الجنود الخصوصيين في الشرق » تدريجاً بعد ان تسرحهم السلطات الفرنسية وتسلم أسلحة هؤلاء الجنود الى السلطات البريطانية

٢٠ — تتعهد السلطات البريطانية بعدم اتخاذ اجراءات قضائية ضد السوريين أو اللبنانيين الذين كانت لهم يد في الاعمال الحربية الأخيرة وذلك من الناحيتين العسكرية أو الرسمية

٢١ — تشرف على تنفيذ شروط هذا الاتفاق لجنة رقابة واشراف يكون مقرها بيروت وتكون مؤلفة من خمسة أعضاء

وتعين السلطات البريطانية ثلاثة أعضاء منهم الرئيس وتعين السلطات الفرنسية العضوين الآخرين

ومن حق لجنة الاشراف والرقابة أن تعين لجاناً فرعية وان تضم اليها الخبراء الذين ترى ضمهم اليها ضروريا

٢٢ — كتبت هذه المعاهدة باللغتين الانجليزية والفرنسية وفي حالة وقوع خلاف يكون النص الانجليزي هو المرجع الرسمي

امضاء	امضاء
ميتلند ولسون	الجنرال دي فرديلاك
القائد العام لقوات الحلفاء	نائب القائد العام
في فلسطين وسورية « بالنيابة عن	للقوات الفرنسية في سورية « بالنيابة
القائد العام في الشرق الاوسط »	عن القيادة الفرنسية العليا »

عكا في ١٤ تموز ١٩٤١

مخطوطات ومطبوعات

كتاب الأوائل

وقفت على كتاب مخطوط يسمى «الفواتح المسكية في الفواتح المكية» تأليف العالم الرباني عبد الرحمن البسطامي في خزانة كتب السيد حسن صدقي الدجاني ببيت المقدس وقد جاء في الباب الثامن والعشرين من هذا الكتاب أنه ألفه للسلطان مراد خان فاهداهُ له وقال :

أضحى مليكاً لأهل الأرض كلهم كأنما حبه ألقي على الماء

جوهرة آل عثمان . فخر امة اورخان . عزة بلد مراد خان درة زين بايزيد خان[1] فانه عنوان مآثر الصلات وديوان مفاخر التفضلات وقد خدمت بهذه العبارة الفائقة والاشارة الرائقة خزانة كتبه الحاوية لا زالت لضروب السجلات طاوية الخ »

ومما جاء في طيات هذا الكتاب ما ننقله قال

الأوائل

أول ما خلق الله القلم وقيل اللوح قاله ابن عباس وقيل الدواة .

〃 〃 〃 تعالى العقل

〃 ما اظهر الله من خلقه النطفة قاله علي بن ابي طالب

〃 ما خلق الله النور والظلمة قاله محمد بن اسحق

〃 من نزل البصرة من الصحابة عتبة بن غزوان المازني وهو الذي اختطها

〃 〃 وضع ركاب الفرس من حديد المهلب بن ابي صفرة

(١) عثمان واور خان ومراد خان وبايزيد خان من ملوك آل عثمان

اول من اخرج علم الخلاف في الدنيا ابو زيد الدبوسي الحنفي

〃 〃 دون علم المنطق ارسطو

〃 〃 〃 〃 الموسيقى فيثاغورس الحكيم

〃 〃 اظهر الطب اسقلتيوس خادم هرمس

〃 〃 صنف في علم التوحيد الامام الاعظم ابو حنيفة وهو ايضاً اول من استنبط علم الرأي والقياس

اول من بدأ بعلم أصول الفقه الامام الشافعي

〃 〃 شرح الفقه الاكبر لأبي حنيفة ابو مطيع النجلي

〃 〃 〃 الشاطبية ابو الحسن السخاوي

〃 〃 دفن معه كتابه سيبويه حتى اخرجوا الكتاب من قبره

〃 〃 تكلم في الناسخ والمنسوخ الشافعي

〃 〃 صنف اربعين حديثاً عبد الله بن المبارك

〃 〃 قعد على كرسي من الوعاظ يحيى بن معاذ الرازي سنة ٢٥٨

〃 〃 وعظ الحسن البصري وهو ايضاً اول من تكلم في حقائق الفرع واول مشايخ الصوفية

اول بدعة حدثت في الاسلام النخل

〃 〃 〃 بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم التشيع

〃 من حدث بالمغازي الشعبي

〃 〃 صلى الفجر بوضوء العشاء اربعين سنة من الائمة الاربعة ابوحنيفة رحمه الله

〃 〃 ولي القضاء بالكوفة لعمر بن الخطاب شريح بن الحرث

〃 〃 مات من الصحابة بالكوفة خباب بن الارت

〃 〃 من أسلم من الرجال ابو بكر ومن الصبيان علي ومن النساء خديجة ومن العبيد بلال ومن الروم صهيب

أول مولود ولد في الاسلام بأرض الحبشة عبد الله بن جعفر

〃 من تجبر في الأرض نمرود ابراهيم . الى آخر ما هنالك من الأوائل .

والمؤلف عبد الرحمن البسطامي الحنفي الحروفي ولد في انطاكية بالشام وطلب العلم في القاهرة بمصر وسكن بروسة بالروم وتوفي فيها سنة ٨٥٨ هـ ١٤٥٤ م وله كتب عديدة منها كتاب الدرر في الحوادث والسير في التاريخ ذكر الوفيات فيه على ترتيب الأعوام وقدمه ايضاً للسلطان مراد الثاني ومنه نسخة في مكتبة ليدن بهولاندة وتراجم العلماء في مكتبة غوطا بألمانية ومناهج التوسل في مباهج الترسل وهو مجموع لطائف ادبية ومنه نسخة بالمكتبة المصرية في القاهرة

أما كتاب الأوائل الذي نحن بصدده فمنه نسخ في ڤينا بالنمسة وليبسك بألمانية ومكتبة الاسكوريال بمجريط « اسبانية » وليدن من بلاد هولاندة

عبد الله مخلص

كتاب الشعراء لأبي نعيم الاصبهاني
مجموع ١٢٤ (٣)

اسم الكتاب والمؤلف :

و : ١ : الجزء فيه منتخب من كتاب الشعراء تأليف ابي نعيم احمد بن عبد الله ابن احمد بن اسحق الاصبهاني (٣٣٦ — ٤٣٠) ...

ذكر بروكلمان في تاريخه ١/٣٦٢ وذيله ١/٦١٧ من ترجموا لابي نعيم واغفل الاعلام ١/٤٧ ورجال ميرزا محمد ص ٣٧ ومنتهى المقال ٣٦ وتنقيح المقال ١/٣٨٦ . ولم يذكر كتاب الشعراء هذا احد ممن ترجموا المؤلفه ولعله من مؤلفاته الصغيرة

موضوع الكتاب ونصوص منه :

هو منتخب وردت فيه أخبار عن الشعراء الاسلاميين خاصة وبعض شعراء

العصر العباسي وعرضت فيه بعض الاحاديث النبوية عن الشعر والشعراء وغير ذلك مما ليس له علاقة بموضوع الكتاب الاصلي . والكتاب على طريقة المحدثين يذكر السند أولاً والخبر ثانياً ؛ وقد أشير على هامش النسخة حيناً ان بعض أحاديثه متروكة وهاك على سبيل المثال بضعة أخبار مما ورد فيه .

و ٢ : حدثنا سليمان بن احمد وابو احمد محمد بن احمد قالا : حدثنا ابو خليفة عن محمد بن سلام الجمحي قال : ابو ليلى نابغة بني جعدة وهو قيس بن عبدالله ابن عدس بن ربيعة بن جعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة (١)

حدثنا ابو بكر احمد بن محمد بن يحيى التميمي حدثنا احمد بن عمرو الزيبقي (٢) حدثنا زكريا بن يحيى المنقري حدثنا الاصمعي ، حدثنا هاني بن عبيد الله عن أبيه عن عبد الله بن صفوان قال عاش النابغة مائة وعشرين سنة (٣) وسمع النبي صلى الله عليه وسلم شعره فاستحسنه ثم مات باصبهان ودفن بها .

حدثنا أبو بكر الطلحي ، حدثنا احمد بن حماد بن سفيان حدثني يزيد بن سفيان ابو خالد البصري بمصر ، حدثنا خلاد بن يزيد الباهلي : ان نابغة بني جعدة سمع كلام انسان وهو شيخ كبير فقال : ادعوا لي هذا فدعوه فقال : أنت فلان قال لا : أنا ابنه قال : ما فعل فلان ، قال : مات ، فسأله عن غير واحد فقال : مات فأطرق ساعة ثم قال

المرء يهوى أن يعيش وطولُ عيشٍ ما يضره

(١) جاء هذا النسب موافقاً لما ذكر الآمدي في المؤتلف والمختلف بتصحيح كرنكو ص ١٩١ وفي معجم الشعراء للمرزباني تصحيح كرنكو ص ٣٢١ ومخالفاً لما ذكر صاحب الأغاني ٤/١٢٧ الذي قال: «الصحيح حسان بن قيس بن عبدالله بن وحوح بن عدس وقيل ابن عمرو بن عدس مكان وحوح الخ» . وذكر الزركلي في الأعلام ٢١٩/١ اختلاف المؤلفين في اسم النابغة الجعدي .

(٢) وردت كلة الزيبقي مهملة وترجم السمعاني ٢٩٣ ا أي ٢٩٣ ا لابن الحسين احمد بن عمرو بن احمد الزيبقي فيكون ضبطها كما ذكرنا .

(٣) ذكر صاحب الاغاني ٤/١٢٩ انه عمر مائة وثمانين سنة .

تتابــع الأيام حتى ما يرى شيئاً يسره
تفنى بشاشته ويبقى بعد حلو العيش مره[1]

ثم دخل بيته فلم يخرج حتى مات

و : ٤ : حدثنا محمد بن علي بن حبيش ، حدثنا عبد الله بن سليمان بن الاشعث ، حدثنا حمزة بن نصير العسال المصري ، حدثنا سعيد بن كثير بن عفير حدثنا يعقوب ابن محمد الزهري عن موسى بن عقبة قال : قدمت الرصافة فرأيت شيخاً فقال لي : ممن أنت ؟ فقلت مولى الزبير ، فقال لي : أيقول الفتى الظريف مثلك مولى ؟ الا قلت : من آل الزبير ، قال : قلت فمن أنت ؟ قال : أنا جرير بن الخطفى قال : قلت : اني ارى سمتاً وهيبة وانه يبلغنا اقذاع من قول فقال : انه ينزل بي الثلاثون والاربعون من قومي يريدون القرى والهجاء فأضيّع قومي[2] ؟ قال فقلت : ايهما أشعر كثير عزة أو عدي بن الرقاع ، فقال : والله لبيت قاله كثير أشعر من جميع ما قالت عامله قلت : وما هو ، قال :

ائن حنّ اجمال وفارق جيرة وصاح غراب البين أنت حزين

فصول الكتاب:

المبدأ و ١ : ... أخبرنا الشيخ ابو بكر محمد بن اسماعيل بن أبي نصر يعرف بدانكفاذ بقراءتي عليه في شوال سنة خمس وسبعين واربعمائة ، أخبرنا أبو علي الحسن ابن احمد بن الحسن الحداد قراءة عليه وأنا حاضر في شوال من سنة أربع واربعمائة قال احمد بن عبد الله [أبو نعيم الاصفهاني] ... عن اسحاق بن سويد حدثني من سمع حسان بن ثابت يقول

(١) ورد البيتان : الأول والأخير في ديوان ابي العتاهية (عوض يهوى : يأمل وعوض ما : قد) طبعة اليسوعيين ١٨٨٦ ، ص ١٢٠ أما البيت الثاني فقد ورد بعدهما كما يلي :

وتخونه الأيام حتى لا يرى شيئاً يسره

(٢) لعلها فاطيع قومي

من سرّه الموت صرفًا لا مزاج له فليأت مأدبة في دار عثمان [1]

و ١' خبر آخر لحسان عن الغضب لمقتل عثمان ، قصيدة لكعب بن مالك السلمي في يوم بدر .

و ٢' عن لبيد و ٢' : عن النابغة الجعدي ، حديث من كنت مولاه فعلي مولاه عن أبي ذؤيب الهذلي و ٣'—٤' : عن الفرزدق و ٤' عن رؤبة بن العجاج .

و ٤' : عن جرير ، عن الاحنف بن قيس ، و ٥' : حديث عن أول من تكلم العربية ، عن أول سورة نزلت من القرآن ، شعر لابي طالب و ٥' ؛ ابو نواس وابو العتاهية و ٥' : حديث عن وفاة رسول الله ص ، حديث : مولى القوم منهم

و ٦' : اشعار تنشد في مجلس الرسول ص و ٦' نهي الرسول ص من هجاء الناس ، حديث من خطا سبع خطوات الى شعر كتب من الغاوين و ٦' حديث : امرؤ القيس يقود الشعراء الى النار ، حديث : الشعر كلام حسنه كحسن الكلام وقبيحه كقبيح الكلام ، ترخيص الرسول من شعر الجاهلية قصيدة أمية بن ابي الصلت في أهل بدر وقصيدة الاعشى في عامر وعلقمة ، شعر لابليس في قابيل وهابيل

النهاية و : ٦' كان أبو بكر شاعراً وكان عمر شاعراً وكان علي أشعر الثلاثة .

وصف النسخة:

النسخة في حال حسنة ويظهر انها كاملة لا كلمة في الكتاب تذكر نهايتها على أن طريقة حبكها تظهر انها تامة . ورقها اسمر جيد عدته ٦ ورقات ابعاده ٢١×١٣ مم مع هامش قدره سنتيمتر واحد الورقة تحوي ما يقارب ٢٨ سطراً ؛ خط النسخة معتنى به معجم في بعض حروفه المعجمة ، متوسط الحرف ، مقروء ، يبتدأ الخبر في النسخة بقوله حدثنا مدّ فيه حرف الحاء على ان الاخبار تتابع دون فاصلة او تغيير سطر .

(١) لم يرد هذا البيت في ديوان حسان طبعة هارتويغ هير شفلد سنة ١٩١٠ في مجموعة جب

تاريخ النسخة :

و ١[1] : سماع لعبد الغني بن عبد الواحد بن علي المقدسي (٥٤١—٦٠٠)

و ١[1] : وقف الحافظ عبد الغني ، بالضيائية مقره [ومنهـا انتقل الى العمرية فالظاهرية]

ومن مقابلة خط هذه النسخة بخط عبد الغني المقدسي في مجموع ٣٠ (٦) ومجموع ٥٥ (٣) ظهر انها من خطه . ذكر هذه النسخة بروكلمان نقلاً عن الزيات ولم يذكر غيرها فيما اطلع عليه

يوسف العش

الامتاع والمؤانسة

ابو حيان التوحيدي (علي بن محمد) من فلاسفة القرن الخامس ومن أجل علمائه وأدبائه ، وهو ثاني الجاحظ ببلاغته واتساع مادته في العلوم ، وكان يتوخى بأسلوب كتابته البسيط والابانة ويصدر عن حرية وتوسع . وقد ألف كتباً كثيرة أورد الصفدي جريدتها في « الوافي بالوفيات » ومنها كتب في فتوح البلدان ، واكثر كتبه على ما يظهر مما أحرقه في حياته ، لما عرته السوداء بما ناله من الحرمان والشقاء

ولم يطبع له الى الآن سوى كتاب « المقابسات » وكتاب « الصداقة والصديق » وكتاب« ثمرات العلوم » . وآخر ما طبع له كتاب « الامتاع والمؤانسة » طبعته لجنة التأليف والترجمة والنشر في القاهرة وتولى الاستاذان احمد أمين بك واحمد الزين تصحيحه والتعليق عليه ، فجاء الجزء الأول في ٢٢٦ ص عدا الفهارس والمقدمة . وبقي من الكتاب جزآن آخران تحت الطبع والنظر .

دوّن المؤلف في الامتاع والمؤانسة ما دار بينه وبين ابن سعدان الوزير ، ورجح

أحد الناشرين احمد امين انه هو ابو عبد الله العارض ، أو ابو عبد الله بن الحسين ابن احمد بن سعدان وزير صمصام الدولة البويهي ، لا كما ادعى القفطي في « تراجم الحكماء » من انه كتبه لأستاذه أبي سليمان المنطقي (محمد بن طاهر السجستاني) . فان المؤلف صرح بذلك في مقدمة كتابه هذا ، وقال ان الذي حثه على تدوين ما دوّن صديقه أبو الوفاء المهندس (محمد بن محمد بن يحيى البوزجاني) احد ندماء ابن سعدان وهو الذي قدمه له وعرفه اليه . اراده أن يكتب له ما كان يدور في مجلس الوزير في ليالي السمر ، وهي سبع وثلاثون ليلة حمل الجزء الأول منها ست عشرة ليلة .

وفي هذه الاسمار كلام مفيد جداً في تحليل شخصيات علماء ذاك العصر في بغداد ، وعرضٌ جيد لفلاسفتهم وأدبائهم ، ولمواطن الضعف في نفوسهم ، ومثارات النقد من حياتهم ، على أسلوب ما عُهد لكاتب يكتب في الجدّ أن يدون مثله . وفي الكتاب فوائد في اللغة والشعر والكتابة والتفسير والحديث والاخلاق والفكاهة والتاريخ والحيوان الى غير ذلك مما كشف المؤلف الحجاب فيه عن أشياء كانت غير معروفة من حالة ذاك العصر . وفي هذا الجزء مناظرة ابي سعيد السيرافي مع أبي بشر متىّ بن بونس (او يونان) في النحو العربي والمنطق اليوناني ، وهي التي نقلها ياقوت في معجم الادباء برمتها ، وفيه مبحث في خصائص الشعوب المعروفة لعهده ، ورد على الشعوبية أعداء العرب وتفضيل العرب عليهم ، وفيه وصف الكتابة والمبرزين فيها في عصره ، وكلام على ابن العميد والصاحب بن عباد ، وكان ابو حيان كتب فيهما كتاباً ثلبهما فيه سماه مثالب الوزيرين

وروح التوحيدي ، كمعظم ما انتهى الينا من كلامه ، منقبضة عابسة خلافاً لروح الجاحظ المرحة الضاحكة ، ولا يحمل ذلك الا على مزاج خاص في كل منهما ، وعصر الجاحظ ينطق الابكم ، وعصر التوحيدي يكم الافواه . وتبين بما عرف من أقوال التوحيدي انه بهذه الحرية التي أطلقها لنفسه في نقد الرجال دعا الى اغفال أرباب

السير وكتاب التراجم ذكره في كتبهم ، فلم يسلكوه في سلك المتصوفة ، ولا في سمط الفلاسفة ، ولا عدوه في المتكلمين ولا المتأدبين ولا المتألهين العابدين ، لأنه آلم جمهرة أرباب المظاهر العلمية بما ترجم لهم به ولم يتخطَّ نقده غير أفراد من أساتذته ومن رضي عنهم من أصحابه

ومن نقده للرجال ما قاله في مجلسين في التعريف بأبي علي احمد بن محمد مِسكوَيهْ صاحب « تهذيب الاخلاق » و « الفوز الاصغر » و « تجارب الأمم » : « وأما مسكويه ففقير بين أغنياء ، وعَيي بين ابيناء ، لأنه شادٍ ، وأنا أعطيته في هذه الأيام (صنو الشرح لإيساغوجي) وقاطيغورياس من تصنيف صديقنا بالرّي . قال : ومن هو ؟ قلت : ابو القاسم الكاتب غلام أبي الحسن العامري ، وصححه معي ، وهو الآن لائذ بابن الخمار ، وربما شاهد أبا سليمان وليس له فراغ ، ولكنه مخبتٌ في هذا الوقت للمسرة التي لحقته فيما فاته من قبل . فقال : يا عجبًا لرجل صحب ابن العميد أبا الفضل ، ورأى من كان عنده ، وهذا حظه ! قلت : قد كان هذا ، ولكنه كان مشغولاً بطلب الكيمياء مع ابي الطيب الكيميائي الرازي ، مملوك الهمة في طلبته ، والحرص على اصابته ، مفتوناً بكتب أبي زكرياء وجابر بن حيان ، ومع هذا كان اليه خدمة صاحبه في خزانة كتبه ، هـذا مع تقطيع الوقت في حاجاته الضرورية والشهوية ، والعمر قصير ، والساعات طائرة ، والحركات دائمة ، والفرَصُ بروق تأتلق ، والأوطار في عرضها تجتمع وتفترق ، والنفوس على فواتها تذوب وتحترق . ولقد قطن العامريُّ الرّيَّ خمس سنين جُمعةً ، ودرّس وأملى وصنف وروى ، فما أخذ مسكويه عنه كلمة واحدة ، ولا وعى مسألة ، حتى كأنه كان بينه وبينه سدّ ، ولقد تجرع على هذا التواني الصابَ والعلقم ، ومضغ لقمة حنظل الندامة في نفسه ، وسمع بأذنه قوارع الملامة من أصدقائه ، حين لم ينفع ذلك كله . وبعدُ فهو ذكيٌّ حسن الشعر نقي اللفظ ، وان بقي فعساه يتوسط هذا الحديث (كذا) وما أرى ذلك مع كلفه بالكيمياء ، وانفاق زمانه وكدّ بدنه وقلبه في خدمة السلطان ، واحتراقه في

البخل بالدانق والقيراط والكسرة والخرقة . نعوذ بالله من مدح الجود باللسان ، وايثار الشح بالفعل ، وتمجيد الكرم بالقول ومفارقته بالعمل . وهذا هو الشقاء المصبوب على هامة من بلي به ، والبلاء المعصوب بناصية من غلب عليه . »

وقال في وصفه أيضاً في مكان آخر (ص ١٣٦) : « واما مسكويه فلطيف اللفظ ، رطب الأطراف ، رقيق الحواشي ، سهل المأخذ ، قليل السكب ، بطيء السبك ، مشهور المعاني ، كثير التواني ، شديد التوقي ، ضعيف الترقي ، يَرِد اكثر مما يصدُر ، ويتطاول جهده ثم يَقصر ، ويطير بعيداً ويقع قريباً ، ويسقي من قبل ان يَغرس ، ويمتح من قبل ان يُميه ، وله بعد ذلك مآخذ كشدوٍ من الفلسفة ، وتأت في الخدمة ، وقيام برسوم الندامة ، وسنة في البخل ، وغرائب من الكذب ، وهو حائل العقل لشغفه بالكيمياء . » اهـ

وفي هذا الكلام تحامل على المترجم به ، فان من ترجموا له اجمعوا على انه في طبقة أعلى من الطبقة التي حاول ابو حيان ان يضعه فيها . ولذلك اتهم التوحيدي بدينه ، ونسبت اليه أمور ما خطرت له ببال ، حتى عزا اليه ابن ابي الحديد شارح نهج البلاغة رسالة او مناظرة ابي بكر الصديق مع علي بن ابي طالب (رضي الله عنهما) في الخلافة وادعى ان التوحيدي وضعها ، مع ان الرجل قال في كتابه البصائر والذخائر وفي غيره انه نقلها عمن رواها وهو شيخه ابو حامد احمد بن بشر المروروزي ، أملاها على جماعة من حفظه وكتبها هو وبعض الحضور في المجلس ، ولا موجب لأن يبرأ التوحيدي من عهدتها اذا صح انه هو كاتبها ، فقد روى في كتبه أعظم منها وما خاف ولا جمجم ، ومن أنعم النظر في أسلوب هذه المناظرة وأسلوب التوحيدي فربما يحكم بأنها أرقى من طبقته في الكتابة (راجع ما كتبناه في تحليل حياة أبي حيان التوحيدي وكتابته وتآليفه في الجزء الثاني من كتابنا « أمراء البيان » ص ٤٨٨ - ٥٤٥)

. . .

بذل الناشران الفاضلان الجهد في تصحيح كتاب الامتاع والمؤانسة وفي التعليق عليه ، وأخرجاه من نسخة وحيدة مخطوطة ، والناسخ أعجمي جميل الخط لا يعرف ما كان ينسخ . ويؤخذ على الناشرين اغفال التنبيه على جمل غير مفهومة من النصوص ابقياها كما هي بدون أن يشيرا اليها ، واعتذرا بأنهما في اكثر الاحيان ينبهان على أنه تحريف وان صوابه ما أثبتاه . وعندنا ان هذه الطريقة ليست عملية اذ ليس كل القراء على بصيرة من فهم كلام البلغاء ولا جمهورهم ممن يفهم في الحال المحرف ونقيضه .

وكنا نود لو وقع الفصل الذي كتبه ابو حيان في الحيوان على ما كان معروفاً في عصره تحت نظر أحد علماء الحيوان في هذا العصر ليعلق عليه ما يزيد في امتاعه ، وقد استغرق ٣٨ صفحة من كتاب الامتاع . والواجب أن يلقي النظر على مثل هذا الكتاب المنوّع البحوث والموضوعات عدة أخصائيين ، فمن يبرز في الأدب مثلاً ، قد لا يكون له حظ من التاريخ ، ومن يشدو شيئاً من الفلسفة والتصوف لا يحسن الحيوان والنبات والطبيعة والفلك والموسيقى . وما دام المقصود احياء أدبنا القديم على الوجه الصحيح ، ليحسن الانتفاع به ، فلا غضاضة علينا اذا تعاون أرباب البصائر مثل هذه المخطوطات بالتدقيق على عدة صور ، على نحو ما كانت تجري دار الكتب المصرية في عرض تجارب الاغاني على مختلف الطبقات من العلماء ليصححوها ويقروا الرواية السليمة .

وقد تفضل أحد الناشرين فأطلعني على ملازم كتاب الامتاع بعد طبعها ، فاهتديت الى نحو مئة غلطة أقراني على ثلاث وأربعين منها وتفضلا ونشراها في آخر الجزء الاول وتركا لي حريتي في البقية أنشرها في أي مجلة او جريدة شئت ، لأنهما رأيا أن نشرها كلها معناه انهما موافقان على ما فيها . والى القارئ الكريم بعض ما ورد في الكتاب من الاغلاط التي لم يقرني الناشران عليها :

ص ١١ حسن النعمة — مسّ النعمة ١٦٠ تخنث وتليث — تخنث وتديث ١٨٠

راشه (جعل له ريشاً) والاولى تفسيرها (اصلح حاله) كما في كتب اللغة ١٩ ٠٠٠ مع عفو لفظك — اجر أو مر مع عفو لفظك ٢٠ أبالي البلاء — أأبلي البلاء . وفيها : فقلت قبلُ .. تصحح هكذا : فقلت قبلُ : كل شيءٍ اريد ان اجاب اليه ليكون ٢٢ قال هذا باب مفترق فيه ورجعنا الى الحديث فانه شهيّ سيا — ورجعنا الى الحديث ، قال وهذا باب مفترق فيه فانه شهي سيا .. وفيها : حروف متقاومة — متقاربة أو متساوقة . ٢٤ المعانقة العجيبة — المعانق ٢٩ والثناء الطيب اشاعه الله — بحذف الألف من أشاعه وفي الأساس : شاعكم الله تعالى السلام وشاعكم السلام ٣١ عاش — ارتاش ٣٣ وحسن استنباط للعويص — نظنها وسوء استنباط لان المقام مقام تعديد مساويه لا تعداد حسناته ٣٥ ولكنه محسٌ — مخبت . ومنها في طلبه والحرص — في طلبته ٣٦ حتى كأنه بينه — حتى كأنه كان بينه . ومنها ومضع بفمه — ومضغ لقمة ٣٨ القوهي — الكوهي ٤٤ كان الماضي — كان في الماضي ٥٠ نشطني وبشرني — بسطني وسرّني — . ومنها : واذاقني حلاوة هذه المزية — هذه المرتبة ، ٥١ في الذلة الدائمة والحال المربوطة . وخرّجا المربوطة بقولها لعله يريد بالمربوطة في هذا الموضع ، الواقفة عند حد من الفاقة لا تنتقل عنه (كذا) والأولى ان يقال الحال المسخوطة . ومنها : ووفاءً بما له في عنقي من مننه — من مِنن . ٥٣ مغلوب مالديه — مغلوب على مالديه ٥٥ حسود حقود حديد — ليس في طبقات الأدباء « حديد » والأولى حذفها ٥٦ وكن الثالث من الهمج المنشدين — لا معنى لهمج والأولى حذفها وفي طبقات الادباء : وكن الثالث من المنشدين ٥٧ لا تجعلني نُهزة الشامت — لا تجعلني هزأة الشامت ٥٨ وابن ثوابة في الفقه — في التقفية ، لأن ابن ثوابة أديب كاتب وليس من الفقهاء ، يؤيد ذلك أنه ذكر في الصفحة ذاتها مع ابن عبدكان وابراهيم بن العباس الصولي وفي ص ١٠٣ ورد ذكره مع ابن وهب وآل وهب وكل هؤلاء لم يعرفوا بغير الادب والبيان وجاء ذكره في ص ٦٦ عند حكمه على أبي الفضل بن العميد في الكتابة ٥٩ يتقابل ويتمايل

— يتفكك ويتمايل ٦٠ ولكن الغنى رب غفور — في ديوان عروة بن الورد — ولكن للغنى رب غفور ، ٦١ غلط في السجع — غلط في السجع ٦٤ والثاني العادة وهي المؤاتية — ترفع « وهي » الى السطر السالف فانها سقطت منه وتجعل محلها في « وخاذلته لا ناصرته » فتكون هكذا : وهي خاذلته لا ناصرته ، ٦٥ وليس في الدنيا محسوب — مخلوق • ومنها : الحلاوة المذوقة بالطبع — نرجح المدوفة وفي حديث ام سليم قال لها وقد جمعت عرقه ما تصنعين ؟ قالت عرقك أدوف به طيبي أي اخلط بقال دفت الدواء أدوفه اذا بللته بماء وخلطته فهو مدوف (عن النهاية لابن الاثير) ٧١ دار ابن برثن — في العقد الفريد دار نيروز ٧٢ فوضعوا لذلك الأنواء — فوصفوا ٣٧ وخطؤه ، متباين — يحذف متباين فيستقيم المعنى ٧٤ وتلك لا تخص بل تلمّ — بل تعمّ ٧٦ وكأن عمائمهم فوق الرجال ألوية — فوق الرّحال ، ٨٠ وطعم ما الحق — وطعم ما لوّق • وفي حديث عبادة بن الصامت : ولا آكل الا ما لوّق لي أي لا آكل الا ما لين لي واصله من اللوّقة وهي الزبدة وقيد الزُبد بالرُّطب (النهاية) ومنها : فهدلت الثمار — فتهدلت ٨١ ونضرت خلافتهم — ونصرت ، ٨٢ يضاف الى آخر السطر السادس قوله في السطر بعده : عزّ المهاً الخ الى قوله مقصوداً ويكون اول الكلام في السطر السابع : وبعد ، فالذي • ومنها : ويستبدّون في مصالحهم — ويستعدون على مصالحهم ٨٧ وطعم العشب — الجشب ، وهو الطعام الغليظ او الذي بلا إدام • ومنها المعمومة بالفضل — المعكومة ، والمعكوم المشدود ٨٩ إقليدس — أقليدس • في القاموس أوقليدس بالضم وزيادة واو اسم رجل وضع كتاباً في هذا العلم المعروف وقول ابن عباد إقليدس اسم كتاب غلط •وبالافرنجية Euclide

ومثله في صفحة ١١٦ إلا أحكام اللغة — الا إحكام اللغة ٩٣ وقبل منه الفرس — وقبله منه الفرس ٩٥ والمسفّ حاضر العين — العيب ١٠٠ لجعفر بن يحيى فان كتابته كانت سوادية — نرجح ان تكون ساسانية بدليل ما جاء بعدها وبلاغته سحبانية وسياسته يونانية وآدابه عربية ولا معنى لسوادية هنا ١٠٥ معرفة باقية — معرفة ثاقبة •

١٠٦ وهائلا وعاملا — وهائلاً وغائلاً ، ١١٥ صفها وبنائها — وضعها وبنائها ، ١٣٣ الدين الثخين — الدين المتين ، ١٣٩ ويشمُ فيهزُ — ويشتم ١٥٩ يضبط ويحتد — ويحدُ ١٦٨ يترحل النهار — يترجل النهار وفي الاساس : وترجلت الشمس ارتفعت ، وترجل النهار ٢٠٨ رسم او قوام — من رسم أو قوام اه

وهنا لابد من تسجيل رأينا في احياء المخطوطات القديمة . فانا نرى ان تعرض كما قلنا على عدة اخصائيين خصوصاً اذا كان الأصل مبدلاً محرفاً فقد رأينا كتاب الامتاع والمؤانسة وقع اولاً الى أيدي ثلاثة من أساتذة دمشق وهم خليل مردم بك ورشدي الحكيم والدكتور حسني سبح فأصلحوا ما أمكن اصلاحه من اغلاط الناسخ وهي كثيرة جداً فنقلت الصورة الأصلية الى مصر مصححة في الجملة فعاد الاستاذان احمد امين واحمد الزين فصححا ما أمكنهما تصحيحه وطبعاه معلقين عليه تعليقات قيمة . ودوّن كاتب هذه التعليقة ما عن له من تصحيح بعض الهفوات فوافقني صديقاي الناشران على عشرات منها . وهكذا الشأن في كل كتاب للاسلاف نريد احياءه وليس لنا الا نسخة واحدة منه لابد ان يتعاور النظر فيه عدة باحثين وناقدين فيهتدي كل واحد الى ناحية قد لا يهتدي اليها صاحبه وليس في ذلك غضاضة على الناشر الأول . وعندي ان كتاب الامتاع والمؤانسة لو وقع الآن هذا الجزء المطبوع منه تحت نظر ناقد آخر او عدة نقاد لرأوا فيه مالم يره الدمشقيون والقاهريون . وقد استحقت لجنة التأليف باحيائها الامتاع والمؤانسة الثناء العطر لأن انشاءه نمط عال من الأدب كان يجهله المتأدبون والرجاء ان تسارع الى اخراج الجزأين الباقيين تبلُّ بهما شوق عشاق الأدب العربي القديم .

محمد كرد علي

معرض الآراء الحديثة

هذا هو العدد التاسع من «عيون الأدب الغربي» التي عنيت بترجمتها لجنة التأليف والترجمة والنشر، ألفه «ج. لويس د كنسن» وعربه الاستاذ محمد رفعة في ١١٥ صفحة.

قارئ الكتاب يحضر جلسة من جلسات «منتدى الباحثين» بلندن الجمعية التي كان من أغراضها أن تجمع بين اكثر العناصر تباينًا وتعقد جلساتها في دور أعضائها بالتناوب، في لندن شتاء وفي منازل بعض الأعضاء الريفية صيفًا.

أما الأعضاء الذين سجل المؤلف كلامهم في جلستنا هذه فهم: «رمنهام» كبير وزراء الدولة حينئذ من حزب الأحرار، وخصمه اللدود «مندوزا» من المحافظين، و «كانتلوب» الذي اعتزل الحياة العامة حديثًا وهو محافظ قديم، و «أليسون» الاشتراكي النشيط، و «ما كارثي» الفوضوي المشهور، و (ولسن) العالم بالاحياء، و «مارتن» الأستاذ، و «كوريات» الشاعر، و (أودين) من رجال الاعمال و «هور نجتن» من الأعيان، و «ودمان» عضو جماعة الاصحاب، و «ڤيڤيان» الأديب.

يجتمع هؤلاء السادة كل أسبوعين مرة فيقرأ احدهم رسالة ثم يتناقش فيها سائر الأعضاء. والكلام في جلستنا هذه التي امتدت من بعد العشاء حتى طلوع الشمس لكانتلوب المحافظ القديم، وقد نسي هذا رسالته المكتوبة ورفض أن يرتجل شيئًا في موضوعها ففرض عليه رب الدار كفارة: «ان يقدم اعترافًا شخصيًا يفسر به اشتغاله بالسياسة، ولمَ كان — وما زال — محافظًا من الطراز القديم؟ ولم اقدم على اعتزال الحياة العامة وهو في مستهل حياته؟ وقصارى القول ان عليه ان يفضي إلينا بوجهة نظره، وهذا سيحفز رمنهام للكلام بعده، فاذا تكلم استثار غيره من الأعضاء حتى يفضي كل منا في آخر الأمر بوجهة نظره وتكون السهرة ممتعة حقًا» (١)

(١) ص ٢

وكذلك كان ، فقد أجرى المؤلف على ألسنة هؤلاء السادة المختلفي المذاهب والميول آراء شديدة التباين في نقائص المجتمع وطرق مداواتها ، كلّ قد شخص الداء ووصف الدواء من وجهة نظره الخاصة . فالكتاب اذن محضر جلسة فيها « عرض مختصر لآراء جماعة من الناس يمثل كل واحد منهم طائفة خاصة ويشرح نظرته الى الحياة ويدافع عنها . وفي هذا العرض آراء كثيرة بعضها خطأ وبعضها صواب ، بعضها قائم على العقل والمنطق ، وبعضها مغالطات وبلاغة خطابية ، شأن كثير من الآراء التي يعرضها الناس في احاديثهم ويدافعون عنها بحماسة ، وليست هي في الغالب الا سفسطة وكلاماً منمقاً »[1]

كذلك قال المعرب الفاضل في مقدمته ، لكن القارئ يقع خلال هذا الجدل على حوار ممتع لذيذ فيه حق وفيه علم وفيه تفكير عميق وتجارب صادقة . وعلى القارئ ان يمعن في هذا الحوار للفائدة لا للتسلية . ولا يسعه الا الاعجاب الشديد لهذا الهدوء والنظام يسودان جلسة لا يجمع اثنين من أعضائها رأي واحد ، تصطرع فيها المذاهب وتتباين الآراء ويصرح كل بما لخصمه عنده ، ومع هذا فالجو مشبع بروح الألفة والاحترام . وهذا شيء لا تجده الا عند الانكليز : محافظ ، وحر ، واشتراكي ، وفوضوي ، ومالي ، وشاعر ، ومتدين ، وأديب : يتحاورون في المسائل التي هي مصادر خلافهم وفرقتهم . تسمع الخطيب فلا تشك ان خصمه سيثب عليه ليقطعه إرباً ؛ فاذا نزل ذاك وصعد هذا يرد عليه ، رأيت احترام الرأي وسمو التهذيب يسيطران على كلامه وسلوكه .

اكثر هؤلاء الخطباء تأثيراً فيّ هو المحافظ القديم (كنتلوب) لا لأنه حمل على الديمقراطية ونصر الارستقراطية الوراثية ، ولكني رأيت في انتقاده توسيد الوظائف الى المرتزقة حقاً كثيراً ، وحببني فيه انه صريح غاية الصراحة يمثل طبقته من الانجليز خير تمثيل . واذا استطعت ان تشك في انجليزية هذه الصور التي عرضها المؤلف

(١) ص ه

فلن يتطرق اليك شك في عراقة هـذا الرجل في انجليزيته وقد وقفت كثيراً عند قوله :

« أعتقد ان السعي وراء الثروة يقضي على جدارة الانسان لتولي الخدمة العامة ... وان محترفي التجارة يجب ان يبعدوا عن الوظائف العامة »[١] «اني أدين بمذهب حكومة السادة (gentleman) وأعني بهذه الكلمة مدلولها الانجليزي الممثل لروح العصر القديم ، وهو الرجل ذو الموارد الخاصة ، الناشئ منذ الطفولة في جو الحياة العامة المهيأ بطبيعة منبته للخدمة في الجيش او البحرية او الكنيسة او البرلمان . هذا النوع من الرجال هو الذي أسس عظمة روما ، وشيد مجد انجلترا في سالف الزمان ، واني لا أومن ان ستقوم قائمة لدولة عظيمة حكامها من التجار وارباب الحوانيت والصناع ؛ وليس ذلك راجعاً الى أنهم ليسوا جديرين بالتقدير ، بل لأن طرائق حياتهم ومعاشهم تقضي على جدارتهم لولاية الشؤون العامة . »[٢]

وهذا رأي قد رآه أيضاً احد الاعيان (انظر ص ٩٢) وهما من طينة واحدة وقد اعجبني تعريفه الانجليز الخلصاء فهو يراهم من نتاج الريف خاصة ويقول في صفتهم :

« يقفون ساعة كاملة لا يتحركون ، كصفحة الماء الراكد ، يتأملون حصاناً أو خنزيراً ؛ هذا الطراز من الرجال يظنهم المتحضرون بلهاء لأنهم لا يجيبون عن سؤال قبل ان تمر خمس دقائق ، ثم يجيبونك في الغالب بتوجيه سؤال آخر . الخ »[٣] وقد اسف هذا المحافظ القديم « كيف يهرع الناس الى المدن التماساً للحياة الاجتماعية في حين أني ما وجدت حياة اجتماعية حقة الا في الريف »

وتسمع على هذا الوتر نغماً آخر لعين انجليزي عاش طويلاً في ايطاليا ثم رجع الى بلاده فنظرها نظرة ناقدة ، ومن قوله : « يخيل الي ان الانجليز بنوع خاص قلما يبذلون محاولة جدية لمواجهة الحقيقة لأنهم .. الخ »[٤]

والقارئ يشعر شعوراً قوياً برشاقة أسلوب المؤلف وقوة عارضته وشعوره العميق

(١) ص ٥ (٢) ص ٧ (٣) ص ١٨ (٤) ص ٨٦

بنواحي الحياة وإحساسه بالجمال وهي الصفات التي وصفه بها المعرب الفاضل .

* * *

ليس ينقص اعجابنا بتعريب الاستاذ رفعة عن اعجابنا بالمؤلف ، فقد استطاع ان يسبغ على الكتاب حلة رشيقة من الاسلوب العربي السهل البليغ وقد لفتت نظري هذه الملاحظات اعرضها عليه :

١ — تقول العرب : « فعلته على رغمه » ولم اجد حذف الجار في كلام يعتمد عليه وقد جاءت (رغم) خالية من (على) في الصفحات : ١٦، ١٨، ٦٩، الخ .

٢ — لم يرد استعمال (لما) للتعليل فيحسن أن يستبدل (اذ) بلما في قوله (ولما كانت ... فاني) ص ٤٠ س ٩ وكذلك ص ٤١ — ١٦

٣ — إذا قلنا : « هذا واجبي » لم يفهم منه الا أنه واجب لي على غيري أما اذا كان الأمر على العكس فالصواب ان نقول : « هذا واجب علي » وعلى هذا ورد خطأ قوله : واجبي في الصفحات ٤٠، ٤٧، ٦٢، ٦٦، ٧١، ٨٣، ١٠٢

٤ — الصواب في نحو قوله ص ٤٢ (تتعارض مع كل الحقائق) ان يقال « تتعارض هي وكل الحقائق » لأن الفاعل في أفعال المشاركة متعدد ولا يؤتى بـ (مع) قبل مجيء اسمين على الأقل ومثلها : اتفق معه . وقد ورد شبيه هذا الخطأ في الصفحات ٧١، ٨٧، ٨٩

٥ — وهب تتعدى لمفعولها الأصلي باللام تقول : « هب لي من لدنك وليًّا » وتعديتها له مباشرة على خلاف الوارد . وعلى هذا يصلح ماورد في ص ٤٦، ٨٨، ١٠٢

٦ — قوله ص ٢٥ (يلبس على عينيه منظارين) يحتاج الى اعادة نظر المعرب وحذف الفعل او استبدال (يضع) به أولى .

٧ — أحصينا هذه الهنوات فأحببنا عرضها خدمة للكتاب :

ص	خطأ	صواب	ص	خطأ	صواب
٧	إحسانناالمادي	إحساسناالمادي	١٥	أحمق من	أشد حمقاً من

ص	خطأ	صواب	ص	خطأ	صواب
٢٣	حدابي ٠٠٠ الى	حداني ٠٠٠ على	٥٣	بل و كل	بل كل
٤١	هذا وذاك اللذين	هو هذا وذاك اللذان	٥٥	يتمشدق	يتشدق
	بنفس البساطة	بالبساطة نفسها	٦١	الغير المحدودة	غير المحدودة
٤٨	البعض الآخر	بعضها الآخر	٧٨	أحاجج	أحاجّ
	[وكذا في ص ١٠٦، ١٠٧		٨٣	ينصلح	يصلح
٤٩	شعوذة	شعبذة	٩٠	أأمرتكم	أمرتكم
٥٠	أثر نموها [مفصولة في سطرين]	أثرنموها	٩١	بل والامانة	وحتى الأمانة (او بل الأمانة)
٥١	كافة الأشياء	الأشياء كافة	٩٣	تستقرئه	تستقريه
	[وكذا في ص ٥٩، ٨٩، ٩٣ ولا تستعمل		١٠٥	مبرءاً	مبرأ
	الا حالاً منكرة متأخرة]		١٠٩	أبواه	مات أبواه

ولا يسعني الا شكر الاستاذ المعرب على جهده القيم وشكر لجنة التأليف والترجمة والنشر على ما تقوم به من جليل الاعمال في خدمة العلم والعرب ٠

سعيد الافغاني

الانسان ذلك المجهول

للدكتور كاريل ٠ طبع في صيدا سنة ١٩٤٠ صفحاته ١٨٩

اصل الكتاب لكاريل من كتاب فرنسا قال الاب بولس سويد انه اتبعه بنظرات ودروس فلم يتبين للقارئ ان كان الكتاب منقولاً عن الفرنسية او هو من آراء المترجم مزجها بكلام ذاك الفيلسوف ٠ ولا نكتم صاحب هذه النظرات والدروس ان الكتاب في جملته كلام لا محصل له ، والناظر في كتابه لأول وهلة يحكم بأنه

لم يوفق في اسلوب كتابته ، لأنها خلت من نصاعة الألفاظ ، وجمال التركيب والديباجة ، وفقدت فيها الرشاقة والسلاسة ، وحملت من الغموض والابهام شيئاً كثيراً فكان كلامه وكلام مقدم الكتاب أيضاً عبارة عن ألفاظ لا يدري القارئ مقصدهما من الجمل التي رصاها .

نحن لانعرف كيف يجرؤ من لم يرزق طبعاً شفافاً ولم يأخذ نفسه بدرس هذه اللغة اعواماً طويلة على التأليف والنشر فيها ، وبهذه الركاكات يحاول بعض سكان لبنان في العهد الاخير ان يوجدوا لهم لغة خاصة كما حاولوا ان يكون لهم كيان سياسي خاص .

ولو عاد هذا المدرس المؤلف العجيب يافعاً في بلد كمصر يدرس في إحدى مدارسها وعرض ما كتب في هذه الصفحات على استاذه في المدرسة الثانوية لما اخلاه في كل صفحة من ملاحظات لغوية وبيانية وتأليفية وربما رد له بعض الفصول وقال له انها غير مفهومة ومملوءة بفضول لا تدخل في صلب الكتاب ولا متنه . مثل تعريضه بمجمع اللغة العربية في مصر ونقله ما ذكرته احدى الصحف الهزلية في مداعبته فقال (ص ٨) : « وحسبك ان تذكر الارزيز (التلفون) والدويدات (المكرونة) والشاطر والمشطور والكامخ بينهما يعني الصندويش وسواهـا . » وهذه الكلمات ما صدرت عن المجمع اللغوي قط وهذه مجلته في الايدي فليرجع اليها من شاء . ثم اي معنى لنقل ذلك في مقدمة كتاب في الجدّ الا اذا كان يقصد الحط من مصر ثم من العرب والمسلمين .

وقوله ص ١٨٢ ينعي على الشرق اهماله الكتّاب وانهم لا يعيشون فيه كما يعيش ابن الغرب : « يكتب الكاتب في الغرب فيشتهر وتقبل آلاف الخلائق على مطالعته واذا عشرات الآلاف من مؤلفاته تنتشر بين ايدي الجماهير فتعود عليه بالرفاهية والرخاء في حياته المادية ... وانظر الا ترى ان العلم عندنا محتاج اليـه كوسيلة لعمل او لمنصب ؟ واساتذة معاهدنا العلمية وهم المنقطعون الى الدرس

والبحث والتنقيب وبلوغ كمال الشخصية هل فيهم رجال الاختصاص الثقات ؟ انهم لاينصرفون الى الدرس بكل نفوسهم لما يعلمون من ان هذه المهنة لا تعد مركزاً ولا تؤمن حياة ، فهم يتخذونها مرحلة يقطعونها باحثين في هذه الفترات عن سبيل الرزق سواها ... »

هذا نموذج من الأفكار التي حملها كتاب مدرس البيان العربي في مدرسة كان مثل الشيخ ابراهيم اليازجي رحمه الله مدرس بيانها ومثل شاعر الاقطار العربية خليل مطران من طلبتها . ونصيحتي لهذا المؤلف الجديد المتفلسف ومن كان على شاكلته في البيان ان يصونوا أوقات الناس عن العبث بما ينشرون فالقوم اليوم لا يحتاجون الى من يبيع منهم هذه الافكار الصبيانية بهذا الاسلوب الركيك الذي كان يكتب به بعض سكان قرى الجبل منذ ثمانين سنة

محمد كرد علي



محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم

تأليف الأستاذ محمد رضا

الطبعة الثانية ، راجعها المؤلف وأضاف إليها زيادات شتى
طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر
سنة ١٣٥٨ هـ و سنة ١٩٣٩ م

تضمنت هذه السيرة وصف حياته الشريفة مفتتحة بمناقب أجداده ، فتاريخ ميلاده ، ثم نشأته بمكة ، وتزوجه بخديجة ، وتجديده للكعبة ، وبعثته على رأس الأربعين ، وإنشائه دار الدعوة لردّ عدوان دار الندوة ، وأذى قومه له ولمن آمن به ، وهجرة من هاجر منهم الى الحبشة ، ثم هجرته ومن آمن معه الى المدينة ، وإرسال

كتبه ورسله الى الملوك والامراء وغيرهم بدعاية الاسلام ، ثم إيذانه من الله تعالى بقتال المعتدين ، وذكر غزواته وقد بلغت سبعاً وعشرين ، وبعوثه وسراياه وقد عدها ثمانياً وثلاثين ، وبين الحكمة في تعدُّد ازواجه أمهات المؤمنين ، ثم ذكر جملةً من أخلاقه وشمائله وتعاليمه ومعجزاته واعظمها القرآن العظيم ، وختم الكتاب بايراد طائفة من الأحاديث النبوية مرتبة على حروف الهجاء ، وجدول بتواريخ الحوادث المشهورة في السيرة النبوية ، وفهارسَ للأعلام من رجال ونساء ، وقبائل واماكن .

وهذا الوصف المجمل لحياته واعماله في مكة والمدينة لا يغني عن مراجعة الفهرس المفصل في الكتاب ، فقد ذكر حاله عليه السلام وحال اصحابه الكرام ، وأسباب اسلام كثير منهم ، وردَّ كلام غلاة المستشرقين ومطاعنهم ، مشيراً الى كتبهم ومباحثهم ، وقد جاء الكتابُ — بفهارسه — جامعاً بالغاً ما يقربُ من ستمائة صفحة بالقطع المتوسط .

أما أغلاطُ الطبع التي لم تذكر في جدولها فقليلة كقوله (ص ١١٥ س ١٦) المسائلُ الثلاثةُ وصوابها : الثلاث ، و (١١٦ س ٢) من التعليق : واقيعه — واقعية او واقعة و ص ١٧١ س ١ من التعليق : أول جمة — جمعة و ٢٣٠ : ٤ فضيرب — فيضرب و ص ٣٤٩ س ١٧ : الى ابي سفان — سفيان و س ٢٢ سول الله : رسول الله و « ٣٥٣ « ١٩ : وا صداقائهم — واصدقائهم و ٣١٠ : ٦ واستغل — واشتغل و « ٤٢٠ « ١١ : رسول — رسول الله و ٤٣١ : ٥ : تفكر تلك — تكفر تلك وقد سها المؤلف فقال في عدِّه أسماء المدينة المنورة « والبلد » قال تعالى « لا أقسم بهذا البلد » والمشار اليه في هذه الآية هو مكة لا المدينة ، والسورةُ مكية . وفي ص ٤١٦ عقد المؤلف فصلاً وصف فيه الاحتفال بمولد الرسول (ص) قديماً وحديثاً . ونقل فيه عن الحافظ السخاوي انه حدث بعد القرون الثلاثة

وهنا كان حرياً بحضرة المؤلف ان ينكر هذه المظاهر اللاهية ، والآثار الواهية التي اعتاد الناسُ سماعها في مثل هذه المواسم والمراسم . ان الاخبار التي

تخالف العقل والنقل الصحيحين يُخشى من ضررها في عقائد المتعلمين اضعاف ما يرجى من نفعها عند بعض العوامّ، دع ما ورد فيها من الوعيد الشديد، وان في هذه القصص التي تُتلى في المحافل الكبرى من غرائب النقول ما يصرفُ اذهان المستمعين عن حياة الرسول الى تصورات خيالية لا أثر لها في عالم الحس والحقيقة.

فجدير بالعلماء العاملين، والامراء العادلين، ان يجعلوا درس السيرة النبوية في هذه المجتمعات العامة شذرات من لبابها ملائمة لروح المجتمعين، مغذية لعقولهم، باعثة على حسن الاستماع والاتباع.

وقال (ص ٣٣) وكراماتُ الاولياء كمعجزات الانبياء، غير انهم لم يدعوا النبوة، ويجب الايمان بالأولياء قال تعالى: «ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولاهم يحزنون» وقد ترك المؤلف وصفهم في الآية التالية «الذين آمنوا وكانوا يتقون» فأولياء الله هم المؤمنون الصالحون المتقون، وليس لولاية الله في هذه الآية غير هذا المعنى.

وفي (ص ٣٨٥) وقال (ص) لجعفر: «أشبهتَ خَلقي وُخلقي» فرقص جعفر لسروره بهذا الخطاب ولفرط ما اصابه من الفرح، ولم ينكر عليه (ص) رقصه، وجعل ذلك اصلاً لرقص الصوفية عندما يجدون من المواجيد في مجالس الذكر والسماع!! أقول اما لفظ «اشبهتَ خَلقي وُخلقي» فمعروف من رواية الصحيحين وغيرهما، واما زيادة: فرقص جعفر» الخ فلم نرها في كتب السنة المشهورة، فهل للأستاذ ان يذكر لنا من خرجها من الثقات بهذا اللفظ؟. وما روى ان جعفر لما عاد من الحبشة ونظر الى النبي (ص) حجل اعظاماً له (اي مشى على رجل واحدة فعل الحبشة تعظيماً لكبرائها) فقال العقيلي — وقد رواه من طريق مكي بن عبد الله الرعيني، حدثنا سفيان بن عيينة الخ —: غير محفوظ، وقال في الميزان: مكي له

مناكير ، وقال في المغني : تفرد عن ابن عيينة بحديث وقال البيهقي : — وقد رواه من طريق الثوري — : في اسناده الى الثوري من لا يعرف [١]

وقد بنى المؤلف استدلاله على أصل منكر حتى عند رواته ، ولم ُيذكر «الرقص» في كلامهم ولو كان هذا الفعل (الحجل) مشروعاً لما تركه جعفر ، ولعمل به الصحابة والتابعون ، والائمة المجتهدون ، ولا قائل به منهم ، فعلم أنه باطل ، وعبادة لم يأذن بها الله « قل : آلله أذن لكم » .

وعجيبٌ للمؤلف الذي يجدُّ في الردِّ على كبار المستشرقين امثال مرجليوث وموير ونولدكي وغيرهم كيف يقبل لدينه هذه المهازل التي تثير تلك المطاعن على أصل الإسلام ، ويغفل عن مثل قوله تعالى : « وذر الذين اتخذوا دينهم لعباً ولهواً »

وبعد فلم يذكر المؤلف اسماء أولئك المستشرقين في فهرس الأعلام فيسهل الرجوع الى ما كتبه عنهم ، ولم نر فهرساً في اسماء الكتب والمصادر الكثيرة التي استمد منها ، فتتم الفهارس التي ُعني بوضعها ، وكنا نرجو ان نجد أسماء « أمهات كتب الحديث » التي أورد منها في آخر الكتاب تلك الاحاديث النبوية ، مرتبة على الحروف الهجائية ، فقد أشكل علينا منها مثل « شراركم عزابكم » ومثل « اصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم » فمن خرجها ، وهل طرقها صحيحة يا ترى ؟

هذا وانا نشكر المؤلف على مابذل من جهد وعناء في جمع مباحث هذا الكتاب الجليل وتنسيقها ، وتتبع شكوك المشككين ، واعتراضات المستشرقين ، وتفنيدها .

محمد بهجة البيطار

---

(١) أنظر منتخب كنز العمال على هامش المسند (ج ٥ ص ١٥٥ وزاد المعاد : ١ ص ٣٩٧)

الاغنياء والفقراء

في ٢٢٨ صفحة من القطع المتوسط

مؤلف هذا الكتاب هربرت جورج ولز من أشهر الأدباء في انكلترة . ومترجمه السيد زكي نجيب محمود . وقد طبعته لجنة التأليف والترجمة والنشر في القاهرة . وجعلته حلقة من سلسلة كتب تترجم باسم «عيون الأدب الغربي» ومن جملة حلقات هذه السلسلة كتاب حياة دزرائيلي السالف الذكر .

وكتاب الأغنياء والفقراء فصلان من سفر عنوانه «عمل الانسان وثروته وسعادته» يقع في ستة عشر فصلاً . ويتناول المؤلف في الكتاب المذكور شيئاً عن حياة بعض رجال المال واعمالهم مثل رُكفلر وُفرد وامرة رُتشيلد وغيرهم ثم يشرح آراءه في تنظيم المجتمع الانساني اقتصادياً وسياسياً وهي آراء ناضجة طريفة تتجه وجهة الاشتراكية الشاملة المعتدلة وتبشر بضرورة اتحاد جميع الأمم ويا حبذا لو صحت الأحلام .

وفي آخر الكتاب فصل ممتع عن المرأة تناول فيه طبائعها وسجاياها وعملها في المجتمع البشري .

ولغة الترجمة حسنة . ومما استرعى نظرنا في ص ١٤٩ لفظة احراش والصحيح حراج واحراج جمع حَرَجة (انظر المخصص ج ١١ ص ٤٤) . ومنها قوله الحمام الزاجل والصحيح حمام الزاجل لأن صاحبها يزجلها اي يرسلها الى بعد فهو زاجل وزجال . اما هذا الصنف من الحمام (اي حمام الزاجلين) فيسمى الحمام الهادي وهنّ الهدّاء .

مصطفى الشهابي

تاريخ الفلسفة في الاسلام

تأليف الأستاذ (ج • دي بور T.y.De Boer) بجامعة أمستردام
نقله إلى العربية الأستاذ محمد عبد الهادي أبو ريدة بجامعة فؤاد الأول
طبع بمطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة سنة ١٣٥٧ هـ و ١٩٣٨ م
وهو من منشوراتها ص ٢٩٦ من قطع الربع

هذا كتاب نقرأ فيه الابداع والتجدد في التأليف وفي الترجمة وفي الطبع ، وكان لكل منها نصيب وافر من الاتقان على ما يعزُّ نظيره ·

اشتهر المؤلف بما كتب في « معلمة الاسلام » وبمعالجته الشؤون الفلسفية عند المسلمين ، وقد جود هذه المرة من وراء الغاية بأن القى علينا في تأليفه هذا درساً مفيداً فيما عني به اجدادنا من البحث الفلسفي منذ قامت القدرية ثم المعتزلة ثم علماء الكلام ثم الفلاسفة · وافاض في تلخيص فلسفة الفارابي وابن سينا والغزالي وابن باجة وابن طفيل وابن رشد وابن خلدون وغيرهم تلخيصاً اماط النقاب عن مراميهم ومنازعهم ، كل ذلك بذوق كامل وعلم فاضل · ولو اراد أحدنا ان يبحث عن فلسفة هؤلاء الحكماء فيما بقي من كتبهم لاقتضى له ان يجهد سنين طويلة وما نظنه يوفق الى الاحاطة بذلك احاطة فيلسوف بلاد القاع ·

وفى المؤلف المسلمين قسطهم من النظر والبحث ، فلم يسلبهم حقهم في عملهم ولم يبالغ فيه ، ودلّ بواسع علمه على مبلغهم من الابتكار منتفعاً بما وصل الينا من كتبهم المطبوعة والمخطوطة مستخدماً أقوال بعض المحققين من علماء الغرب في هذه السبيل وبودنا لو نظر في هذا الكتاب كل من تطالُّ نفسه الى وضع التآليف متوخياً منها نفع الناس ، ليستفيد اسلوب علماء أوربا في التصنيف والتأليف ، وبودنا أيضاً لو قرأ هذا السفر بامعان وروية كل عربي ولو لم تكن الفلسفة مما تميل اليه نفسه ، لانا

نعتقد انه منذ أفتى ابن الصلاح بفساد المنطق أي الفلسفة ، ومنع من تعلمه ، ومنذ انحى ابن خلدون في المقدمة على الفلسفة وقال بابطالها قد تراجع العقل عندنا وضعف تفكير المفكرين في بلاد المسلمين . فما عدنا نفيد في العلوم الدنيوية ولا في العلوم الدينية ، هذا وان ادعى كاتب چلبي في كشف الظنون ان سوق الفلسفة او الحكمة كانت نافقة في الروم (آسيا الصغرى او ارض الترك في الاناضول) بعد الفتح الاسلامي الى اواسط الدولة العثمانية وكان في عصرهم فحول ممن جمع بين الحكمة والشريعة كالفناري وقاضي زاده وخوجه زاده والقوشجي وابن المؤيد وابن الكمال وابن الحنائي ومير چلبي . وما نظن كل هؤلاء الا متذوقين مستفيدين ناقلين عن فلاسفة العرب ولو كانوا على شيء من النبوغ وايراد الجديد لكان علماء المشرقيات أحفوا كتبهم درساً وتمحيصاً ، وأخرجوا زبدة فلسفتهم للعالم

محمد كرد علي

آراء وانباء

تحقيق اسم شاعر

ورد في الجزء الأول من كتاب الامتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي الذي طبع في القاهرة مؤخراً اسم شاعر اسمه العسجدي (ص ٤٨) فتوقفت فيه اذ لم أجد له ذكراً في الكتب التي لديَّ ثم علمت ان العسجدي كان من مشاهير شعراء ايران ومن اهل بلخ ومن تلامذة الشاعر عنصري ومن شعراء بلاط السلطان محمود بن سبكتكين وقد حظي كثيراً عنده . وكان عنصري وفرحي والفردوسي من شعرائه ايضاً وان ديوان العسجدي مفقود وفي ايدي العجم كثير من غزله وقصائده

اما عنصري فهو ابو القاسم الحسن بن احمد بلخي الدار ايضاً . وكان من شعراء ابن سبكتكين وكان في بلاطه « ملك الشعراء » وكان ينظر في القصائد التي تقدم للسلطان وبواسطته تعرض على مسامعه فكان بذلك مرجع مئات من الشعراء فاغتنى وتأثل وعظم جاهه وانتشر صيته (توفي سنة ٤٣١ في غزنة) ملخصاً من قاموس الاعلام التركي لشمس الدين سامي رحمه الله

محمد كرد علي

ذكرى قسطاكي بك الحمصي

اصدرت مجلة الكلمة الحلبية عدداً خاصاً بأقلام نخبة من أدباء العرب تخليداً لذكرى زميلنا السيد قسطاكي الحمصي الحلبي وقد تقدم الراثين صديقنا ورصيفنا الاستاذ خليل مطران بك بقوله

افراقاً وأنت آخر باقٍ … من رفاق كانوا ابرَّ الرفاق
بنيتَ عن جانب من القلب حيّ … خذ نصيباً من دمعي المهراق
كم حبيباً أرثي أمالي شغل … غير تسويد هذه الاوراق ؟
من سقته النوى ثمالة كأس … قدسقتني النوى بكأس دهاق

ورثاه اكثر من خمسة وعشرين رجلاً وسيدة وعددوا صفاته الغر نظماً ونثراً رحمه الله

المجلد السادس عشر　　١٦٢ ، ١٩١　　الجزء التاسع والعاشر

مجلة المجمع العلمي العربي

أنشئ سنة ١٣٣٩ هـ الموافقة لسنة ١٩٢١ م

تنشر في دمشق مرة في الشهر

ايلول وتشرين الأول سنة ١٩٤١ م

رمضان وشوال سنة ١٣٦٠ هـ

دمشق

المجمع العلمي العربي

قيمة الاشتراك السنوي الدفع مقدماً { في سورية ولبنان ٣٠٠ قرش سوري
وفي جميع الاقطار ٤٠٠ « «

مطبعة الترقي بدمشق


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

ابن حزم في (سير النبلاء)

« نشرت كتابي (ابن حزم الأندلسي ورسالته في المفاضلة بين الصحابة) في ربيع الأول سنة ١٣٥٩ ﻫ [ايار ١٩٤٠ م] وكنت نشرت منه قبل ذلك فصلاً في مجلة الثقافة المصرية وآخر في مجلة التمدن الاسلامي الدمشقية ، ثم تلقيت بالبريد المضمون آخر عام ١٣٥٩ ﻫ مغلفاً فيه رسالة خطية عنوانها : « ترجمة ابن حزم رحمه الله ، منقول من النبلاء للذهبي » وكلاماً آخر عرفت منه ان في خزانة صاحب الجلالة الامام يحيى حميد الدين صاحب اليمن نسخة من كتاب النبلاء بصنعاء ، وان وجيه الحجاز الشيخ محمد نصيف لما علم باشتغالي بدراسة الامام ابن حزم حملته اريحيته ونبله فكلف السيد محمد بن احمد الحجري بنسخ ترجمة ابن حزم من النبلاء ثم أوصلها الي .

والرسالة المهداة كتاب مستقل كالفه الذهبي وقد قرئ عليه وفي آخره سماعان احدهما بخطه كتبه بدمشق سنة ٧٣٤ والثاني كتبه بدمشق ايضاً ابن جماعة سنة ٧٤٠ﻫ فرأيت من الواجب — وللرسالة هذا الخطر — ألا أستأثر بها وان انشرها في مجلة المجمع العلمي العربي تعميماً لفائدتها .

وانا اذ أشكر فضل الشيخ محمد نصيف وغيرته على العلم لا يسعني إلا ان ارفع الى صاحب الجلالة اليمنية على صفحات هذه المجلة رجائي ورجاء كثير من خدمة العلم : ان يأمر بطبع هذا الكتاب النفيس فيبرد بذلك غلة العطاش من رواد العلم ويحيي أثراً نفيساً ويضيف الى مآثره الجليلة هذه المحمدة الجديدة ، ويحقق امنية ليس احق بتحقيقها من الملك العالم المجتهد الفقيه . ودمشق تغتبط اذا امر جلالته فأرسل هذه النسخة النادرة الحلاة بخط مؤلفها ، الى مجمعنا العلمي فيقوم باعدادها للنشر ، ومن الحق ان تقوم دمشق بنشر أثر خرج من خزائنها وألفه في مدارسها ابنها وأحد مفاخرها الخالدة على وجه الدهر »

وهذه كلمة عن المؤلف الامام الذهبي وعن كتابه سير النبلاء أقدمها بين يدي الرسالة :

شهد القرن الثامن للهجرة علماء محدثين وحفاظاً أعلاماً ، استأثر بالاجماع منهم أربعة كان اليهم المرجع ، وعليهم المعول ، وانعقدت لهم الامامة في الحديث ومعرفة الرجال : وهم الحافظ المزي والبرزالي وتقي الدين السبكي ومترجمنا شمس الدين الذهبي . وقد كان مترجموه من جلة العلماء كتاج الدين السبكي والجلال السيوطي والحافظ ابي المحاسن الحسيني الدمشقي وصاحب (فوات الوفيات) وخليل ابن ايبك الصفدي صاحب (نكت الهميان في نكت العميان) وغيرهم ، فأطبقوا جميعاً على أنه حافظ

عصره الذي تشد اليه الرحال من مختلف الاقطار . وناهيك بشهادة هؤلاء الحفاظ المحدثين الأجلاء .

مولده ونسبه

كان مولد شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان بن قايماز التركماني بدمشق سنة ٦٧٣ واصله من ميافارقين واشتهر بالذهبي [١] ونعته الحافظ الحسيني بـ « شيخ المحدثين قدوة الحفاظ والقراء محدث الشام ومؤرخه ومفيده » [١]

طلبه ونبوغه

بدأ بطلب الحديث وله ثمان عشرة سنة ، فسمع على شيوخ الشام ومصر ومنهم شيخ الاسلام ابن دقيق العيد ، وكان هذا « شديد التحري في الإسماع [٢] » لم يقبله حتى اختبره في معرفة الرجال وسأله اشياء اجابه عنها بسداد . ثم جاب مدن الشام يلقى فيها الشيوخ فسمع بدمشق وبعلبك وحمص وحماة وحلب وطرابلس ونابلس والرملة والقدس ورحل الى الاسكندرية وبلبيس والقاهرة ومكة [٢] حتى صار « إمام الوجود حفظاً وشيخ الجرح والتعديل ورجل الرجال في كل سبيل [٣] » فرسخت قدمه وذاعت شهرته وضرب بحفظه المثل .

وأقام بدمشق يقصده فيها العلماء من طلاب الحديث من كل قطر ومصر وتنهال عليه الأسئلة من البلدان فيجيب عليها من حفظه . وكان في القراءات عالماً جامعاً . قرأ القرآن وأقرأه على الوجوه السبعة .

شيوخه وتلاميذه

بلغ عدد الذين ذكرهم في (معجم أشياخه) ثلاثمائة شيخ والف شيخ [٤] .

وقد حفظت لنا كتب الطبقات بعض الأعلام المشهورين ممن قرأ عليهم وأقرأهم ،

---

(١) ذيل تذكرة الحفاظ ص ٣٤ (دمشق ١٣٤٧ هـ) (٢) نكت الهميان ص ٢٤٣ فما بعد وشذرات الذهب ٦ : ١٥٤ (٣) السبكي في طبقات الشافعية ٥ : ٢١٦ (٤) فوات الوفيات ٢ : ١٨٣ وفيها وفي طبقات الشافعية ذكر لبعض شيوخه المشهورين فانظرهم ثمة .

جاء في شذرات الذهب : « أجاز له ابو زكريا ابن الصيرفي والقطب ابن ابي عصرون ، والقاسم الإربلي . سمع بدمشق من عمر بن القواس واحمد بن هبة الله بن عساكر ويوسف بن احمد الغسولي وغيرهم ، وببعلبك من عبد الخالق بن علوان وزينب بنت عمر بن كندي وغيرهما ، وبمصر من الابرقوهي وعيسى بن عبد المنعم بن شهاب وشيخ الاسلام ابن دقيق العيد ، وسمع بالاسكندرية من ابي الحسن علي بن احمد الغرافي وابي الحسين يحيى بن احمد بن الصواف وغيرهما ، وبمكة من التوزي وغيره ، وبنابلس من العماد بن بدران [1] »

« وأجاز له خلق من اصحاب ابن طبرزد والكندي وحنبل وابن الحرستاني وغيرهم وخرج لجماعة من شيوخه وجمع القراءات السبع على الشيخ عبد الله بن جبريل المصري نزيل دمشق [2] » .

وقد حمل عنه الكتاب والسنة وعلم الرجال خلائق لا يحصون كثرة ، وحسبك ان منهم التاج السبكي صاحب طبقات الشافعية الكبرى ، والسيوطي المؤلف المكثر ، وانظر قدره عندهما في ترجمتها له فيما الفا من كتب الرجال . ومنهم الصفدي صاحب « نكت الهميان » واليك شهادته فيه في كتابه نكت الهميان ، قال :

« اجتمعت به وأخذت عنه وقرأت عليه كثيراً من تصانيفه ولم أجد عنده من جمود المحدثين و كوذنة النقلة ، بل هو فقيه النظر له دربة بأقوال الناس ، ومذاهب الائمة من السلف وارباب المقالات . وأعجبني ما يعانيه في تصانيفه من أنه لا يتعدى حديثاً يورده حتى يبين مافيه من ضعف متن او ظلام إسناد أو طعن في رواة ؛ وهذا لم أر غيره يعاني هذه الفائدة فيما يورده . [3] » وقد قرأ عليه الصفدي هذا من تاريخ الاسلام المغازي والسيرة النبوية الى آخر ايام الحسن رضي الله عنه ، وجميع الحوادث الى آخر سنة سبعمائة .

(١) شذرات الذهب ٦ : ١٥٤ (٢) ذيل تذكرة الحفاظ ص ٣٤ ، ٣٥ (٣) نكت الهميان في نكت العميان ص ٢٤٢

عمله ووفاته ورثاؤه

ولي في حياته «مشيخة الظاهرية قديمًا ومشيخة النفيسية والفاضلية والتنكزية وأم الملك الصالح» حتى اذا كان عام ٧٤١ كف بصره فانقطع عن التأليف واكب على التدريس الى ان وافاه اجله «ليلة الاثنين ثالث ذي القعدة سنة ٧٤٨[1]»

روى التاج السبكي في طبقاته ان وفاة الذهبي كانت «بالمدرسة المنسوبة لأم الصالح[2] في قاعة سكنه ورآه الوالد (يعني تقي الدين السبكي) رحمه الله قبل المغرب وهو في السياق وقال: كيف تجدك؟ فقال: في السياق، ثم سأله: أدخل وقت المغرب؟ فقال له الوالد: الم تصل العصر؟ فقال: بلى ولكن لم أصل المغرب الى الآن. وسأل الوالد رحمه الله الجمع بين المغرب والعشاء تقديمًا فأفتاه بذلك، ففعله. ومات بعد العشاء قبل نصف الليل ودفن بباب الصغير، حضرت الصلاة عليه ودفنه.[3]» وهكذا انقضت حياة حافلة بالعلم والتعليم والدين والتقى. فبكاه العلم وأهله، وبكته المدارس وحلقات التدريس، وفقدته بيوت الكتب التي طالما ملأها بالمفيد الممتع من مصنفاته في علوم الكتاب والسنة والشريعة. وهذه ابيات مما رثاه به تلميذه التاج السبكي:

من للحديث وللسارين في الطلب ... من بعد موت الامام الحافظ الذهبي
من للرواية والاخبار ينشرها ... بين البرية من عجم ومن عرب
من للدراية والآثار يحفظها ... بالنقد من وضع اهل الغي والكذب
من للصناعة يدري حل معضلها ... حتى يريك جلاء الشك بالريب
هو الامام الذي روّت روايته ... وطبق الأرض من طلابه النجب

(١) ذيل تذكرة الحفاظ ص ٣٥ (٢) هي على يمين المنحدر في زقاق المحكمة قبيل آخره وفي محلها اليوم دار بدير ودار تقي الدين ولا تزال معالم المدرسة ظاهرة عليها — كذا أخبرني أحد الطلابين، شأنها في ذلك شأن غيرها من عشرات المدارس التي آوت غرفها كبار العلماء والحفاظ والقراء والفقهاء ومن هذه الغرف خرجت إلى أقطار العالم آلاف الكتب النفيسة التي انتفع بعلمها واهتدى بهديها الملايين من البشر
(٣) طبقات الشافعية

ثبت صدوق خبير حافظ يقظ في النقل اصدق انباء من الكتب
الله اكبر ما أقرا وأحفظه من زاهد ورع في الله مرتقب[(١)]

شهرته العلمية ومنزلته بين الحفاظ

وبعد فالذهبي احد مفاخر دمشق على وجه الدهر ، جعل منها طول حياته محطاً «يُرحل اليه من سائر البلاد وتناديه السؤالات من كل ناد»[(٢)] فهو واحد من أولئك الأعلام الذين ساهموا في بناء مجدها العلمي العظيم وصاروا أمنية المتمني والغاية التي يتطلع إليها كل طامح : حكي عن شيخ الاسلام ابي الفضل بن حجر انه قال : «شربت ماء زمزم لأصل الى مرتبة الذهبي في الحفظ .»[(٣)]

وجعله السيوطي احد اربعة كان المحدثون في عصره عيالاً عليهم في الرجال وسائر فنون الحديث وهم : المزي والذهبي والعراقي وابن حجر . «وقد قارن حافظ الشام ابن ناصر الدين بين الذهبي والبرزالي والمزي فحكم للمزي بالتفوق في معرفة رجال طبقات الصدر الأول ، وللبرزالي في العصريين ومن قبلهم من الطبقات القريبة منهم ، وللذهبي في الطبقات المتوسطة بينهما تأييداً لقول بعض مشايخه . على ان الأهواء قلما تتغلب على المزي والبرزالي في تراجم الناس بخلاف الذهبي»[(٤)]

مؤلفاته

عاش خمساً وسبعين سنة ترك خلالها نحواً من مئة مصنف جمعت من أسمائها ستة وثمانين ، بعضها مشهور متداول كثر منه النفع وعظمت اليه الحاجة .

قرأت مسارد تآليفه في المصادر التي ترجمت له ، فرأيت اكثرها في الحديث ورجاله وما بقي منها في التاريخ . وأقصد بالتاريخ هنا : فن التراجم الذي برع فيه العرب براعة ما بعدها غاية ، وتفننوا فيه فنوناً شتى . أما مؤلفاته التي ضمنها ما «جرح

(١) اختار هذه الابيات السيوطي في ذيل طبقات الحفاظ ص ٣٤٩ وانظرها مختارة بقلم ناظمها في طبقات الشافعية ٥:٢١٩ (٢) كلمة السبكي (٣) ذيول تذكرة الحفاظ ص ٣٤٨ (٤) ذيل تذكرة الحفاظ ص ٣٥ الحاشية

وعدّل وفرّع وصحح وعلل واستدرك وأفاد وانتقى واختصر من تآليف المتقدمين والمتأخرين [1] » فقد حوت علماً كثيراً وتيسيراً على العلماء والطلبة ، وأشير هنا الى ان من اطولها تاريخه الكبير المسمى بتاريخ الاسلام في عشرين مجلداً [2] ، طالعه الحافظ الزملكاني جزءاً جزءاً حتى أنهاه فشهد له بالجلالة [3] ولعله اعظم مؤلفاته الكبار في التاريخ على الاطلاق .

ويليه في الضخامة (سير النبلاء) وهو ما نحن بصدد نشر جزء منه اليوم ، والذي يؤخذ من الذين ارخوا الذهبي ان (النبلاء) مختصر من تاريخه الكبير [4] والذي اميل اليه انه انتقى تراجم من التاريخ الكبير فجمعها في سير النبلاء . والذهبي نفسه تفنن في الاستفادة من تاريخه الكبير فاختصره على عدة مرات ، جاء في شذرات الذهب في صدد مؤلفاته : « منها تاريخ الاسلام ، ومختصر سير النبلاء في عدة مجلدات كثيرة ، ومختصر العبر في اخبار من غبر ، ومختصر آخر سماه الدول الاسلامية ومختصره الصغير المسمى بالاشارة ومختصره ايضاً وسماه الإعلام بوفيات الأعلام [5] » والذهبي في هذا الفن من التاريخ يكاد لا يجاريه احد وكتبه في الرجال على اختلاف فنونها لا يستغني عنها باحث اليوم .

وإليك جريدة مؤلفاته التي جمعتها من مصادر مختلفة [6] ، ولا بد من الاشارة الى انه قد يكون فيها اسمان لكتاب واحد ، كل مصدر يذكره باسم ، كما ان اكثر ما قصر على التراجم هو — في رأيي — جزء من التاريخ الكبير على ما سيمر بك اذا بلغت الكلام على (سير النبلاء) ولعل في غير التراجم ما يدخل ايضاً في هذا الباب :

(١) ذيل تذكرة الحفاظ ص ٣٥ (٢) المصادر السابقة وكشف الظنون ومنه اجزاء في الخزانة الاحمدية بحلب (٣) فوات الوفيات (٤) كشف الظنون (٥) منه نسخة رأيتها في دار الكتب الظاهرية وعليها سماع بخط الذهبي نفسه كتبه سنة ٧٣٥ هـ رقمها : مجموعات ١١٩ / ١١

(٦) فوات الوفيات ٢ : ١٨٣ ذيل تذكرة الحفاظ ص ٣٥ ، ٣٤٨ ، شذرات الذهب ٦ : ١٥٤ . طبقات الشافعية للسبكي ٥ : ٢١٦ فما بعد ، نكت الهميان ص ٢٤٢ ، كشف الظنون ، قاموس الاعلام .. وغيرها .

١ آداب حملة العلم
٢ أحاديث الصفات
٣ أحاديث مختصر ابن الحاجب
٤ أخبار السد
٥ 〃 ابي مسلم الخراساني
٦ اختصار تاريخ الخطيب (جزءان)
٧ 〃 تاريخ ابن السمعاني
٨ 〃 〃 ابن عساكر (عشرة اجزاء)
٩ 〃 〃 نيسابور
١٠ 〃 تقويم البلدان لصاحب حماة
١١ 〃 سنن البيهقي (خمسة اجزاء)
١٢ 〃 كتاب الاطراف (جزءان)
١٣ 〃 كتاب البعث للبيهقي
١٤ 〃 〃 الجهاد لابن عساكر
١٥ 〃 〃 جواز السماع لجعفر الادفوي
١٦ 〃 〃 الرد على الرافضة لابن تيمية
١٧ 〃 〃 الزهد
١٨ 〃 〃 سلاح المؤمن في الادعية
١٩ 〃 〃 العلم لابن عبد البر
٢٠ 〃 〃 الفاروق لشيخ الاسلام الانصاري (مع اختصار وتهذيب)
٢١ اختصار كتاب القدر للبيهقي
٢٢ 〃 〃 المستدرك للحاكم (جزءان)
٢٣ اختصار وفيات المنذري والشريف النسابة
٢٤ الاصابة في تجريد اسماء الصحابة
٢٥ الاعلام والتجريد في اسماء الصحابة [لعلهما واحد]
٢٦ الإمامة الكبرى
٢٧ تاريخ الاسلام (عشرون مجلداً)
٢٨ التاريخ الممتع (ستة اجزاء)
٢٩ تاريخ النبلاء (الاكثر انه سير النبلاء عينه)
٣٠ التبيان في مناقب عثمان
٣١ التجريد في اسماء الصحابة (لعله الذي مر)
٣٢ تحريم الأدبار (جزءان)
٣٣ تذكرة الحفاظ (اربعة اجزاء)
٣٤ تذهيب التهذيب للكمال (ثلاثة اجزاء)
٣٥ ترجمة السلف
٣٦ التلويح بمن سبق ولحق
٣٧ التمسك بالسنن
٣٨ تنقيح احاديث التعليق لابن هوري
٣٩ توقيف اهل التوفيق على مناقب الصديق
٤٠ الثلاثين البلدية
٤١ جزء صلاة التسبيح
٤٢ 〃 في الشفاعة
٤٣ جزءان في صفة النار
٤٤ جزء في فضل آية الكرمي

٤٥ دعاء المكروب
٤٦ دوام النار
٤٧ دول الاسلام
٤٨ الروع والادجال في بقاء الدجال
٤٩ الزلازل
٥٠ الزيادة المضطربة
٥١ سير اعلام النبلاء
٥٢ سيرة الحلاج
٥٣ طبقات الحفاظ
٥٤ 〃 القراء (وسماه القراء الكبار على الطبقات والأعصار)
٥٥ طرق احاديث النزول
٥٦ العباب في التاريخ
٥٧ العبر في اخبار البشر
٥٨ 〃 〃 خبر من غبر (لعله ماقبله)
٥٩ العرش
٦٠ العلو
٦١ فتح المطالب في اخبار علي بن ابي طالب
٦٢ فضل الحج وافعاله
٦٣ قض نهارك بأخبار ابن المبارك
٦٤ الكاشف (اختصار التذهيب)
٦٥ الكبائر
٦٦ كسروثن رتن الهندي ؟
٦٧ اللباس
٦٨ المحرر في اسماء رجال الكتب الستة (في ذيل تذكرة الحفاظ: المجرد)
٦٩ مختصر ذيل ابن الدثيني
٧٠ 〃 في القراءات
٧١ مسألة السماع
٧٢ مسألة الغيب
٧٣ المستحلى اختصار المحلى
٧٤ المستدرك على مستدرك الحاكم
٧٥ المشتبه في الأسماء والأنساب والكنى والالقاب
٧٦ معجم اشياخه وهو ١٣٠٠ شيخ (كبير وأوسط وصغير)
٧٧ المعجم المختص
٧٨ المقتنى في الضعفا
٧٩ المقتنى في الكنى
٨٠ من تكلم فيه وهو موثق
٨١ الموت وما بعده
٨٢ ميزان الاعتدال (ثلاثة اجزاء)
٨٣ نبأ الدجال
٨٤ نعم السمر في سيرة عمر
٨٥ نفض الجعبة في اخبار شعبة
٨٦ هالة البدر في عدد اهل بدر

هذا وقد أعجبتني في الدلالة على براعته في فنه كلمة السبكي اذ قال فيه : « كأنما جمعت الأمة في صعيد واحد فنظرها ثم أخذ يخبر عنها اخبار من حضرها . » كذلك كان رحمه الله .

شيء من نظمه

لعل من تمام الصورة ان نعرض ما عرضه مترجموه من شعره ، فلا مفر لك من أن تجد في كتب الرجال عندنا آخر كل ترجمة وان لم يكن صاحبها شاعراً قولهم : ومن شعره . وقد حلا لي أن أحيي هنا هذا التقليد احتراماً لمترجمنا الذي كان أحد زعمائه الكبار . كان شعره رحمه الله شعر فقيه تغلب فيه آثار صنعته ، ولا غرابة في ذلك ، فأشد شيء أثراً في المرء ما وقف حياته ليلها ونهارها على الاشتغال فيه :

قال التاج السبكي انشدنا شيخنا الذهبي من لفظه لنفسه :

تولى شباب كأن لم يكن ... وأقبل شيب علينا تولى
ومن عاين المنحنى والنقا ... فما بعد هذين الا المصلى [1]

وانشدنا لنفسه وارسل بها معي الى الوالد (يعني تقي الدين بن السبكي) رحمه الله وهي فيما أراه آخر شعر قاله لأن ذلك كان في مرض موته ، قبل موته بيومين او ثلاثة :

تقي الدين يا قاضي الممالك ... ومن نحن العبيد له وانت مالك
بلغت المجد في دين ودنيا ... ونلت من العلوم مدًى كمالك
ففي الاحكام أقضانا علي ... وفي الخدام مع أنس بن مالك
وكابن معين في حفظ ونقد ... وفي الفتيا كسفيان ومالك
وفخر الدين في جدل وبحث ... وفي النحو المبرد وابن مالك
وتسكن عند رضوان قريباً ... كما زحزحت عن نيران مالك

(١) طبقات الشافعية ٥:٢١٦

لتعطى في اليمين كتاب خير ولا تعطى كتابك في شمالك
تشفع في أناس في فراء لتكسوهم ولو من رأس مالك

وذكر بعدها ابياتاً على هذا النمط تتعلق بمدحي لم اذكرها وختمها بقوله :

والذهبي إدلال الموالي على المولى بحلمك واحتمالك[١]

وله منظومة في المدلسين انظرها في الطبقات المذكورة (٥ : ٢١٨)

مآخذ العلماء عليه :

من الواجب ان نذكر هنا ما اخذه عليه بعض العلماء : فقد ذهبوا الى انه يقع أحياناً فيمن خالفه وأحياناً يطوي ذكره أو لا يوفيه حقه ، فاذا كان المترجم حنبلياً أفاض في تقريظه . ومعاصروه أدرى بنصيب المبالغة من هذا الحكم ، إلا أني ارى من الطرافة ان انقل كلام تلميذه السبكي صاحب الطبقات الذي قدمنا لك اعجابه به ورثاءه له . ولعل القارئ لا ينسى ان السبكي أيضاً شديد الميل والعصبية الى الشافعيــة قال : « وكان .. شديد الميل الى آراء الحنابلة ، كثير الازراء بأهل السنة الذين اذا حضروا كان ابو الحسن الأشعري فيهم مقدم القافلة ، فلذلك لا ينصفهم في التراجم ، ولا يصفهم الا وقد رغم منه أنف الراغم : صنف التاريخ الكبير وما أحسنه لولا تعصب فيه[٢] »

☆ ☆ ☆

« وقد انتقده على خطته في تراجم الناس انتقاداً مراً الحافظ ابن المرابط محمد بن عثمان الغرناطي والتاج ابن السبكي ونسباه الى التعصب المفرط ولا تخلو خطته في التراجم من ذلك لا سيما في تراجم الحشوية ومخالفيهم ، لبعــده عن المعقول والعلوم النظرية واكتفائه بالرواية والسماع كما هو شأن غالب الرواة المنصرفين الى السماع والرواية من صغرهم قبل النظر في مبادي العلوم سامحه الله . وقال ابن الوردي في تاريخه : « واستعجل قبل الموت فترجم في تواريخه الأحياء المشهورين بدمشق وغيرها

(١) المصدر السابق ص ٢١٨ (٢) طبقات الشافعية ٥ : ٢١٧

واعتمد في ذكر سير الناس على احداث يجتمعون به وكان في أنفسهم شيء من الناس فآذى بهذا السبب في مصنفاته أعراض خلق من المشهورين [١] . اه

هذا قولهم فيه ، وقلما أرخ مؤلف لمعاصريه إلا كثر فيه الكلام . والمرء يخضع للضعف البشري حين يتكلم على من له معهم العلائق ، وهو متأثر لا شك برضاه وغضبه على رغمه ، مهما اجتهد في الانصاف ؛ وانما يؤاخذ الله المرء بنيته وهو بعد يخطئ ويصيب . وهؤلاء الذين انتقدوه يخالفونه فيما ذهب اليه من مذهب ، فمن ثمة كان رأيهم فيه موضع نظر . وما اكثر من كان عرضة للاتهام بعداء اهل السنة كلما أراد إصلاحاً ، أو نبذاً لبدعة شائعة ، او نقداً لمخطئ تعتقد فيه العامة .

قيمة هذه الرسالة من سير النبلاء :

سير النبلاء [٢] كما في غالب المصادر عشرون مجلداً ، ذكره حاجي خليفة في كتابه كشف الظنون فقال : « هو من جملة ما اختصره من تاريخه الكبير في نحو عشرين مجلداً مرتباً على التراجم بحسب الوفيات وله عليه ذيل في مجلد . وذيله ايضاً الحافظ تقي الدين محمد بن احمد الفامي المتوفى سنة ٨٣٢ هـ » ولصاحب « نكت الهميان » كلمة في التعريف به تفيدنا في معرفة الصورة التي رتب فيها الذهبي هذا الكتاب قال : « وله في تراجم الأعيان لكل واحد مصنف قائم الذات مثل الائمة الاربعة ومن جرى مجراهم لكنه أدخل الكل في تاريخ النبلاء [٣] »

فعلى هذا يكون سير النبلاء مجموعاً من كتب كثيرة عددها يساوي عدد المترجمين فيه ، واذاً تكون رسالتنا التي ظفرنا بها عن ابن حزم أحد هذه الكتب ، وبه نعرف نسق هذا الكتاب الجليل في جزء مهم منه .

قابلت هذه الرسالة بما في تذكرة الحفاظ للمؤلف نفسه عن ابن حزم ، فوجدت خلافاً يسيراً

---

(١) ذيل تذكرة الحفاظ ص ٣٥ الحاشية . (٢) وقد يسمى سير اعلام النبلاء ، وتسميه بعض المصادر : تاريخ العلماء والنبلاء (فوات الوفيات) وبعضها : تاريخ النبلاء : « نكت الهميان وفوات الوفيات »

(٣) هذه الكلمة نفسها في فوات الوفيات

في الترتيب وتفاصيل زائدة ، ورأيت اسلوب اهل الحديث في رسالتنا هذه أظهر ، وفنهم فيها أغلب . فستعرف منها أعلى سند عند ابن حزم وأنزل سند ، وأجود سند ، ولا يدع الذهبي ان يذكر لنا سنده الى ابن حزم .. ثم النبي صلى الله عليه وسلم في عدة أحاديث . فنغتبط اذ نرى اعلام الحجاز والعراق والشام والاندلس واحياناً مصر والمغرب في سند واحد وهو شيء طريف حقاً .

وفيها بعض أشعار لم اجدها في مصدر أصلاً على كثرة المصادر التي اطلعت عليها حين دراستي لابن حزم ، وسأشير الى ذلك اذا وصلت اليه .

اما المزية الظاهرة لهذه الرسالة فهي في حفظ كثير من اسماء مؤلفات ابن حزم فقد ذكر منها نحو السبعين على حين لم استطع ان اجمع في كتابي عن (ابن حزم) أكثر من ثلاثة وخمسين كتاباً وبعضها لا ذكر له في هذه السبعين ، وهي بين كتاب ضخم يبلغ خمسة عشر الف ورقة وجزء قد لا يعدو الأوراق . والذي يدعو الى الغرابة ان يكون بين هذه المؤلفات خمسة عشر في الطب خاصة .

ويستطرد الذهبي في رسالته هذه فيذكر كلاماً نفيساً في الاجتهاد والتقليد و الرياء وأنه داء الفقهاء والتجار الاسخياء والواقفين والمجاهدين ... فيبدو لنا جديداً في اسلوبه يعنى بعض العناية بالتحليل النفسي والمناقشة المنطقية .

ويؤخذ عليه ما يؤخذ على اكثر مؤلفات عصره : شيء من الفوضى في الترتيب وتداخل في الموضوعات لا يصل الى حد تشتيت الذهن ، الا انه في ذلك هنا خير منه في تذكرة الحفاظ . وعدد شيوخ ابن حزم في تذكرة الحفاظ أوفى .

وهذا أوان الشروع في نشر الرسالة : [1]



(١) مزية النسخة التي استنسخها لي الشيخ محمد نصيف انها عن نسخة كتبت في عصر المؤلف وقرئت عليه وعليها خطه . الا انها كثيرة التصحيف وفيها نقص في بعض المواضع وقد توفقت الى وجه الصواب فيها في غير صعوبة ؛ لأن كثيراً من المصادر التي نقل عنها الذهبي ميسورة لنا وساعدني على ذلك اشتغالي السابق بالموضوع ، فأنا اذاً لا أشير الا الى القليل من الخطأ في الاصل . وقد قسمت الرسالة الى موضوعات صغرى جعلتها بين معقوفتين [ ]

نموذج من خط الذهبي صاحب سير النبلاء

سماع بخط الذهبي نفسه على كتابه (الإعلام بوفيات الأعلام)

المحفوظ بدار الكتب الظاهرية (مجموع ١١٦/١١)

سمع الكتاب علي من لفظي كاتبه الامير الفاضل ناصر الدين
ابو الفوارس محمد بن طولوبغا السيفي والقاضي الامام شرف
الدين عبد الرحيم بن عبد الله بن محمد الزبراني والامام شهاب الدين احمد
بن محمد بن سلمان ابن الشرجاني في جمادى الآخرة سنة خمس وثلاثين وسبعمائة
وكتب محمد بن احمد بن عثمان عفا الله عنه وصح بالمدرسة الصدرية

ونصه : سمع الكتاب علي من لفظي كاتبه الأمير الفاضل ناصر الدين ابو الفوارس محمد بن طولوبغا السيفي والقاضي الإمام شرف الدين عبد الرحيم بن عبد الله بن محمد الزبراني والإمام شهاب الدين أحمد بن محمد بن سلمان ابن الشرجاني في جمادي الآخرة سنة خمس وثلاثين وسبعمائة .

وكتب محمد بن احمد بن عثمان عفا الله عنه وصح بالمدرسة الصدرية .



ترجمة ابن حزم منقولة من سير النبلاء للذهبي

الحمد لله

[نسبه ومولده]

ابن حزم الأوحد البحر ذو الفنون والمعارف أبو محمد علي بن أَحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن خلف بن معدان بن سفيان بن يزيد الفارسي الأصل ثم الأندلسي القرطبي اليزيدي مولى الأمير يزيد بن أبي سفيان[1] بن حرب الاموي المعروف بيزيد الخير نائب أمير المؤمنين أبي حفص عمر على دمشق ، الفقيه الحافظ المتكلم الأديب الوزير الظاهري صاحب التصانيف .

وكان جده يزيد مولى للأمير يزيد أخي معاوية ، وكان جده خلف ابن معدان هو أول من دخل الاندلس في زمن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام المعروف بالداخل .

ولد أبو محمد بقرطبة في سنة أربع وثمانين وثلثمائة .

[شيوخه وتلاميذه]

وسمع في سنة أربعمائة وبعدها من طائفة منهم يحيى بن مسعود بن وجه الجنة صاحب قاسم بن أصبغ فهو أَعلى شيخ عنده . ومن أَبي عمر أحمد بن

(١) في الأصل بن سفيان والتصحيح عن ارشاد الأديب وتذكرة الحفاظ .

محمد الجسور ويونس بن عبد الله بن مغيث القاضي وحمام[1] بن أحمد القاضي ومحمدبن سعيد بن نبات وعبد الله بن ربيع التميمي وعبد الرحمن بن عبد الله ابن خالد وعبد اللهبنمحمدبن عثمانوأبي عمر أحمد بن محمد الطلمنكيوعبدالله ابن يوسف بن نامي وأحمد بن قاسم بن أصبغ . وبنزل الى أن يروي عن ابي عمر بن عبد البر واحمـد بن عمر بن أنس العذري ، وأجود ماعنده من الكتب سنن النسائي يحمله عن ابن ربيع عن ابن الاحمر عنه[2] ، وأنزل ماعنده صحيح مسلم بينه[3] وبينه خمسة رجال ، وأعلى مارأيت له حديث بينه وبين وكيع فيه ثلاثة أنفس .

حدث عنه ابنه أبو رافع الفضل وأبو عبد الله الحميدي وولد القاضي أبي بكر [بن] العربي وطائفة ، وآخر من[4] روى عنه مروياته بالإجازة أبو الحسن[5] شريح بن محمد .

[نشأته ونبوغه]

نشأ في تنعم ورفاهية ورزق ذكاء مفرطًا وذهنًا سيالاً وكتبًا نفيسة كثيرة . وكان والده من كبراء اهل قرطبة عمل الوزارة في الدولة العامرية وكذلك وزر أبو محمد في شبيبته . وقد مهر أولاً في الأدب والأخبار والشعر

(١) في الأصل : جهام . والتصحيح عن الصلة لابن بشكوال ص ١٥٦ ورقم الترجمة ٣٤٧

(٢) يعني عن النسائي . (٣) يعني : بين مسلم وبينه . (٤) في الأصل : وآخرين . (٥) في الأصل أبو الحسن بن شريح والتصحيح عن تذكرة الحفاظ إذ جاء ذكره في حديث يرويه الذهبي عن أبي القاسم احمد بن يزيد القاضي عن أبي الحسن شريح بن محمد الرعيني هذا عن ابن حزم . (٣ : ٣٢٩)

وفي المنطق وأجزاء الفلسفة فأثرت به تأثيراً ليته سلم من ذلك ، ولقد وقفت له على تأليف يحض فيه على الاعتناء بالمنطق وتقدمـه على العلوم فتألمت له : فإنه رأس في علوم الإسلام ، متبحر في النقل ، عديم النظير على يبس فيه وفرط ظاهرية في الفروع لا الأصول . قيل إنه تفقه أولاً للشافعي . ثم أَداه اجتهاده الى القول بنفي القياس كله : جليه وخفيه والأخذ بظاهر النص وعموم الكتاب والحديث ، والقول بالبراءة الأصلية واستصحاب الحال . وصنف في ذلك كتباً كثيرة وناظر عليه وبسط لسانه وقلمه ، ولم يتأدب مع الأئمة في الخطاب بل فحج[1] العبارة وسب وجدّع[2] فكان جزاؤه من جنس فعله : بحيث أنه أعرض عن تصانيفه جماعة من الأئمة وهجروها ونفروا منها وأحرقت في وقت ، واعتنى بها آخرون من العلماء وفتشوها انتقاداً واستفادة وأخذاً ومؤاخذة ، ورأوا فيها الدر الثمين ممزوجاً في الرصف بالخرز المهين ، فتارة يطربون ومرة يعجبون ومن تفرده يهزؤون . وفي الجملة فالكمال عزيز ، وكل أَحد يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وكان ينهض بعلوم جمة ويجيد النقل ويحسن النظم والنثر وفيه دين وخير ، ومقاصده جميلة ومصنفاته مفيدة . وقد زهد في الرياسة ولزم منزله مكباً على العلم ، فلا نغلو فيه ولا نجفو عنه ، وقد أثنى عليه قبلنا الكبار :

(١) فحج : تكبر . ولعل (في) ساقطة قبل كلمة : العبارة (٢) جدعة تجديعاً : قال له : (جدعاً لك) والجدع الحبس وقطع الأنف أو الأذن أو اليد ـ القاموس

قال أبو حامد الغزالي : « وجدت في أسماء الله كتاباً ألفه أبو محمد بن حزم الأندلسي يدل على عظم حفظه وسيلان ذهنه »

وقال الإمام أبو القاسم صاعد بن أحمد : « كان ابن حزم أجمع أهل الأندلس قاطبة لعلوم الإسلام وأوسعهم معرفة مع توسعه في علم اللسان ووفور حظه [1] من البلاغة والشعر والمعرفة بالسير والأخبار . أخبرني ابنه الفضل أنه اجتمع عنده بخط أبيه أبي محمد من تواليفه أربعمائة مجلد تشتمل على قريب من ثمانين ألف ورقة [2] . »

قال أبو عبد الله الحميدي : « كان ابن حزم حافظاً للحديث وفقهه مستنبطاً للأحكام من الكتاب والسنة ، متفنناً في علوم جمة ، عاملاً بعلمه ، ما رأينا مثله فيما اجتمع له من الذكاء وسرعة الحفظ وكرم النفس والتدين . وكان له في الأدب والشعر نفس واسع وباع طويل ، وما رأيت من يقول الشعر على البديهة أسرع منه وشعره كثير جمعته على حروف المعجم . »

[تركه الوزارة وإقباله على العلم]

وقال أبو القاسم صاعد : « كان أبوه أبو عمر من وزراء المنصور محمد ابن أبي عامر مدبر دولة المؤيد بالله بن المستنصر المرواني ثم وزر للمظفر ، ووزر أبو محمد للمستظهر عبد الرحمن بن هشام ثم نبذ هذه الطريقة وأقبل على العلوم الشرعية وعني بعلم المنطق وبرع فيه ثم أعرض عنه (قلت: ما أعرض

(١) في الأصل : حفظ، والتصحيح عن تذكرة الحفاظ ـ هـذا ولم نجد الجملة بهذه العبارة في طبقات الأمم المطبوع لصاعد (٢) زاد صاعد : وهذا شيء ماعلمناه من أحد كان في دولة الإسلام قبله إلا لأبي جعفر بن جرير الطبري فانه أكثر أهـل الإسلام تأليفاً ـ طبقات الأمم ص ١١٠ (مطبعة السعادة)

عنه حتى زرع في باطنه أموراً وانحرافاً عن السنة ، قال :) وأقبل على علوم الإسلام حتى نال من ذلك ما لم ينله أحد بالأندلس قبله . »

[حملة خصومه عليه وانصاف الذهبي له]

وقدحط أبو بكر بن العربي على أبي محمد في كتاب (القواصم والعواصم) وعلى الظاهرية فقال : « هي أمة سخيفة تسورت على مرتبة ليست لها وتكلمت بكلام لم تفهمه ، تلقفوه من إخوانهم الخوارج حين حكم علي رضي الله عنه يوم صفين فقالت : (لا حكم إلا لله) . وكان أول بدعة لقيت في رحلتي القول بالباطن فلما عدت وجدت القول بالظاهر قد ملأ به المغرب سخيف كان من بادية إشبيلية يعرف بابن حزم نشأ وتعلق بمذهب الشافعي ثم انتسب الى داود ثم خلع الكل واستقل بنفسه وزعم أنه إمام الأمة : يضع ويرفع ويحكم ويشرع ، ينسب إلى دين الله ماليس فيه ويقول عن العلماء مالم يقولوا تنفيراً للقلوب منهم ، وخرج عن طريق المشبهة في ذات الله وصفاته فجاء فيه بطوام . واتفق كونه بين[1] قوم لا بصر لهم إلا بالمسائل فإذا طالبهم بالدليل كاعوا[2] فيتضاحك مع أصحابه منهم ، وعضدته الرياسة بما كان عنده من أدب ، وبشبه كان يوردها على الملوك ، فكانوا يحملونه ويحمونه بما كان يلقي إليهم من شبه البدع والشرك . وفي حين عودي[3] من الرحلة ألفيت حضرتي منهم طافحة ، ونار ضلالهم لافحة ، فقاسيتهم مع غير أقران وفي عدم أنصار ، إلى حساد يطؤون عقبي ، تارة تذهب لهم نفسي ، وأخرى

(١) في الأصل من والتصحيح عن تذكرة الحفاظ للذهبي (٢) كاعوا : خافوا وجبنوا
(٣) في الأصل : عوده ولا يستقيم بها المعنى ، والتصحيح عن تذكرة الحفاظ

ينكشر لهم ضرسي ، وأنا مابين إعراض عنهم او تشغيب بهم . وقد جاءني رجل بجزء لابن حزم سماه (نكت الاسلام) فيه دواهي فجردت عليه نواهي ، وجاءني آخر برسالة (في الاعتقاد) فنقضتها بـ (رسالة العزة) والأمر أفحش من أن ينقض . يقولون : لا قول إلا ماقال الله ولانتبع إلا رسول الله ، فإن الله لم يأمر بالاقتداء بأحد ولا بالاهتداء بهدي بشر . فيجب أن يتحققوا أنهم ليس لهم دليل وإنما هي سخافة في تهويل ، فأوصيكم بوصيتي: ألا تستدلوا عليهم وان تطالبوهم بالدليل ، فإن المبتدع إذا استدللت عليه شغب عليك وإن طالبته بالدليل لم يجد إليه سبيلاً . فأما قولهم : (لا قول إلا ماقال الله) فحق ولكن أرني ماقال ، وأما قولهم : (لا حكم إلا لله) فغير مسلم على الإطلاق ، بل من حكم الله أن يجعل الحكم لغيره فيما قاله وأخبر به . مع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (وإذا حاصرت أهل حصن فلا تنزلهم على حكم الله لأنك لاتدري ماحكم الله ولكن أنزلهم على حكمك) وصح انه قال : (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء ... الحديث . » اه

قلت : لم ينصف القاضي أبو بكر رحمه الله شيخ أبيه في العلم ، ولا تكلم فيه بالقسط ، وبالغ في الاستخفاف به ، وأبو بكر فعلى عظمته في العلم لا يبلغ رتبة أبي محمد ولا يكاد ، فرحمهما الله وغفر لهما .

[سبب طلبه العلم ، وبلوغه فيه درجة الاجتهاد]

قال اليسع بن حزم الغافقي – وذكر أبا محمد – فقال : « أما محفوظه فبحر عجاج وماء ثجاج ، يخرج من بحره مرجان الحكم ، وينبت بثجاجه

ألفاف النعم في رياض الهم ، لقد حفظ علوم المسلمين وأربى[1] على كل أهل دين ، وألف الملل والنحل ، وكان في صباه يلبس الحرير ولا يرضى من المكانة إلا السرير . أنشد المعتمد فأجاد وقصد بلنسية وبهـا المظفر احد الأطواد . وحدثني عمر بن واجب قال : بينما نحن عند أبي ببلنسية وهو يدرس المذهب إذ بأبي محمد بن حزم يسمعنا ويتعجب ، ثم سأل الحاضرين مسألة من الفقه جووب[2] فيها فاعترض في ذلك ، فقال له بعض الحضار : (هذا العلم ليس من منتحلاتك) فقام وقعد ، ودخل منزله فعكف ، ووكف منه وابل فما كف ، وما كان بعد أشهر قريبـة حتى قصدنا إلى ذلك الموضع فناظر أحسن مناظرة وقال فيها : « أنا أتبع الحق وأجتهد ولا أتقيد بمذهب . »

[كلام للذهبي في الاجتهاد]

قلت : نعم من بلغ رتبة الاجتهاد وشهد له بذلك عدد من الأئمة لم يسغ له أن يقلد ، كما أن الفقيه المبتدي والعامي الذي يحفظ القرآن أو كثيراً منه لا يسوغ له الاجتهاد أبداً ؛ فكيف يجتهد ؟ وما الذي يقول ؟ وعلام يبني وكيف يطير ولما يريش . والقسم الثالث الفقيه المنتهي اليقظ الفهم المحدث الذى قد حفظ مختصراً في الفروع وكتاباً في قواعد الأصول وقرأ النحو وشارك في الفضائل مع حفظه لكتاب الله وتشاغله بتفسيره وقوة مناظرته . فهذه رتبة من بلغ الاجتهاد المقيد[3] وتأهل للنظر في دلائل الأئمة ، فمتى وضح له الحق في مسألة وثبت فيها النص وعمل بها أحد الأئمة الأعلام كأبي حنيفة

(١) في الأصل أزكى وهو تصحيف والتصحيح عن تذكرة الحفاظ (٢) هي في الأصل بواو واحدة

(٣) في الأصل : والمقيد

مثلاً أو كمالك أو الثوري أو الأوزاعي أو الشافعي وأبي عبيد وأحمد وإسحق .. فليتبع فيها الحق ولا يسلك الرخص ، وليتورع ولا يسعه فيها بعد قيام الحجة عليه تقليد . فإن خاف من تشغب عليه من الفقهاء فليتكتم بها ، ولا يتراءى بفعلها ، فربما أعجبته نفسه وأحب الظهور فيعاقب ويدخل عليه الداخل من نفسه . فكم من رجل نطق بالحق وأمر بالمعروف فيسلط الله عليه من يؤذيه لسوء قصده وحبه للرياسة الدينية ، فهذا داء خفي سارٍ في نفوس الفقهاء ، كما أنه داء سارٍ في نفوس المنفقين من الأغنياء وأرباب الوقوف والترب المزخرفة ، وهو داء خفي يسري في نفوس الجند والأمراء والمجاهدين: فتراهم يلتقون العدو ويصطدم الجمعان وفي نفوس المجاهدين مخبأة وكامن من الاختيال وإظهار الشجاعة ليقال .. ولبس العراقي (١) المذهبة والخوذ المزخرفة والعدد المحلاة .. على نفوس متكبرة وفرسان متجبرة . وينضاف إلى ذلك إخلال بالصلاة وظلم الرعية وشرب المسكر ، فأنى ينصرون ؟ وكيف لا يخذلون ؟ اللهم فانصر دينك ، ووفق عبادك . فمن طلب العلم للعمل كره العلم وبكى على نفسه ، ومن طلب العلم للمدارس والافتاء والفخر والرياء تحامق واختال ، وازدرى بالناس وأهلكه العجب ومقتته الأنفس

قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها (أي دسسها بالفجور والمعصية . قلبت فيه الألف سيناً) .

يتبع سعيد الافغاني

(١) العرقية : ما يلبس تحت العمامة والقلنسوة ، مولدة التاج ، وفي الأصل: العراقل وهي تصحيف

مميزات بني أُمية (١)

سيداتي ، آنساتي ، سادتي

فضل بني أمية على قريش

لو حاول باحث ان يتحدث اليكم في موضوع مميزات بني أميـة حتى يصورهم صورة تامة في الجملة لاحتاج الى بضع محاضرات ، ولكن مالا يدرك كله لا يترك جله • قال النسابون واصحاب السير والتراجم : إن أمية تصغير أمة ، والأَمة المملوكة ، والنسب اليه أموى بضم الهمزة فأما من قال أموي بالفتح فقد أخطأ • وبنو أمية من أشرف قبائل قريش يلتقي نسبهم مع الرسول عليه الصلاة والسلام في جدهم عبد مناف • ومناف اسم صنم في الجاهلية مثل العزّى واللاّت ومناة ووُد وسواع ويغوث ويعوق ونسر ، وأميـة الاكبر هو من ولد عبد شمس بن عبد مناف وولده حرب وابو حرب وسفيان وابو سفيان وعمرو وابو عمرو ، وهؤلاء يقال لهم العنابس أى الأُسود • ومن ولده العاص وابو العاص والعيص وابو العيص ، وهؤلاء يدعونهم الأَعياص ؛ وأعياص قريش كرامهم ، يقال ما اكرم عيصه وهم آباؤه واعمامه وأخواله وأهل بيته •

وكان هاشم وعبد شمس والمطلب ونوفل أولاد عبد مناف بن قصيّ هم الذين يذهبون في التجارة الى البلاد المجـاورة · يحمل هاشم الإيلاف لرؤساء القبائل ؛ والإيلاف العهد وشبه الاجازة بالخفارة ، وهو عبارة عن شيء من الربح ، ويجعل لهم مع ذلك متاعاً مع متاعه ، ويسوق اليهم إبلاً مع إبله ، ليكفيهم مؤونة الأسفار ، ويكفي قريشاً مؤونة الأعداء ، فكان المقيم رابحاً والمسافر محفوظاً • والى هذا

---

(١) محاضرة القاها الاستاذ محمد كرد علي في مدرّج الجامعة السورية بدمشق يوم ٣ ذي القعدة ١٣٥٨ و ١٤ كانون الأول ١٩٣٩

الإيلاف الاشارة في سورة قريش (لإيلاف قريش إيلافهم رحلة الشتاء والصيف فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف) والمعنى انه تعالى منّ على قريش بما انعم عليهم من الايلاف الذي به كانوا يمتارون ويتجرون ولا يجوعون ، يرحلون رحلتين رحلة في الصيف وأخرى في الشتاء آمنين من اصحاب الفيل الذين جاءوا من الحبشة الى اليمن ليستولوا على البيت .

وكان هاشم يرحل الى الشام ويقصد الى غَزّة ، وبه سميت غزة هاشم وبها مات ، كما مات حرب بن أمية أيضاً في الشام ، وكان المطلب يرحل الى اليمن ، ونوفل الى فارس ، وعبد شمس الى أكسيوم من ارض الحبشة . فبنو أمية هم الذين هيأوا اسباب التجارة لقريش وانقذوهم من الغصوب ، أي من اخذ مال غيرهم ظلماً وعدواناً . وادخلوا مكة في طور مدني بعد ان كان عيش أهلها معقوداً بظبات السيوف وأسنة الرماح ، وبهم عُرفت قريش في ارض الروم والعجم والحبش ، وعرفوا هم العراق والشام واليمن والحبشة معرفة جيدة ، فبنو عبد مناف هم الذين كانوا اذاً يؤلفون الجوار ويجبرون قريشاً بميرهم ، وكانوا لذلك يسمون المجبرين ، والعرب تسميهم اقداح النضار لطيب أجسامهم وكرم فعالهم .

مكانة أبي سفيان بن حرب

وكان ابو سفيان (صخر بن حرب) — والد معاوية ويزيد وزياد وعتبة وام حبيبة وجويرية — تاجراً عظيماً يجهز التجار بماله واموال قريش الى الشام وغيرها من ديار العجم ، وكان يخرج احياناً بنفسه ، وكانت اليه راية الرؤساء التي تسمى العقاب . واذا حميت الحرب اجتمعت قريش فوضعتها بيد الرئيس ، والعقاب العلم الضخم يعقد للولاة . وقاد ابو سفيان قريشاً كلها يوم أُحد ولم يَقدْها قبل ذلك رجل واحد إلا يوم ذات نكيف ، قادها المطلب ، ويومُ نَكيف وقيل ذي نكيف وقعة كانت بين قريش وبني كنانة بناحية يَلملم من نواحي مكة ، فهزمت قريش بني كنانة ، وكان صاحب امرها عبد المطلب او المطلب . وابو سفيان كان يوم أُحد

ويوم الاحزاب رأس من حاربوا الرسول . ولما كان عائداً في تجارة قريش من الشام أمسك المسلمون عليه الطريق فأبلى بلاء حسناً حتى انقذ اموال التجار ، وكانت تقدر بخمسين الف دينار . وكان اذا ورد بلاد الروم اكرمه الأمراء والأعيان لمكانته في قومه . وكان قبل الاسلام يملك في البلقاء جنوبيّ الشام ضيعة يقال لها نقنّس . وكان في الجاهلية هو وعتبة وابو جهل أفضل الناس رأياً .

حارب ابو سفيان رسول الله يوم كان يصعب عليه ، اول الدعوة ، ان ينزل عن ارستقراطيته وامرته .

وقيل ان معاوية ويزيد اسلما قبل ابيهما ، وكتما عنه اسلامهما ، وكذلك ابنته ام حبيبة واسمها رملة زوجة الرسول اسلمت قبل ابيها . وكانت تحت عبيد الله ابن جحش ، هاجرت معه الى ارض الحبشة فتنصر زوجها ، وثبتت هي على الاسلام ، فبعث الرسول عمرو بن أُمية الضمري الى النجاشي ، فخطب عليه ام حبيبة فزوجها اياه ، واصدقها النجاشي من عنده عن رسول الله اربعمائة دينار . وزار ابو سفيان ابنته ام حبيبة لما قدم المدينة ليعلم الرسول ان يزيد في هدنة الحدَيبية ، ودخل على ابنته فأراد ان يجلس على فراش النبي فطوته دونه ، فقال : يا بُنية أرغبت بهذا الفراش عني أم بي عنه ؟ فقالت : بل هو فراش رسول الله وانت امرؤ نجس مشرك فقال : يا بنية لقد أصابك بعدي شر .

وكان قبل اسلامه هو واولاده من المؤلفة قلوبهم يعطيهم الرسول من الغنائم والأموال ما يتألف به قلوبهم . وأسلم قبيل فتح مكة فقال العباس : يا رسول الله انه (أي أبو سفيان) يحب الفخر فاجعل له شيئاً يكون في قومه فقال : من دخل دار ابي سفيان فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن ومن اغلق عليه بابه فهو آمن ، ومن دخل دار حكيم بن حزام فهو آمن . فلما دخل في الاسلام دين المساواة ، حارب مع رسول الله يوم حُنين والطائف ، وحارب يوم اليرموك تحت راية ابنه يزيد ، كان يقاتل ويقول يا نصر الله اقترب ، يا نصر الله اقترب . وكان يقف على الكراديس يقصّ أي يقف أمام سرايا العسكر ويعظ ، والقاص الداعية .

تميز نساء بني أمية

وتطور ابو سفيان لما أسلم ، واخلص في انتحال الدين الجديد ، كما كان مخلصاً من قبل في دينه القديم ، وابدى براعة حربية في الاسلام كان يبدي مثلها في الجاهلية . قال ابو سفيان للنساء اللاتي مع المسلمين يوم اليرموك — واليرموك النهر الذي كانت عنده الوقعة الفاصلة بين العرب والروم ، وبها فتح الشام كله جنوبه وشماله — وكان كثير من المهاجرات حضرن يومئذ مع أزواجهن وابنائهن وجلسن خلف صفوف المقاتلين : لا يرجع اليكن احد من المسلمين الا رميتنه بهذه الحجارة وقلتن له : من يرجوكم بعد الفرار عن الاسلام واهله ، وعن النساء وهن امام العدو . ولما حمي الوطيس واستقبل النساء مُسرْعان من انهزم من المسلمين أخذن يضربن وجوههن بعمد البيوت او عمد الفساطيط ويرمينهم بالحجارة ويقلن : أين أين عن الاسلام والأمهات والأزواج .

كان لنساء بني أمية وغيرهن مثل جُوَيرية ابنة ابي سفيان وكانت مع زوجها ، ومثل هند بنت عتبة أم معاوية بن أبي سفيان ومثل أم حكيم بنت الحرث بن هشام ، وهذه قتلت سبعة من الروم في مرج الصفر بعمود الفسطاط ، وكانت عروساً ، والخلوق على جسمها تنبعث رائحته — كان لهن من البلاء العظيم يوم اليرموك ما يذكر بالفخر على وجه الدهر : قاتلن بالسيوف حتى سابقن الرجال ، وكان النساء في الجيوش العربية يعملن في طهي طعام المحاربين ، وجلب الماء اليهم ، وغسل ثيابهم ، وتضميد جراحهم ، وتمريض مرضاهم ، وغير ذلك مما تعمله اليوم أعظم نساء الغرب لرجالهم في الحرب .

ويحدثنا المؤرخون انه ما فتحت بلدة في الشام الا وجد على أسوارها وفي ارباضها كثير من رجال بني أمية صرعى ، لكثرة ما عانوا من الجهاد في فتحها . وتدرب يزيد ومعاوية من أبناء أبي سفيان في السياسة والادارة ، وكان معاوية كاتب الوحي ، وكان عمر اذا نظر اليه قال : هذا كسرى العرب . وعقد ابو بكر في خلافته

ليزيد بن ابي سفيان ، وكان يقال له يزيد الخير مع أمراء الجيوش الى الشام وقال : ان اجتمعتم في كيد فيزيد على الناس ، وان تفرقتم فمن كانت الواقعة مما يلي عسكره فهو على أصحابه ، وشيعه الصديق راجلاً وهو راكب وجعل يوصيه ، ولما مات يزيد في طاعون عمواس (سنة ١٨) ، وهو الطاعون الذي هلك به في الشام ألوف من الصحابة وغيرهم ، ضمّ عمر بن الخطاب لمعاوية ما كان من عمل أخيه يزيد ، وهو إمارة دمشق فصارت الشام لمعاوية . اما زياد ابنه الثالث فكان من أدهى العرب ، ومن أعظم رجال الادارة الذين انبغهم الاسلام ، عزله عمر بن الخطاب فقال زياد : أعن عجز عزلتني يا أمير المؤمنين ام عن خيانة ؟ فقال : لا عن ذلك ولا عن هذا ، ولكني كرهت ان احمل على العامة فضل عقلك .

منن بني أمية على العرب وتمدينهم

ولقد كان لأبي سفيان وأبيه حرب منة عظيمة على العرب في الجاهلية ، وذلك بنقلها الخط الى جزيرة العرب من الحيرة ، وما كان الخط معروفاً في الحجاز ، فأثبتا بهذا ان بيتهما النبيل مصدر حضارة أيضاً ، ولأحد رجال بني أمية منة أخرى في الاسلام تعد عظيمة جداً في بابها ، وهي ان امير المؤمنين عثمان بن عفان جمع القرآن ، فنسخه من الصحف وارسل المصاحف التي كتبت منه الى الكوفة والبصرة ودمشق ومكة والمدينة وابقى عنده مصحفاً سموه الإمام ، ولولا عمله المجيد لضاع بعض آيات الكتاب العزيز لاعتماد العرب على الحفظ أكثر من الكتابة ، وكان بعض الصحابة يحفظون ما لا يحفظه غيرهم ، فاذا اتفق ان مات أحدهم يخشى أن يضيع ما كان يحفظه .

وكان امير المؤمنين عثمان يكرم حَرْملة بن المنذر الطائي ، وكان شاعراً نصرانياً يعلم بسير ملوك العجم . وأتى أمير المؤمنين معاوية بأمد بن أبد الحضرمي وبعَبيد بن شَرْية الجرهمي من اليمن يقصان عليه اخبار ملوك العرب والعجم ، وامر بتدوين

ما كانا يوردان عليه ، فكان أول من بدأ بتدوين التاريخ في الاسلام ، واستصفى معاوية كعب الأحبار لكثرة علمه ، وكان يعطف كثيراً على الشاعر سعيد بن عريض بن عادياء أخي السموءل بن عادياء من يهود الحجاز . وحفيد معاوية خالد بن يزيد ، وكان يدعى عالم قريش ، هو الذي زهد في الخلافة كما زهد فيها أخوه معاوية الصغير من قبل وصرف وقته في ترجمة كتب الفلاسفة والنجوم والكيمياء والطب والحرب والصناعات من اللغات القبطية والسريانية واليونانية ، وهو أول من أنشأ خزانة كتب في الاسلام ، والغالب انها كانت في دمشق . وامير المؤمنين عمر ابن عبد العزيز الأموي هو الذي دوّن الحديث وأمر بترجمة كتاب في الطب لينفع به الناس .

ولو لم يكن بنو أمية على جانب عظيم من النبوغ ومعرفة ثاقبة بحكم الناس ماوسد اليهم الرسول الولايات والأعمال العظيمة ، وقد انتقل الى جوار ربه واكثر عماله منهم ، وما كان فيهم أحد من بني هاشم ، وما استطاع الخليفتان الأولان ابو بكر وعمر ان ينقضا ما أبرمه الرسول من ذلك . والوظائف الكبرى توسد في الدول لمن يوثق بهم ، ويعرفون روح الدولة اكثر من غيرهم ، والادارة يبرع فيها المتمرنون عليها ، وبنو أمية كانوا أمراء في الجاهلية وكانوا كذلك في الإسلام ، تناقلوا فيهم حكم الناس كابراً عن كابر .

ميزات معاوية

تولى معاوية الشام أربعين سنة ، عشرين سنة أميراً وعشرين سنة خليفة . وجاء عمر بن الخطاب الى الشام مرة فتلقاه معاوية في موكب عظيم ، فسأله عن سبب هذه الأبهة التي اصطنعها فقال : إننا في بلد لا نمتنع فيها من جواسيس العدو فلا بد لهم مما يرهبهم من هيبة السلطان فان أمرتني به أقمت عليه ، وان نهيتني عنه انتهيت ، فلم يأمره به ولم ينهه . أي أن معاوية اقنع خليفة مثل عمر بن الخطاب الذي كان لا يرى الا الخشونة لنفسه ولعماله ، بتقليد الروم في ظاهرهم . وما حاد معاوية عن

الأصول التي وضعها عمر بن الخطاب في الادارة ، بل أدخل فيها أموراً اقتضاها الزمان والمكان ، ففتح صدره لكل ما استحسنه مما كان عند الأمم المجاورة ، وكانت العرب لا تعرفه ، فأخرج الادارة بذلك من سذاجة البداوة الى بحبوحة الحضارة .

ما كان معاوية يصدر الا عن مشورة ولا يأتمن في ادارة الولايات والأعمال إلا الكفاة من أهل بيته غالباً ، ويستشير ارباب الرأي من انصار دولته ، وكان له منهم مجالس اشبه بمجالس النواب والشيوخ ، ومجالس في الولايات يدعونها مجالس الوفود . واستخدم النصارى في مصالح الدولة ، وكان عمر يمتنع من استخدامهم أو يسلموا ، فعهد الى سرجون بن منصور ثم الى ابنه منصور بن سرجون من نصارى الشام بادارة أمواله ، أي أن بني سرجون كانوا وزراء المال لمعاوية . وكان في جيشه الانباط والجراجمة والعجم وغيرهم من العناصر غير العربية وغير المسلمة ، فقام بتأسيس دولته بما تقوم به الدول ولا ينافي أصول الخلافة .

ومما يعرب عن سعة عقله وأنه عملي في جميع حالاته لا يبالي بالقشور والظواهر متى أوحى اليه العقل رأياً سديداً ما ذكره المؤرخون من أن عبد الله بن قيس غنم من صقلية أصناماً من ذهب مكالة بالجوهر فحملها معاوية من دمشق وأنفذها الى البصرة ومنها الى الهند لتباع فيها لأنه رأى بيعها قائمة اكثر لثمنها ، ولم يبال انتقاد المتزمتين من المسلمين .

توفر معاوية على تحسين آلة الحكم وادخل عليها ما ينفعها ويقويها ، وتسامح ولم يضيق على نفسه ولا على أمته في ادخال التجدد وعرض على جبلة بن الأيهم سيد بني غسان — لما هرب الى الروم لأن عمر أراد ان يقتله بمن قتله — أن يعطيه الغوطة كلها اقطاعاً على أن يعود من الروم ويرجع الى الاسلام ، يريد بذلك ان يتلافى ما وقع من عمر في ذلك ويقوي الاسلام به . وبجميل سياسته أخرج الخلافة من آل عليّ الى بني أمية وأخذها من الحسن بن عليّ بمال دفعه اليه ووعود وعده بها ، وكان بذلك عام الجماعة اي اجماع المسلمين على إمام واحد .

وابتكر معاوية أموراً رأى فيها فائدة عامة منهـا انه أول من وضع الحشم للملوك ، ورفع الحراب بين ايديهم ، ووضع المقصورة التي يصلي فيها الخليفة منفرداً عن الناس ، والشرطة على رأسه اذا سجد ، وهو أول من اتخذ حرس الليل ، وأول من غزا في البحر وأنشأ الأسطول في صناعة صور وطرابلس ، وكان كثيراً ما يطلب من الخليفة الثاني ان يأذن له بصنع الأسطول فلا يرضى بالتوسع في ذلك ، وما سمح بركوب البحر الا للمتطوعة يَبحرُون برضاهم غير مكرهين ولما جاء الخليفة الثالث اطلق معاوية في بناء السفن كما أراد ، وكان معه في فتح رودس وقبرص ألف وسبعمائة سفينة ، هذا عدا السفن التي أحرقت في طرابلس بأيدي أناس من صنائع الروم ، وكان روم القسطنطينية في خوف من أسطوله في البحر ، كما يحسبون الف حساب لجيشه في البر .

بعض أعمال معاوية في اصلاح الدولة

ومن أهم ما قام به تنظيم الجيش ، وادخال الإصلاحات التي تزيد في قوته ، وتجعله ابداً تحت السلاح عند الطلب ، فضاعف لذلك عطاءه وارزاقه ، ووقت اوقاتاً لتناول الرواتب ، فهو اول من نظم الجيش بهذا النظام الغريب ، وجهزه بكل مايلزمه ، وجعل الجندي لايستند في معاشه على غير رزقه من بيت المال . وكان لكل جند من اجناد الشام جيش خاص به من أهل الاقليم الذي يتألف فيه ، والجند هو مانسميه بالفرنسية Le gouvernement militaire فمن جند دمشق ، الى جند الأردن ، الى جند فِلسطين ، الى جند قِنسرين . وأهم ما كانوا يهتمون له المرابطة على الحدود والثغور القريبة من ارض الروم . ولطالمـا ادهش معاوية الروم بصدقه كما ادهشهم بوفائه ودهائه . وقد ارتهن مرة رهائن منهم وضعهم في بعلبك ، فغدر به الروم بعد مدة ، فلم يستحل قتل من في يديه من رُهنهم واخلى سبيلهم وقال : وفاء بغدر خير من غدر بغدر .

ومعاوية اول من وضع البريد ، أحضر رجالاً من دهاقين الفرس فعرفهم مايريد

فوضعوا له البريد واتخذوا له بغالاً بإكاف كان عليها سفر البريد ، وكان لا يجهز عليه الا الخليفة او صاحب الخبر أي مدير الاستخبارات . وكان لصاحب الخبر في الاسلام شأن عظيم كما له عند الدول الحديثة . وهو الذي اخترع ديوان الخاتم وحزْم الكتب ، ولم تكن تحزم ، وجعل على كل قبيلة من قبائل مصر رجلاً يصبح كل يوم فيدور على المجالس فيقول : هل ولد الليلة فيكم مولود وهل نزل بكم نازل ؟ فيقال ولد لفلان غلام ولفلان جارية فيكتب أسماءهم ، ويقال نزل بهم رجل من اهل كذا بعياله فيسميه وعياله ، فاذا فرغ من هذا القبيل اتى الديوان حتى يثبت ذلك . وبهذا كان الخليفة يحصي السكان ولا يفوته خبر المتنقلين في ربوع بلاده .

كان لمعاوية انواع من السياسات برّز فيها حتى عدّ من أعظم ساسة العرب . كان لا يولّي الا السيد المسوّد في قومه ، ويستميل القلوب بالعطاء او بالاقناع او بالإغضاء ، فاذا لم تنجع هذه الوسائل وتوجس شراً ممن اغضى عنه وترضاه فلم يفلح عمد الى القسوة ، وكان يقول لا أضع سيفي حيث يكفيني سوطي ولا اضع سوطي حيث يكفيني لساني ، ولو ان بيني وبين الناس شعرة ما انقطعت . وكان يقول : إني لا أحول بين الناس وبين ألسنتهم ما لم يحولوا بيننا وبين سلطاننا . أي انه يطلق للناس حرياتهم فاذا لجأوا الى اظهار القوة اذاقهم بأسه الشديد . وكان يبذل الأموال العظيمة للعلويين والهاشميين فاذا لامه احد على هذا البذل اجابهم إن الحرب تستلزم نفقات اكثر من هذا العطاء . وكذلك كان ابنه وولي عهده يزيد : اعطى عبد الله بن جعفر اربعة آلاف الف فقيل له : أتعطي رجلاً واحداً هذا ؟ فقال : ويحكم إنما اعطيتها اهل المدينة اجمعين فما يده الا عارية .

واستخدم معاوية القصاص للدعاية السياسية يقعدون في المساجد والمعسكرات يدعون لدولته وينفرون من اعدائها ، وهذه الدعاية لم تكن زمان النبي ولا زمان صاحبيه ابي بكر وعمر ، وكان القاص اذا سلم الامام من صلاة الصبح جلس فذكر الله وحده

ومجده ، وصلى على نبيه ، ودعا للخليفة ولأهله ولأهل بيته وجنوده ، ودعا على اهل حربه . واستخدم ايضاً الشعراء للدعاية ، وزين لهم الدعوة الى التفاخر بالقبيلة والأيام المشهورة ، واخرج الشعر من الهجاء بعض الشيء ، وكان الشعراء في الدهر الغابر كأرباب الصحف في المدنية الحديثة يفعلون في عقول الناس بشعرهم ، خصوصاً اذا كان الشاعر فحلاً مُفلقاً . اما الخطابة فكان جميع أهله خطباء ، وقد كان قوادهم ورجالهم كذلك خطباء أبيناء . وخُطب زياد وعقبة والحجاج من ابلغ ما يؤثر عن خطباء العرب .

ابداع معاوية

كان معاوية يخرّج عماله في الادارة ويعلمهم إياها بالعمل ، ولا يعتمد الا على العظماء والدهاة امثال عمرو بن العاص والمغيرة . وكان من عادته اذا اراد ان يولي رجلاً من آله بني حرب ولاّه الطائف ، فان رأى منه خيراً ومما يعجبه ولاّه مكة معها ، فان احسن الولاية وقام بما ولي قياماً حسناً جمع له معها المدينة ، فكان اذا ولي الطائف رجلاً قيل هو في ابي جاد ، فاذا ولاه مكة قيل هو في القرآن ، فاذا ولاّه المدينة قيل هو قد حذق .

وله في سياسة العناصر ضروب من الابداع منها انه رأى النصارى كثرة غامرة في الشام فما احب اجلاءهم ، وما رأى من السياسة تركهم وشأنهم ، لئلا يستعين بهم الروم على الفاتحين ، فنقل الى الساحل قوماً من زُطّ البصرة والسيابجة وانزل بعضهم انطاكية ، ونقل قوماً من فرس بعلبك وحمص وانطاكية الى سواحل الأردن وصور ، ونقل من أساورة البصرة والكوفة (الأساورة قوم من العجم بالبصرة كالأحامرة بالكوفة) وفرس بعلبك وحمص وانطاكية جماعةً . واسكن حصن سفيان الذي بناه على اميال من طرابلس ، جماعة كثيرة من اليهود ، وأسكن الشام كله جمهرة من القبائل العربية مزجهم بأهلها الأصليين ، فأصبح الساحل كالداخل في هذه الديار غاصاً بالعجم والعرب وبالسود والبيض وبالمسلمين والنصارى واليهود .

رأى معاوية أن ارض الحجاز قاحلة ، يعيش اهلها في شظف من العيش ، على هذا كانوا منذ اقدم عصور التاريخ ، ولما جاء الاسلام وفتحت البلاد و كثرت الأموال فرض عمر بن الخطاب العطاء ، فأصبح الناس يعيشون من عطائهم ، و كان بعضهم يعيشون في الجاهلية من تجارتهم . وفي الاسلام دخل الممتازون في اعمال الدولة ، ولكن هذا لم يدم طويلاً ، على ما تنبأ به حكيم بن حزام لعمر ، فتركت قريش التجارة وا كتفت بالعطاء ، ثم بطل العطاء وبطلت التجارة ، لما تحولت دار الملك من المدينة الى دمشق .

خشي معاوية ان يهلك الناس في الحجاز اذا اعتمدوا على الموسم موسم الحج ، أو على صدقات المسلمين ، فعني في جملة ما عني به من أعماله باصلاح الزراعة في بلاد الحجاز ، فأحيا موات الأرضين ، واحتفر الآبار للسقيا ، واقام سدوداً لخزن المياه والأمطار ، فعاشت الحجاز من ارضها قرناً لم تشهد مثله من قبل ولا من بعد . وسارت أسرته على قدمه في هذا الباب فما ابطلت عمله بل تعهدته ونمته . وتسلسل الفكر ماثل في بني أمية يتم الآخر أبداً ما بدأ به الأول ، لا ينقضه ولا يغيره . واعظم ما فاز به معاوية ان رعيته من اهل الشام كانت تحبه محبة عظيمة ، وبهم وري زناده ووصل الى اهدافه وكتب له النصر على اعدائه .

ميزات بني أمية

ويطول بنا نفس القول اذا اردنا ان نعرض لكل خليفة من خلفاء الأمويين ، وما قام به من الأعمال العظام في السياسة والادارة ، واذا وازنا بين الرجال لا نرى من عيارهم في الدول الخالفة كثيراً ممن يدانيهم ، واين مثل مروان ، وابنه عبد الملك وابنه عبد العزيز وسليمان بن عبد الملك ، والوليد بن عبد الملك ، وهشام بن عبد الملك وعمر بن عبد العزيز ؟ ولعمر بن عبد العزيز في أمور الدولة وسياستها وتنظيم ادارتها ابداع لم يعهد مثله الا لجده لأمه امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وكانت له في باب التقوى والزهد اعمال تتضاءل معها سيرة الزهاد المشهورين .

قال ابن الأثير : ولقد سمعت عن عمر بن العزيز كلمة اعجبتني جداً ، وهي انه قيل له في الذي يُخرجه ويطلقه من الأموال التي لا تسمح نفس ببعضها فقال لهم : أنا فتحت الدكان بعد العصر ، فاتركوني اعمل الخير فكم اعيش ؟ وكذلك كان ٠

ومما امتازت به دولة الأمويين انها كانت دولة عربية صرفة بدمها وأخلاقها وعاداتها ومراميها ومظاهرها ، وكان ابناؤها كلهم يحرصون على التزوج من العربيات من بنات الأشراف ، ولم يكن في جميع خلفائهم من أمه أم ولد غير مروان بن محمد آخر خلفائهم في الشرق ، كانت أمه كردية ، على حين كان العباسيون كلهم ابناء إماء الا اولهم السفاح ، ولذلك جعلوه اول خلفائهم وقدموه على المنصور وهو اكبر منه سناً وعلماً وسابقة ٠ افسد العباسيون دمهم العربي بالاقتران بالاماء ، وافسدوا عصبيتهم بما كان من زهدهم في عنصرهم واعتمادهم على ابناء خراسان وعلى الموالي والعبيد فسقطت الأصول وقامت الفروع بدلها ، وأصبح بنو العباس على طول الأيام خلاسيين وهجناء لا بالعرب ولا بالعجم ٠ اما بنو أمية فما عهد فيهم هذا ، كان دمهم صافياً واخلاقهم متشاكلة ، ويقوم نساؤهم ورجالهم عند الحد الذي رسمته لهم الفطرة ، وقضت به احكام الشريعة ٠

ما سمع في دولة بني أمية ان يتدخل النساء في شؤون الدولة وقد رأينا الحرَم في الدولة العباسية منذ عهد المنصور يتدخلن فيما لا يعنيهن من شؤون الرجال ، ولذلك اوصى المنصور ابنه الا يجعل للنساء سبيلاً الى الدخول في مهمات دولته ٠ وكان من اثر تغيير الدم العباسي واتخاذ أمهات أولادهم من الفارسيات والروميات والكرجيات وغيرهن ان كثرت المؤامرات في قصور الخلفاء ، واصبح قتلهم من الأمور المعتاد وقوعها ، وكانوا — اذا استثنينا منهم المنصور والرشيد والمأمون والمعتصم واثنين او ثلاثة من المتأخرين من خلفائهم — الى ذلّ ليس بعده ذل ، واكثرهم أشبه بمشايخ طرق في زواياهم منهم بخلفاء يأمرون في قصورهم فلا يُعصَون ، ويشهرون الحرب ويعقدون الصلح ، واحكامهم نافذة في القاصية والدانية ٠

ربما يُعترض على هذا بأن الوليد بن يزيد من الأمويين قد قُتل أيضاً ، والغالب ان قتله كان بسبب تخليه عن اليمانية لا لفسقه ولا للهوه كما اتهموه ، وهذه التهمة اذاعوها ليبرروا أمام الأمة مقتله ، اما سائر خلفائهم فكانوا في الغاية من السياسة والشجاعة والحزم والتقوى والعمل ليل نهار على مصالح دولتهم ومصالح الناس . وكان آخرهم مروان بن محمد على غاية العقل وحسن التدبير ، ولما نفذ القضاء سقطت الدولة بيده ، حتى ان الخليفة الذي جار عليه التاريخ — وتاريخ بني أمية كتبه اعداء دولتهم بعدهم ، كما شاءت الأهواء السياسية — ونعني به امير المؤمنين يزيد بن معاوية لم يكن باجماع ثقات المؤرخين بالدرجة التي صوره بها اعداء دولتهم ، ولا هو الذي قتل الحسين ولا امر بقتله ، ولما جاءه خبر مقتله اضطرب ولعن قاتله ، فاتخذ أعداؤه من هذه الفاجعة المؤلمة حجة على الحط من يزيد وآل يزيد .

عمران الأمويين وتأثيراتهم الدينية والمدنية

ومما امتازت به دولة بني أمية غرام رجالها بالعمران ، فقد اقام خلفاؤهم في المشرق أمثال الوليد بن عبد الملك وهشام بن عبد الملك من الجوامع والمستشفيات والخانات ودور الضيافات والقصور والطرق والجسور والسدود وتمصير الأمصار وتحضير البوادي والقفار ما هو عجيبة تلك العصور ، وما زال الجامع الأموي بدمشق وقصر الحير الذي اكتشف في البادية وجيء بنموذج منه الى متحف دمشق شاهدين على تلك العناية الفائقة وتلك المدنية الباهرة . قال احد دهاقين خراسان لعاملها من بني أمية (والدهقان رئيس الاقليم) إنكم بنيتم الايوانات في المفاوز ، فيجيء الجائي من المشرق والآخر من المغرب فلا يجدان عيباً الا ان يقولا : سبحان الله ما أحسن ما بُني .

أما ماقامت به دولتهم في الغرب من الأعمال العظيمة على يد مؤسسها عبدالرحمن الداخل وآل بيته فأعاد به مجد آبائه بعد ان قضى العباسيون في الشرق على كل أموي وأموية فالكلام عليه يطول . ولا نغالي اذا قلنا ان ثلث ماتم للعرب من

حضارة قام في الأندلس بفضل بني أمية ، والثلثان الآخران قاما في بغداد ودمشق والعواصم الأخرى كمصر ونيسابور وشيراز والري وأصفهان وغزنة .

وبما عرف به الأمويون من مرونة سياسية وادارة حكيمة رشيدة انتشر الاسلام وانتشرت اللغة العربية في القاصية من دون ما دعاية ولا تبشير مبشرين ، وامتد ملكهم الواسع في بلاد تبلغ مساحتها نحو ثلاثة ارباع مساحة اوربا ، وقدرها بعضهم بثلاثة آلاف وسبعمائة فرسخ وذلك من سواحل الاطلنطي الى تخوم الصين ، ومن جبال القوقاز وما وراءها الى خط الاستواء وما وراءه . وفي عهدهم دخلت في الاسلام أمم كثيرة من السلالة السامية (العرب والسريان والكلدان) ومن السلالة الحامية (المصريون والنوبيون والبربر والسودان) ومن السلالة الآرية (الفرس واليونان والاسبان والأهاند) والاهاند او الهنادك رجال الهند ، ومن السلالة التورانية (الترك والتتار) وكانت تقام شعائر الاسلام ويقرأ القرآن في قرطبة وفاس كما تقام الصلوات في السند وسمرقند ، وتتلاقى العناصر المختلفة في الموسم بمكة ، وفيهم الاسود والأحمر والأصفر والابيض تجمعهم جامعة الاسلام والطاعة لبني أمية . واصبحت دمشق هذه في نظر المسلمين كرومية في نظر اهل النصرانية ، وما كانت قبل عهد الأمويين تعد شيئاً بين العواصم والحواضر ، ودك العباسيون معالم عمرانها عندما فتحوها مخافة ان ينسب للأمويين شيء من الحسنات تذكر الناس بخصومهم أمس ، وقضوا على كل اثر لهم على نحو ما فعل التتار بالعباسيين في القرن السابع لما استولوا على بغداد عاصمة ملكهم وقضوا على الخلافة العباسية

(يتبع)

اولية تدوين المعاجم
وتاريخ كتاب العين المرويّ
عن الخليل بن أحمد

أحاط بكتاب العين ونشأته كثير من الغموض ، وتضاربت أقوال الناس في مؤلفه تضارباً شديداً ، وكثر الطعن فيه حتى ليصعب على الباحث أن يتخذ لنفسه بشأنه رأياً خالصاً من كل شائبة ، وأين هذا من قيمة الكتاب وحسن الأثر الذي أحدثه في عالم المعاجم العربية إذ كان أولها وفيه ظهر الترتيب على حروف المعجم وعنه أخذ . وقد تعرض بعض علماء عصرنا للبحث في كتاب العين بحثاً ممتعاً [1] وعنوا ببعض نواحيه غير أنهم جميعاً لم يذكروا بالتفصيل تاريخ نشأته وكيفية تأليفه مع أن ذلك فصل جليل القدر من تاريخ علم اللغة العربية بل من تاريخ العلوم العربية عامة لما له من أثر في نشوء ترتيب الألفاظ على حروف المعجم ذلك الترتيب الذي اتخذه مؤلفو العرب نهجاً في التأليف اقروه واستفادوا منه وقدموه خالصاً لعلماء الغرب يجنون منه أحسن الثمر .

وسأحاول في هذا البحث أن أسد هذه الثغرة ما استطعت ، وسبيلي إلى ذلك أن أدرس أولاً أقوال العلماء في كتاب العين واحررها ثم اذكر كيف أسس بناؤه فاستطرد إلى الترتيب على حروف المعجم وأثر الخليل بن احمد في ذلك واختتم البحث في صورة اتمام الكتاب بعد تأسيس بنائه .

---

(١) نذكر منهم على ترتيب تاريخ نشر أبحاثهم الاستاذ جرجي زيدان في تاريخ آداب اللغة العربية ٢ : ١٢٢ — ١٢٤ والاستاذ احمد أمين في ضحى الاسلام ٢ : ٢٦٦— ٢٦٩ والاستاذ وليام مارسيه في درس له عن المعاجم العربية ألقاه عام ١٩٣٦ (اخذ عنه مذكرات الاستاذان محمد المبارك وخلدون الكناني وتفضلا باعارتي هذه المذكرات) والاستاذ الاب انستاس مارى الكرملي في مجلة الثقافة السنة الاولى العدد ٣٢ ص ٤٢— ٤٥ والعدد ٧٢ ص ٣٢—٣٣ الى غير ذلك من الابحاث التي سنذكرها خلال دراستنا هذه .

١ – اقوال العلماء في كتاب العين وتحريرها

لم يُعرف كتاب العين في حياة مَن نُسب إليه اي الخليل بن احمد[١] نابغة العرب ومبدع علم العروض ومثقف الأنغام ، ولم يرو الكتاب عنه تلميذ معروف من تلامذته بل ظهر بعد وفاته سنة ١٧٠ او ١٧٥ ورواه الليث بن المظفر بن نصر بن سيار[٢] من فقهاء خراسان وظهر في كتاب العين ما يدعو اكثر من مرة إلى استنكار نسبته إلى الخليل حتى لقد قيل « اتفق علماء اللغة على كثرة الأغاليط في كتاب العين[٣] » « واطبق الجمهور منهم على القدح فيه[٤] » « فان فيه من التخليط والخلل والفساد مالا يجوز ان يحمل على أصغر أتباع الخليل فضلاً عن نفسه[٥] » والخليل كان امة في اللغة « يُربأ به عن نسبة الخلل إليه[٦] » زد إلى ذلك « ان ما وقع في الكتاب من معاني النحو انما هو على مذهب الكوفيين وبخلاف مذهب البصريين[٧] » مع ان الخليل شيخ البصريين . وهنالك مآخذ أخرى على الكتاب سنراها فيما يأتي ؛ على ان كل هذه الحجج لا تستقيم في تعليل ادعاء

(١) ذكر الاستاذ ابن شنب في معلمة الاسلام الطبعة الافرنسية ٢ : ٩٤٠ والاستاذ بروكلمان في تاريخ الآداب العربية (G. A. L.) ١ : ١٠٠ وفي ذيله له ايضاً ١ : ١٥٩ المظان التي ترجم فيها للخليل بن احمد ونضيف اليها اخبار النحويين البصريين للسيرافي طبعة الاستاذ كرنكو ص ٣٨ والكامل لابن الاثير في وفيات سنة ١٦٠ ، ٦ : ١٨ وتاريخ ابن كثير ١٠ : ١٦١ في وفيات سنة ١٧٠ وغاية النهاية في طبقات القرا ١ : ٢٧٥ ومفتاح السعادة لطاشكبري ١ : ٩٥ وطبقات النحويين لابن قاضي شهبه نسخة الظاهرية تاريخ ٤٢٨ ص ٢٧٩ وتنقيح المقال للمامقاني ١ : ٤٠٢ ومنتهى المقال لابي علي ١٢٨ ورجال ميرزا محمد ١٢٢ وسرح العيون لابن نباته ص ١٤٤ – ١٤٧ طبعة ١٢٧٨

(٢) يترجم له الازهري في تهذيب اللغة ص ٢٧ من طبعة زترستين Zettersten وياقوت في رشاد الاريب طبعة مارجليوث ٦ : ٢٢٢ – ٢٢٧

(٣) النووي ، تهذيب الاسماء واللغات ص ٢٢١

(٤) المزهر مطبعة الاسماعيلية ، ١٢٨٢ ، ١ : ٣٨ و ٥٨

(٥) عن ابن جني في المزهر ، ١ : ٤٠ والبلغة لمحمد صديق حسن خان ، طبعة ١٢٩٦ ص ١٥٨

(٦) عن الزبيدي في المزهر ١ : ٤١

(٧) عن الزبيدي في المزهر ١ : ٤٣ وكشف الظنون طبعة ١٣١١ ، ٢ : ٢٩٠

الليث بن المظفر نسبة الكتاب الى الخليل ، والكتاب إبداع يتمنى كل عالم ان ينسب اليه . وكذلك تضاربت آراء العلماء وانقسموا الى طوائف اربع في امر نسبته الى الخليل .

نسب الى الطائفة الأولى القول بان الخليل لاعلاقة له بكتاب العين فذكر ان ابا بكر بن دريد (٢٢٣ — ٣٢١) قال : « لم يرو هذا الكتاب عن الخليل احد ولا روي في شيء من الأخبار انه عمل هذا البتة[١] » والحق ان ابن دريد لم يقل هذا فقد ورد في كتاب الجمهرة له ما يناقضه[٢] وفي الخبر مغالاة كبيرة وخطأ فقد روى ابن راهويه (—٢٣٨) الفقيه المعاصر لليث ان الخليل شرع في عمله[٣] كما سنرى ذلك ، وذكر لنا ابن فارس (— ٣٩٥) انه قرأ الكتاب مرويا بسند أوصله الى بندار بن لوه الأصفهاني ومعروف بن حسان عن الليث عن الخليل[٤] » وذكر ابو محمد بن درستويه (٢٥٨ — ٣٤٧) انه سمع كتاب العين بهذا الاسناد : « قال ابو الحسن على بن مهدى الكسروي ، حدثني محمد بن منصور المعروف بالزاج المحدث قال قال الليث بن المظفر بن نصر بن سيار كنت اسير الى الخليل[٥] » الى آخر ما ذكر . ورواه ابن عبد البر الاندلسي[٦] (—٤٦٣) وابو بكر محمد بن خير بن خليفة[٧] (٥٠٢ — ٥٧٥) بسند يتصل الى ابي الحسن علي بن مهدي عن ابي معاذ عبد الجبار بن يزيد عن الليث بن المظفر بن سيار الليثي عن ابي عبد الرحمن الخليل . ولعل الناس رأوا ان كتاب العين انتقل الى علماء كثيرين دون رواية فظنوا ان لا رواية له فنسبوا الى ابن دريد مالم يقل

---

(١) في الفهرست طبعة فلوجل ص ٤٢ — ٤٣ (٢) قال في ١/٣ « وقد الف ابو عبد الرحمن الخليل بن احمد . . . كتاب العين فأتعب من تصدى لغايته » (٣) التهذيب للازهري ص ٢٧ وارشاد الاريب لياقوت طبعة مارجليوث ٦ : ٢٢٣ (٤) المقاييس في اللغة نسخة مصورة في المجمع العلمي ص ١ (٥) في الفهرست ٤٣ (٦) في المزهر ١ : ٤٦ (٧) في فهرسة مارواه عن شيوخه في المكتبة الاندلسية ص ٣٤٩

وذكروا عن ثعلب (٢٠٠ — ٢٩١) انه قال ان « كتاب العين موجود ولا رواية له[١] » وقالوا سئل النضر بن شُميل (— ٢٠٣) عنه فأنكره فقيل له : لعله ألفه بعدك ، فقال : اوخرجت من البصرة حتى دفنت الخليل بن احمد[٢] » ولعلهم نسوا ان النضر لو كان صاحب الكتاب لما كان نسبه الى الخليل بل تبجح به . وذكر الزبيدي في رفض الكتاب مايلي[٣] « لما ورد كتاب العين من بلد خراسان في زمن ابي حاتم انكره ابو حاتم واصحابه اشد إنكار ودفعه بأبلغ الدفع ، وكيف لا ينكره ابو حاتم على ان يكون بريئًا من الخلل سليماً من الزلل وقد عبر أصحاب الخليل بعد مدة طويلة لا يعرفون هذا الكتاب ولا يسمعون به منهم النضر بن شميل ومؤرج ونصر بن علي وابو الحسن الأخفش وامثالهم ... ثم ظهر الكتاب بأُخَرَةٍ في زمان ابي حاتم وفي حال رياسته وذلك فيما قارب الخمسين والمائتين لأن ابا حاتم توفي سنة ٢٥٥[٤] » وليس في هذا القول تحقيق فكيف لا يعرفه ابو فيض مؤرج بن عمرو السدوسي العجلي[٥] وقد استدرك عليه كما يقول ابن النديم[٦] واستدرك عليه النضر بن شميل[٧] ايضاً واذ قد عرفه مؤرج (توفي سنة ١٩٥) والنضر بن شميل (توفي سنة ٢٠٣ او ٢٠٤) فهو قد انتقل من خراسان قبل سنة ٢٥٠ ففي هذا الخبر أغلاط تاريخية تجعلنا نشك في بقيته اذ تقول « ولم يلتفت اليه احد من العلماء ، ولا استجازوا رواية حرف منه ولو صح الكتاب عن الخليل لبدر الاصمعي واليزيدي وابن الاعرابي واشباههم الى تزيين كتبهم وتحلية عملهم عن الخليل والنقل لعلمه وكذلك من بعدهم كأبي حاتم وابي عبيد ويعقوب وغيرهم من المصنفين فما علمنا احدا نقل في كتابه عن الخليل من اللغة حرفًا » ، واذا

(١) الفهرست ٦٠ (٢) ارشاد ٦ : ٢٢٧ وانظر عن النضر بروكلمان ١ : ١٠٢ وذيله ١ : ١٦١ (٣) المزهر ١ : ٤٢ (٤) المزهر ١ : ٤٢ وانظر عن ابي حاتم سهل بن محمد السجستاني بروكلمان ١ : ١٠٧ وذيله ٢ : ٦٧ (٥) انظر بروكلمان ١ : ١٠٢ (٦) الفهرست ٤٣ (٧) كشف الظنون ٢ : ٢٩١ ، نزهة الالباء للانباري ، طبعة ١٢٩٤ ، ص ١١١ ، وفيات الاعيان ٢ : ١٠٣

قبلنا ان هؤلاء العلماء لم يستجيزوا الرواية من الكتاب فذلك لأنهم لم يثقوا براوي الكتاب والحق يقال اننا لم نتلق خبراً موثوقاً عنهم ينفي اثر الخليل من الكتاب نفياً باتاً حتى إن الزبيدي الذي يورد هذه الاعتراضات لا ينفي عن الخليل يده في الكتاب .

والطائفة الثانية تنسب الكتاب الى الخليل وعلى رأسها ابن فارس (— ٣٩٥) الذي يدعي ان « اعلا كتب اللغة كتاب ابي عبد الرحمن الخليل بن احمد المسمى كتاب العين[١] » ومنها الانباري الذي يقول ان « الخليل اول من ضبط اللغة واملي كتاب العين على الليث بن المظفر[٢] » ويقول بتأليف الخليل للكتاب ابن خلدون[٣] وابو بكر بن خليفة[٤] ومحمد صديق حسن خان[٥] وابن شنب[٦] ولعلهم حين قالوا بذلك لم ينتبهوا الى المطاعن على الكتاب ، ودليلنا على ذلك ان ابن فارس حين يذكر اخطاء كتاب العين يخشى ان ينسبه بنفسه الى الخليل فيقول « واما الكتاب المنسوب الى الخليل فان فيه من الأخلال مالاخفاء به على علماء اللغة[٧] » وكذلك يبدو ان هذه الطائفه لم توثق قولها بدليل بل القته على عواهنه بلا تحرير .

والطائفة الثالثة تدعي ان الخليل شرع بالكتاب ومات قبل ان يتمه فأتمه الليث . واول من قال بذلك على ما نعلم اسحاق بن ابراهيم الحنظلي بن راهويه الفقيه (— ٢٣٨) وهو عالم خراسان تلك البلدة التي ألف فيها الكتاب فقد ثبت عنه انه قال « كان الليث بن المظفر رجلاً صالحاً ومات الخليل ولم يفرغ من كتاب العين فأحب الليث ان ينفق الكتاب كله فسمى لسانه الخليل[٨] » وذُكر عنه انه قال « كان الخليل عمل منه باب العين وحده وأحب الليث ان ينفق سوق

(١) المقاييس في اللغة ص ١ (٢) نزهة الالباء ٥٥ (٣) المقدمة في باب اللغة .
(٤) فهرسة ما رواه ٣٦٩ (٥) البلغة ٢٦ (٦) معلمة الاسلام الطبعة الافرنسية ٢ : ٩٤٠
(٧) الصاحبي في فقه اللغة ، مط المؤيد ١٣٢٨ ، ص ١٨ (٨) التهذيب ٢٧ ارشاد الاريب ٦ : ٢٢٢

الخليل فصنف باقيه[١] » وثانيهما السيرافي (—٣٦٨) فقد قال في طبقات النحاة في ترجمة الخليل « عمل اول كتاب العين المعروف المشهور[٢] » وهذه العبارة كما يقول السيوطي « صريحة في ان الخليل لم يكمل كتاب العين[٣] » وثالثهما الازهري (٢٨٢—٣٧٠) ويدعي « انه لم ير خلافاً بين اللغويين ان الثابت المحمل في اول كتاب العين لأبي عبد الرحمن الخليل بن احمد وان ابن المظفر أكمل الكتاب عليه بعد تلقفه اياه عن فيه[٤] » ويتبع هؤلاء عدد من العلماء[٥]

وقد حيكت الأقاصيص حول هذه الفكرة فروي عن الحسن بن علي المهلبي ان الخليل كافأ الليث بالكتاب فحرقته امرأة الليث نكاية بزوجها ، وكان قد حفظ نصفه فرغب الى العلماء ان يجمعوا النصف الآخر ، وكذلك خرج الكتاب غير متساوي التأليف[٦] . واقوال هذه الطائفة جميعاً مردودة عند من درس الكتاب فوجد ان المآخذ عليه هي في اول الكتاب وآخره وفي باب العين وغيره من الابواب كما سنرى ، ولو انها تزيد وتنقص تبعاً للابواب .

والرأي الذي ينجو من كل اعتراض وجيه قول الطائفة التي ترى ان الخليل رسم الكتاب ولم يحشه ، اي انه وضع ابواب الكتاب ورتبها ثم حصر الابنية المستعملة والمهملة دون ان يذكر معناها واشتقاقها ونذكر في اولها احمد بن يحيى ثعلب (٢٠٠ – ٢٩١)[٧] الذي يقول : « انما وقع الغلط في كتاب العين لان الخليل رسمه ولم يحشه ، ولو كان هو حشاه لما بقي فيه شيء لان الخليل رجل لم ير مثله[٨] » ويأخذ بهذا الرأي ابو الطيب اللغوي (توفي بعد ٣٨١) في

---

(١) ارشاد الاريب ٦ : ٢٢٣ وكشف الظنون ٢ : ٢٩٠ (٢) اخبار النحويين البصريين نشره الاستاذ كرنكو بيروت ١٩٣٦ ، ص ٣٨ وعنه في بغية الوعاة ٢٤٣ (٣) المزهر ١ : ٣٨ (٤) التهذيب ٣٩ (٥) ياقوت في ارشاده ٤ : ١٨٢ ، سرح العيون ، ص ١٤٤ (٦) طبقات الشعراء في مدح الخلفاء والوزراء لابن المعتز ، طبعة عباس اقبال ، ١٩٣٩ ، ص ٣٨ ـ ٣٩ مفصلا وعنه ارشاد الاريب ٦ : ٢٢٣ ، المزهر ١ : ٣٩ ، بغية الوعاة ٢٤٥ (٧) انظر عنه في ذيل بروكلمان ١ : ٢٨١ (٨) المزهر ١ : ٣٩ وكشف الظنون ٢ : ٢٩٠ وكل ذلك نقلا من أبي الطيب اللغوي .

كتاب مراتب النحويين ويقول بأن الخليل «هو الذي رتب ابوابه وتوفي من قبل ان يحشوه[1]» وبذلك يأخذ الزبيدي (٣١٦ — ٣٧٩) ملخص كتاب العين والمستدرك عليه حين يقول «وا كثر الظن فيه ان الخليل بوب اصله وثقف كلام العرب ثم هلك قبل كماله[2]» ورأي هذه الطائفة اقرب الآراء جميعاً الى الصحة وابعدها وقوعاً في الاعتراضات التي رأيناها في صدر بحثنا ، ولكنه مقتضب يقتضي الشرح وناقص لا يفي للخليل بكل حقه من الكتاب .

(يتبع) يوسف العش



(١) المصدران السابقان (٢) المزهر ١ : ٤١ وكشف الظنون ٢ : ٢٩١ . ويتحفظ ابن جنى (— ٣٩٢) اكثر من ذلك فيقول ترجيحاً : « فان كان للخليل فيه عمل فانه أومأ الى عمل هذا الكتاب ايماء ولم يله بنفسه » (نزهة الالباء ٥٥) ويقرب من رأي ابن جنى غير انه أوسع وأضبط رأي صاحب مقالة « كتاب العين وطبعه » في لغة العرب السنة ٤ ، الجزء الثاني آب ١٩١٤ ، ص ٥٧ اذ يقول : « أما رأينا الخاص فهو ان مدون نص العين هو الليث واما الذي يروي عنه اغلب ماجاء في النص فهو الخليل بن احمد كما انه هو الذي دفع الليث الى تدوينه بصورته المعهودة »

مخطوطات ومطبوعات

الفرزدق

أنشأ الاستاذ خليل مردم بك رسالةً أوجز فيها الكلام على الفرزدق ، فأشار الى نسبه ، وأفاض في ذكر أخباره وفي الحوادث التي كان لها أثر في حياته ، ولم يغفل شيئاً من صفاته ومن أخلاقه ومن التناقض في هذه الأخلاق ، وتعرّض لهواه السياسي ولعصبيته العربية ، ووصف شعره الذي يمثل حياة العصر الأموي أكثر من كل شاعر إسلامي ، وتكلم على ما في هذا الشعر من آثار الاسلام والعصبية العربية والقرآن ، وعلى ما تضمنه من شوارد اللغة وفُصحها ، ومن أخبار العرب وأيامهم ولم يفته ذكر ما صبغ به من صباغ بدوي ، فقد كان شعر الفرزدق سجل حياته ومرآة عصره ، وتصدّى الاستاذ للمفاضلة بين الفرزدق وجرير وذكر أقوال طائفة من الشعراء والأدباء فيها ، ثم اندفع في توضيح مواضع شتى من شعر الفرزدق مثل فخره وهجائه ومدحه ووصفه وغزله ورثائه وأدبه وحكمته ، وأرسل الكلام على كل ناحيةٍ من هذه النواحي ، وكان في كل موطن من هذه المواطن يستشهد بطائفة من شعر الفرزدق حتى يكون كلامه قريباً من الأذهان .

وختم الأستاذ خليل مردم بك رسالته بعبارة دلت على تواضعه وانصافه فقد قال : هذه دراسة موجزة للفرزدق شاعر العرب في العصر الأموي ورأس الشعراء الإسلاميين لا أدعي أنها كاملة ولكن أرجو ان تكون صحيحة .

وحقيقة القول ـــ ان القارئ يفرغ من هذه الرسالة ونصب عينيه صورة للفرزدق تمثله في كل النواحي التي أتى على ذكرها الاستاذ تمثيلاً صحيح الوجوه ويغلب على الرسالة تهذيب البيان وهو عنوان تهذيب نفس واضعها وعنوان أدبه السامي في حياته وأحاديثه ومجالسه

شفيق جبري

اعلام النساء

في عالمي العرب والاسلام

هذا كتاب جليل جمع فيه مؤلفه السيد عمر رضا كحالة آلافًا من أسماء النساء العربيات وسير ذوات المناقب الفضلى والمواهب الفذة منذ أيام الجاهلية حتى مشارف عصرنا الجديد ، ولقد رتب هذه الأسماء والسير ترتيبًا معجميًا بدأه بالألف وأنهاه بالياء وقسم هذه الحروف على صفحات كتابه الضخم الذي جاء في ثلاثة أجزاء

ولعل التوفيق الذي ظفر به السيد كحالة في وضعه هذا المعجم الطريف قد واتاه من عمله اليومي فهو من موظفي دار الكتب الأهلية في مجامع المجمع العلمي العربي في دمشق ، كان دأبه طول ايامه الهادئة البحث والتنقير في تضاعيف الكتب المخطوطة والمطبوعة عن مشهورات النساء اللاتي خلدن آثاراً بارزة في العلم والأدب او العمران والاحسان ، فاستطاع بما أوتيه من صبر على التنقيب ورغبة صادقة في نشر مآثر العربيات والمسلمات ان يؤلف هذا السفر النفيس الذي جاء مفخرة لأمتنا العربية ، فما أحسب أمة مهما بلغت حضارتها وثقافتها في قديم الدهر وحديثه استطاعت ان تنجب امثال هاتيك النساء الفضليات .

وهذه لعمري ظاهرة شموخ ورفعة نكاثر بها على الزمان ونفاخر في مساجلات ليلى الاخيلية ومطارحات فضل الشاعرة ورثاء الخنساء وبطولة بنت الأزور وشمم بنت الصديق ام عبد الله بن الزبير وأدب باحثة البادية وقصائد التيمورية وأمثال ذلك كثير لا يحصيه عد في كتاب الاستاذ كحالة — ما يحفز المرأة العربية المعاصرة ويهيب بها لنهضة شماء شاملة تسير فيها على سنن الغوابر من هؤلاء النساء البواهر فتعود اليها أمجادها .

فأنا أكبر صنع السيد عمر رضا كحالة الذي دل مؤلفه على حسن اختيار وبراعة تنقيب وأشكر المكتبة الهاشمية التي أنفقت على طبع الكتاب في هذا الزمن العصيب الذي اشتدت فيه ازمة الطباعة والورق .

وداد سكاكيني

آراء وأنباء

تراجم الرجال

تاريخ القرن الثالث عشر — إلى رجال العلم وحملة الأقلام

لا يخفى ان اول من صنف في تراجم الرجال من علماء وادباء وامراء ووجهاء هو قاضي القضاة ابن خلكان الذي بدأ تاريخه من الهجرة النبوية وانتهى فيه الى اثناء قرنه السابع ، ثم جاء بعده الإمام الحافظ ابن حجر فوضع مصنفاً في تراجم رجال القرن الثامن من ٧٠١ — ٨٠٠ ثم تلاه العلامة الحافظ السخاوي فصنف كتاباً في تراجم رجال القرن التاسع من ٨٠١ — ٩٠٠ ثم جاء العلامة نجم الدين الغزي فألف تاريخه في رجال القرن العاشر من ٩٠١ — ١٠٠٠ ثم تلاه الأديب الكبير السيد محمد امين المحبي فوضع مؤلفاً في تراجم رجال قرنه الحادي عشر من ١٠٠١ — ١١٠٠ ثم جاء بعده مفتي دمشق الاسبق السيد محمد خليل المرادي فوضع تاريخاً لرجال قرنه الثاني عشر من ١١٠١ — ١٢٠٠ وقد طبع اكثر هذه الكتب وانتفع بها .

ولقد كان هذا العاجز منذ أربعين سنة مولعاً بإكمال هذه السلسلة التاريخية داعياً إلى وضع تاريخ لرجال القرن الثالث عشر من ١٢٠١ — ١٣٠٠ فجمعت في نحو سنتين نحو مائتي ترجمة بيضتها في مجموع أحفظه حتى الآن وفيه الكثير من اسر دمشق ومصر ونابلس وحمص وقليل من علماء العراق والحجاز واليمن وحلب وحماة وطرابلس ثم فترت الهمة فكنت في هذه المدة الطويلة ألحق بذلك المجموع مايقع في يدي من التراجم كلما سنحت لي فرصة ، وربما بلغ الجميع حتى الآن مايزيد على ثلاثمائة ترجمة لمشاهير القرن الثالث عشر ، واني اعتقد بان مجموعي لم يزل ناقصاً من تراجم بعض رجال ذلك القرن ، وهذا ما يدعوني الى ان اعلن على صفحات الجرائد والمجلات العلمية رجائي من رجال العلم وحملة الأقلام بأن يتحفوني بما لديهم وما تصل اليه ايديهم من تراجم من وقعت وفاتهم في القرن المذكور من سنة ١٢٠١ — ١٣٠٠ بما يوافق نهج المحبي والمرادي المذكورين اتماماً لهذه السلسلة التاريخية البديعة فان في ذلك تخليد ذكرى الأسلاف الصالحين والأجداد .

محمد جميل الشطي

عُدى وعِدى

قرأت في الجزء الأول من المجلد السادس عشر من مجلة المجمع العلمي كلمة الزميل الاستاذ المغربي المعنونة بـ (الراديو وأثره في نشر اللغة) ولما بلغت الى تعبير (الديبلوماسيين) الجديد وتقسيمهم الناس الى محارب وحيادي او مسالم ولا محارب واقتراحه استعمال عُدى مضمومة العين للمحارب وعِدى مكسورة العين للامحارب أعجبت بما اتفق له من وقوع نظره على هاتين الكلمتين اللتين تصلحان للقيام مقام كلمتي (المحارب) و (اللامحارب) وقلت رب اتفاق خير من تعمد ورب صدفة خير من ميعاد .

رأى هذه التفرقة بين هذين الحرفين في محيط المحيط للبستاني وفي أقرب الموارد وانه بعد مراجعة اللسان والتاج والصحاح والاساس والمصباح لم يعثر في هذه المعاجم على هذه التفرقة وبقي في نفسه شيء لعدم وقوفه على المصدر الذي اعتمده صاحبا محيط المحيط واقرب الموارد في هذه التفرقة فذكرت انني كنت قد وقفت على هذه التفرقة في عهد غير بعيد في المخصص ففي السفر الثالث عشر الصفحة ١٣٣ من المخصص: «ابن السكيت: قوم عِدى وعُدى بالكسر والضم فاذا أدخلوا الهاء ضموا أوله فقالوا: عُداة . يحيى: العُدى بالضم الأعداء الذين نقاتلهم . وبالكسر الذين لا نقاتلهم . حكاه عنه ابن جني»

التشاوس والتضارس

وفي هذه الصفحة من هذا السفر ما يقوم مقام (المحارب) و (اللامحارب) تشاوس القوم تعادوا . وتضارس القوم تعادوا وتحاربوا سليمان ظاهر

استدراك

وقعت في صدر الجزء الأول هفوات في أسماء اعضاء المجمع دعا اليها انقطاع المواصلات بين البلاد فدخل الاستاذان الشيخ خليل الخالدي والدكتور سعيد ابو جمرة في الراحلين وما زالا ولله الحمد في الحياة مدَّ الله في عمرهما . وسقط اسم الاستاذ الشيخ محمد بهجت الاثري من بين اعضاء بغداد وهو مازال عضواً مؤازراً وما نسي القراء ايادية البيض على الآداب .

مجلة المجمع العلمي العربي

الجزء العاشر　　تشرين الاول سنة ١٩٤١　　شوال سنة ١٣٦٠

ابن حزم في (سير النبلاء)

٢

[مؤلفاته]

قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام و كان احد المجتهدين : « ما رأيت في كتب الإسلام من العلم مثل المحلى لابن حزم و كتاب المغني للشيخ موفق الدين .»

قلت : لقد صدق الشيخ عز الدين ، وثالثهما السنن الكبير للبيهقي ورابعهم [كذا] التمهيد لابن عبد البر . فمن حصل هذه الدواوين و كان من أذكياء المفتين ، وادمن المطالعة فيهم [كذا] ، فهو العالم حقاً .

ولابن حزم مصنفات جليلة اكبرها :

كتاب الإيصال الى فهم كتاب الخصال (خمسة عشر الف ورقة)— وكتاب الإيصال الحافظ لجمل شرائع الاسلام (مجلدان)— و كتاب المحلى بالآثار في شرح المجلى بالاختصار (ثماني مجلدات) - و كتاب حجة الوداع (مئة وعشرون ورقة)— و كتاب قسمة الخمس في الرد على إسماعيل القاضي (مجلد) — و كتاب الآثار التي ظاهرها التعارض ونفي التناقض

عنها (يكون عشرة آلاف ورقة لكن لم يتمه) — وكتاب الجامع في صحيح الحديث بلا أسانيد — وكتاب التلخيص والتخليص في المسائل النظرية — وكتاب ما انفرد به مالك او ابو حنيفة او الشافعي — ومختصر الموضح لأبي الحسن المغلس[1] الظاهري (مجلد) — وكتاب اختلاف الفقهاء الخمسة مالك وأبي حنيفة والشافعي وأحمد وداوود — وكتاب التصفح في الفقه (مجلد) — وكتاب التبيين في هد[2] علم المصطفى أعيان المنافقين (ثلاثة كراريس) — وكتاب الإملاء في شرح الموطأ (الف ورقة) — وكتاب الإملاء في قواعد الفقه (الف ورقة أيضاً) — وكتاب الإجماع (مجيليد) — وكتاب الفرايض مجلد — وكتاب الرسالة البلقا في الرد على محمد[3] عبد الحق بن محمد الصقلي (مجيليد) — وكتاب الإحكام لأصول الأحكام (مجلدان) — وكتاب الفصل في الملل والنحل (مجلدان كبيران) — وكتاب الرد على من اعترض على (الفصل) له — وكتاب اليقين في نقض تمويه المعتذرين عن إبليس وسائر المشركين (مجلد كبير) — وكتاب

(١) هو أبو الحسن عبد الله بن أحمد بن محمد بن المغلس الداوودي الظاهري البغدادي الفقيه أحد علماء الظاهر وإليه انتهت رياسة الداووديين في وقته. ولم ير مثله فيما بعد وكان فاضلاً عالماً نبيلاً صادقاً ثقة مقدماً عند جميع الناس. ومنزله ببغداد على نهر مهدى يقصده العالم من جميع البلدان. توفي سنة ٣٢٤ وله كتاب الموضح (جوابات) الذي اختصره ابن حزم — الفهرست ص٣٠٦ (سنة١٣٤٨هـ) وشذرات الذهب

(٢) كذا في الأصل ولعلها زائدة أو محرفة عن (هل)

(٣) كذا ولم نهتد إلى معرفته فيما بين أيدينا من المظان، وقد أدرنا الاسم على كل الوجوه التي نقدر أنه مصحف عنها: فتشنا عن محمد بن عبد الحق، وأبي محمد بن عبد الحق، وأبي محمد عبد الحق فلم نجد من يمكن أن يكون مقصوداً ولو بإهمال اسم الأب غير أبي محمد عبد الحق بن هرون الفقيه الصقلي احد المشايخ الكبار، رحل إلى المشرق وأخذ عنه كثيرون منهم سليمان بن يحي بن عثمان بن أبي الدنيا أحد العدول بقرطبة، وخلف بن إبراهيم المقري المعروف بابن الحصار الخطيب بالمسجد الجامع بقرطبة فقد رحل إلى صقلية وجالس فيها عبد الحق هذا — انظر (المكتبة الصقلية المطبوعة سنة ١٨٨٧ ليبزيغ): الذيول ص ٤٦، ٤٨.

الرد على ابن زكريا الرازي (مئة ورقة) — وكتاب الترشيد في الرد على كتاب الفريد لابن الراوندي في اعتراضه على النبوات (مجلد) — وكتاب الرد على من كفر المتأولين من المسلمين (مجلد) — وكتاب مختصر في علل الحديث (مجلد) — وكتاب التقريب لحد المنطق بالألفاظ العامية (مجلد) — وكتاب الاستجلاب (مجلد) — وكتاب نسب البربر (مجلد) — وكتاب نقط العروس (مجيليد) ... وغير ذلك .

ومما له في جزء أو كراس :

مراقبة أحوال الإمام[1] من ترك الصلاة عمداً — ورسالة المعارضة — [1]قصر الصلاة — ورسالة التأكيد — [1]ماوقع بين الظاهرية وأصحاب القياس — وفضائل الأندلس — والعتاب على أبي مروان الخولاني — ورسالة في معنى الفقه والزهد — ومراتب العلماء وتواليفهم — والتلخيص في أعمال العباد — والإظهار لما شنع به على الظاهرية وزجر الغاوي (جزءان) — والنبذ الكافية — والنكت الموجزة في نفي الرأي والقياس والتعليل والتقليد (مجلد صغير) — والرسالة اللازمة لأولي الأمر — ومختصر الملل والنحل (مجلد) — والدرة فيما يلزم المسلم (جزءان) — ومسألة في الروح — والرد على إسماعيل اليهودي الذي ألف في تناقض آيات النصائح المنجية — والرسالة الصمادحية في الوعد والوعيد — ومسألة الإيمان — ومراتب العلوم — وبيان غلط عثمان بن سعيد الأعور في المسند والمرسل — وترتيب سؤالات عثمان الدارمي لابن معين — وعدد

(١) لعل إسقاط الواو هنا من سهو الناسخ

مالكل صاحب في مسند بقي —[1] تسمية شيوخ مالك —[1] السير والأخلاق (جزءان) — وبيان الفصاحة والبلاغة[2] رسالة في ذلك لابن حفصون — ومسألة هل السواد لون أو لا - والحد والرسم - وتسمية الشعراء الوافدين على ابن أبي عامر — وشيء في العروض — ومؤلف في الظاء والضاد - والتعقب على الاقليلي في شرحه لديوان المتنبي — وغزوات المنصور بن أبي عامر - وتأليف في الرد على أناجيل النصارى ... وأشياء سوى ذلك .

ولابن حزم رسالة في الطب النبوي ذكر فيها أسماء كتب له في الطب منها :

مقالة السعادة — ومقالة في شفاء الضد بالضد — وشرح فصول بقراط - وكتاب بلغة الحكيم — وكتاب حد الطب — وكتاب اختصار كلام جالينوس في الأمراض الحادة - وكتاب في الأدوية المفردة — ومقالة في المحاكمة بين التمر والزبيب — ومقالة النحل .

[شيء من ابتلائه بالناس]

وقد امتحن لتطويل لسانه في العلماء وشرد عن وطنه فنزل بقرية له وجرت[3] له أمور ، وقام عليه جماعة من المالكية وجرت بينه وبين أبي الوليد الباجي مناظرات ومناقرات ، ونفروا منه ملوك الناحية فأقصته الدولة وأحرقت مجلدات من كتبه ، وتحول إلى بادية لبلة في قريته .

قال ابو الخطاب بن دحية : كان ابن حزم قد برص من أكل اللبان

(١) لعل إسقاط الواو هنا من سهو الناسخ أيضاً (٢) لعل هنا نقصاً (٣) في الأصل : وجردت

وأصابه زمانة وعاش ثنتين وسبعين سنة غير شهر . قلت : وكذلك كان الشافعي رحمه الله يستعمل اللبان لقوة الحفظ فولد له رمي الدم .

قال ابو العباس بن[1] العريف : « كان لسان ابن حزم وسيف الحجاج شقيقين . »

[عود إلى سبب طلبه العلم]

وقال أبو بكر محمد بن[2] طرخان التركي : قال لي الإمام ابو محمد عبد الله ابن محمد يعني والد أبي بكر بن العربي : « أخبرني أبو محمد بن حزم : أن سبب تعلمه الفقه أنه شهد جنازة فدخل المسجد فجلس ولم يركع ، فقال له رجل : قم فصلّ تحية المسجد — وكان قد بلغ ستاً وعشرين سنة — . قال : فقمت فركعت فلما رجعنا من الصلاة على الجنازة دخلت المسجد فبادرت بالركوع فقيل لي : اجلس ليس ذا وقت صلاة ، وكان بعد العصر . قال : فانصرفت وقد خزيت وقلت للأستاذ الذي رباني : دلني على دار الفقيه أبي عبد الله بن دحون ، قال ، فقصدته وأعلمته بما جرى فدلني على موطأ مالك ، فبدأت به عليه ، وتتابعت قراءتي عليه وعلى غيره نحواً من ثلاثة أعوام وبدأت بالمناظرة . »

[سماع ابن العربي عليه]

قال أبو بكر : ثم قال لي ابن العربي : « صحبت ابن حزم سبعة أعوام وسمعت منه جميع مصنفاته سوى المجلد الأخير من كتاب الفصل وهو من ستة مجلدات وقرأنا عليه من كتاب الإيصال أربع مجلدات في سنة ست

(١) كلمة ابن ساقطة من الأصل والتصحيح عن تذكرة الحفاظ للذهبي

(٢) في الأصل : محمد طرخان ، والتصويب عن إرشاد الأريب (٥:٨٨) طبع (أوروبا)

وخمسين وأربعمائة ، وهو أربعة وعشرون مجلداً ، ولي منه إجازة غير مرة .»

[علمه وبلواه بالناس]

قال أبو مروان بن حيان : « كان ابن حزم رحمه الله حامل فنون من حديث وفقه وجدل ونسب وما يتعلق بأذيال الأدب مع المشاركة في أنواع التعاليم القديمة من المنطق والفلسفة ، وله كتب كثيرة لم يخل فيها من غلط لجرأته في التسور على الفنون لاسيما المنطق ، فإنهم زعموا انه زل هنالك ، وضل في سلوك المسالك ، وخالف ارسطاطاليس واضع الفن مخالفة من لم يفهم غرضه ولا ارتاض ، ومال أولاً إلى النظر على رأي الشافعي وناضل عن مذهبه حتى وسم به ، فاستهدف بذلك لكثير من الفقهاء ، وعيب بالشذوذ ، ثم عاد إلى قول [١] أصحاب الظاهر فنقحه وجادل عنه وثبت عليه إلى أن مات . وكان يحمل علمه ويجادل عنه من خالفه ، على استرسال في طباعه وبذل بأسراره ، واستناد إلى العهد الذي أخذه الله على العلماء : « لَيبيِّننُّه للناس ولا يَكتمونه [٢] » فلم يك يلطف صدعه بما عنده بتعريض ولا بتدريج ، بل يصك به من عارضه صك الجندل ، وينشقه إنشاق الخردل ، فتنفر عنه القلوب ، وتوقع به الندوب حتى استهدف لفقهاء وقته فتمالؤوا [٣] عليه وأجمعوا على تضليله وشنعوا عليه وحذروا سلاطينهم من فتنته ونهوا عوامهم عن الدنو منه ؛ فطفق الملوك يقصونه عن قربهم ويسيرونه عن

(١) في الأصل : حول ، والصواب ما أثبتناه مراعين السياق وما في المصادر

(٢) أثبتها بياء الغيبة في الفعلين كما هي في الأصل لأنها قراءة أبي عمرو بن العلاء وابن كثير وشعبة ، وإن كانت قراءتنا اليوم للآية بتاء الخطاب كما قرأها حمزة والكسائي ونافع والبقية ، انظر ص ١١٧ (على الهامش) وص ٢١٧ من شرح ابن القاصح على الشاطبية (طبع سنة ١٢٩٣ ه)

(٣) في الأصل : فنالوا ولا معنى لها والتصحيح عن تذكرة الحفاظ

بلادهم إلى أن انتهوا به منقطع أثره : بلدة من بادية لبلة ، وهو في ذلك غير مرتدع ولا راجع ، يبث علمه فيمن ينتابه من بادية بلده من عامة المقتبسين من أصاغر الطلبة الذين لا يخشون فيه الملامة : يحدثهم ويفقههم ويدارسهم ؛ كمل من[1] مصنفاته وقر بعير لم يعدُ أكثرها [عتبة][2] باديته لزهد الفقهاء فيها حتى لأحرق بعضها بإشبيلية ومزقت علانية ، وأكثر معايبه – زعموا – عند المنصف[3] جهله بسياسة العلم التي هي أعوص [من إتقانه[4]] وتخلفه عن ذلك على قوة سبحه في غماره . وعلى ذلك فلم يكن بالسليم[5] من اضطراب رأيه ومغيب شاهد علمه عنه عند لقائه ، إلى أن يحرك بالسؤال فينفجر منه بحر علم لا تكدره الدلاء . وكان مما يزيد في شينه تشيعه لأمراء بني أمية ماضيهم وباقيهم واعتقاده لصحة إمامتهم ، حتى لنسب إلى النصب .»

[عود إلى مؤلفاته]

قلت : ومن تواليفه كتاب تبديل اليهود والنصاري للتوراة والإنجيل . وقد أخذ المنطق – أبعده الله من علم – عن محمد بن الحسن المذحجي وأمعن فيه فزلزله في أشياء .

[رأي الذهبي فيه]

ولي أنا ميل إلى أبي محمد لمحبته في الحديث الصحيح ومعرفته به وإن كنت لا أوافقه في كثير مما يقوله في الرجال والعلل والمسائل البشعة في

(١) في الأصل : من كل وهي تحريف وإن كان لها وجه متكلف إلا أن كلمة ابن حيان هذه هي على ما أثبته كما في المصادر وكما في تذكرة الحفاظ للمؤلف نفسه (٢) الزيادة عن تذكرة الحفاظ
(٣) في الأصل وفي تذكرة الحفاظ : المصنف والتصحيح عن إرشاد الأريب
(٤) محل هاتين الكلمتين بياض في الأصل الأم ، أكملنا النقص من إرشاد الأريب
(٥) في الأصل : بالسليم والتصحيح عن إرشاد الأريب

الأصول والفروع . وأقطع بخطئه في غير ما مسألة ؛ ولكن لا أكفره ولا أضلله وأرجو له العفو والمسامحة وللمسلمين ، وأخضع لفرط ذكائه وسعة علومه . ورأيته قد ذكر قول من يقول : أجل المصنفات الموطأ فقال :

« بل أولى الكتب بالتعظيم صحيحا البخاري ومسلم وصحيح ابن السكن ومنتقى ابن الجارود والمنتقى لقاسم بن أصبغ ومصنف أبي جعفر الطحاوي . (قلت : ماذكر سنن ابن ماجه ولا جامع أبي عيسى فإنه مارآهما ولا أدخلا إلى الأندلس إلا بعد موته .) ثم قال : ومسند البزار ومسند ابن أبي شيبة ومسند احمد بن حنبل ومسند إسحق ومسند الطيالسي ومسند الحسن بن سفيان ومسند ابن سنجر[1] ومسند عبد الله بن محمد المسندي ومسند يعقوب ابن شيبة ومسند علي بن المديني ومسند ابن أبي غرزة وما جرى مجرى هذه الكتب التي أفردت لكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم صرفاً .

ثم الكتب التي فيها كلامه وكلام غيره مثل مصنف عبد الرزاق ومصنف أبي بكر بن أبي شيبة ومصنف بقي بن مخلد ، وكتاب محمد بن نصر المروزي وكتاب ابن المنذر الأكبر والأصغر ، ثم مصنف حماد بن سلمة وموطأ مالك بن أنس وموطأ ابن أبي ذيب وموطأ ابن وهب ومصنف وكيع ومصنف محمد بن يوسف الفريابي ومصنف سعيد بن منصور ومسائل أحمد بن حنبل ، وفقه أبي عبيد وفقه أبي ثور . »

قلت : ما أنصف ابن حزم ، بل رتبة الموطأ أن يذكر تلو الصحيحين مع سنن أبي داوود والنسائي ، لكنه تأدب وقدم المسندات النبوية الصرف ؛ وإن للموطأ لموقعاً في النفوس ومهابة في القلوب لايوازيها شيء .

(١) في الأصل : ابن شجر وهو تصحيف والتصحيح عن الرسالة المستطرفة للكتاني

[مرويات الذهبي بالسند إلى ابن حزم]

كتب إلينا المعمر العالم أبو محمد عبد الله بن محمد بن هارون من مدينة تونس [١] عام سبعمائة عن أبي القاسم أحمد بن يزيد القاضي عن شريح بن محمد الرعيني : أنبأنا ان أبا محمد بن حزم كتب إليه قال :

أنبأنا يحيى بن عبد الرحمن بن مسعود أن [٢] قاسم بن أصبغ أخبرنا إبراهيم ابن عبد الله : أخبرنا وكيع عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الصوم جُنة » أخرجه مسلم عن أبي سعيد الأشج عن وكيع . وبه [٣] قال ابن حزم : أخبرنا أحمد بن محمد الجسور ، أخبرنا محمد بن عبد الله بن أبي دليم [٤] : أخبرنا محمد بن وضاح : أخبرنا أبو بكر بن أبي شيبة : أخبرنا يزيد بن هرون : أخبرنا حميد عن بكر بن عبد الله المزني عن ابن عمر [٥] قال : « إنما أهل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحج وأهللنا به معه ، فلما قدم قال : (من لم يكن معه هدي فليحلل) فأحل الناس إلا من كان معه هدي ، وكان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم هدي ولم يحل . »

وبه قال ابن حزم : حدثني أحمد بن عمر العذري : أخبرنا عبد الله بن الحسين بن عقاب : أخبرنا عبيد الله بن محمد السقطي : اخبرنا أحمد بن جعفر ابن سلم : أخبرنا عمر بن محمد الجوهري : أخبرنا أحمد بن محمد الأثرم :

(١) في تذكرة الحفاظ ٣ : ٣٢٩ أبو محمد بن هارون بن يونس ، وهو تصحيف .
(٢) في تذكرة الحفاظ : أنبأنا قاسم ..
(٣) أي بالسند المتقدم وهو اصطلاح لعلماء الحديث . وسيمر بك مرتين أخريين
(٤) في الأصل : بن وليم ، والتصويب عن الصلة لابن بشكوال ج ١ ص ٢٤
(٥) في الأصل أبي عمر وهو خطأ لأن المزني — كما في تهذيب التهذيب — روى عن ابن عمر

أخبرنا أحمد بن حنبل : أخبرنا هشيم : أنبأنا حميد : أخبرنا بكر بن عبد الله : سمعت أنس بن مالك قال : «سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبي بالحج والعمرة جميعاً . قال بكر : فحدثت بذلك ابن عمر فقال : «لبى بالحج وحده .»

وقع لنا هذا في مسند أحمد ، فأنا وابن حزم فيه سواء .

[من شعره]

وبه قال ابن حزم فيما أحرق له المعتضد بن عباد من الكتب يقول :

فإن تحرقوا القرطاس لا تحرقوا الذي ... تضمنه القرطاس بل هو في صدري
يسير معي حيث استقلت ركائبي ... وينزل إن أنزل ويدفن في قبري
دعوني من إحراق رق[1] وكاغد ... وقولوا بعلم كي يرى الناس من يدري
وإلا فعودوا في المكاتب بداءة ... فكم دون ما تبغون لله من ستر
* كذاك النصارى يحرقون – إذا علت ... أكفهم – القرآن في مدن الثغر

ولابن حزم :

* أشهد الله والملائك أني ... لا أرى الرأي والمقايس دينا
* حاش لله ان أقول سوى ما ... جاء في النص والهدى مستبينا
* كيف يخفى على البصائر هذا ... وهو كالشمس شهرة ويقينا

فقلت مجيباً له :

* لو سلمتم من العموم الذي نع ... لم قطعاً تخصيصه ويقينا
* وترطبتم فكنتم يبتسم[2] ... لرأينا لكم شفوفاً مبينا

(١) في الأصل : ورق ، والتصحيح عن إرشاد الأريب وغيره .

(*) الأبيات المصحوبة بهذه العلامة تفردت بها هذه الرسالة ولم أجدها في مصدر آخر مما كنت اطلعت عليه حين دراستي ابن حزم ، وهي مزية جديرة بالتنبيه عليها فإن بقية المصادر تعد أمهات في هذا الموضوع (٢) كذا في الأصل ، ولم نهتد إلى الصواب فيه ولا وجدنا البيتين في مصدر من المصادر .

ولابن حزم :

مناي من الدنيا علوم أبثها … وأنشرها في كل باد وحاضر
دعاء إلى القرآن والسنن التي … تناسى رجال ذكرها في المحاضر
* وألزم أطراف الثغور مجاهداً … إذا هيعة ثارت فأول نافر
* لألقى حمامي مقبلاً غير مدبر … بسمر العوالي والرقاق البواتر
* كفاحاً مع الكفار في حومة الوغى … فأكرم موت للفتى قتل كافر
* فيا رب لا تعجل حمامي بغيرها … ولا تجعلني من قطين المقابر[1]

ومن شعره رحمه الله :

هل الدهر إلاّ ما عرفنا وأدركنا … فجائعه تبقى ولذاته تفنى
إذا أمكنت فيه مسرة ساعة … تولت كمر الطرف واستخلفت حزنا
إلى تبعات في المعاد وموقف … نودّ لديه أننا لم نكن كنا
حنين لما ولى وشغل لما أتى … وهمّ بما نخشى فعيشك لا يهنا
حصلنا على هم وإثم وحسرة … وفات الذي كنا نلذ به عنا
كأن الذي كنا نسر بكونه … إذا حققته النفس لفظ بلا معنى

وله على سبيل الدعابة وهو يماشي أباعمر بن عبد البر وقد رأى شاباً مليحاً فأعجب ابن حزم فقال أبو عمر : « لعل ما تحت الثياب ليس هناك » فقال :

وذي عذل فيمن سباني حسنه[2] … يطيل ملامي في الهوى ويقول :
أمن حسن وجه لاح لم تر غيره … ولم تدر كيف الجسم، انت قتيل؟

(١) في الأصل : المنابر ولامعنى لها ولعل (تعجل) في أول البيت أصلها (تجعل) (٢) في الأصل : فيما سباني حبه ، ولم نرتضها لضعفها ولترجح تصحيفها لدينا فأثبتنا الرواية المجمع عليها في المصادر كافة

فقلت له أسرفت في اللوم فاتئد   فعندي رد لو أشاء طويل
ألم تر أني ظاهريّ وأنني   على ما بدا حتى يقوم دليل

وأنشد أبو الفهم بن أحمد السلمي : أنشدنا ابن قدامة : أنشدنا ابن البطي : أنشدنا ابو عبد الله الحميدي : أنشدنا ابو محمد علي بن أحمد لنفسه :

لايشمتن حاسدي إن نكبة عرضت   فالدهر ليس على حال بمترك
ذو الفضل كالتبر طوراً تحت ميقعة   وتارة في ذرى تاج على ملك

وشعره فحل كما ترى ، وكان ينظم على البديهة[1] ومن شعره :

أنا الشمس في جو العلوم منيرة   ولكن عيبي أن مطلعي الغرب
ولو أنني من جانب الشرق طالع   لجد على ماضاع من ذكري النهب
ولي نحو أكناف العراق صبابة   ولاغرو أن يستوحش الكلف الصب
فإن ينزل الرحمن رحلي بينهم   فحينئذ يبدو التأسف والكرب
هنالك يدرى أن للبعد قصة   وأن كساد العلم آفته القرب

وله :

* أنائم انتِ عن كتب الحديث وما   أتى عن المصطفى فيها من الدين
* كمسلم والبخاريّ اللذين هما   شدا عرى الدين من نقل وتبيين
* أولى بأجر وتعظيم ومحمدة   من كل قول أتى من رأي سحنون[2]
* يا من هدى بهما اجعلني كمثلهما   في نصر دينك محضاً غير مفتون

(١) في الأصل : البديه ، ولم أرها في كتب اللغة . (٢) سحنون — على ما في قاموس الأعلام — هو عبد السلام بن سعيد بن حبيب التنوخي الملقب بسحنون ؛ قاض ، فقيه ، انتهت إليه الرياسة في العلم بالمغرب . كان زاهداً لايهاب سلطاناً في حق يقوله . أصله شامي من حمص ، ومولده في القيروان وولي القضاء سنة ٢٣٤هـ فاستقر إلى إن مات . كان رفيع القدر عفيفاً أبي النفس مات سنة ٢٤٠هـ وله ثمانون سنة .

[من كلامه]

قال ابن حزم في تراجم أبواب صحيح البخاري: «منها ما هو مقصور على آية إذ لا يصح في الباب غيرها، ومنها ما بينه بتبويبه على أن في الباب حديثًا يجب الوقوف عليه، لكنه ليس من شرط ما ألف عليه كتابه، ومنها ما يبوب عليه ويذكر نبذة من حديث قد سطره في موضع آخر، ومنها أبواب تقع بلفظ حديث ليس من شرطه ويذكر في الباب ما هو في معناه.»

وقال في أول الإحكام[1]: «أما بعد فإن الله ركب في النفس الإنسانية قوى مختلفة، فمنها عدل يزين لها الانصاف ويحبب إليها موافقة الحق، قال تعالى: «إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلعَدْلِ [وَٱلإِحْسَانِ]» وقال: «[يا أَيُّها ٱلَّذِينَ آمنوا] كونوا قَوّامينَ بِٱلقِسْطِ شُهَداءَ لِلهِ [وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ ٱلوالِدَيْنِ وَٱلأَقْرَبِينَ» ومنها غضب وشهوة يزينان لها الجور ويعميانها عن طريق الرشد] وقال [تعالى]: «وَإِذا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلعِزَّةُ بِٱلإِثْمِ [فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ] وقال [تعالى]: «كُلُّ حِزْبٍ بِما لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ» فالفاضل يسر[2] لمعرفته [بمقدار ما منحه الله تعالى] والجاهل يسر لما[3] لا يدري حقيقة وجهه ولما[3] فيه وباله، [في أخراه وهلاكه في معاده] ومنها فهم يليح لها[4] الحق من قريب وينير [لها في] ظلمات المشكلات فيرى به[5] الصواب ظاهراً جليًا، ومنها جهل يطمس[6] عليها الطرق[7] ويساوي عندها [بين] السبل فتبقى

(١) النقل الآتي كثير التحريف وقد أصلحناه وأكملنا نقصه من مقدمة الإحكام ص ٤ ـ ٥ [مطبعة السعادة سنة ١٣٤٥] وما بين معقوفتين هو ما نقص في نسختنا. (٢) في الأصل: يسير به.. (٣) في الأصل: وبما. (٤) في الأصل: له. (٥) في الأصل: بها (٦) في الأصل: يطمثن ولا معنى لها. (٧) في الأصل: الطريق.

النفس في[1] حيرة تتردد وفي ريب تتلدد ويهجم بها على احد الطرق المجانبة للحق [المنكبة عن الصواب] تهوراً وإقداماً [او جبناً او إحجاماً او إلفا وسوء اختيار] ، قال تعالى : « هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ » [وقال تعالى : إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَاءُ] ومنها قوة التمييز التي سماها الأوائل المنطق ، فجعل لها خالقها بهذه القوة سبيلاً إلى فهم خطابه [عز وجل] وإلى معرفة الأشياء على ماهي عليه ، وإلى إمكان التفهم [الذي به ترتقي درجة الفهم ويتخلص من ظلمة الجهل] فبها تكون معرفة الحق من الباطل ، [قال تعالى : « فَبَشِّرْ عِبَادِ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَاهُمُ ٱللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو ٱلْأَلْبَابِ »] ومنها قوة العقل التي تعين النفس المميزة على نصرة العدل [وعلى إيثار ما دلت عليه صحة الفهم وعلى اعتقاد ذلك علماً وعلى إظهار باللسان وحركات الجسم فعلا ؛ وبهذه القوة التي هي العقل تتأيد النفس الموفقة لطاعته على كراهية الحود عن الحق وعلى رفض ماقاد إليه الجهل والشهوة والغضب المولد للعصبية وحمية الجاهلية] فمن[2] اتبع ما أناره له العقل الصحيح نجا وفاز ، ومن عاج عنه هلك [وربما أهلك] . قال تعالى : « إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ » فأراد بذلك العقل . أما المضغة المساة قلباً[3] فهي لكل أحد ، [متذكر وغير متذكر ولكن لما لم ينتفع] غير العامل [بقلبه صار] كمن لا قلب له . »

وكلام ابن حزم كثير ولو أخذت في إيراد طرفه وماشذ به لطال الأمر .

(١) في الأصل : في النفس حيرة . (٢) في الأصل : فتى (٣) في الأصل : أما مضغة القلب

[عود إلى مولده]

قال ابو القاسم بن بشكوال الحافظ في الصلة له: قال القاضي صاعد ابن أحمد: «كتب إليّ ابن حزم بخطه يقول: ولدت بقرطبة في الجانب الشرقي في ربض منية المغيرة قبل طلوع الشمس آخر ليلة الأربعاء آخر يوم من رمضان سنة أربع وثمانين وثلثمائة بطالع العقرب، وهو اليوم السابع من نوبر.»

[وفاته]

قال صاعد: «ونقلت من خط ابنه أبي رافع: أن أباه توفي عشية يوم الأحد لليلتين بقيتا من شعبان سنة ست وخمسين واربعمائة فكان عمره إحدى وسبعين سنة وأشهراً رحمه الله تعالى»

[عود إلى شعره]

ومن نظم أبي محمد بن حزم:

* لم أشك صداً ولم أذعن بهجران ... ولا شعرت مدي دهري بسلوان
* أسماء لم أدر معناها ولا خطرت ... يوماً عليّ ولا جالت بميداني
* لكنما دائي الأدوى[1] الذي عصفت ... عليّ أرواحه قدماً فأعياني
* تفرق لم تزل تسري طوارقه ... إلى مجامع أحبابي وخلاني
* كأنما البين بي يأتم حيث رأى ... لي مذهباً فهو يتلوني ويغشاني
* وكنت أحسب عندي للنوى جلداً ... إذا عتا[2] في فؤادي شجوها العاني
* فقابلتني بألوان غدوت بها ... مقابلاً من صباباتي بألوان

(١) في الأصل: داي الأدواء التي
(٢) في الأصل: عنى. وليست هذه الأبيات في مصدر آخر فنقابلها به فأثبتنا ما رجحناه

[من مات في سنة وفاته]

وممن مات مع ابن حزم في السنة : الحافظ أبو الوليد الحسن بن محمد الدربندي[1] ، والفقيه ابو القاسم سراج بن عبد الله بن محمد بن سراج قاضي الجماعة بقرطبة ، والحافظ عبد العزيز محمد بن محمد بن عاصم النخشبي[2] ، وشيخ العربية أبوالقاسم عبد الواحد بن علي بن برهان ببغداد ، ومسند الوقت أبوالحسين محمد بن أحمد بن محمد بن [أحمد بن[3]] حسنون النرسي ، والمحدث أبو سعيد محمد بن علي بن محمد الخشاب النيسابوري ، والوزير عميد الملك محمد بن منصور الكندري .

[عود إلى شعره]

ولابن حزم

قالوا تحفظ فإن الناس قد كثرت … أقوالهم وأقاويل الورى[4] محن

فقلت هل عيبهم لي غير أني لا … أقول بالرأي إذ في رأيهم فتن[4]

وأنني مولع بالنص لست إلى … سواه أنحو ولا في نصره أهن

لا أنثني لمقاييس[4] أقول بها … في الدين بل حسبي القرآن والسنن

يابرد ذا[5] القول في قلبي وفي كبدي … ويا سروري به لو أنهم فطنوا

دعهم يعضوا على صم الحصى كمداً … من مات من قوله عندي له كفن

« تمت الرسالة »

(١) في الأصل : ابن الوليد الحسن بن محمد الدزندي والتصويب عن تذكرة الحفاظ ٣ : ٣٢٩

(٢) في الأصل اليخشي والتصويب عن شذرات الذهب (٣) الزيادة عن تذكرة الحفاظ ٣ : ٣٢٩

(٤) انظر هذه القصيدة كاملة في كتابي (ابن حزم الأندلسي ورسالته في المفاضلة بين الصحابة) ص ١٤١ . وفيها هناك بدل الورى : العدى ، وبدل فتن : أفن (ص ٦٧) ، وبدل لمقاييس أقول : نحو آراء يقال .

(٥) في الأصل : ذي . والتصحيح عن المصدر السابق

صورة سماع هذه الرسالة على الذهبي

نص السماعين اللذين ختمت بهما هذه الرسالة

١ — قال الذهبي : سمع من لفظي هذه الترجمة المولى العلامة قاضي القضاة حسام الدين حسن بن رمضان القرمي ، وفتاه سيف الدين بهادر ، والشيخ عماد الدين ابو بكر ابن أحمد بن أبي الفتح بن السراج ، والشيخ أمين الدين محمد بن علي بن حسن الأَلفي[1] المالكي : في شعبان سنة أربع وثلاثين وسبعمائة . وكتب مؤلفها محمد بن عثمان بن الذهبي عفا الله عنه ه »

٢ — مكتوب على هامش الأم ما لفظه :

سمع ترجمة ابن حزم رحمه الله علي الشيخ شمس الدين الذهبي صاحب التاريخ : الشيخ الإمام العالم شمس الدين محمد بن عبد الله بن المحب والفقيه الفاضل علاء الدين علي بن عبد المؤمن بن علي المغربي . وكل الأسماع بقراءته في جمادى الأولى سنة إحدى وأربعين وسبعمائة بدمشق ، ولها[2] ولنا جميع التاريخ . ولله الحمد وصلى الله على سيدنا محمد وآله . وكتب إبراهيم بن عبد الرحيم بن محمد بن جماعة * .

سعيد الافغاني

---

(١) في الأصل : أمير الدين ... الألعى ، والتصويب عن شذرات الذهب ٦ : ٢٩٢ وذيول تذكرة الحفاظ ص ١٦٨ والمحدث المذكور مات سنة ٧٨٦

(٢) نرجح أن (ولها ولنا) مصحفة عن (وأجاز لنا) . والمقصود بقوله (جميع التاريخ) : تاريخ الإسلام الكبير للذهبي ومنه أجزاء في المكتبة الأحمدية بحلب

(*) عثرنا بعد طبع الرسالة على اسم كتابين للذهبي فآثرنا التنبيه عليهما هنا تذييلاً للفصل الخاص بمؤلفاته: في المكتبة الصقلية (Alla Biblioteca Arabo - Sicula) (ليبزيغ ١٨٨٧ م) ص م ٦٤ : أن للذهبي مختصر كتاب (إنباه الرواة على أنباء النحاة) تأليف أبي الحسن علي بن يوسف الشيباني .

وفي ص ٤ من مقدمة (كتاب المغني والشرح الكبير — مطبعة المنار سنة ١٣٤١ ه) : ان الذهبي أفرد بالتأليف سيرة الشيخ موفق الدين صاحب (المغني) أحد الكتب الأربعة الجليلة التي لا غنى للمجتهد ولا للمفتي عنها — على ما مر بك من رأي الذهبي عند أول الكلام على مؤلفات ابن حزم . وأرجح أن هذه السيرة مما ضمنه أيضاً كتابه الجليل (سير النبلاء) .

مميزات بني أمية

٢

خصائص قواد الأمويين وعمالهم

وما كان خلفاء بني أمية فقط ممتازين بأمور تفردوا بها على من سواهم بل كان رجالهم وقوادهم وعمالهم لا يشبهون في هذا المعنى عمال بني العباس . فان عمال العباسيين كانوا يشتغلون لأنفسهم على الغالب ، وعمال الأمويين يشتغلون لدولتهم ، فقد رأينا الحجاج بن يوسف الثقفي مثلاً يعمل كل ما يجب ان يعمل لدولته ورأينا احمد بن طولون في الدور العباسي الثاني يعمل لنفسه اولاً ثم لدولته ، وكان عمله لنفسه عظيماً جداً لم يؤثر بعضه عن عامل من عمال بني أمية . وعلى ماظهر من تعصب الأمويين ، وكانوا لا يوسدون الولايات الا للعرب ، ولا يأمنون على سياستهم الا العرب ، كنت تراهم في المسائل الأخرى أعجوبة في تساهلهم . آخذ بعضهم عبيد الله بن زياد لاعتماده على الفرس في مسائل الأموال فقال مدافعاً عن نفسه : كنت اذا استعملت العربي كسر الخراج ، فان أغرمت عشيرته أو طالبته اوغرت صدورهم ، وان تركته تركت مال الله وانا أعرف مكانه ، فوجدت الدهاقين ابصر بالجباية ، وأوفى بالأمانة ، واهون بالمطالبة منكم ، مع أني قد جعلتكم أمناء عليهم لئلا يظلموا احداً .

وما كان يخلو قائد من قواد الأمويين من مزايا غريبة تدهشك في جملة ما تدهش من سيرته ، فقد اشتهر الحجاج مثلاً على عظيم سياسته بأمور لا يخطر بالبال ان مثله يفكر فيها ، اشتهر باصلاح الموازين والخراج والزراعة ، ووضع الحركات والاعجام في المصاحف ، لئلا يلتبس شيء من الآيات على من لا يعلم القرآن واتخذ دار الضرب اسك النقود فكان يضرب المال للسلطان مما يجتمع له من

التبر وخلاصة الزيوف والستوقة والبهرجة ، ثم اذن للتجار وغيرهم في ان تضرب لهم الأوراق ، واستغلها من فضول ما كان يؤخذ من الاجرة للصناع والطباعين وختم ايدي الطباعين . وهو أول من أجرى في البحر السفن المقيّرة المسمرة غير المخروزة والمدهونة وغير ذوات الجآجئ (واحدها جؤجؤ وهو الصدر او عظامه شبهوا به مقدم السفينة) وكان اول من عمل المحامل ولم يرض عن عمله هذا بعض الرجّاز الأكرياء فقال :

أول عبدٍ عَمِل المحاملا أخزاه ربي عاجلاً وآجلا

وكان من زياد بن ابي سفيان مثل ما كان من الحجاج : بنى في البصرة دوراً واحياء ومساجد وحفر ترعاً وانهاراً وكل ما بنى فيها او صنع فانه نسب الى غيره . قال عمر بن عبد العزيز : قاتل الله زياداً جمع لهم كما تجمع الذرّة ، وحاطهم كما تحوط الأم البرة ، واصلح العراق بأهل العراق ، وترك اهل الشام في شامهم ، وجبى العراق مائة الف الف وثمانية عشر الف الف . وهذا عتبة بن أبي سفيان اخو معاوية واخطب رجل في بني أمية كان يطفئ الفتن ببلاغته اكثر مما يطفئها بجيش دولته . وهذا موسى بن نصير فاتح الاندلس ما التوى له علم منذ خرج من مصر في جيش ضئيل حتى وصل الى الاندلس ففتحها ، واذا قرأتم ترجمته بامعان تقولون معي ان الولادة ماولدت اعظم منه ولا أعقل .

ومن المتعذر في ساعة ضيقة كهذه ان نتناول الكلام على رجال القوم ونذكر بعض مالهم من المزايا النادرة ، ونحن لذلك نكتفي بالاشارة الى واحد منهم ، وكل واحد من رجالهم يحتاج الى دراسة خاصة مشبعة ، ونعني به مسلمة بن عبد الملك . فقد كان على جانب عظيم من العقل والسياسة والعلم والادب . غزا الروم غير مرة واثخن فيهم . وفتح الامهات من مدائنهم ، وتولى الاعمال الجليلة ومنها العراقان وارمينيـة ، فأبان في كل مكان عن كفاءة منقطعة النظير وعن حب للخير غريب في بابه ، واوصى بجزء من ماله عظيم لأهل الأدب قائلاً انهم اهل صناعة مجفوة . ولولا

انه ابن أمَة لكان من المحتم ان يجلس على عرش الخلافة الأموية كسائر اخوته الأجلاء الذين بيضوا وجه التاريخ الأُموي والاسلامي باعمالهم الجليلة .

التنظير بين الأُمويين والعباسيين

حكم الأُمويون في الشرق الف شهر ، وحكموا في الغرب نحو ثلاثة قرون ، وكانوا في الشرق والغرب يتحرون جداً في الأموال لا يأخذ الخليفة مالا يحلُّ . وكان مما جرت به عادة خلفائهم اذا جاءتهم جبايات الأمصار ان يأتيهم مع كل جباية عشرة رجال واحياناً اربعون رجلاً قساماً من وجوه الناس واجنادها فلا يدخل بيت المال من الجباية دينار ولا درهم حتى يحلف الوفد مافيها دينار ولا درهم الا أُخذ بحقه وانه فضل أعطيات اهل البلد من المقاتلة والذرية ، بعد ان اخذ كل ذي حق حقه ، اي فضل أعطيات الاجناد وفرائض الناس . وكانوا لا ينقلون مالاً من بلد الى بلد حتى تسد ثُغرُه وخصاصة اهله بما يغنيهم ، فما فضل منه نقلوه الى البلد الآخر الذي يليه .

اما جباية العباسيين فكان فيها الطاهر وغير الطاهر ، وانواع ضرائبهم كثيرة ، لذلك كان ينكسر الخراج ويكثر عيث العمال وعبثهم بها . وما عهد عند الأمويين نزول خليفة عن اقليم او عن قطر لعامل من عماله ، يجبيه على هواه لحسابه الخاص ، ويعهد الى من يريد بتوليته عليه ، ويكتفي الخليفة حفظه الله بالخطبة له والدعاء لدولته . وبوضع اسمه على السكة وكانت هذه الطريقة مبدأ تمزيق دولتهم وفض عرى كلمتهم وفي ايام بني العباس كثرت المصادرات ، وكان يصادر العمال كما تصادر الرعية ، ويصادر كل من عرفت له ثروة بلا رحمة ، ومنهم من كانوا يعذبون انواع التعذيب ليسلبوهم نعمتهم ، ومنهم من هلكوا في العذاب ، ومثل هذا الجور قلما عهد في دولة بني أمية ، ذلك لأن عمالهم طبقة مختارة يكونون من أصحاب الشرف وارباب البيوتات من العرب . وقل أن عهدت السرقة في شريف . وما ذكر التاريخ ان قائداً أموياً او وزيراً أموياً صودر على مال ، كما كان يصادر قواد العباسيين وولاتهم

ووزراؤهم ؛ ولا سيا في الدور العباسي الثاني ، والسبب في ذلك انتظام طرق الجباية وقلة انواعها عند الأمويين . وكان هشام بن عبد الملك في تنظيم ميزانية الدولة المثل الأعلى وموازنته خير موازنة عُرفت . ثم الى هذا كانت الأخلاق على العموم في العصر الأموي أرقى مما آلت اليه في العصر العباسي ، كان في عمال الأمويين الصحابة والتابعون وتابعو التابعين ، وكلهم غاية في فهم روح الدين ، والبعد عن الصغائر والسفاسف . ودخل في عمال العباسيين أخلاط الزمر ، ومنهم من لا يعرف ابوه ولا أمه ، اوصلته المصادفات الى المراتب العالية ، ومنهم من اظهر الاسلام وابطن خلافه ، كبعض الاتراك والفرس ظلوا في باطنهم على عبادة الكواكب او عبادة النيران .

سر تفوق الأمويين

الذكاء يورث وينتقل بالدم ، والعلم لا يورث لأنه خاص بدارسه ، وابن الذكي على الأغلب ذكيّ ، وابن البليد بليد على الاكثر . كذلك كان الناس في كل زمان يجعلون للرجل المنسوب الى جد كان له شأن عظيم في الحياة مالا يجعلون مثله لرجل عادي كان لأحد اسلافه شيء من المكانة ، والدم الطاهر ينم عن صاحبه ولا يكذب رائده . وكان البشر منذ القديم يقول بالوراثة عرفها من طريق عملي لا من طريق علمي ، وكان للعرب في باب تخير البنات الأصيلات غرام شديد منذ ابعد ازمنة تاريخهم وما زالوا على ذلك الى اليوم ، حتى كادت الأمة العربية تعد في هذا المعنى ارستقراطية مع ان اعمالها كلها تدل على تأصل الديموقراطية في دمها . ولذلك رأينا بعض مؤلفي التراجم يحرصون على وضع نسب المترجم له من جهة أهل ابيه وأمه ، وبهذا ساغ لنا ان نستنتج بأن بني أمية لم يظهر ما ظهر منهم من الصفات الغرّ في الجاهلية والاسلام إلا بدم نقي انتقل من الأجداد الى الأحفاد ، وتسلسل العقل والذكاء في رجالهم ونسائهم ، وانتقلت الشجاعة والنجدة في بنيهم وبناتهم . وفي الحديث : الناس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام إذا فقهوا

الاسباب الداعية الى التنويه بالأُمويين

لا أريد أن اودعكم الآن قبل ان أفاتحكم بأمر طالما لغط به بعضهم وما اجبتهم عليه ، ذلك ان بعض المنحرفين عن بني أمية يتهمني بالتشيع لهم ، وأني أُنوه في كل فرصة بحسناتهم ، واغض الطرف عما يتخيله المتخيلون سيئات ، واني أنحي على من ظلموهم وما رحموهم ؛ وما حبي الأُمويين ، علم الله ، الا حب من انعم النظر فيما قيل فيهم ولهم ، ووازن بين اعمالهم واعمال غيرهم ، وايقن بعد الدرس الطويل والتفكير العميق أنهم مغبونون في الحكم عليهم . سَوَّد خصومهم من العباسيين والعلويين صحيفتهم في الدهر الغابر لأجل السياسة حتى صار بغضهم الى اليوم مذهباً يدين به من يدين . ويبلغني عن العراق في نهضته الحديثة انهم قلما يقرؤون في المدارس تاريخ بني أمية لبغض بعض الطوائف لهم ، وهذا من اغرب ما يسجل في تجاهل المعروف ، وعدم الاقرار بالأمر الواقع .

ان حكمي على الأُمويين حكم التاريخ فقط ، ارغب في ان أُنصف دولة احسنت ولم يبق في الأَرض انسان ينسب اليها حتى اتقرب من قلبه بما أُدون ، ولو كانت المسألة مسألة حظ نفس كان الأولى بي ان أُصانع مبغضيهم وهم ملايين اليوم منتشرون في اقطار العالم ولهم حَوْل وَطَوْل ، فالمسألة اذاً ليست مسألة حب وبغض بل مسألة حق وباطل وأقبِحْ بالتاريخ يكتب بعوامل مذهبية وشهوات نفسيةواهواء شخصية .

رثاء شوقي للأُمويين

ورحم الله صديقي شوقي يذكر الأُمويين في قصيدته الخالدة في دمشق بقوله :

بنو أُمية للأنباء ما فتحوا … وللأَحاديث ما سادوا وما دانوا
كانوا ملوكاً سرير الشرق تحتهم … فهل سألت سرير الغرب ما كانوا
عالين كالشمس في اطراف دولتها … في كل ناحية ملك وسلطان
ياويح قلبي مهما انتاب ارسمهم … سرى به الهمُّ او عادته اشجان
بالأمس قمت على (الزهراء) اندبهم … واليوم دمعي على (الفيحاء) هتان

في الأرض منهم سماوات وألوية ونيرات وأنواء وعقبان
معادن العز قد مال الرغام بهم لو هان في تربه الابريز ما هانوا
لولا دمشق لما كانت طليطلة ولا زهت ببني العباس بغدان
مررت بالمسجد المحزون اسأله هل في المصلى او المحراب مروان
تغير المسجد المحزون واختلفت على المنابر احرار وعبدان
فلا الأذان أذان في منارته إذا تعالى ولا الآذان آذان



الجمع بين الآيات التي يقتضي ظاهرها التناقض

وتفسير المشكلات

وقفت على مجموع خطي تضم دفتاه كتابين : الكتاب الأول نزهة القلوب لأبي بكر محمد بن عزيز السجستاني المتوفى سنة ٣٢٠

الكتاب الثاني وهو المسمى بـ

(الجمع بين الآيات التي يقتضي ظاهرها التناقض وتفسير المشكلات)

اما الكتاب الأول فلا اعرض للتعريف به لشهرته ولنشره بالطبع ، واما الثاني وهو ما احسب انه غير مطبوع وغير متداول ولم أجد له ذكراً في كشف الظنون ولم يذكر في النسخة التي وقفت عليها اسم مؤلفها ولعل ما أجهل من ذلك مما قد علمه غيري (وفوق كل ذي علم عليم) وها أنا ذا أعرض على قراء مجلة المجمع المفيدة الأعلام وصف نسخته المخطوطة والتعريف بالكتاب .

وصف نسخته الخطية

هي ٤٥ صفحة بقطع الربع ورقها عبادي صقيل وخطها من نوع النسخ طول الصفحة ٢٢ س بعرض ١٢ سطور الصفحة ١٩ وكلمات كل سطر من ١١ الى ١٣ تاريخ كتابتها ضحى أربعاء اليوم الثالث من ربيع الآخر سنة ٩٨٥ هـ والناسخ هو مقلد بن قسم الله

التعريف بالكتاب

موضوعه — يفهم من اسمه

مفتتحه — أما بعد حمد الله كما هو أهله ، والصلاة على رسوله سيدنا محمد وآله وصحبه فهذا كتاب أودعته عشرة أنواع من تفسير مشكلات القرآن ومتشابهه يضطر اليها العلماء ، ويحتاج اليها أرباب الكراسي والعظماء ، واختصرته بحسب الطاقة ،

ولخصته وأدمجت فيه ما ذكر مقاتل بن سليمان وتكلمت بما دلني عليه البرهان ، واتضح لي بالأدلة العقلية وبان ٠

ترتيبه — مرتب على مقدمة وفصول عشرة ، أما المقدمة فهي تلخص بذكر حديث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم : لا يفقه الرجل كل الفقه حتى يرى للقرآن وجوهاً كثيرة وحديث عن علي رضي الله عنه : لا يكون الرجل فقيهاً كل الفقه حتى يعرف للقرآن وجوهاً كثيرة

وأما الفصول فالفصل الأول في تفسير كلمات مشتركة تفسر على معنيين أو اكثر وأورد من ذلك ما استغرق خمس صفحات ، والفصل الثاني في تفسير ما يتفق من القرآن وهذا نموذج منه : اعلم ان كل موضع في القرآن وجلت قلوبهم ٠ أو قلوبهم وجلة فمعناه الخوف ٠ و كل ما فيه مردفين ٠ وتترى ٠ ومدرارا ٠ وأبابيل فمعناه التتابع وأورد كل ماجاء من هذا الباب في سبع صفحات

والفصل الثالث في تفسير اشتباه التقديم في الكلام ٠ ونموذج هذا الفصل : قوله تعالى : خلق السموات والأرض في ستة ايام وكان عرشه على الماء ٠ وقال في آية أخرى : في ستة أيام ثم استوى على العرش ٠ هاتان الآيتان توقعان في نفس من لا يفهم — التناقض — وليس كذلك فان تفسيرهما مشتبه في وجوه تقديم الكلام ٠ اما تفسير قوله تعالى : خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش استواء ربانياً لا جسمانياً بل منزهاً عن الاستقرار والجلوس مقدساً عما يخطر بأوهام النفوس استوى على العرش قبل خلق السموات وذلك قوله تعالى : وكان عرشه على الماء يعني قبل خلق الأرض (بيانه) ان يفصل بين قوله (ثم) وبين قوله (استوى) وتقديره استوى على العرش ثم خلق السموات والأرض في ستة أيام بدليل الآية الأخرى وقد استغرق هذا الفصل خمس صفحات

والفصل الرابع في تفسير وجوه اختلاف المكي والمدني وهو في صفحة ونصف صفحة
والفصل الخامس في تفسير وجوه اشتباه الحالات قوله تعالى : ربنا أمتنا اثنتين

واحييتنا اثنتين وقال في آية أخرى : لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الأولى وهذا يشعر بالتناقض عند من لا يعرف التفسير ولا تناقض فيه من قبل اشتباه تفسيرهما في وجوه الحالات · اما قوله سبحانه : ربنا أمتنا اثنتين الآية معناه كنا نطفاً ميتة لا روح فيها ولا حس لها فخلقتنا من تلك النطفة وجعل فيها أرواحاً فهذه موتة وهذه حياة · وشاهد ذلك قوله تعالى للكفار : وكنتم أمواتاً فأحياكم معناه يقول : كيف تكفرون بمن خلقكم وجعل فيكم الأرواح بعد ان كنتم نطفاً ميتة لا حياة فيكم ، ولا ارواح لكم · ثم قال : (ثم يميتكم) يعني عند انتهاء آجالكم في الدنيا ثم يحييكم يوم القيامة للبعث الى الحساب فهاتان موتتان وحياتان · واما قوله سبحانه : لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الأولى · يعني الموت الذي أماتهم في الدنيا بعد ما خلقهم من النطف فليس بعد ان خلقهم من النطف موت غير هذه الموتة الواحدة وهذا الفصل يدخل في صفحتين ونصف صفحة

والفصل السادس في تفسير اشتباه صلات الكلام في القرآن وهو في ثلاث صفحات

والفصل السابع في تفسير وجوه خواص المواطن وهو في نحو سبع صفحات

والفصل الثامن في تفسير اختلاف وجوه المواضع وهو في بعض صفحة

والفصل التاسع في تفسير اختلاف وجوه الحروف وهذا نموذج منه · قوله سبحانه وتعالى : ومن يهدي الله فما له من مضل · وقال في آية أخرى : وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العما على الهدى · اما الأولى فيعني من يهدي الله الى الايمان من الضلالة فينور قلبه بالتصديق وشرحه بالمعرفة ، فلا يستطيع أحد ان يضله ويرده الى الكفر كما قال تعالى : فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام فهذا هدى الايمان بالقلب · وأما قوله تعالى : وأما ثمود فهديناهم فهو هدى البيان لا هدى الإيمان · يعني أما ثمود فهديناهم ، أي بينا لهم سبيل الكفر والايمان على لسان نبيهم صالح صلى الله عليه فاستحبوا العما على الهدى · أي آثروا الضلال الذي كانوا عليه على الإيمان الذي بينه لهم ودعاهم اليه وتفسيرها بين يتضح بقوله سبحانه : وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء · وكذا قوله

سبحانه وتعالى : انا هديناه السبيل اي بينا للانسان سبيل الخير وسبيل الشر · وهذا الفصل يستغرق سبع صفحات ونصف صفحة

وأما الفصل العاشر وبه تتمة الكتاب ففي النسخة بياض نحو نصف صفحة وهو يحتوي على مافي القرآن المجيد من لغات القبائل العربية لغة عُمان · ولغة حمير · ولغة طيئ · ولغة أزد · ولغة نهد · ولغة هذيل · ولغة بني نصر بن معاوية · ولغة قيس · ولغة ثقيف · وما يتفق ولغات الأعاجم لغة النبط · اللغة السريانية · واللغة العبرانية ولغة السوادات ؟ ولغة الزنج · ولغة الروم · وختم هذا الفصل بقوله : وانما أنزل الله كتابه العزيز على نبيه صلى الله عليه وسلم وذكر هذه اللغات ليعلموا ان ذلك ليس من الرسول لأنه صلى الله عليه وسلم لم يسافر الى بلاد أرباب هذه اللغات فتعلمها منهم فلما ذكرها عرف أن الله سبحانه هو الذي عرفه اياها وأنزلها اليه على قلبه كما قال سبحانه : نزل به الروح الأمين على قلبك الآية وقال سبحانه : وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك

ومن هذا النموذج الذي استخلصناه تعرف قيمة الكتاب الذي لا أظن انها كتبت عليه آية الحجاب وارجو ان لا يكون ومؤلفه مجهولين عند من يعني بموضوعه القيم من أعلام الأمة

النبطية — جبل عامل :

سليمان ظاهر

اولية تدوين المعاجم

وتاريخ كتاب العين المرويّ

عن الخليل بن أحمد

— ٢ —

٢ — كيف أسس بناء كتاب العين

إن استقصاء أثر الخليل في الكتاب يدعونا إلى دراسة مراحل تأليفه وكيفية وضعه ، وإذا فعلنا فإنا نرى اول عصر العباسيين حافلاً بتأليف الكتب الجامعة للعلوم : من الحديث يجمعه ابن جريج ، الى القراءات يدونها ابو عمرو بن العلاء ، الى الفقه بقيد مادته وأحكامه مالك والشافعي وابو يوسف ومحمد ، إلى التاريخ يبسطه الواقدي وتلاميذه ، إلى الشعر يجمعه السكري وغيره ، إلى النحو يفصل قواعده الخليل بن أحمد . كل ذلك دون أن نرى لغوياً يحفل بجمع ألفاظ اللغة العربية جمعاء ، وإذا كان اللغويون شرعوا يؤلفون في نوادر اللغة في أبوابها المختلفة وفي معاني اللغة في باب منها خاص[١] ، وإذا كان أبو عمرو بن العلاء ما زال يلتقط عن الأعراب لغاتهم[٢] والخليل بن احمد سماعاته عنهم[٣] في أسفاط عديدة من الصحف ومن الكتب ، فأين كل هذا من حصر ألفاظ اللغة . زد إلى ذلك أن جمع اللغة على هذه الطريقة لا يستنفد مادتها أبداً ، فهنالك ألفاظ كثيرة لا تخطر ببال ، واللغة واسعة لا مقيد لها في الفكر والذاكرة وشعر الخليل بما حباه الله به من نظر وذكاء ومعرفة بالحاجة إلى تدوين اللغة أولاً وبوجوب البحث عن نهج واف بالحاجة ثانياً ، فأعمل فكره في ذلك وكد

(١) انظر الفصل الممتع الذي كتبه الاستاذ أحمد أمين بك في ضحى الاسلام ٢ : ٢٦٤ — ٢٦٥

(٢) وفيات الأعيان ١ : ٢٨٦ ، مرآة الجنان لليافعي ، حيدر آباد ١٣٣٧ ، ١ : ٣٢٥

(٣) جمع منها عشرين رطلاً كما يقول سيبويه في تهذيب التهذيب ٣ : ١٦٤

قريحته وناهيك بقريحته ، فقد كان فريداً في ذلك ، لم يبلغ شأوه أحد فيما روى المؤرخون. وكان أسلوبه في الإبداع أن يرجع إلى اصول الأشياء الأولية وقوانينها العامة يستنتج منها تفاصيلها ، وكان يرى أن لكل علم ضابطاً ، إن شئت فقل حسابياً او لافقل أصولياً .

وبعدُ فهل يصعب على من كان هذا شأنه أن يرى أن ضابط اللغة والألفاظ هي الحروف تؤلفها بامتزاجها بعضها مع بعض ، او هل يعسر على من حصر بحور العرب وعروضها بضروب من المفاعيل عجيبة أن يجد — وهو يضع أبنية الأفعال والأسماء او مصادرها ويقسمها إلى ثنائية وثلاثية ورباعية وخماسية(١) — أن الألفاظ الثنائية المكونة من حرفين سهلة الحصر ، فما اسهل من أخذ كل حرف من حروف العربية وجمعه مع غيره من الحروف بتقديمه تارة وتأخيره أخرى ، فالباء مثلاً تؤلف مع التاء بت تب ومع الثاء بث و ثب ومع غير ذلك من الحروف شبيها بهذا البناء ، فحصر تراكيبها سهل إذن ، وقل ذلك عن تراكيب غيرها من الحروف حتى تبلغ ٢٨ حرفاً ، وإذا بالخليل يجد التراكيب الثنائية ثم يرى بنظره الثاقب ان الحصول على تراكيب الثلاثي يكون بأخذ مختلف ضروب تركيب حرف مع حرفين آخرين ثم مع أحدهما وحرف آخر وثالث الى آخر الحروف مع إعادة ذلك لكل حرف من الحروف دون الالتفات الى تركيبه مع الحرف ، الذي اخذت تراكيبه آنفاً . وتراكيب الرباعي ثم الخماسي أكثر عدداً ، إلا أن أسلوب الحصر السابق يشملها.

يجد الخليل طريقه واضحاً فيسر به إلى تلميذه الليث بن المظفر . ويحدثنا بذلك ابن المظفر فيقول : «كنت اسير إلى الخليل بن أحمد ، فقال لي يوماً : لو أن إنساناً قصد وألّف ألف وباء وتاء وثاء على ما امثِله لاستوعب في ذلك

(١) وقال الخليل بن أحمد : كلام العرب مبني على أربعة أصناف : على الثنائي والثلاثي والرباعي والخماسي ، فأما الثنائي فما كان على حرفين نحو : قد ، بل ، هل ، ومثلها من الأدوات ، قال والثلاثي نحو قولك : ضرب ، خرج ، مبني على ثلاثة أحرف والرباعي نحو قولك : دحرج ، هملج ، قرطس ، مبني على أربعة أحرف ... قال والخماسي نحو : سفرجل ، وشمرول وكنهبل وقبعثر وما اشبهها قال الليث قال الخليل : ليس للعرب بناء في الأسماء ولا في الأفعال اكثر من خمسة أحرف فمها وجدت زيادة على خمسة أحرف في فعل او اسم فاعلم انها زائدة على البناء نحو : قرعبلانه إنما هو قرعبل... » التهذيب للأزهري ٣٩

جميع كلام العرب ، وتهيأ له اصل لا يخرج عنه شي منه بتة . قال فقلت له وكيف يكون ذلك ، قال : يؤلفه على الثنائي والثلاثي والرباعي والخماسي ، وانه ليس يعرف للعرب كلام أكثر منه . قال الليث فجعلت أستفهمه ويصف لي ، ولا أقف على ما يصف ، فاختلفت إليه في هذا المعنى اياماً ، ثم اعتل وحججت ، فما زلت مشفقاً عليه ، وخشيت ان يموت في علته فيبطل ما كان يشرحه لي »[1] ولكن الخليل استمر بالتفكير باختراعه العظيم[2] ، واعمل فكره فيه ، فلم يمكنه ان يبتدئ من اول ا ب ت ث لأن الالف حرف معتل لا يبقى في الكلمة على شكله بل يتغير ويغيرها ، وما أفسد الابتداء بما يصعب ضبطه ولا تستوي طريقه « فلما فاته أول الحروف كره أن يجعل الثاني أولاً — وهو الباء — إلابجحة[3] » ، لأن رفع الألف أخل بترتيب الألفباء ، فلم يعدم من حاجة لأخذ الباء . ثم لما اغفل ترتيب الألفباء جعل يتدبر اسلوباً لترتيب الحروف تتم منه الفائدة في العمل الذي أنشأه ، فانتقل به الفكر إلى مخارج الحروف مما كان اوعاه في دروسه في النحو ، فوجد انه إن رتب الحروف حسب مخارجها في الفم قربت الحروف المتشابهة من حيث طريقة نطقها بعضها من بعض ، فأصبحت الحاء قرب الهاء قرب الخاء قرب الغين .

ولا بد أنه وجد لذلك فوائد جليلة ، نتخيل منها — مستأنسين بنصوص وردت عفواً في كتاب العين — ان الحروف المتشابهة بالمخارج لا يمتزج بعضها مع بعض في تكوين الألفاظ إلا نادراً[4] ، وهي إن ضرب بعضها ببعض أخرجت تراكيب مهملة لم يستعملها العرب ، وما أحسن ان يجتمع المهمل بعضه قرب بعض في الكتاب فلا يتفرق ، وما أحسن ان يقال في كتاب العين : « العين والحاء لا يأتلفان في كلمة واحدة اصلية الحروف لقرب مخرجيهما[5] » ثم يهمل

---

(١) الفهرست ٦٣ وارشاد الأريب ٦ : ٢٢٧ (٢) التهذيب للازهري ٣٩ ، لسان العرب ٩ : ٣٦٩ ، تاج العروس ٥ : ٢٦٨ (٣) المصادر السابقة (٤) ذكر ابن منظور في لسان العرب ١ : ٨ سر تقارب الحروف وما يكثر استعماله من الحروف وما يقل وهو بحث استقصاه واحسن فيه فانظره وفي سر صناعته الاعراب لابن جنى نسخة الظاهرية عام ١٥ آخر الكتاب « فصل في مذاهب العرب من مزج الحروف بعضها ببعض وما يجوز من ذلك وما يمتنع وما يحسن منه وما يقبح »

(٥) في التهذيب الأزهري ص ٥٠

بعدهما مباشرة العين مع الهاء ثم العين مع الفاء[1]» . وليس ذلك فحسب بل ان الراء واللام والنون والفاء والباء والميم وهي التي سميت ذُلقاً وشفوية « لما ذلقت وبذل بهن اللسان وسهلت في النطق كثرت في أبنية الكلام ، فليس شيء من بناء الخماسي التام يعرى منها او من بعضها ، فإن ورد عليك خماسي معرى من الحروف الذلق او الشفوية فاعلم انه مولد وليس من صحيح كلام العرب[2]» « أما الرباعي المنبسط فان الجمهور الأكثر منه لا يعرى من بعض الحروف الذلق » « ومهما جاء من بناء اسم رباعي منبسط معرى من حروف الذلق والشفوية فإنه لا يعرى من أحد حرفي الطلاقة او كليهما ومن السين والدال او احديهما[3]» ويبدو من ذلك واضحاً ان ضروب الحروف بعضها ببعض في الرباعي والخماسي مهمل إلا ما دخل فيه الحروف الذلق والشفوية وبذلك فهمل الرباعي والخماسي يأتي متقارباً في الكتاب بعد ترتيب الحروف على مخارجها . ولهذا الترتيب فائدة أُخرى جليلة ، وهي أن الحروف المتشابهة قد تحل الواحدة منها مكان الأخرى في كلمة واحدة دون ان يتغير معناها ، وذلك ما يسمى بالإبدال . وهكذا يفهمنا الخليل أن كل صاد تسبق القاف إن شئت جعلتها سيناً لا تبالي متصلة كانت بالقاف او منفصلة بعد ان تكون كلمة واحدة[4] .

وجد الخليل هذه الفوائد التي تجعل ترتيب الكتاب علمياً منطقياً سهلاً قريباً من الحفظ لا تتداخل فيه الأشياء وتمتزج دون صلة أو تشابه ، فرغب في ترتيب الحروف على المخارج ، فأقبل على الحروف ، ووضع مخارجها ، وألفها تأليفاً يتفق مع غاية الكتاب ونهجه وما يتوخاه منه « فنظر إلى الحروف كلها ، فوجد مخرج الكلام كله من الحلق ، فصير اولاها بالابتداء به ادخلها في الحلق . وكان ذوقه اياها أنه كان إذا أراد أن يذوق الحرف فتح فاه بالألف ثم أظهر الحرف اب ات اج اخ ... فوجد العين أقصاها في الحلق

(١) في التهذيب للازهري ص ٥٠ (٢) عن الخليل في التهذيب ص ٤١

(٣) التهذيب ٤٢ وعن غير ابن المظفر قال الخليل : « وأما المصمته فإنها تسعة عشر حرفاً صحيحاً ... وإذا عريت من حروف الذلاقة قلت في البنا فلست واجداً في جميع كلام العرب خماسياً بناؤه بالحروف المصمتة خاصة ولا كلاماً رباعياً كذلك غير المسينة » التهذيب ٤٧

(٤) من كتاب العين ص ١٠٥ عن دروس الاستاذ مارسيه ٢٤ كانون الثاني ١٩٣٦

وأدخلها فجعل أول الكتاب العين ، ثم ما قرب مخرجه منها بعد العين الأرفع فالأرفع حتى أتى على آخر الحروف[1] ... وهذا تأليفه : ع ح ه خ غ ق ك ج ش ض ص س ز ط د ت ظ ذ ث ر ل ن ف ب م و ا ي[2] »

ويجعل بعض اللغويين من هذا الترتيب المخالف لترتيب البصريين سبيلاً للطعن في الكتاب وفي نسبته إلى الخليل شيخ البصريين : فيقول المفضل بن سلمة الكوفي (توفي نحو ٢٥٠) : « ذكر صاحب العين أنه بدأ كتابه بحرف العين لأنها أقصى الحروف مخرجاً ، والذي ذكره سيبويه ان الهمزة أقصى الحروف مخرجاً[3] » ؛ ونسي ابو طالب المفضل أن الخليل اسقط الهمزة لأنها حرف يعتريه التغيير . ثم يعترض الزبيدي على تقديم العين على الهاء ويرى ان ذلك ينقض نسبة الكتاب الى الخليل ، ولكن الليث ليس الوحيد الذي نقل هذا الترتيب عن الخليل لنشك في نسبته اياه للخليل بل نقله غيره عنه بحذافيره[4] زد إلى ذلك ان محمد بن احمد بن إبراهيم النحوي البصري (— ٢٩٩) يروي عن الخليل نصاً يعتذر فيه عن عدم الابتداء بالهاء حيث يقول : « انه لم يبدأ بالهاء لأنها مهموسة خفيفة لا صوت لها ... وليس العلم بتقديم شيء على شيء لأنه كله مما يحتاج إلى معرفته ... وأولاها

(١) في التهذيب ٣٩ — ٤٠ ولسان العرب ٩ : ٣٤٩ تاج العروس ٥ : ٢٦٨

(٢) تهذيب ٤٠ وذكر الازهري في محل آخر ص ٤٤ — ٤٥ ولسان العرب ١ : ٧ احياز ومدارج الحروف قالا قال الخليل بن احمد « اقصى الحروف كلها العين وارفع منها الحاء ولولا بحة في الحاء لاشبهت العين لقرب مخرج الحاء من مخرج العين ثم الهاء ولولا هتة في الهاء وقال همة في الهاء لأشبهت الحاء لقرب مخرج الهاء من الحاء فهذه الثلاثة في حيز واحد ، ثم الخاء والغين في حيز واحد ثم القاف والكاف في حيز واحد ثم الجيم والشين والضاد ثلاثة في حيز واحد ثم الصاد والسين والزاي ثلاثة في حيز واحد ثم الفاء والباء والميم ثلاثة في حيز واحد ثم الواو والياء والألف ثلاثة في الهواء ولم يكن لها حيز تنسب إلى غيره » وقد وضع ابو الفرج بن عبد الله بن دلان المعافري الجزيري ترتيب حروف الخليل في أبيات منظومة فانظرها في المزهر ١ : ٤٥ وكشف الظنون ٢ : ٢٩١ والبلغة ١٦٠ وانظر عن ترتيب الحروف واحيازها بالتفصيل في التهذيب ٤١ و ٤٥ و ٤٧

(٣) في المزهر ١ : ٤٥ وكشف الظنون ٢ : ٢٩١ ويستطرد المفضل قائلا « ولو قال بدأت بالعين لأنها اكثر الكلام واشد اختلاطاً بالحروف لكان اولى » . وكلامه هذا صحيح الا انه ورد عن الخليل مايشابهه برواية ابن كيسان في المزهر ١ : ٤٦ (٤) كما ذكر ذلك الازهري في التهذيب ص ٤٧

بالتقديم اكثرها تصرفاً[١] » . ويري الزبيدي ان ترتيب الخليل يختلف عن مذهب البصريين حتى « بتقديم غير ذلك من الحروف وتأخيرها[٢] » . والحق أن هنالك اختلافاً ما في التقديم والتأخير بين ترتيب الخليل وترتيب سيبويه في كتابه الذي أخذ معظمه عن الخليل[٣] ولكني أرى لهذا الاختلاف دواعي عملية اقتضاها تأليف الكتاب والسهولة المتوخاة منه ، فقد وردت الضاد في ترتيب سيبويه مع الحروف الذواقية ، ولم يدخلها الخليل فيها لأنها قليلة الاستعمال ، وقد قلنا إن الخليل قصد بالذولقية ما يدخل من الحروف المستعملة في الكلمة ليحسنها . وهكذا جعل الضاد مع الصاد ، وفي نطق الحرفين تقارب ؛ وقد وافقه على ذلك الفيلسوف ابن سينا في كتابه « أسباب حدوث الحروف » فجعل الضاد قبل الصاد[٤] واختلاف آخر بين سيبويه والخليل في الياء ، فقد أوردها سيبوية مع الجيم والشين ، وعدها الخليل في آخر الحروف مع المعتلات لغاية عملية خالصة وهي إفراد المعتلات . وهذا هو كل الاختلاف الذي يجدر الانتباه إليه خاصة وتعليله ، اما ان يذكر سيبويه الزاي قبل السين ثم الصاد ، ويذكر الخليل الصاد قبل السين قبل الزاي فليس بالاختلاف الكبير ، فهي أحرف متقاربة متشابهة ، لا فارق كبير يميزها ، على أن ابن سينا وافق الخليل وخالف سيبويه في ذلك . وقل مثل ذلك في عد سيبويه (ل ن ر) والخليل (ر ن ل) ، ويظهر لي أن هذين الاختلافين الذين لا كبير شأن لهما[٥] حدثا بعد أن تغير مكان الضاد في ترتيب الخليل . وكذلك فإن كان اختلاف بين سيبويه والخليل فليس ذلك « خطلاً واضطراباً » في كتاب العين كما يقول ابن جنى[٦] ، وإنما هو نتيجة عملية من توخي السهولة والاحكام في التآليف .

(١) في المزهر ١ : ٤٦ (٢) المزهر ١ : ٤٣ وكشف الظنون ٢ : ٢٩٠

(٣) الكتاب ٢ : ٤٠٥ ويقول الاستاذ مارسيه إن ترتيب سيبويه في كتابه لم يأخذه عن الخليل ولم يذكر انه رواه عن الخليل وان ترتيب كتاب العين هو عمل الخليل (٤) طبعة القاهرة ، سنة ١٣٣٢ ص ٩ (٥) فان ابن جنى الذي يأخذ على كتاب العين ترتيبه ويقر ترتيب سيبويه لم ينج من مخالفته بتقديم او تأخير كهذا (سر صناعة الاعراب نسخة الظاهرية عام ١٥٠ ، و : ٢١٩)

(٦) النص السابق .

بعد أن وضع الخليل ترتيب الحروف على مخارجها بأسلوبه الذي ذكرناه انتقل منه إلى غايته الأصلية من كتابه ألا وهي حصر أبنية اللغة العربية وتمييز المستعمل من المهمل مما يتركب من ضرب الحروف بعضها ببعض[١]، ولنتخيل كيف فعل مستأنسين بنص من مقدمة كتاب العين[٢]: عمد إلى حصر أبنية الثنائي أولاً مبتدئاً بالعين يؤلفه مع الحرف الذي يتبعه وهو الحاء قائلاً: ان الحرفين لا يأتلفان فتركيبهما مهمل؛ وكذلك العين مع الهاء والعين مع الخاء ثم مع الفاء[٣]. ثم يأخذ العين مع القاف، فيستخرج من ذلك (عقّ، قعّ) بتقديم العين تارة وتأخيرها أخرى. ثم يأخذ العين مع الكاف بتقديمها أولاً ثم بتأخيرها ثانياً، وهكذا حتى ينتهي إلى آخر الحروف ويعود إلى الحرف التالي وهو الحاء فيركبها مع ما يليها ويغفل ما يسبقها لأنه فعل ذلك آنفاً. ويفعل ذلك بكل حرف حتى ينتهي إلى الألف — وهو الحرف الذي يسبق آخر حرف — فيضربه بآخر حرف فقط ضربين، ومن ثم ينتقل إلى الأبنية الثلاثية فيضرب الحرفين الأولين (ع، ح) بالحرف الثالث ثم بالرابع والخامس إلى آخر الحروف، ثم يعمد إلى العين مع الخاء ويضربها بما يلي الخاء وهلمجرا.

ولفهم طريقه إلى تأليف حرف مع حرفين[٤] خذ مثلثاً، ووقع على كل رأس من رؤوسه حرفاً، ولنفرض أن الحروف الثلاثة هي: (ض، ر، ب) اجمع الحرف الأول مع الثاني مع الثالث تحصل على (ضرب)، ثم اجمعه مع الثالث والثاني تحصل على (ضبر)، ثم اجمع الثاني مع الثالث والأول تحصل على (ربض)، ثم اجمع الثاني مع الأول والثالث تحصل على (رضب)، ثم خذ الثالث واضربه بالثاني والأول تحصل على (برض) ثم بالأول فالثاني تحصل على (بضر): فتلك ستة أوجه. ولا شك أن هذه الطريقة

(١) ذكر احمد امين طريقة ذلك في ضحى الاسلام ٢: ٢٦٨ — ٢٦٩ ولخص تلك الطريقة ابن خلدون في المقدمة في باب اللغة ونقل عنه محمد حسن صديق خان في ابجد العلوم ٦١٤ — ٦١٥

(٢) في التهذيب ص ٤٥ (٣) في التهذيب للازهري ص ٥٠ وما يتبعها

(٤) تجد طريقة الشرح هذه في الجمهرة لابن دريد ٣: ٥١٢ ونقلها عنه المزهر ١: ٣٩ اما الحروف التي فرضناها فهي نفسها التي اخذها الخليل مثالا (تهذيب ٤٥)

تقتضي كما في الثنائي ان لا يضرب حرف من الحروف حين الوصول إليه بما يسبقه من الحروف . حتى إذا انتهى من الثلاثي أخذ الرباعي وابتدأ بالحروف الثلاثة الأول ، يضربها بالتتابع مع كل حرف من الحروف التي تليها . ولفهم طريقة تأليف ضروب الحروف الأربعة ارسم مربعاً ، ووقع على كل رأس من رؤوسه حرفاً فإذا ع ب كانت الحروف الأربعة (ع ب ق ر) اضرب العين بالأوجه الستة التي تتكون من (ب ق ر) تحصل على عبقر ، عبرق ، عقرب ، عقبر ، ر ق عربق ، عرقب ، ثم اضرب الباء بالأوجه الستة التي تتكون من (ع ر ق) تحصل على بعقر ، بعرق ، بقرع ، بقعر ، برعق ، برقع . وافعل كذلك بالقاف ثم بالراء يكون مجموع ما تحصل عليه أربعة وعشرين وجهاً ، أكثرها مهمل . قال الخليل[1] « والكلمة الخماسية تتصرف على مائة وعشرين وجهاً : وذلك أن حروفها ضربت وهي خمسة احرف في وجوه الرباعي وهي أربعة وعشرون وجهاً » وحصر الخماسي كالثلاثي والرباعي ، الا انه يؤخذ فيه أربعة أحرف تضرب بما يتبعها من حروف العربية .

ولما انتهى الخليل من هذا الحساب والضرب كتب عنه الليث في أول كتابه : « هذا ما ألفه الخليل بن أحمد من حروف ا ب ت ث التي عليها مدار كلام العرب وألفاظها ، ولا يخرج شيء منها عنه أراد أن يعرف بذلك جميع ما تكلمت به العرب في أشعارها وأمثالها ، ولا يشذ عنه منها شيء[2] » فغاية الكتاب الأولى حصر الأبنية المستعملة والمهملة بطريقة حسابية لا تخطىء كما مر معنا .

ولم يفهم تلك الغاية كثيرون ممن رجعوا إلى كتابه فظنوا انه أراد أن يذكر في كتابه كل الألفاظ التي استعملها العرب لا الأبنية ، فأخذ عليه أحمد البشتي ان كتابه اشتمل على ضعفي كتاب الخليل ، ويهزأ الأزهري فيقول : « ولما قرأت هذا النص من كتاب البشتي استدللت به على عقله وقلة فطنته وضعف فهمه ، واستيقنت أنه لم يفهم من الخليل ما أراده ولم يفطن للذي قصده[3] » واتخذ ابن فارس من معنى ما ذكر الخليل طريقة لنفي الكلام عنه فقال : « فأما الكتاب

(١) في الهذيب ٥ (٢) في التهذيب للازهري ص ٢٩ (٣) في المصدر السابق .

المنسوب إلي الخليل ومافي خاتمته من قوله : هذا آخر كلام العرب ، فقد كان الخليل أورع وأتقى لله جل ثناؤه من أن يقول ذلك [1] » وإذ قد فهمت ما أراد الخليل فليس ما يمس تقاه وورعه من هذا الكلام . بل إنك تفهم انه يستطيع ان يحسب عدد الأبنية التي أخذ العرب منها ألفاظهم ، وذلك ما فعل بطريقة رياضية لا تخطىء فقد عرف أن للثنائي وجهين ، وللثلاثي ستة أوجه ، وللرباعي أربعة وعشرين وجهاً ، وللخماسي مائة وعشرين وجهاً ؛ وعرف عدد حروف العربية فكان حساب عدد الأبنية التي تخرج من كل منها ممكناً ، وجمع الحاصل أسهل [2] . وهاك عدد أبنية العرب المستعملة والمهملة بعد الحساب وإسقاط المكرر :

الثنائي	٧٥٦
الثلاثي	١٩٦٥٦
الرباعي	٤٩١٤٠٠
الخماسي	١١٧٩٣٦٠٠
المجموع	١٢٣٠٥٤١٢

ويتفق حسابنا هذا في جميع تفاصيله مع ماذكره حمزة الأصفهاني [3] عن الخليل ، اللهم الا في الثلاثي ، فقد ذكر أن عدد ابنيته (١٩٦٥٠) . ولا شك ان هذا خطأ من الناسخين .

(يتبع) يوسف العش

(١) الصاحبي ١٨ (٢) ورد هذا الحساب والتعداد مروياً عن حمزة الأصفهاني عن الخليل في المزهر ١ : ٣٧ وبغية الوعاة ٢٤٣ وكشف الظنون ٢ : ٢٩١ وحسب هذا الحساب ابو بكر محمد بن حسن الزبيدي في مختصر كتاب العين فيما نقله عنه المزهر ١ : ٣٧ . وورد الحساب أيضاً في الجمهرة لابن دريد ٣ : ٥١٢ . ونقل ذلك المزهر ١ : ٣٦ — ٣٧ وروى جرجي زيدان ذلك في تاريخ آداب اللغة العربية ٢ : ١٢٤ ولكن هذه الحسابات تختلف الواحدة عن الاخرى اختلافاً بيناً : فإذا ذكر الزبيدي ان مجموع المهمل والمستعمل من الأبنيه (٦٦٩٩٤٠٠) (وفي الأصل ٦٦٥٩٤٠٠ وهو غلط إن شئت فسمه مطبعياً) فان حمزة يذكر (١٢٣١٥٤١٢) كما في النسخة المطبوعة من البغية أو (١٢٣٠٥٤٠٦) كما يظهره حاصل جمع التفاصيل وما في المزهر واذا ذكر هذان المؤلفان ان ضروب الثلاثي (١٩٦٥٠) ذكر ابن دريد أن ضروبه (١٥٦٢٠) ولا شك في أن كلا منهم أغفل من الحروف مالم يغفله الآخر ومن المعتل او المكرر ماعده الآخر ، وبذلك ظهر الاختلاف فيما بينهم . ويجدر الإشارة أيضاً إلى ان خطأ الطابعين او النساخ يزيد الاختلاف بينهم إلى هذا الحد .

(٥) في المزهر ١ : ٣٧ وتعداده أقرب المصادر الى الصحة وفي بغية الوعاة ٢٤٣ وكشف الظنون ٢ : ٢٩١

عشائر الشام

- ١ -

من الموضوعات التي أولع بها أدباء العربية قديمًا وأطالوا البحث عنها والكتابة وقصر اخلافهم الحاضرون في ذلك موضوع عشائر الأعراب او البدو[1] وإذا كان بعض الفضلاء في العراق وفي مصر وفي جنوبي الشام « فلسطين وشرقي الأردن » ممن سنذكر أسماءهم قاموا اخيراً بقسط محمود من ذلك فإن امثالهم في شمالي الشام لم يحفلوا به حتى الآن ٠

على حين ان هؤلاء البدو هم امابين ظهرانينا اوعلى مقربة منا ، ولهم فوق صلات الجنس واللغة والدين والتاريخ التي تربطنا وإياهم مكانة في أمورنا الاقتصادية والقومية ٠ فكل سموننا واكثر لحومنا التي نأكلها والأصواف التي ننسجها والمطايا التي نركبها منهم ٠ وقسم كبير من سكان الحواضر عندنا كدمشق وحمص وحماة وحلب ودير الزور يعتمد في تجارته ومرتزقه من الماشية ومنتوجها على شركائه وعشرائه من هؤلاء البدو ٠

وقد كتب لي ان اتجول في املاك دولة الشام ، وهي على سيف البادية وجل فلاحيها وكل الضاربين في براريها من البدو ، وان اغشى منازل هؤلاء فانظر واسأل وادون واقارن ذلك بما اجده في الكتب العربية والافرنجية الباحثة عنهم حتى اجتمع لي طائفة من اخبارهم ٠ على انني اعترف بقلة مانهلت من هذا البحر ومادونت لصعوبة الاتصال بالبدو وعسرة استقراء الحقائق منهم مما يتيسر لرواد الافرنج ومستشرقيهم ولاسيما لعمال دوائر الانتداب منهم اكثر منا ٠ لأجل هذا فقد قصرت هذه العجالة على ذكر مقدمات وجيزة عن تقسيم عشائر البدو في عهدنا الى طبقات وعن تاريخهم القديم والحديث ثم وصفت البادية

---

(١) الأعراب بالفتح اهل البادية من العرب والواحد أعرابي بالفتح ايضاً وهو الذي يكون صاحب نجعة وارتياد للكلأ ، وقيل من نزل البادية وجاور البادين وظعن بظعنهم فهم اعراب ومن نزل بلاد الريف واستوطن المدن والقرى العربية وغيرها ممن ينتمي الى العرب فهم عرب وان لم يكونوا فصحاء (عن المصباح المنير للمقري الفيومي) ، وقد اصطلح الشاميون على تسمية الاعرابي بالبدوي وعلى تسمية الريفي بالفلاح ويجمعونه على فلاحين وفلاليح كما يجمعون العربي على عربان ٠

وخصائصها ، ثم انتقلت الى البحث الأصلي وهو : تعداد العشائر وتعريف منابتهم ومنازلهم وفرقهم ومبلغهم من العدد والقوة ، وتركت البحث عن عاداتهم وتقاليدهم واخبارهم الماضية والحاضرة الى فرصة اخرى .

ما أُلف عن البدو

من الباحثين عن أنساب البدو واحوالهم بين أُدباء العرب القدماء وجدت ابن عبد ربه الاندلسي المتوفى في سنة ٣٢٨ في كتابه العقد الفريد ، وابي الفرج الاصفهاني المتوفى في سنة ٣٥٦ في كتابه الأغاني ، وابي عبيد البكري المتوفى في سنة ٤٨٧ في مقدمة كتابه معجم ما استعجم ، وابن خلدون المتوفى في سنة ٨٠٨ في الجلد السادس من تاريخه الكبير المسمى العبر ، والقلقشندي المتوفى في سنة ٨٢١ في الجلد الرابع من صبح الأعشى ، في كتابه الثاني المسمى نهاية الأرب في معرفة قبائل العرب المطبوع في بغداد وفي كتابه الثالث المسمى قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان وهو من مخطوطات دار الكتب المصرية يبحث في قبائل مصر في زمنه . وقيل ان في احد الأجزاء التي لم تطبع بعد من مسالك الأبصار لابن فضل الله العمري المتوفى في سنة ٧٤٨ ذكراً لمنازل العرب كما كانت في مصر على عهده ، وقيل ايضاً ان لابن حزم الظاهري المتوفى في سنة ٤٥٦ كتاباً اسمه « جمهرة النسب في معرفة قبائل العرب » وهو من مخطوطات دار الكتب المصرية ولم يتسن لي بعد الاطلاع على المخطوطات المذكورة ، وإن كانت تشمل العصور والأماكن البعيدة عن موضوعي وبحثي .

ومن الباحثين المتأخرين ابو الفوز السويدي البغدادي في رسالته « سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب » المطبوعة على الحجر في الهند سنة ١٢٩٦ لكن ابحاثها قديمة ومقتبسة عن نهاية الأرب للقلقشندي وترتيبها غير موف بالغرض ، والسيد شكري الالوسي في كتابه « بلوغ الأرب في احوال العرب » المطبوع في بغداد سنة ١٣١٤ في ثلاث مجلدات خصها بشرح اخبار عرب الجاهلية وعاداتهم وآدابهم مما هو بعيد عن مطلوبنا واحسن الكتب العربية الحديثة كتاب « خمسة اعوام في شرقي الاردن » المطبوع في حريصا

(لبنان) سنة ١٣٤٥ للارشمندريت بولس سليمان بسط فيه آداب بدو شرقي الاردن في عهدنا وقضائهم ودياناتهم وعشائرهم ، وكتاب « القضاء بين البدو » المطبوع في القدس سنة ١٣٥٢ للسيد عارف العارف قائم مقام بئر السبع بسط فيه اخبار بدو بئر السبع في عهدنا ايضاً وطبائعهم وعاداتهم في القضاء والقتل والسرقة والمرأة والحيوان والرحيل والتجارة والطب والعقيدة ، وكتاب « تاريخ شرقي الأردن وقبائلها » للفتنت كولونل ج. بيك الانكليزي وقد عربه السيد بهاء الدين طوقان وطبعه في القدس سنة ١٣٥٤ ، وكتاب « قلب جزيرة العرب » لفؤاد حمزة طبع في مصر سنة ١٣٥٢ ، وكتاب « قبائل العرب في مصر » لأحمد لطفي السيد طبع في مصر سنة ١٣٥٤ ، وكتاب « عشائر العراق » للسيد عباس العزاوي المطبوع في بغداد سنة ١٣٥٦

ووجدت من الافرنج الباحثين عن البدو الرحالة بركهارت السويسري[١] صاحب كتاب « رحلة في بلاد العرب » وقد وافى هذه البلاد في سنة ١٢٢٤ هـ وعد في كتابه ما صادفه في تلك الحقبة من عشائر البدو في الشام والحجاز وأحصى نفوسها وذكر أطوارها وأساليب معيشتها ومناطق رعيها وكل ما يتعلق بها بتدقيق واف . وللمستشرق موزيل التشيكوسلوفاكي[٢] كتب بالألمانية عن بادية العرب بحث فيها عن عشائر عنزة ولاسيما عن الرولة وتقاليدهم ، وكان أقام بينهم سنيناً عديدة وكانوا يدعونه الشيخ موسى الرويلي وللسائحة الانكليزية اللادي آن . بلونت[٣] كتاب في مجلدين عن « عشائر البادية الفراتية » طبع في لندن سنة ١٨٧٩ كما أن لها كتاباً آخر اسمه « رحلة إلى نجد » ترجم الى الافرنسية ، وللكابتين رينو[٤] الافرنسي رسالة صغيرة عن « بدو البلاد التابعة حكومة دمشق » طبعت في سنة ١٩٢١ ولكومندان مولر[٥] كتاب اسمه « في بلاد الشام مع البدو » طبع في سنة ١٩٣١ ، وهذان الضابطان كانا من مدراء الإدارة الافرنسية الخاصة

(1) Jean - Louis Burkhardt, Voyages en Arabie. (2) Aloes Musil, Arabia deserta, 1927. (3) Lady Anne Blunt, Bédouin tribes of the Euphrates, Murray, 1879. (4) Capitain Renaud, Les Bédouins de mouvence du gouvernement de Damas, 1921 (5) Victor Muller, En Syrie avec les Bédouins, 1931

بمراقبة العشائر . وثمة كتابان افرنسيان للأب جوسن الدومينيكي[1] احدهما عن عادات البدو في بلاد موآب وثانيهما عن عشيرة الفقرا احدى العشائر الكبيرة في تلك الأنحاء ، وللمسيو آلبر بوشمان[2] كتاب اسمه «امتعة المعيشة البدوية» فيه وصف ألبسة البدو وفرشهم وأوانيهم ومضاربهم . واحدث الكتب الاوربية وأكملها عن عشائر الشام هو ما نشره أخيراً المستشرق البارون فون اوبنهايم[3] المطبوع في ليبزيغ سنة ١٩٣٩ ، ولعل هنالك كتباً أخرى لم أطلع عليها فاكتفيت بذكر ماعلمت .

طبقات البدو

لنا أن نقسم بدو زماننا في شمالي الشام حسب عراقتهم بالبداوة واطوارها وبعدهم عن عن الحضارة ومنازلها الى ثلاث طبقات :

الطبقة الاولى : أعراب البادية او البدو الأقحاح ويوصفون في اصطلاح الافرنج بالبدو الاصليين او بالبدو الرحل ، وهم اهل الوبر ، أصحاب المضارب او الخيام او بيوت الشعر لسكناهم والخيل لركوبهم والإبل لمعاشهم . فالإبل مراكبهم التي يحملون عليها احمالهم وينقلون اثقالهم ويأكلون لحومها ويقتاتون بألبانها ويكتسون وينسجون بيوتهم من أوبارها ويقايضون عليها في المبايعات ويعطون منها في سائر الغرامات والديات والمراهنات ومهر الزوجات ، فهي في الجملة مصدر غناءهم ومبعث هناءهم ، كما انهم سبب معاشها ووجودها ، لا يدرون أهي خلقت لهم وقبلهم ام هم خلقوا لها وقبلها ، ولا يدفعون للدولة عنها سوى ضريبة تدعى «الودي» ، دأبهم الظعن بين قفار البادية وارياف الحاضرة فراراً من حمارة القيظ تارةً وصبارة البرد اخرى وارتياداً لمواقع القطر وانتجاعاً لمنابت الكلأ والمراعي الصالحة للابل فيخيمون هنالك ما ساعدهم الخصب وامكنهم الرعي ثم يتوجهون لطلب الكلأ وابتغاء المياه والدفء في اماكن اخرى فلا يزالون في حل وترحال يقطعون

(1) P. Jaussen, Coutumes des Arabes en pays de Moab. Coutumes des Fuquaras, 1920. (2) Alber Bouchman, Les meubles de la vie Bédouine. (3) Die Beduinen, Max Vonoppenheim . Leipzig. 1939

٥٠٠ و ٦٠٠ واحياناً ٧٠٠ — ٨٠٠ كيلو متر فيصلون في الشرق الى بوادي العراق او في الجنوب الى فيافي نجد ثم يعودون الى مشارف الشام او الى ما يقاربها .

وهواهم في البادية وفيافيها الشاسعة وآفاقها الواسعة وحريتها المطلقة ووحشتها الرهيبة ونباتاتها وحيواناتها الغريبة ولا يزالون يمدحون البوادي وشظف عيشها في منظوم كلامهم ومنثوره . وهم يحتقرون اهل الطبقة الثانية ويدعونهم « رعية » و « شاوية » او « شوايا » لاقتنائهم — الشياه والمعز ، يعدّون ذلك من اكبر العار اذ تمنعهم عن الايغال في البيداء ومدافعة الاعداء — ويمتهنون اهل الحضر والقرى ويدعونهم « الفلاليح » لانهم ساكنون بيوت الحجر ومعتادون على الرفه وحماية الدولة ، ومتكلون على الحرث والكرث وهم دائماً يحملون السلاح ويتلفتون في الطرق ويتجافون عن الهجوع الا غراراً في المجالس وعلى الرحال وفوق الاقتاب ، ويتفردون في الصحراء وثقتهم بأنفسهم كثيرة حتى صار البأس لهم خلقاً . ولذلك كان أكثر البدو توغلاً في القفر اشدهم بأساً واجرأهم على تحمل المشاق .وهؤلاء البدو الشعث الغبر الجفاة لا يغشون القرى والمدن الا للضرورة في سني المحل والظمأ او لابتياع حاجاتهم وبيع الذكور من إبلهم ، وبيع اصوافهم ، وهم لجفوتهم وقسوتهم وجهلهم حق الغير في تعبه ونشبه كثيراً ما يلحق اهل الضياع والمزارع حين مرورهم بها مضرات من افسادهم السابلة ورعيهم الزرع مخضراً او انتهابه قائماً وحصيداً ، ويتفاقم ضررهم حينما يرون من فوضى الأحكام ومسامحة ذوي السلطان فرصة . وهؤلاء في بلادنا عشائر شمر في بوادي الجزيرة الفراتية ، وعشائر عنزة في بوادي الشامية . وسيأتي ذكر فروع كل منها .

الطبقة الثانية : اعراب الحاضرة الذين يسمون في انحاء حلب وحماة وحمص ودمشق « عربان الديرة » او « الرعية » وفي انحاء دير الزور والجزيرة « شوايا » . وهؤلاء ايضاً اهل وبر وخيل ، لكنهم قسمان : قسم لا يرتزق الا بالضرع اي بارعاء الماشية من الغنم والمعز فقط . وهذه الماشية اما ان تكون لهم وحدهم ، واما ان تكون لأهل مدن حلب وحماة وحمص ودمشق ودير الزور وغيرها يشار كونهم في تربيتها والمتاجرة بصوفها وسمنها التي تدر عليهم وعلى شركائهم في سني الخصب ثروةً غير يسيرة . ويسمي الافرنج

هذا القسم من الأعراب بالغنامة او النصف رحل او النصف حضر . وهؤلاء يقطنون بيوت الشعر دون غيرها ليتمكنوا من الظعن وراء الماشية . والقسم الثاني يضم الى الضرع امتلاك الضياع والارضين واستثمارها بالحرث والزرع ، فهم يقبلون من جهة على الزرع خوفاً من ان تقضي أعوام الصقيع على الماشية او ينقض عليها غزو ينهبها او مرض يهلكها ، ويظلون متعلقين بأهداب الضرع اما لصغر مساحة الأرض التي يملكونها او لكثرة ما ينتاب الزروع من الآفات كالجراد والمحل وعيث البادية وغير ذلك ، ولأنهم لم يتجردوا بعد عن أطوار البداوة وهوى الحل والترحال . وهم بعد ان ينتهوا من بذر الزروع الشتوية يرحلون في أواخر الخريف الى البادية انتجاعاً لمرعى غنمهم ودفئهم ويعودون في أواخر الربيع الى منازلهم وضياعهم ليلحقوا اعمال الحصاد والرجاد والدراس للزروع الشتوية والبذر والري والتعهد للزروع الصيفية . وهؤلاء يقطنون بيوت الشعر او قباب اللبن في أنحاء حلب او السبابيط المبنية من أعواد الطرفاء وأغصان عرق السوس في أنحاء سقي الفرات والخابور وغيرهما من انهار الجزيرة . وليس للتقسيم المذكور حد محدود ، فالعشيرة الواحدة قد تكون من القسم الاول او الثاني وحدهما او من القسمين كليهما .

وسبب تسمية اهل هذه الطبقة بعربان الديرة لأنهم مرتبطون بديار خاصة في أطراف الحاضرة ومستقرون ولاسيما اهل القسم الثاني فيها ، ولأنهم حينما يظعنون في الشتاء لا يوغلون في البادية أكثر من ٣٠٠ — ٤٠٠ كيلومتر مراعاةً لمقدرة الغنم ولقرب المناهل والآبار الصالحة لورودها . فأعراب حمص وحماة مثلاً لا يتعدون الخبرات والقعرة « شرقي تدمر » وكثيراً ما يشتون حول جبل البلعاس وجبل العمور ، كما ان أعراب سقي الفرات يشتون حول جبل البشري ، واعراب أنحاء دمشق يشتون في ديرة التلول وحول جبل التنف ، واعراب الجزيرة الفراتية حول جبل عبد العزيز .

واهل هذه الطبقة يشبهون في الجملة الطبقة الاولى في طباع البداوة والجلفة والشعوثة وانتهاك حمى الطبقة الثالثة وفلاحي الحاضرة عند سنوح الغفلة وضعف الدولة . ويختلفون بأنهم لا يعاملون في عرف البادية معاملة اهل الطبقة الاولى فلا يشهر عليهم الحرب ولا يحفظ لهم صحب اي لا يجار الملتجيء اليهم ، بل لما كانوا « رعية » و « شوايا » يؤكلون

ولا بأ كلون . فكأن الطبقة الاولى كالدول المستقلة تمام الاستقلال من الاوربيين تعامل بجميع قواعد حقوق الدول ، والطبقة الثانية كالدول المستقلة من الشرقيين يحافظ على عهودها وتحترم ذمتها بحسب قوتها ومنعتها ، والطبقة الثالثة كالدول التي لم يصادق على استقلالها او كالامارات المحمية . ويختلفون ايضاً بأن لهم استعداداً بارزاً للتحضر فقد صار بعضهم اهل مدر اي اصحاب قرى وضياع يقطنون فيها ويستثمرون أرضها ، ولآخرين منهم علائق جمة مع تجار الماشية او التجار السوقة في المدن والحواضر يشار كونهم في تربية الغنم او زراعة الحبوب ، وهم يؤدون للدولة عدا ضريبة الأغنام العشر عن الزروع والخراج عن الأرضين .

والطبقة الثالثة أيضاً قسمان : قسم يشبه أهل القسم الاول الذي ذكرناه في بحث الطبقة الثانية بأن فيه أهل ضرع ووبر يربون الماشية ويقطنون بيوت الشعر ويرتزقون من مشاركة صغار السوقة في المدن او الزراع في القرى ومراكز الاقضية ويدعون « شكارة » بتشديد الكاف على أنهم يختلفون عن أولئك بأنهم لا يؤلفون عشائر ذات شأن بل أحياء صغيرة منفردة ضعيفة الحول والطول ، قليلة العدد والقوة ، وضيعة الارومة والمكانة ، وبأنهم لا يظعنون الى البادية بل يتنقلون حسب الفصول ووجود المرعى في الهضاب والاودية الخالية والبراري والحقول البائرة الممتدة قرب منازلهم او ضمن حدودها او حدود مواطن شركائهم . ولا يخلو قضاء من أقضية بلاد الشام في ساحلها وداخلها من هؤلاء الاعراب الرعاة . وقسم فيه الاعراب الفلاحون « الفلاليح » الذين تركوا الحل والترحال وشن الغارات وايقنوا ان العيش الثابت خير من المتقلقل ، وأن من يلجأ لحمى الدولة أهنأ بالاً ممن يتكل في حمايته على نفسه وعصبيته فعمروا الخرب الداثرة ، وهجروا بيوت الشعر الا قليلا وصاروا أهل مدر اي انهم قطنوا بيوت الحجر او القباب وتوفروا على الحرث والزرع أكثر من تربية الماشية .

من هؤلاء في شمالي الشام القاطنون في قرى « املاك الدولة » في أقضية منبج والباب وجبل الاحص ومطخ قنسرين وسهل العمق وسهل الروج وسهل الغاب وفي أنحاء ادلب

ومسرمين و كورة العلا وفى أقضية حماه وسلمية وحمص والنبك والقنيطرة والزوية وحوران وجبل الدروز وغوطة دمشق ومرجها ... ممن تعددت اسماؤهم واتضعت أنسابهم وأحسابهم .
وأهل هذه الطبقة أيضاً وان كانوا يغشون دائماً المدن والقرى ويشار كون أهلها ويعاشرونهم ويتصلون بمرافقها ومراتعها لكنهم مابرحوا محتفظين بقسم غير يسير من خصال البادية كالخشونة والرعونة فهم يتمسكون بالقشافة المدقعة والجهالة المطبقة ويتوانون عن العمل الصالح في الزرع والحرث ولاسيما في الغرس .

(يتبع) وصفي زكريا

مخطوطات ومطبوعات

الامير جمال الدين عبد الله التنوخي

تأليف تلميذه الشيخ ابي علي مرعي البستاني وآداب الشيخ الفاضل الشيخ محمد ابي هلال
تأليف الشيخ ابي علي عبد الملك بن الحاج يوسف الحلبي الشافعي

أجاد ناشر هذه الرسالة الاستاذ عجاج نويهض مترجم « حاضر العالم الاسلامي » وغيره من الكتب النافعة بنشرها على طريقة عصرية مقبولة وبإتباعه لها بلمحة تاريخية مطولة تشتمل على ترجمة « للأمير سعيد » و « الشيخ الفاضل » وصفوة تاريخ الأمراء آل تنوخ في لبنان من اولهم الى انقطاع سلالتهم قبل منتصف القرن الحادي عشر ووصف امارتهم وامارة آل معن حتى نهاية الامير فخر الدين المعني الثاني الكبير .

وفي الحق ! أن الشخصيتين اللتين يدور عليهما الكتاب وهما : الأمير جمال الدين عبد الله التنوخي دفين قرية عبيه ، والأمير فخر الدين المعني الثاني الكبير دفين الآستانة من أهم الشخصيات التي يفاخر بها العرب والمسلمون في الدين والسياسة . فالامير السيد كله خير وتقوى كان لأمته خير مثال يقتدي به المقتدون والامير فخر الدين كان نابغة العرب في العصور الأخيرة بما رزقه من طبع سياسي واداري برّاق .

وقد أعجبني رأي الاستاذ نويهض في تعليل اخفاق الامير فخر الدين اذ قال : (ص ه ٦١) : « ولو قُيّض لحكم اقطاعي ، مهما كان ضخماً مترامي الأطراف ، ان يعيش ويبقى في العصور الأخيرة ، في وجه نظام الدولة الحديث ، في الشرق أو في الغرب ، لكان حكم فخر الدين الثاني أولى الأحكام الاقطاعية بأن يعيش ، ولو كان مقدوراً للبناء المشمخر الذي رفعه سليل ربيعة بين الكرمل وانطاكية بدهائه وقوة يمينه ، ان تتلاقى حنايا قناطره فتتماسك جوانبه ويشد بعضه بعضاً فيقوي على الأعاصير وترتد عنه الصدمات خاسرة ، ويرقى به صاحبه من دور الاقطاع الكبير الى الملكية الثابتة القرار ، مع تكثيف الجيش وتقوية آلات الحرب وتنمية موارد الثروة العامة ، ونشر العلم الذي كان ينتقل وقتئذ من أوضاعه القديمة إلى أوضاعه الجديدة ، لأمكن فخر الدين ان

يشيد للعرب في سورية الغربية ملكا عربيًا متين الجوانب وفيه اليوم ملايين من السكان . ولكن اذا كان بنو ربيعة الاولون في الجزيرة لم يطيقوا ابوبًا جدالمعنيين وهو واحد منهم ، لبأسه وكثرة غارته وإيقاعه ، وما زالوا به حتى أكرهوه على الرحيل فرحل ، اتطيق الدولة التركية العثمانية حفيد معن وهو يؤسس امارة قد تفضي الى ملك في بلاد سورية ، فيقطع من سلطنتهم ويهدم منها ليبني له مملكة ؟ »

وقال المؤلف في تأثير الشعر في العرب وتغاليهم في روايته : « الشعر عنصر من عناصر الغذاء في حياة الامارات الاقطاعية عند كل الامم المتحضرة ، يماشي الفروسية ، وتنعكس عليه ابهتها ، ويكون وشيًا لطرازها ، وشدو غنائها ، هذا على الجملة ، وأما كون نزعة الشعر في الاصل جزءاً من طبيعة العربي على الخصوص ، وهي من غرائزه النامية ، جاهلية واسلامًا ، بادية وحاضرة ، فلا يحتاج الى دليل . قُل — اذا كانت الفروسية عند العرب ، وهي عندهم على غير انقطاع ، كان الشعر ، وكان منشده وسامعه وراويه ، وهذا في كل الاقاليم التي سكنها العرب قديمًا وحديثًا ، وكما كنا ولا نبرح نطرب لذكر المنحني والعقيق واللوي والرياض التي قال ياقوت انه كان في الجزيرة لااقل من مئة وستة وثلاثين موضعًا يسمى بالروضة او الروضتين ، فكذلك نطرب لترنم الشعراء بذكر المستجد من الاسماء للاماكن التي نزلها العرب بعد الفتوح في سواحل الشام وثغور البحر الابيض وجبال بيروت ومقاطعات الغرب وجبل بني معن ، وكما يشتاقك وصف مراتع الظباء في نجد والحجاز وأوديتهما المختلفة ، فكذلك يجتذبك ذكر صنين وجبل الشيخ ، ووصف تساقط الثلوج عليهما ، وكما كان الشعراء يفدون على الملوك والامراء في الجزيرة والحيرة وديار غسان قبل الإسلام فكذلك نراهم عند التنوخيين اللخميين في لبنان . وسنظل نقرأ الشعر العربي اينما كان العرب ونزلوا ، وفي اي جبل او سهل حلوا . »

وفي بعض هذه الرسائل القديمة كتبت الصاد بالسين على عادة القوم في كتبهم الروحية فردّ عليها المؤلف ردًا لطيفًا بقوله : « وردت كلمة « الصادق » و « التصديق » في سيرة الامير السيد بالسين بدل الصاد احيانًا . وصوابها بالصاد ، ولم يرد في العربية فعل (صدق) بالسين . » والمأمول مع الزمن ان تزول السين من هذا الرسم وتبقى الصاد ليتوحد الاملاء كما تتوحد الآراء .

محمد كرد علي

تذكرة الشعراء

او

شعراء بغداد وكتابها في أيام داود باشا والي بغداد

لعبد القادر الخطيبي الشهراباني

في هذا الكتاب تراجم مختصرة لثلاثة وخمسين رجلاً (ليس فيهم شاعر يذكر) من أهل النصف الأول من القرن الثالث عشر للهجرة في بغداد . عني بنشره ووضع فهارسه العلامة اللغوي الاب انستاس ماري الكرملي . والكتاب = على مافيه من لغة رديئة وأسلوب عامي وخطة مضطربة = يصور لنا نموذجاً من ثقافة ذلك العصر . ولذلك تولى الاستاذ الكرملي نشره كما هو وأضاف اليه فهارس ومعجما للألفاظ العامية والأعجمية مع خاتمة دلـــ بها على فائدة الكتاب .



مراثي مسعود

هي مجموعة الكلمات والقصائد التي أُلقيت في حفلة تأبين محمد مسعود بك احد أعلام النهضة الأدبية في مصر . كان عالمًا مدققًا واديبًا كبيراً وصحافيًا مفننًا ومؤلفًا موفقًا معروفًا بحسن الخلق والاستقامة . وقد تولى الذين ابنوه شرح هذه النواحي ونوهوا بمكارم اخلاقه وعظيم مآثره رحمه الله واحسن عزاء الامة .

آراء وأنباء

استدراك

أشير هنا — مستدركا سهواً في ص ٣٧٥ سطر ٧ من المجلد السادس عشر لهذه المجلة — الى ان كلمة (شعوذة) صحيحة فصيحة مثل (شعبذة) . وأن سنة ٢٥٢ (ص ٣٣٥ سطر ١٧) صوابها : ٢٩٢

الافغاني

وفاة علماء عاملين

فقدت الامة ثلاثة من أعلام العلماء العاملين : الشيخ محمد الحسيني صاحب التفسير والشيخ اسماعيل الحافظ مصحح الجامع الصحيح لمسلم ، وهما من علماء طرابلس الشام . اما الثالث فالشيخ عبد الوهاب النجار من علماء مصر وصاحب كتاب قصص الانبياء وغيره . رحمهم الله رحمة واسعة وعزى الفضائل والعلوم فيهم .

المجلد السادس عشر ١٩٤١ , ١٩٤٢ الجزء الحادي عشر والثاني عشر

مجلة المجمع العلمي العربي

انشئت سنة ١٣٣٩ هـ الموافقة سنة ١٩٢١ م

تنشر في دمشق مرة في الشهر

تشرين الثاني و كانون الأول سنة ١٩٤١ م

ذو القعدة وذو الحجة سنة ١٣٦٠ هـ

دمشق

المجمع العلمي العربي

قيمة الاشتراك السنوي الدفع مقدماً { في سورية ولبنان ٣٠٠ قرش سوري
وفي جميع الاقطار ٤٠٠ " "

مطبعة الترقي بدمشق


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

شيطان الظهيرة

هذا عنوان رمزي لا حقيقة للشياطين فيه . وقديماً ادخلوا الشياطين في الطب واسكنوها صدور المغلوبين على أعصابهم ، ضيوفاً غير محتشمة ، فكانوا يعتقدون ان المصابين بداء الفزع او الهيستريا « مشيطنون » ويأولون شفاءهم بطرد الشيطان بغريب الوسائل والطرق .

جاء في المزمور التسعين للنبي داود : لا تخش من هول الليل ، ولا من سهم يطير في النهار ، ولا من أمرٍ يدبر تحت جنح الظلام ، ولا من شيطان الظهيرة . وقد فسر الشراح شيطان الظهيرة بالذي يغري الانسان بالفساد ويحمله على الفسق عقيب الافراط من ملذات المائدة . واستعاره الروائي بول بورجه للحب الذي يستولي على الانسان بعد الاربعين او الخمسين لانه حب عنيد أعمى لا يعرف سلطة الواجب ولا حداً للعاطفة .

في هذا الدور من العمر بعد أن يبلغ الانسان ذروة القوة ويشرف على منحدر الهرم ، يصيب الوظائف التناسلية تغيرات لا عهد بها ، ويستولي عليها انحطاط تدريجي كثيراً ما يرافقه يقظة الشهوة وهيجان الحواس .

وقد استهزأ موليير في روايته « مدرسة النساء » بالرجل الذى يعشق في هذا الدور الا ان الشاعر العربي تدارك ذلك فقال :

وماذا تبتغي الشعراء مني   وقد جاوزت حد الأربعين

على أن التاريخ يقدم لنا شواهد كثيرة عن هذا الحب الذي يصح أن نسميه بالحب الرجعي . فقيصر الرومان بعد أن وصل ما وراء الغاية من المجد وتمتع ما شاء بالحب والانتصار واعجاب الناس قصد الى مصر وهو في السادسة والخمسين من العمر ليخضع العصاة فاذا بكليوباترا الملكة الشابة تسلبه اللب وتخضعه ، ولولا إلحاح قواده رجاءً وتهديداً لما رضي بالرجوع الى بلاده . وأراد أن تشترك كليوباترا في عيد

تمجيده فأرسل في طلبها وأسكنها أفخم قصوره وأقام لها تمثالاً من الذهب في هيكل آلهة الحب ·

وهنري الرابع في عامه السابع والخمسين علق بحب شارلوت موغرامي وهي لم تشهد ستة عشر ربيعاً ، وأضاع فيها رشده حتى أفضى به الأمر الى التخفي في زي سائس الخيل ليتمكن من رؤيتها بعد أن هجرت القصر الملكي هرباً منه ·

ومثل من ذكرنا الشاعر روشار ، وشاتوبريان ، وواكنر ، والفرد دوڤيني ، وفيكتور هيكو ، واوكست كنت ، وبوفون ، وغيرهم كثير ·

وأغرب حب من هذا النوع هو الذي اشتهر به برليذر الموسيقي فقد احب فتاة في صباه ، ثم بعد أن بلغ السبعين ونقل فؤاده حيث شاء من الهوى عاد إلى الحبيب الاول واخذ يراسل الفتاة وقد صارت عجوزاً وجدة ، ويعرض عليها قلبه المتيم فنصحته بالكف عن ملاحقتها بعد ان بلغت من العمر عتياً ·

ومن قرأ رسائله ورأى ما فيها من بلاغة التعبير وقوة الاقناع وصدق العاطفة تولاه الدهش من هذا القلب البشري وما يمكنه أن يحمل من غرائب الأسرار او يتقلب فيه من عجائب الأطوار ·

هذا الحب في الكهولة يمتاز بانه لا ينحصر في اللذة الجسدية بل يتناول شعوراً آخر هو نصف الحب بل أشرف مافيه وانقى وأبقى وهو الصداقة · والى جانب الصداقة عواطف كثيرة مختلفة من خوف وغيره وحياء وفضول وشدة تأثر وغير ذلك يديرها خيال خصب يصور الحياة بألوان زاهية الإشراق ساحرة الآفاق ·

ولا حاجة الى جمال فائق ليوحي هذا الحب فلا سلطان هنا للحظ الساحر ، والخد الاسيل والقد الرشيق وحسب المرأة قليل من الجاذب لتأخذ سبيلاً الى القلب · ثم نجد من اختلاف الميول والأذواق مالا يقل عن اختلاف الوجوه ؛ فمنهم من يتعشق المرأة لبساطة ما فيها ومنهم رغبةً بالمفاداة ومنهم من يستهويه الجمود والبرودة ويلذ له ان يحب ليبعث الحياة في هذا الجماد الى آخر ما هنالك · ولا يعني هذا تساهلا من جانب الكهول في اختيار من يحبون فقد يكونون كالنهم المترف

لايرضيه شيء من الطعام مهما تفنن الطاهي في علاجه ، او بالعكس كالذي يأكل كل ما يصيب ويفترسه افتراساً وربما اختنق به ، والغالب ان الذين يختنقون هم القلة وأكثر الكهول يحاولون الحصول على أفضل ما يمكن ، اعتداداً بالنفس ولسان حالهم يقول :

لا يرعكِ المشيب يا ابنة عبـ ـد الله فالشيب جلةٌ ووقار
إنما تحسن الرياض إذا ما ضحكت في خلالها الأنوار

والمعروف أن السواد الأعظم من هؤلاء ان لم نقل كلهم يضيعون قوة الاشراف على حركاتهم وتضعف الارادة فيهم الى درجة ينسون معها الواجب نحو ازواجهم وبنيهم . ولا يردهم عن غيهم نصح أو تأنيب ولا يشفيهم من دائهم كاهن ولا طبيب . فهم كما قال الشاعر :

ولما أبى الا جماحاً لحبه ولم يسلُ عن ليلى بمال ولا أهل
تسلىّ بأُخرى غيرها فإذا التي تسلى بها تغرى بليلى ولا تسلى

أما الحب الروحاني المجرد عن شوق الجسد ولذة المادة فلا أثر له فيهم . واذا تظاهروا به فاستدراجاً للمرأة وتوصلاً الى الحب الآخر . وقد عرفت المرأة هذا فأصبحت لا تؤمن ولا تصدق . ولا غرو فان الذي يستميل الرجل للوهلة الأولى ويحرك فيه عاطفة الهوى هو الجاذب او جمال الصورة قبل ان يتبين ما وراء ذلك من حسن الخلال وعذوبة الأخلاق . لذلك ترى الشعر وهو المعبر عن العواطف سواء أكان الغزل فيه حقيقة ام خيالا لا يذكر الحب الا مقروناً بالوصال . قال المتنبي :

زودينا من حسن وجهك ما دا م فحسن الوجوه حال تحول
وصلينا نصلك في هذه الدنـ ـيا فإن المقام فيها قليل

وقال الحمداني :

معللتي بالوصل والموت دونه اذا متّ عطشاناً فلا نزل القطر

وقال غيره :

صلي واغنمي اجراً فما وردة الربى تدوم على حال ولا وردة الخد

الى آخر ماهنالك مما لا يقع تحت حصر .

وقلما تجد من الشعراء من اكتفى بالروح كقول الواحد :

اني أحبك حباً لا لفاحشة والحب ليس به في الله من باس

او قول الآخر :

أحبك يا ليلى على غير ريبة وما خير حب لا تعف سرائره

والذي يجعل الكهل اكثر استعداداً من غيره وميلاً للذة الجسدية قوة تصوره وسرعة تهوره وسهولة تأثر جهازه العصبي والخبرة الواسعة التي اكتسبها فيما مضى ، فتراه يتفنن في الطرق التي تجلب له هذه اللذة وقد لا يحجم من أجلها عن ارتكاب الموبقات ما لم يكن منه له زاجر .

واذا عدنا الى الماضي وجدنا سعي الانسان وراء ملذات الجسد لم يخل منها زمان ولا مكان . فقد كان التهتك عادة في الطبقات العليا من الشعب ، والزواج المحرم حلالا . وقد شرع الحكيم سولون شرعة للبغاء وضعها تحت حماية الآلهة وكانت بلاد الاغريق سدوماً ثانية ، ومدارس الفلاسفة مجتمعاً للفساد مما ضج له المشترعون ورجال القانون فجعلوا الحرق بالنار عقاباً لكل من جار في الحب عن قصد السبيل .

وشيطان الظهيرة يزور الرجال أكثر من النساء لان الانحطاط اسرع الى جسم المرأة فلا يدع لها مجالاً لاستقباله . على انه لا ينكر ان اقتراب زمن اليأس يوقظ حاسة الجنس في المرأة ويسبب لها أعراضاً مرضية وأحلاماً مزعجة كانوا يعتقدون فيما مضى أنها من عمل السحرة او الأبالسة . وقد فسر « فرود » هذه الاعراض حسب طريقته المعروفة فهو يعتقد أن الجاذب الجنسي هو المحور الذي تدور عليه كل حركاتنا وأعمالنا وان الحياة البشرية جمعاء معلقة بهياج تناسلي او رغبة أطلق عليها اسم Cibido وهذه الرغبة التناسلية موجودة في كل أدوار العمر من

الطفل الرضيع الى الشيخ المنحني تحت أثقال السنين . وان اكثر الأعراض العصبية والدماغية ان لم نقل كلها ناتجة عن تأثرات جنسية كامنة في العقل الباطن ، مردودة او مكبوتة أو ممنوعة من الظهور . وبناء على هذا الاعتقاد أوجد طريقته المشهورة اي المعالجة بالتحليل النفساني Psychanalyse وهي أن يستلقي المريض على ظهره ويأخذ بسرد حوادث ماضيه فيصغي الطبيب اليه وهو يحاول ان يقع منها على أثر قديم يمكن الرجوع اليه في تعليل الداء الحاضر . وهذه الطريقة قديمة معروفة فهي لا تختلف عن الاعتراف عند النصارى بل ربما كانت دونه في الجدوى لان فكرة الغريزة الجنسية والاعتقاد بها مقدما تؤثر في حكم الطبيب فتضلله وتضلل المريض معاً .

على أنه لاحاجة لسر العقل الباطن لتعليل التبدلات التي تحدث في زمن اليأس فالسبب فيسولوجي أكثر مما هو بسيكولوجي لان الهرم يصيب الغدد المسائية فيقل افرازها الضروري للتغذية العمومية وللوظائف العصبية . وقلة الافراز تحدث اختلالا يفضي إلى هذا الانقلاب الى ان ينعود الجسم ويعتاض عن هذه الغدد بغيرها من الغدد الصماء التي تعطي الجسم ما قصر عنه المبيض وتعيد اليه النظام .

وللحب حول الخمسين فائدته الصحية اذا قرن بالزواج فقد دلت الاحصاءات أن الجرائم في هذا الدور من العمر اقل عند المتزوجين منها عند العازبين والأرامل وكذلك الوفيات .

لا أقصد بذلك الى وجوب الزواج على كل من بلغ هذه السن فالذي ينفق شبابه في الملاهي وينهك عقله وبدنه ثم يختار فتاة في مقتبل العمر لترافقه فيما بقي من طريق الحياة مجرم في نظري وخير له أن يردد مع الشاعر :

سلام على الدنيا ولذة عيشها سلام غدو أو رواح الى الرمس

واذا كان للحب في الكهولة هذه الفائدة الصحية المحصورة في دائرتها الضيقة فإن اضراره كثيرة لان الافراط في هذا الدور خطر عظيم وعندي أن الأكل بدون جوع او الشرب بلا ظمأ لأخف ضرراً من التهيج الذي لا داعي له . فالجسد

كالمصباح الكهربائي الذي تحمله في جيبك لينير سبيلك في دجى الليل اذا لم تقتصد في استعماله انطفأ قبل حينه ولم يخدمك نوره الى آخر الطريق ·

وبعض الناس أكثر تعرضاً لهذا الخطر من سواهم كالمحامين والأطباء والسياسيين وكل ذي نفوذ مالي أو اجتماعي بما تعودهم عليه سهولة الحصول على مايريدون من التراخي في مدافعة شهواتهم فتراهم أسرع من غيرهم للخروج من دائرة الاعتدال في الحب· وقد قالت الحكماء : خير الأمور الوسط· الوسط في الثروة وفي الشهوة وفي الصحة وفي الذكاء وفي الغذاء وفي المزاج وفي المناخ فمن عرف الوقوف عند هذا الحد فقد اهتدى الى سر إطالة الحياة على الأرض والله أعلم ·

هذا ما عن لي ذكره عن شيطان الظهيرة · فهو في الغالب يحمل الى الجسم فوق عبء الأيام عبء الآلام · وقد يكون من الملائكة الساقطين فيذكر السماء حيناً بعد حين ·

الدكتور

نقولا فياض

أُذيعت في راديو الشرق في ١٢ ايلول سنة ١٩٤١



ابو العلاء والمزدكية

ما سمعت في الأمم الغابرة ولا رأيت في الأجيال الحاضرة رجلاً من العلماء الافذاذ مُني بمثل ما مني به أبو العلاء المعري فقد قضى من العمر ستاً وثمانين سنة صاحبه فيها من المهد الى اللحد ضروب من البؤس والشقاء والمرض والفاقة . وصاحبه فيها صنوف مختلفة من كيد الكائدين وحسد الحاسدين .

ولشدّ ما عرضوه بوشاياتهم الى موارد الهلكة وحرفوا كلمه عن مواضعه ليجعلوه عرضة للأذى والبطش ، وحاولوا أن يطفئوا بأفواههم نور الله الذي أذكاه فيه ، فأبى الله الا أن يتم نوره على الرغم من أنوفهم .

ثم فارق الحياة ولكن الشقوة لم تفارقه في عصر ولا مصر ولا ذنب له الا ذنب صُحر[1] ولا عيب فيه الا سوء حظه أو حظ هذه الأُمة ولقد صدق في قوله

تعد ذنوبي عند قوم كثيرة ولا ذنب لي الا العلى والفواضل

وقوله :

لابد للحسناء من ذام ولا ذام انفسي غير سيّء بختها

ترك هذا المسكين للناس دنياهم وأعرض عما فيها من المتع والملاذ وسجن نفسه في كسر بيته وقضى حياته الطويلة في الدراسة والتعليم ، حتى أتى من ضروب العبقرية بما لم تستطعه الأوائل ولم تدرك شأوه فيه الاواخر .

ثم ماذا كان جزاؤه من هذه الامة التي لم تعدم في كل عصر فئة من رجالها تخنق كل فضيلة بيدها وتئد كل عبقرية في مهدها ؟ كان جزاؤه أن قيض الله له فريقاً من العلماء الذين يتخذون من الدين سلاحاً لمحاربة كل نابغ ، ومطاردة

(١) صُحر بنت لقمان العادي خرج هو وابنه لقيم في اغارة فأصابا ابلاً وسبق لقيم فأتى منزله فنحرت اخته صحر جزوراً من غنيمته وصنعت منه طعاماً تتحف به أباها اذا قدم فلما قدم لقمان قدمت له الطعام وكان يحسد ابنه لقيما فلطمها ولم يكن لها ذنب . وقد ضرب بها المثل فقيل لا ذنب له الا ذنب صحر . وهذا المثل يضرب لمن عوقب على الاحسان

كل نابه فأخذوا يكفرونه بالشبهة ، ويرمونه بالالحاد والزندقة . بالظن والتوهم ؛ ويؤولون كلامه على ما يوافق أهواءهم وان كان صريحاً في غير ذلك .

ومن أغرب ما رأيته في هذا الباب : وصمه بالمزدكية . ولعل اول من رماه بها الذهبي فانه قال فيه : هو صاحب التصانيف المشهورة ، والزندقة المأثورة ، له رسالة الغفران قد احتوت على مزدكة واستخفاف .

ذكر ذلك الذهبي ولم يفسر لنا المزدكة ولا بين موضعها في رسالة الغفران ثم جاء الدكتور طه حسين فتمسك بهذه الكلمة واوضحها وبنى عليها أحكاماً جائرة على أبي العلاء فقال في تجديد الذكرى (ص ٣٠٠) من الطبيعي اذا اعرض أبو العلاء عن النسل ان يعرض عن الزواج لانه سبيله ولأن فيه شروراً أخرى ذكرها غير مرة في اللزوميات ... على انه قد نهى عن الزواج نصاً فقال :

فان انت لم تملك وشيك فراقها   فعف ولا تنكح عواناً ولا بكراً

وذلك جاءه من سوء ظنه بالنساء واعتقاده أن العفة والاحصان فيهن نادرة ولعل هذا الرأي هو المزدكية التي أشار إليها الذهبي .. ونسب شيئاً منها الى رسالة الغفران لاشتمال هذه الرسالة على ألوان من إباحة القرامطة يرويها رواية الساخط عليها . وفي اللزوميات مايؤيد ميل أبي العلاء في بعض أطواره الى الاشتراكية في النساء .. وسترى أن مذهب ابي العلاء في الاخلاق لا ينافي هذا الرأي .. ثم قال في مبحث الاخلاق (ص ٣٠٣) ابو العلاء يرى رأي ابيقور [في اللذة] ثم قال : فليس من الغريب بعد ذلك ان يشير ابو العلاء بالاشتراكية في النساء . الى آخر كلامه .

هذا ما فسر به المزدكية التي الصقها بأبي العلاء ولقد رجعنا الى ابن النديم المتوفى نحو سنة ٣٧٨ فرأيناه يقول في الفهرست (ص ٤٧٩) ان مزدك القديم مجوسي في الأصل من الخرّمية المعروفين بالقطة أمر اصحابه بتناول اللذات والعكوف على بلوغ الشهوات والاكل والشرب والمواساة والاختلاط وترك الاستبداد بعضهم على بعض ولهم مشاركة في الحرم والأهل لا يمتنع الواحد منهم من حرمة الآخر ولا يمنعه ومع

هذه الحال يرون افعال الخير وترك القتل وادخال الآلام على النفوس ولهم مذهب في الضيافات ليس لأحد من الأمم اذا أضافوا الإنسان لم يمنعوه من شيء يلتمسه كائناً ما كان . وعلى هذا المذهب مزدك الأخير الذي ظهر في أيام قباذ بن فيروز وقتله انوشروان وقتل أصحابه وخبره مشهور معروف . ونظرنا في كتاب الملل والنحل لمحمد ابن عبد الكريم الشهرستاني المتوفى سنة ٥٤٨ فاذا هو يقول (ص ٨٦) على هامش الفصل ج ٢ . مزدك الذي ظهر في أيام قباذ والد انوشروان .. وكان مزدك ينهى الناس عن المخالفة والمباغضة والقتال ولما كان أكثر ذلك انما يقع بسبب النساء والاموال أحل النساء وأباح الاموال وجعل الناس شركة فيها كاشتراكهم في الماء والنار والكلأ وحكى انه كان أمر بقتل الانفس ليخلصها من الشر ...

ورأينا ابن حزم يقول في الفصل في الملل والأهواء والنحل (ج ٢ ص ١١٦) وكان مزدك يقول بوجوب تأمي الناس في النساء والأموال .

ورأينا ابن الاثير يقول في الكامل ج ١ ص ١٨٢ في أيام قباذ بن فيروز ظهر مزدك وابتدع ووافق زرادشت واستحل المحارم والمنكرات وسوى بين الناس في الاموال والأملاك والنساء والعبيد والإماء حتى لا يكون لأحد على أحد فضل في شيء البتة . فكان يأخذ امرأة هذا فيسلمها الى الآخر وكذا في الأموال والعبيد والإماء وغيرها من الضياع والعقار وحرم ذبح الحيوان وقال : يكفي في طعام الانسان ما تنبته الارض وما يتولد من الحيوان كالبيض واللبن والسمن والجبن وذكر انه طلب امرأة قباذ ليقضي وطره منها فأجابه الى ذلك فقام ابنها انوشروان وقبل رجلي مزدك وشفع اليه حتى لا يتعرض لامه وله حكمه في سائر ملكه ، فتركها .

هذا ما قاله العلماء في مزدك واذا قايسنا ماعرفناه من احوال ابي العلاء الى ما عرفناه في مزدك تبين لنا ان ابا العلاء يخالفه في تناول اللذات والعكوف على الشهوات وأكل ما يتولد من الحيوان وادخال الآلام على النفوس وقتلها لتخليصها من الشر ، والاشتراك في الاموال الا بقدر معين في الشرع ونحو ذلك ، ولم يوافقه الا في فعل الخير وترك القتل والنهي عن المباغضة . وهذا مما جاءت به الشريعة الاسلامية بل الشرائع السماوية كلها .

وقد ذكرنا أن الذهبي لم يفسر المزدكة وان الدكتور فسرها بالاشتراك في النساء والإباحة ، وهذا تقوّل على أبي العلاء ومن استقصى كلامه في اللزوم وغيره يتضح له منزلة هذا القول من الحقيقة ويتبين له أن ابا العلاء أشد الناس غيرة على المرأة ، وأكثرهم تشدداً عليها وأوفرهم حرصاً على ابعادها عن مواطن الريبة وان افراطه في الغيرة عليها ، والحرص على عفافها حمله على الخروج عن آداب الشريعة الاسلامية والاسراف في الارتياب فيها ، فهو لايريد أن تتعلم المرأة القراءة والكتابة

علموهن الغزل والنسج والرد ن وخلوا كتابة وقراءة
فصلاة الفتاة بالحمد والاخـ ـلاص تغني عن يونس وبراءة

وانما نهى عن تعليمها ذلك غيرة عليها لأنها :

تهتك الستر بالجلوس أمام السـ ـتر ان غنت القيان وراءه

وهو يعتقد أن المرأة في طبيعتها كالسهم القاتل والتعليم كالسم لها لانه يبصرها بما لم تكن تراه ويدلها على مالم تكن تعلم من أنواع الشر والفتن

ولا تحمد حسانك ان توافت بأيدٍ للسطور مقومات
فحمل مغازل النسوان أولى بهن من اليراع مقلمات
سهام ان عرفن كتاب لسن رجعن بما يسوء مسممات

واذا لم يكن بد من تعليمهن فليقتصر على تلاوة القرآن على عجوز تقية فان عيب اللحن اهون من عار الفتنة .

ليأخذن التلاوة عن عجوز من اللائي فغرن(١) مهتمات
يسبحن المليك بكل جنح ويركعن الضحى متأثمات
فما عيب على الفتيات لحن إذا قلن المراد مترجمات

وأما الرجال فلا يسوغ الاقتراب منهم الا اذا كان الرجل هرماً ضعفت منته وخارت قوته ، وأمنت فتنته ، ولو كان أعمى فان الشهوة بصيرة

ولا يدنين من رجل ضرير يلقنهن آياً محكمات
سوى من كان مرتعشاً يداه ولمته من المتثغمات

(١) كذا في الأصل ولعله تفرن .

ويرى الصلاة في بيتها افضل من المسجد خشية عليها من الفتنة

اذا ما رامت الصلوات خود فكنْ البيت افضل مسجديها

ولا يرى الحج فرضاً عليها حذراً من الاشرار عليها وسواء في ذلك الصغيرة والكبيرة فان لكل ساقطة لاقطة

أقيمي لا أعد الحج فرضاً على عجز النساء ولا العذارى
ففي بطحاء مكة شر قوم وليسوا بالحماة ولا الغيارى

وربما كانت تقيم الشعائر والغواة ينصبون لها الحبائل

ولكن جاءت الجمرات ترمي وأبصار الغواة الى يديها
وليس محمد فيما اتته ولا الله القدير بمحمديها

وليس الرجل في اعتقاد ابي العلاء باحسن حالا من المرأة بل هما فرسا رهان يتباريان في الشر والفتنة فهو يخاف على المرأة من الرجل بقدر ما يخاف على الرجل منها لأن الجبلة واحدة والطبع واحد ؛ فربما اغوته ان لم يغوها وعلى هذه القاعدة لا يأتمن اخا الرجل على حرمه

اذا امنت على مال اخا ثقة فاحذر اخاك ولا تأمن على الحرم
فالطبع في كل جيل طبع ملأمة وليس في الناس مجبول على الكرم

ولا يأمن الوليد عليهن مخافة ان يغوينه او يغويهن

إذا بلغ الوليد لديك عشراً فلا يدخل على الحرم الوليد
فان خالفتني وعصيت نصحي فأنت وان رزقت حجى بليد
الا ان النساء حبال غي بهن يضيَّع الشرف التليد

وقد اشتد في النهي عن خروجها الى الحمام

أعوذ بالله من ورهاء[1] قائلة للزوج اني الى الحمام احتاج

لأنها قد تخدعه بذلك

وهمها في امور لو يطاوعها كسرى عليها لشين الملك والتاج

وامر بضربها اذا خرجت الى العراف او المنجم وبمواثبتها اذا ابدت زينة يديها وبفراقها اذا كشفت عن ساقها .

---

(١) حمقاء .

اذا ابتكرت الى العراف فاعرف مكان عصا تصك به قَراها[١]
وساورها[٢] اذا ابدت سواراً وبارئها[٣] متى كشفت بُراها[٤]
وحذرها المنجم فهو ذئب تشوقه الضوائن[٥] ان يراها
فان هي لم تجبه الى قبيح تحلبها المنافع وامتراها

ونهاها عن مجالسة ابن الزوج والختن

لا تجلسن حرة موفقة مع ابن زوج لها ولا ختن[٦]
فذاك خير لها واسلم للانـ سان ان الفتى مع الفتن
ودم على غيرة الصبا ابداً ولا تعد في الشراب ثم تني

كما نهى عن شهودها الأعراس

نصحتك يا ام البنات فحاذري وساوس ولاج الاساود خناس
ولا تلبسي الحجلين بنتك والبرى لتشهد عرساً واشغليها بعرناس[٧]

وعن مجاورة الجارة

فنزه ناظريك عن الغواني واكرم جارتيك عن الحوار

وعن النظر اليها

اذا قصر الجدار فلا تشرف لتنظر ما تستر في الجدار

والى الغاديات الى الكنائس

فلا تتعرض في طريقك ناظراً نساء النصارى غاديات الى الكنس

وعد الرجل الذي يجمع في بيته الندامى والمغنين غير حازم اذ قد يترتب على عمله فتنة

لعمرك ما زوج الفتاة بحازم اذا ما الندامى في محلته غنّوا
أتى بيته بالراح أو الشَرْب لاهياً فاما رنوا[٨] نحو الظعينة او زنّوا[٩]

(١) ظهرها (٢) واثبها او تناول رأسها (٣) فارقها او صالحها على الفراق
(٤) جمع بُرَة : الخلخال (٥) جمع ضائنة : الشاة من الغنم يريد بها المرأة
(٦) جاء الختن لمعان منها : زوج البنت وكل من كان من قبل المرأة كالأب والاخ.
(٧) العرناس : موضع سبائخ قطن المرأة والسبيخة قطعة من القطن تسخ بعد الندف اي تلف لتغزل (٨) رنا اليه : أدام النظر (٩) زنّى تزنية نسبه الى زنى .

وعد المرأة التي لا تقتصر على زوج شرعي شر النساء لانها مضيعة للأولاد

شر النساء مشاعات غدون سدى	كالارض يحملن اولاداً مشاعينا
والامر لله كم أودى فتى ومضى	عينا وخلف اولاداً مضاعينا

واعتد النكاح بغير مهر [السفاح] من اضمحلال الدين

قد اصبح الدين مضمحلا	وغيرت آيه الدهور
فلا زكاة ولا صيام	ولا صلاة ولا طهور
واعتاض حل النكاح قوم	بنسوة ما لها مهور

ومن انقلاب الزمان طلب المرأة الزوج وبذل المهر منها

قلب الزمان فرب خود تبتغي	زوجاً وتبذل غالياً من مهره

وجعل خير النساء من تصون نفسها من العار

وخير النساء الحاميات نفوسها	من العار قبل الخيل تحمي ذمارها

هذا قلٌّ من كثر من كلام ابي العلاء يمثل لنا غيرته على المرأة وارتيابه فيها وحرصه على عفافها وطهارتها ؛ فأين المزدكية أوالاباحة التي زعمها الذهبي والدكتور؟ بل كيف تتأتى نسبة ذلك اليه وهو على مارأيته من تشدد واسراف في الحفظ على كرامتها ؟

أما القرامطة فقد بين ان غرضهم خدع وتعليل وتوصل الى المملكة وتضليل ولعن بعض رؤسائهم وكفره في ص ١٤٥ من رسالة الغفران ولعن الجنابي في ص ١٤٧ وفضل الجاهلية عليهم في اللزوميات حيث يقول :

ما للمذاهب قد أمست مغيرة	لها انتساب الى القدّاح او هجر
قالوا البرية فوضى لاحساب لها	وانما هي مثل النبت والشجر
فالجاهلية خير من إباحتهم	سجية الحادث الحراب او حجر
فما أفادوا سوى احلال نسوتهم	معرضات لأهل الباطل الفجر
وان احسن من تعظيمهم رجلا	صفرا من الحكم التعظيم للحجر

وجعل تحكمهم في الناس من العكس الذي مني به البشر

عكس الأنام بحكمة من ربه فتحكم الهجري فيه وسنبر

وبين غرضهم من مذهبهم بقوله من أبيات

انما هـذه المذاهب اسبا ب لجذب الدنيا الى الرؤساء
غرض القوم متعـة لا يرقو ن لدمع الشماء والخنساء
كالذي قام بجمع الزنج بالبصـ رة والقرمطي بالاحساء
فانفرد ماالستطعت فالقائل الصا دق يضحي ثقـلا على الجلساء

ولقد فتشت في رسالة الغفران فلم ار فيها ألوانًا من اباحة القرامطة وانما رأيت فيها لونًا واحداً وهو انه كلما ذكر واحداً منهم لعنه ومن الغريب ان الدكتور يذكر ان فيها ألوانًا من اباحتهم يرويها المعري رواية الساخط عليها ثم يجعلها مما يستند اليه في نسبة الاباحة الى أبي العلاء .

وتتبعت كثيراً من أقوال المعري وآرائه ومذاهبه في الأخلاق فلم أر في شيء منها مايدل على ميله الى الاشتراكية في النساء اومايشير اليه وانما كل ما وجدته في اللزوم من جنس ما ذكرته ولولا خشية الإطالة لأوردت كل كلامه في ذلك

وليس من المعقول أن يتشدد أبو العلاء في حجاب المرأة ويسرف في الارتياب منها ويحظر عليها ما اباحه الاسلام لها من شهود الحج والصلاة والتعلم ونحوها ويبالغ في حجبها عن مخالطة الولد والختن والذهاب الى الحمام والعراف والخروج الى سطح الدار وما شا كل ذلك ويفرط في الغيرة الى حد لم يبلغه غيره . كل ذلك غيرة عليها وحرصاً على كرامتها وضنًا بعفافها ثم يقال بعد ذلك انه يميل الى الاشتراكية فيها او يشير اليها ان هذا لشيء عجاب .

فهل للاستاذ الدكتور ان يرشدنا الى اقواله في رسالة الغفران او ابياته في لزوم مالا يلزم التي تثبت ميل المعري الى ذلك وتؤيد مازعمه فيه فنكون له من الشاكرين

على اننا لا نعجب من تسرعه في الحكم واسرافه فيه على ابي العلاء واستنباطه من كلامه مالا يريده ولا تدل عليه فحواه فان له كثيرا من هذا النوع في ذكرى ابي العلاء وتجديده .

من ذلك انه في ص ٣٠٠ تجديد . اورد للمعري أبياتاً يصف فيها النساء منها قوله

ودفن والحوادث فاجعات لاحداهن احدى المكرمات
وقد يفقدن أزواجاً كراماً فيا للنسوة المتأيمات

ثم قال بعد ذلك . فانظر كيف بالغ في ذلك حتى استحسن من وأد البنات ماحرم الله ونهى عنه الدين .. الى آخر كلامه

ولقد فتشت في هذين البيتين وفي الأبيات التي قبلها فلم ار ذكراً للوأد وانما وجدت « ودفن » . والدفن غير الوأد تقول دفنت الشيء اذا اخفيته تحت اطباق التراب كما في المصباح ودفن الميت واراه واما الوأد فهو دفن الانسان حياً تقول وأد ابنته اذا دفنها حية هذا هو المشهور المعروف في عرف اللغة والشرع .

وقول ابي العلاء ودفن .. لاحداهن احدى المكرمات مقتبس عن حديث مروي عن النبي [ص] دفن البنات من المكرمات اي من الخصال التي يكرم الله بها آباءهن لأن البنت ضعيفة كثيرة المؤونة وقد تجر العار وتجلب العدو الى الدار وليس مراد النبي [ص] بقوله هذا الدلالة على كراهة البنات بل اخرج ذلك مخرج التعزية للنفس والحديث عده السيوطي صحيحاً وتكلم فيه غيره وليس هذا موضع تحقيقه وانما غرضنا ان نبين ان المعري لم يستحسن ما حرم الله ولا أتى بما يخالف كلام رسول الله فلا نعلم كيف استباح الاستاذ الدكتور لنفسه ان يحمل كلام المعري على مالايريده ولا يدل عليه صريحه ثم يرميه بالكفر واستباحة ماحرم الله تعالى وقد بينا كثيراً من مثل هذا في كتابنا المسمى بالتعريف بأبي العلاء . وسننشر طائفة منه كلما سنحت لنا فرصة ان شاء الله تعالى .

سليم الجندي



افتتاح موسم المحاضرات

في المجمع العلمي العربي

لعام ١٩٤١ — ١٩٤٢

اعتاد المجمع العلمي العربي أن يتخذ أصيل يوم من أيام كل اسبوع محاضرة علمية يدعو اليها أهل الفضل والادب ويبتدئ موسم هذه المحاضرات في شهر تشرين الثاني وينتهي في شهر حزيران من كل عام . وقد كان موعد افتتاح محاضرات هذه السنة يوم الجمعة في ٧ تشرين الثاني . وتفضل فخامة رئيس الجمهورية الشيخ تاج الدين الحسني بأن يرعى بعنايته السامية هذه الحركة العلمية . فترأس هذه الحفلة بشخصه الكريم يحف به دولة رئيس الوزراء المعظم السيد حسن بك الحكيم . ومعالي وزير المعارف السيد فيضي بك الأتاسي . ومعالي وزير العدلية السيد زكي بك الخطيب .

واستقبل رئيس المجمع العلمي فخامة رئيس الجمهورية وهيئة الحكومة بالكلمة الآتية :

يا صاحب الفخامة

يسر المجمع العلمي العربي أن يستقبل دورة محاضراته تحت رعاية فخامتكم وقد نالت سورية استقلالها المنشود ، وكله آمال ان يكون العهد الجديد خيراً كله للبلاد .

واذا احتفى المجمع العلمي بفخامتكم فانما يحتفي برجل كان يسارع الى حضور محاضراته منذ أول تأسيسه ويشارك أعضاءه في رغائبهم ويعطف عليهم وعلى عملهم فأنتم اذاً من أعرف الرجال بالمجمع وبما يصلحه .

ولقد شهدتكم ، شهد الله ، وانا اعمل معكم في وزارتكم الاولى أربع سنين كيف كان وجهكم يطفح سروراً كلما قام في الدولة مصنع جديد ، وما أنس

لا أنس ما فهتم به مرات لما قامت مدرسة تجهيز دمشق ودار حكومة حلب وجسر الفرات الذي ربط الشام بالجزيرة ، وما كان يبدو من عنايتكم عند البداءة بانشاء تلك المدارس ودور الحكومة والطرق المعبدة وسائر المرافق ·

فهل لكم اليوم ، وبيدكم أقدار هذه الديار ، ان تقلدوا تلك الاعمال المجيدة قلادة جديدة يخلدها لكم التاريخ في صفحاته الأزلية ، واعني بذلك انفاذ مشروع قديم للمجمع كان يجهر بفائدته بل بضرورته منذ أسس عام ١٩١٩ وأقل ما يعظم به النفع منه دفع خطر الحريق عن مجموعاته وكتبه وتهيئة أماكن صالحة صحية للدارسين والباحثين في غرفه وأبهائه ، وذلك باظهار المدرستين العادلية والظاهرية بمظهر يليق بمدينة كمدينة دمشق · والظاهرية والعادلية بقية زهاء ثلثمائة مدرسة دارسة كانت مفخرة من مفاخرنا ·

اذا صدر أمركم العالي واستملكت العقارات المحيطة بمدخل المجمع منذ باب البريد فجرى توسيع هذا الزقاق الضيق ورفعت هذه البيوت الكئيبة التي أفسدت هواء هاتين المدرستين وشعثت رواءهما وبهاءهما ثم رمم بناؤهما حسب التصميم القديم يكون ذلك مقدمة الى تفريغ ما حوالي الجامع الأموي وانقاذه من خطر الحريق فقد حرق سبع مرات كانت النار تسري اليه من الأسواق المحيطة به على الاكثر

اذا فعلتم يبدو أعظم جامع في الاسلام فتنة للناظرين من داخله وخارجه ، وتأمن الظاهرية من خطر النار كل ساعة لأنها في جوار قمين وفرن ، ان نجت من نار الأول فقد لا تنجو من نار الثاني · ويسلم قراء دار الكتب ومستخدموها من عنت الدخان الذي يضيق الانفاس كل يوم من هذا القمين ·

بهذا العمل تسجلون لكم مأثرة جليلة تحرزون بها رضا العلامة الاستاذ والدكم فانه رحمه الله كان كثيراً ما يخشى على مجموعة الحديث التي ضمتها جدران الظاهرية لعلمه بأنها اعظم مجموعة في العالم ويرجو ان تهيئ الأيام من يحييها بالطبع خدمة للاسلام والمسلمين ·

هذه أمنية المجمع العظمى عرضتها على نظركم العالي وبتحقيقها تسدون للعلم

والفن الاسلامي منة كبرى وفقكم الله لما فيه سعادة هذه الجمهورية بمنه ويمنه

وبدأ فخامة الرئيس يجيب على هذا الترحاب والرجاء فقال مرتجلاً :

يا معالي الرئيس . !

ألسنا هنا في عرش أمية ، الذي طأطأ العالم رأسه بين يديه ؟

ألسنا في الينبوع المقدس ، الذي تدفقت منه أنهار الحضارة والأخلاق الى انحاء الدنيا الغارقة في الظلمات ، فغمرت عقول الناس بالنور ، وقلوبهم بأنبل الشعور ؟

ألسنا في المجمع الخالد ، الذي لم يطلق عليه اسم «البانثيون» ، ولكنه ضم هنا وهناك بقايا ملوك وزعماء ووزراء وعلماء ، كانوا آيات العبقرية وعناوين الزمان !.

فاسمح لي يا معالي الرئيس وانا في موقفي هذا وتطوف بي ذكريات تاريخنا المجيد ، ان اقف خاشعاً وان ادعوكم جميعاً الى الوقوف خاشعين ، وان اطلب منكم خلال هذه الدقيقة الملهمة ان تفكروا في شيء واحد : في ماضينا العظيم ، وفي رجالنا الخالدين الذين عظمونا في عيون العالم .

لقد فكرتم بالرجال الذين اعزوا البلاد بعد ذل ، وعلموها بعد جهل ، واستطعتم ان تتصوروا في هذه اللحظة ما كان لنا من مجد وعظمة ، فاذا دعاني معالي الرئيس الى استبقاء هاتين المدرستين ، وتجريدهما من هذا الاطار الفقير الذي غمر رواءهما وبهاءهما ، لنحتفظ بقطعة من تراثنا الضخم ونجد فيهما رائحته فانا اقول له : سنعمل لهذا بالقدر المستطاع ، فكل ما يعني مجد البلاد وتاريخها يعنينا !

ولكنني ادعو اليوم الى عمل اكبر واعم وانفع ، ادعو ابناء البلاد الى ان ينذروا مواهبهم وقواتهم متحدين متكاتفين في سبيل تأسيس دولة جديدة ، ننشئ فيها كما كان آباؤنا ينشئون ، ونكتب في صفحات التاريخ مثلما كانوا يكتبون ، فنحن لا نريد ان نعيش من الذكرى ، ولكننا نريد ان تعيش الذكرى بنا ، فلا يقال كان لهؤلاء آباء ! وانما يقال : هؤلاء هم الناس وكانت لهم آباء !

أيها السادة :

لقد شاء الله سبحانه وتعالى ان تنعم أمتنا في مرحلة من ادق المراحل التي يجتازها العالم بنعمة السيادة والاستقلال ، وكل واحد منا مسؤول عن هذه النعمة مدعو الى حمايتها ، وويل لمن يريد ان يضيعها .

أما الوسيلة الى توطيد دعائم السيادة والاحتفاظ بمظاهر الاستقلال فهي الاخلاق الحميدة والثقافة الفاضلة ، وانه ليسرني كثيراً ان اعلن الآن افتتاح موسم المحاضرات في المجمع العلمي العربي متمنياً له التوفيق في عمله الثقافي والاخلاقي .

واذا كانت العادة ان تختتم الخطب في الحفلات السياسية بكلمة عاشت سورية مستقلة ذات سيادة !

فأنا أضيف الى هذا الهتاف — وقد رأيتكم تتنادون الى حلقات العلم ومجامع الفضيلة — قائلاً :

عاشت سورية المثقفة المهذبة ! وعاش رجالها العلماء ! . اهـ

وقد ظهرت خلال خطاب الرئيس الأول البهجة على وجوه الحاضرين من وعده الكريم بعمل ما في وسعه لتحقيق هذه الآمال ، وما فرغ من خطابه حتى تقدم معالي رئيس المجمع العلمي اليه شاكراً همته وحسن وعده ثم عاد الى منصة الخطابة فألقى المحاضرة الآتية :

ارشاد العامة

لو كان من وكل اليهم هداية العامة يؤمنون حقاً بما يعظون لأثرت اقوالهم التأثير المطلوب ولقلّ معظم ما نراه من شرور . الدين يقوّم المعوج ويطهر النفوس ، ولكن اذا آض الى ايدي من لا يحسنون استعماله يصبح عبارة عن رسوم وشعائر لا تدخل الصميم .

نرى المصلين في الجوامع الى اليوم ليسوا بقليل عددهم ، ولكن هل عملوا كلهم

يا ترى بما يتلون وما يتلى عليهم ؟ هل هدتهم صلاتهم الى ان الله تعالى حرم عليهم الكذب والسرقة وأمرهم بالصدق والأمانة ؟ ابحثوا في شؤون هؤلاء المستهترين ، هل ترون اكثرهم عمل بقليل مما امره به الدين ام هو مسلم جغرافي ، ومسلم تشهد باسلامه تذكرة النفوس فقط .

ارجو الا اتهم بالمبالغة او باستعمال الاسلوب الخطابي ولا اطلب ممن يتهمني بذلك الا ان ادعوه ليحتك بالسوقة والمرتزقة والتجار والفلاحين فيشهد العجب من أخلاق بعضهم . نري السارق يسرق بدون نكير والكذاب يكذب ولا يخجل ، وهناك سلسلة من التزوير والتغرير ، ولو أردنا تصفية أبناء كل حرفة من لوثاتهم ما ثبت على محك النقد الا افراد قلائل في كل قرية وفي كل حي ومنزلة

تدبروا أخلاق اكثر اهل القرى وأخلاق اهل المدن تروا بعض الفلاحين والمدنيين سواء في الفساد وضعف الأخلاق ، لا تكاد تجد الأمين المؤتمن الا نادراً ، وكان الأجداد على عكس ذلك تغلب الفضائل النفسية على السواد الأعظم منهم في الجملة . واكثر من تعتقدون اليوم فيهم الأمانة يسرقونكم متى آنسوا منكم ضعفاً او غفلة ، اما الكذب فلم يسلم منه الا من عصم ربك ، واما الغش فما أظن المانع لبعضهم من الاسترسال فيه الا علمهم بأن اشتهارهم به يؤدي الى قطع ارزاقهم .

أمثل لكم بمثال واحد أثبت به ما أقول ، وهو تحت نظرنا كل ساعة وكل يوم ، انظروا نظر النقاد في البياعات والحاجات هل تجدون أشياء كثيرة سلمت من الغش يغشون في الكيل والوزن وفي القياس والذرع ، واكثر مواد الغذاء مغشوشة فالغش يدخل الخبز واللحم والسمن والزيت والزبد والقشدة والجبن والدبس والعسل واللبن الرائب واللبن الحليب وماء الزهر وماء الورد . واذا أرادت الحكومة ان تسيطر على العامة والمرتزقة قد يشترك من تنصبه لذلك مع الغشاشين فيزيد لص كبير الى اولئك اللصوص الصغار ، وهذا المسيطر قد يكون ممن يحمل شهادة أطول من قامته ولكن نفسيته دنيئة . معظم ما يعمل في السوق وفي خلوة مغشوش :

الأدوية مغشوشة في الصيدليات والقهوة والمرطبات مغشوشة والحلويات مغشوشة والالوان المطبوخة مغشوشة . وارباب المدارك من المستهلكين يعلمون هذا ولا يستنكرونه لأنهم هم أيضاً مشاغيل بغشهم ومنهم لصوص في ثياب تجار أو زراع أو صناع .

كان اكثر العامة منذ نحو خمسين سنة يبتعدون عن الغش في الوزن والكيل وعن غش المائعات والسائلات وما كان الفلاح يجوز لنفسه غش اللبن غالباً لأنه كان يعتقد ان الله تعالى يجازيه على فعلته بهلاك بقرته او عنزته او نعجته ، وما كان يجب أن يُخسر الكيل والميزان لأن الله له بالمرصاد يعاقبه في الدنيا قبل الآخرة فيفجعه بأولاده ، ويرزؤه بصحته او دابته ، ويسلط الاقوياء عليه ينهبونه ويسرقون ما ادخر من مال ومؤنة ، او يسلط عليه آفة تأتي على الأخضر واليابس مما جمع . كان هذا الاعتقاد نافعاً جداً في دفع الأذى يساعد المحتسب على القيام بانفاذ قانونه على الناس في يسر وسهولة ، والمحتسب بمثابة رئيس البلدية ومدير الشرطة والصحة اليوم . اما لعهدنا هذا فقد تفلسف بعض العامة بل ألحدوا وتزندقوا فظلوا مسلمين يصلون ويصومون ولكنهم يسرقون ويفحشون في سرقاتهم . وهذا مما ينذر بسوء المصير .

انا كلما زدت معرفة بهذه الطبقات يسوء ظني بالمستقبل واعزي نفسي بأن الأخلاق قد تتردى في عهد الحروب والغوائل ولا بد أن تتحسن متى انجلت الغمرة وزالت الشدة ، ولطالما تمنيت لو قاسمني السارق برضاي ما يريد ان يسرقه مني في سر ، وكثيراً ما قلت لهؤلاء الفلاحين وغيرهم اذا طمعت أنفسكم في أخذ شيء من اشيائي قولوا لي وانا أنزل لكم عن بعضه برضاي فتأخذونه حلالاً طيباً ولا تطمعوا في أخذ شيء بدون علمي فأنا لا أريد ان استرقع واستحمق . ولطالما قلت لبعض أرباب الصناعات خذوا اجرة حسنة على ان تعاهدوني الا تسرقوا شيئاً في غيابي ، ولكن نفوس أهل هذه الطبقة زُين لهـا الربح من أي طريق أتى . ولكم كنت اعطي العامل واكرمه وكلما زدت في اكرامه استضعفني وغلا في نهبي .

لا ألوم من لا تدرك عقولهم الا المنفعة المعجلة وعقولهم في عيونهم كما يقال ، وقد تجردوا من الفضائل الكسبية والفطرية ، بقدر ما ألوم من يجيئون في طبقة أرقى من طبقتهم وهم مناط الرجاء في الهيمنة عليهم .

رأيت هؤلاء الغشاشين باعة وتجاراً يجمعون اموالاً ويبنون حوانيت وبيوتاً ويقتنون مزارع وحدائق ثم يبدد كل ما جمعوه بأدنى عارض فكنت احمد الله على ذهاب اموال جمعت بالسحت وبالغش وأجد ذلك عقوبة عادلة لهم . رأيت ثروات من احتكروا أصنافاً من القوت في الحرب الماضية تمزق شر ممزق ، وكذلك سيكون مصير أموال من تجردت نفوسهم من كل شفقة واحتكروا في هذه الحرب تلك الأصناف ولكن الناس لا يعتبرون .

والآن ماذا يجب ان يعمل لإصلاح هذا الفساد المستشرى او تخفيف ويلاته على الأقل ، هنالك ثلاثة عوامل تفيد في تقليم اظافر الفاسدين وتعيد الى المجتمع صفوه الذي كان له في الدهر السالف . العامل الأول تطبيق القانون على من يعبثون بحقوق الخلق بدون مسامحة ولا هوادة فان قوانيننا الشرعية والوضعية كفيلة بالسعادة ، لو جرى تطبيقها على ما يجب ما احتجنا بعدها الى وازع آخر . الا أن المسألة تتوقف على انفاذ تلك القوانين ، والقوانين تغني غناءها بالتطبيق لا بجمال مادتها وانسجام عبارتها . وفي بعض الآثار : يزع السلطان اكثر مما يزع القرآن (أي ان من يكف عن ارتكاب العظائم مخافة السلطان اكثر ممن تكفه مخافة القرآن والله تعالى) ولا بد من تضييق خناق المسيطرين على القوانين في ارشاد العامة الى الجادة وان يطرد المتساهل من عمله ولو كان يعد من الرؤساء فالسمكة تنتن من رأسها كما يقول الأتراك في امثالهم ، والتفتيش يجب ان يتناول الكبار قبل الصغار ، فبأيديهم تسير مصالح الناس سيراً حسناً او تتلوى وتزيغ .

والعامل الثاني الخطباء والوعاظ فهؤلاء من واجبهم ابداً ان يبينوا للفاسدين مغبة عملهم على انفسهم وعلى الجماعة ، يقولون ما يقولون لهم عن عقيدة لا كلاماً لا يتعدى أطراف الشفاه ، يختلطون بالناس وينوعون الأساليب لمن يهم المجتمع ارجاعهم

الى الطريق السوي ، ويخاطبونهم باللغة التي يفهمونها ، ويدلونهم من طريق العقل والنقل الى كل مافيه صلاح نفوسهم والبعد بها عن الكذب والخديعة .

والعامل الثالث وهو الاهم قيام الامة على اختلاف طبقاتها بهداية الضالين وتذكيرهم بحقيقة دينهم ومصالح دنياهم ومقاطعتهم اذا سرقوا وكذبوا وان يبينوا لهم السبب الذي من اجله قاطعوهم ، وعلى الصالحين ان يعتقدوا انهم بعملهم هذا يقومون بواجب مقدس ، واذا هم رحموا حيث لا تحلّ الرحمة تضيع حقوقهم وحقوق غيرهم ، وعليهم ان يعتقدوا ان واجب كل انسان ان يعتقد اعتقاداً جازماً انه هو القانون وهو الحكومة ، وانه متى تهاون فيما يرى ويسمع من منكر ولم يتقدم لاصلاحه يعد خائناً لأمته وخائناً لنفسه ، فان الفرد في معظم الأمم الراقية في الغرب يعاون الحكومة في مهمتها ويعتقد انه اذا لم يهيمن بنفسه على من يخرق قوانين بلاده يعد شريك الجاني والمجرم .

وهذا العامل الثالث من أشد العوامل الناجعة في هداية الزائغين من العامة ، خصوصاً اذا أوهم الخواص العوام انهم ليسوا أرقى منهم كثيراً ، وان بينهما درجة اذا صعدوها ماثلوهم في المجتمع وكانوا موضع الرعاية والحرمة . ولا يؤلم العامة اكثر من احتقارهم . ومن هنا جاء حسد الفقراء للأغنياء ، واعراض الجهلاء عن العلماء ، وغيرة الضعفاء من الأقوياء .

اذا اجتمعت هذه العوامل الثلاثة وعملت باخلاص وجد ينصلح الجزء الاعظم من الأمة وباصلاحه ندخل في طور جديد ونحمد غبّ القوانين المرعية ، واذا بقيت كما هي اليوم عادت كعلم جابر اقرأ تفرح جرّب تحزن . ومن كان صلاحه بيده وهو يهمله لا يبالي فأنذره بمصير من يعلمون ولا يعملون . اه

ولما انتهى من المحاضرة خرج واعضاء المجمع العلمي العربي مودعين فخامته ودولة رئيس الوزراء وصاحبي المعالي وزير المعارف والعدلية متمنين ان تحقق همة فخامة الرئيس وسعي هيئة الحكومة ذلك الوعد الكريم وفقهم الله .

شرح مختصر القدوري

المسمى خلاصة الدلائل فى تنقيح المسائل

اقتنيت منذ سنوات كتاباً مخطوطاً في الفقه مخروم الأول ولعل النقص فيه لا يتجاوز الكراسة الأولى التي تحتوي على كتاب الطهارة وباب التيمم وقسم من باب المسح على الخفين الذي تبتدئ نسختنا هذه بالقسم الباقي منه ثم تليه الأبواب الأخرى .

ويستشهد الشارح بأقوال الإمامين أبي حنيفة والشافعي الا إنه يقول أولا قال الشافعي ثم يردفه أحياناً بقول أبي حنيفة او أئمة الحنفية الآخرين .

وابحاث الكتاب مختصرة بقدر الامكان بيد ان الايجاز فيها لا يخلّ بالمعنى ولا يؤثر في الموضوع .

وليس في آخر الكتاب ما ينمّ على اسمه او اسم مؤلفه غير انني وجدت في نسخةٍ مخطوطة في خزانة كتبي من مختصر القدوري تعليقات بحروفٍ دقيقةٍ منقولةٍ عن «خلاصته» وهذه التعليقات فيها بعض مافي النسخة التي نبحثها الآن فترجح لي ان هناك شرحاً بذلك الاسم وبالرجوع الى كشف الظنون عن الكتب والفنون لملاّ كاتب جلبي ألفيته يقول : [1]

وشرحه (اي مختصر القدوري) حسام الدين على بن احمد مكي الرازي وسماه «خلاصة الدلائل في تنقيح المسائل» وتوفي سنة ٥٩٨ ثمان وتسعين وخمسمائة وهو شرح مفيد مختصر نافع وعليه ثلاث تعليقات لابن صبيح أحمد بن عثمان التركاني الأولى في حل مشكلاته والثانية فيما اهمله من مسائل الهداية والثالثة في احاديثه والكلام عليها وتوفي سنة ٧٤٤ وسماه الطرق والوسائل الى معرفة احاديث خلاصة الدلائل . وقد جاء في آخر هذا الشرح ما يلي :

« فهذا آخر ما انتهينا اليه وقد وفينا بما ضمنا والله المستعان واليه الرغبة في

(١) كشف الظنون ج ٢ ص ٦٠٣

العفو والغفران والتجاوز والامتنان انه الكريم المنان والحمد لله رب العالمين »

ثم جاء الناسخ وعقب على ذلك بقوله :

وكان الفراغ من نسخ هذا الكتاب المبارك يوم الاربعاء ثامن عشر شهر صفر من شهور سنة ست وستين وسبعمائة . نسخه بيده لنفسه العبد الفقير الى الله تعالى الكثير العصيان الراجي من ربه العفو والغفران علي بن طماجي (كذا) بن عبد الله الحنفي مذهباً المسلمي ملبساً [1] غفر الله له ولوالده ولمن دعا له بخاتمة خير وجميع المسلمين . آمين يا رب العالمين) .

وعلى صفحات عديدة من هذا الكتاب شارات سماع وتطبيق مثل بلغ . وبلغ وصح . وبلغ في الأصل وبلغ وصح من الأصل . ولكن الكتاب لم يذيل كأمثاله بالسماع التطبيقي المعتاد توقيعه من قبل الشيخ المستمع حيث يذكر اسم الكتاب ومؤلفه واسم مسمع الكتاب أي قارئه على المقروء عليه الذي يجيزه بعد ذلك باقرائه وبرواياته ومنقولاته ويذكر في الغالب اسماء الحضور من العلماء ولذلك فقد اختفى علينا اسم المسمع والمستمع وتاريخ السماع .

وفي الصفحات الأخيرة وصف لحادثة اغتصاب واضراب وقعت بحماة سننشرها على حدة ويظهر من عبارة منسوبة الى عبد الباسط بن خليل بن شاهين من علماء القرن التاسع [2] انه كان يملك هذا الكتاب فان الورقة المحتوية على تلك العبارة هي آخر ورقة من الكتاب وقد كتبت بحبر أحمر وهذا نص العبارة المذكورة :

(١) اغلب الظن ان المسلمي هي طريقة صوفية كان ينتسب اليها الناسخ حيث يقول المسلمي ملبساً من لبس الخرقة الصوفية التي يلبسها المرشد للمريد .

(٢) ترجم شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي المتوفى سنة ٩٠٢ هـ ١٤٩٦ م لعبد الباسط المذكور فقال ما ملخصه : عبد الباسط بن خليل بن شاهين الشيخي الأصل الملطي [لعلها الملطي الأصل فجاءت مقلوبة بالتقديم والتأخير] ثم القاهري الحنفي نزيل الشيخونية ولد في رجب سنة ٨٤٤ بملطية ونشأ بها وبحلب ودمشق وقرأ على علمائهما وعلى جماعة من فضلاء الروم كالعلاء الرومي قاضي العسكر في دمشق والبرهان البغدادي في طرابلس وقدم القاهرة ولازم العلماء فيها فأجازوه ودخل المغرب ودرس فيها درس الطب بل اتقنه بخصوصه مع جماعة وبرع في كثير من الفنون وألف ونظم ونثر وأقبل على التاريخ وتردد اليّ له ولغيره من الدروس » الضوء اللامع لأهل القرن التاسع

« يقول الفقير الى رحمة القدير عبد الباسط بن الوزير عفا الله عنه هذا آخر ما قصدت بشرح الكتاب وقد وفيت بما ضمنت والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله .

« وكان ابتداء جمعي لهذا الشرح الوافي في أوائل ذي القعدة الحرام عام اربع وستين وثمانمائة بدمشق المحروسة فلما وصلت الى باب الجنايات عرض لي سفر الى القاهرة المحروسة فابتدأت بتعريف الجنايات الى أن كمل بها في يوم الخميس ثالث شهر الله المحرم الحرام من مفتتح شهور سنة ست وستين وثمانمائة والله سبحانه أسأل أن يتقبله مني بمنه وكرمه وأن ينفع به جميع المسلمين

« وكتبه بيده الفانية صاحبه الفقير الى الله تعالى ابو المكارم عبد الباسط بن خليل بن شاهين بن عبد الله الشهير بابن الوزير الحنفي مذهباً والملطي موطناً والدمشقي وطناً والقاهري سكناً بمسجد العامود بالسبع قاعات . »

وقد شرح كثير من العلماء مختصر القدوري هذا وهو من تأليف أبي الحسن أحمد بن محمد القدوري البغدادي المتوفى سنة ٤٢٨ وهو المختصر الذي يُطلق عليه لفظ الكتاب في المذهب الحنفي بيد أنه لم يطبع من شروحه غير كتاب « الجوهرة النيرة » للامام أبي بكر بن علي المعروف بالحدادي العبادي المتوفى سنة ٨٠٠ هـ وكتاب « اللباب في شرح الكتاب » للعلامة عبد الغني الغنيمي الميداني الدمشقي الذي أتمّ تأليفه سنة ١٢٦٨ هـ وقد طبع الثاني على هامش الأول في الاستانة سنة ١٢٧٥ وطبع في مصر سنة ١٣٢٢ ثم أُعيد طبعه بالاستانة سنة ١٣٢٣

وقد ساق صاحب كشف الظنون « جزء ٢ صفحة ٤٠٣ — ٤٠٥ من طبعة الاستانة » اسماء عشرات من الشراح . وللتعريف بالكتاب وأسلوب المؤلف ننقل منه الى القارئ الكريم باب الأذان :

« الأذان سنة للصلوات الخمس والجمعة دون ما سواها أي دون غيرها من الصلوات فانه لا أذان لها لأن التوارث بهذا جرى . والأذان هو المشهور المتعارف [1]

(١) في نسخة مخطوطة عندي من المختصر « وصفة الاذان معروفة »

فيما بين الناس في سائر الأعصار والأمصار ولا ترجع فيه [1] لأن مدار الأذان على عبد الله بن زيد بن عبد ربه [2] ولم ينقل عنه الترجع [3] وما روي الشافعي في الترجيع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبي محذورة[4] لما لقنه الأذان ارجع ومد بها صوتك محمول على التعليم والتلقين فظن ابو محذورة أنه من نفس الأذان ٠

ويزيد في أذان الفجر بعد الفلاح الصلاة خير من النوم مرتين لقوله عليه السلام لأبي محذورة اذا أذنت للصبح فقل : «الصلاة خير من النوم الصلاة خير من النوم» ولأنه وقت نوم وغفلة فيختص بزيادة اعلام

والاقامة مثل الاذان إلا انه يزيد فيهما بعد الفلاح قد قامت الصلاة مرتين «لما روي في حديث الأذان عن عبد الله بن زيد أنه قال ثم صبر هنيهة ثم قال مثل ذلك إلا انه زاد فيه قد قامت الصلاة مرتين [5]» وقد دفع هذا قول مالك انه يقول قد قامت الصلاة مرة واحدة وهو حجة على الشافعي في أن الاقامة فرادى ولا حجة له فيما روي انه عليه السلام أمر بلالاً أن يشفع الأذان ويوتر الاقامة لأن المشهور أمر بلال ولا ذكر للنبي صلى الله عليه وسلم ولئن صح فمعناه شفع الأذان بالصوت فيؤذن بصوتين ويقيم بصوت ويترسل في الأذان ويحدر الاقامة [6] لقوله عليه السلام لبلال اذا أذنت فترسل واذا أقمت فاحدر ويستقبل بهما القبلة لأنه

(١) في مخطوطة المختصر وفي المطبوع ولا ترجيع فيه

(٢) في كتاب الاصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني ج ٤ ص ٧٢ عبد الله بن زيد بن ثعلبة بن زيد بن الحرث بن الخزرج الانصاري ٠ كذا نسبه ابو عمر فزاد في نسبه ثعلبة والمعروف اسقاطه

(٣) وفي مخطوطة المختصر والمطبوع الترجيع

(٤) في الاصابة ج ٧ ص ١٧٢ ابو محذورة المؤذن اسمه أوس ويقال سمرة بن معير ويقال سلمان ويقال سلمة ويقال معير بن محيريز والاثبت انه أوس وقد علمه النبي صلى الله عليه وسلم الأذان وقصته بذلك في صحيح مسلم وغيره

(٥) العبارة التي بين عضادتين في الهامش

(٦) في مخطوطة المختصر وفي المطبوع ويحدر في الاقامة

دعاء وثناء على الله تعالى وكان الاستقبال بهما أولى . فاذا بلغ الى الصلاة والفلاح حول وجهه يميناً وشمالاً لأنه دعاء الى الصلاة واعلام وتحويل الوجه أبلغ في ذلك

ويؤذن للفائتة ويقيم لأن القضاء يحكي الفائت وعن الشافعي انه يقيم لا غير لأن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بلالاً فأذن (بالاقامة ليلة التعريس الا ان القصة واحدة وقد روى أنه أمر[1]) فصلينا ركعتين ثم أقام فكان الزيادة أولى

فان فاتته صلوات أذن للأولى وأقام وكان مخيراً في الثانية ان شاء أذن وأقام وان شاء اقتصر على الاقامة لأنها صلوات فائتة فيسنّ لها الأذان كالأولى وان اقتصر على الاقامة جاز لما روي عن ابن مسعود ان النبي عليه السلام فاتته يوم الخندق أربع صلوات حتى ذهب ماشاء الله من الليل فأمر بلالاً فأذن وأقام وصلى الظهر ثم أمره فأقام فصلى العصر ثم امره فأقام وصلى المغرب ثم امره فأقام وصلى العشاء

وينبغي أن يؤذن ويقيم على طهر[2] لأنه ذكر يتقدم الصلاة فكان من سنته الطهارة كالخطبة .

وان أذن على غير وضوء جاز لأن المقصود هو الإعلام وقد حصل .

ويكره ان يقيم على غير وضوء لأنه يؤدي الى الفصل بين الاقامة والدخول في الصلاة وانه مكروه .

ولا يؤذن وهو جنب لأنه ذكر الله تعالى وثناء عليه فأشبه القراءة

ولا يؤذن لصلاة قبل دخول وقتها[3] لأنه دعا الى الصلاة والدعاء الى الصلاة ولا صلاة محال

(١) العبارة التي بين عضادتين في الهامش

(٢) في مخطوطة المختصر على طهر وفي المطبوع على وضوء

(٣) في مخطوطة المختصر ولا يؤذن لصلاة قبل دخول وقتها « الا عند أبي يوسف فيجوز قبل الصبح » الا أن العبارة الأخيرة التي وضعناها بين عضادتين لم ترد في المطبوع كأنها من أصل المختصر بل انها اقحمت في الشرح بقول الشارح أبي بكر الحدادي وأما في الفجر فعند أبي يوسف يجوز في النصف الأخير من الليل وعندهما لا يجوز

وقال أبو يوسف والشافعي يجوز أذان الفجر في النصف الاخير من الليل لأنّ بلالاً كان يؤذن بليلٍ الا أن النبي صلى الله عليه وسلم نبه على الغرض وبين أنه لغير الصلاة فقال انه يؤذن بليل ليوقظ نائمكم ويتسحر صائمكم . اهـ .

ويظهر ان هذا الكتاب اتصل بعد ذلك برجلٍ يدعى « محمد ابي الفتح » فقد جاء في ظهر آخر ورقة منه ما نصه :

لكاتبه عفا الله عنه

يا ربِّ للجار حقٌّ　　وفي الثرى صرت جارك
فلا تخيب رجائي　　واجعله أمراً مبارك

وتحت ذلك : ولي أيضاً مضمناً

أتى الحبُّ يوماً زارني قلت مرحباً　　ببدرٍ تبدَّى للتواصل طائعُ
ومضمناً ناديت والحب ضاحكٌ　　« أبرقٌ بدا من جانب الغور لامعُ »

ومعلومٌ أنّ الشطر المضمن هو صدر بيت لابن الفارض هو :

أبرق بدا من جانب الغور لامعُ　　ام ارتفعت عن وجه ليلى البراقعُ

وقد أضاف اليه سبطه علي من الأبيات ما جعلها جميعاً قصيدة عصماء أُلحقت بديوان ابن الفارض

ولعل أحد هواة الكتب الذين يملكون نسخة غير مبتورة من هذا الشرح يطلع على ما نقلناه من « باب الأذان » فيعلن عن ذلك لنستكمل النقص الذي في نسختنا هذه فانها صحيحة بما فيها من السماع التطبيقي والمقابلة على أُصول أصحّ .

وبعد فان الكتاب بالقطع الكبير وعدد صفحاته نحو ٤٠٠ وطول كل ورقة ٢٨ وعرضها ١٨ من السنتيمترات وفي كل ورقة ٢١ سطراً وكل سطر مؤلف من ١٣ كلمة بحرفٍ كبير مقروء وفي كاغدٍ صكوكيّ ثخين .

عبد الله مخلص

اولية تدوين المعاجم
وتاريخ كتاب العين المروي
عن الخليل بن احمد
(٣)

٣ — التأليف على حروف المعجم وأثر الخليل بن احمد في ذلك :

بعد أن فرغ الخليل من حصره ابنية العرب بطريقة علمية شاملة ضابطة ، وبعد ان ادرج تلك الأبنية على تتابع حروف الهجاء ، لم يفته ان نهجه هذا قد أثبت لكل تركيب من تراكيب العربية مكاناً خاصاً ، يرد فيه تبعاً للحروف التي يتألف منها ، وانه اصبح في الوسع معرفة ذلك المكان ، فقال عنه الليث في كتابه : « فاذا سألت عن كلمة وأردت ان تعرف موضعها من الكتاب ، فانظر الى حروف الكلمة ، فمهما وجدت منها واحداً في الكتاب المتقدم ، فهو في ذلك الكتاب »[1] . هب انك تريد ان تجد موضع « سمع » ، فانظر أي حرف من حروف هذه الكلمة يتقدم الآخرين في ترتيب الحروف على مخارجها ، وانك لواجد حرف « العين » ، يتلوه من الآخرين « السين » ثم « الميم » . وبما ان « سمع » ثلاثي التركيب ، ارجع الى ابواب الثلاثي في الكتاب ، وانظر فصل العين منها ، ثم ابحث عن باب العين مع السين ، فاذا وقعت عليه ، فارجع الى ضرب العين والسين مع الميم . ودليلك الذي لا يخطئ في ذلك ان الفصول والابواب والضروب رتبت جميعها على مخارج الحروف التي درجت فيها .

وكذلك وفق الخليل الى ايجاد كتاب حصرت فيه كل الأبنية ، وعرف فيه موضع كل منها ، غير أنه لم يتهيأ للخليل الوصول الى تحديد مواضع الكلمات الا عرضاً ، اي ان أسلوبه في حصر الألفاظ ادى بقصد او دون قصد ، رغبة او توفيقاً الى تحديد مواضع الكلمات .

---

(١) التهذيب للازهري ص ٢٩

وادعى علماؤنا بأسبقية العرب في تأليف كتب اللغة على حروف المعجم ، وُبني بعض دعواهم على غفلة منهم بالآثار اللغوية اليونانية ، ونجم بعضه الآخر من أن العرب لم يأخذوه عن الآخرين ، وساروا به شوطاً بعيداً ، لم يدعوا فيه احداثاً جديداً لمحدث ، واستفادوا منه في كل ضرب من ضروب علومهم ، فكانوا دون جدال اربابه من دون الأمم .

على أن من الحق ان يقال ان اليونان سبقتهم اليه ، فقد ألف علماؤها قبل ظهور الرسالة المحمدية عدداً من المعاجم ، مرتبة على حروف الهجاء ، نذكر منها معجم بامفيليوس Pamphilius اللغوي الاسكندراني ، الذي الف منه خمساً وتسعين مجلدة ، واكمله سوبيريون Sopirion [1] ، ومعجم هيلاديوس Hell.dius كاهن جوبتر في الاسكندرية حوالي سنة ٣٩٠ ميلادية [2] ، ومعجم هيزيشيوس Hesychius الاسكندراني [3]

وقد يجول في الذهن ان الخليل أخذ ترتيبه من هذه المعاجم وأمثالها ، وانه لا فضل له في ذلك الا اسبقيته في النقل ، وهذا رأي يبدو وجيهاً قوياً ، غير أن عللاً عديدة تنقضه وتزيله .

أولها انه ما كان للخليل أن يعرف معاجم يونان لجهله اليونانية ، ولأن حركة الترجمة في عصره لم تكن شيئاً مذكوراً ، وهي لم تجن ثمرها الا في عهد الرشيد والرشيد بويع بالخلافة سنة ١٧٠ ، اي السنة التي يغلب أن يكون الخليل قد توفي فيها . وهب ان ما ترجم في عصر الرشيد والمأمون ومن بعدهما كان معروفاً في عصره ومنها الكتب المؤلفة على الحروف ، ككتاب الحروف لارسطو ،

(١) Encyclopaedia Britannica, 11° edition, 191. 7-8. (٢) النص السابق وانظر عن هيلاديوس في Paulys.—Real-Encyclopaedie begonnen von G. Wissowa VIII,1. 103 Stuttgart, 1931

(٣) Enc. Brit. ، النص السابق ، وانظر ترجمة هيزيشيوس في Paulys VIII,2. 1322 ولعل معجم Herodian صاحب نيرون يدخل في هذه المعاجم على ماهنالك من الشك في ان يكون رتب على الحروف بعد عصر مؤلفه Enc. Brit° 190,7-8,

المعروف بالالٰهيات ، الذي نقل منه حنين بن اسحق وابنه اسحق وابوزكريا يحيي بن عدي وأسطاث [١] . وهب ان حكماء عصره ألفوا كتب الأدوية على حروف المعجم ، كما فعل ابو يعقوب اسحق بن حنين (ـ ٢٩٨) في كتاب الأدوية المفردة على الحروف [٢] ، وكما يقال عن ابيه حنين (١٩٤ — ٢٦٤) [٣] ، وككتاب قوى الادوية المفردة على الحروف لعيسى بن صهاربخت من اهل جنديسابور [٤] ، هب ان ذلك كان فليس اسلوب هذه الكتب يوحي بتأليف معجم للألفاظ اللغوية ، يحويها كاملة : فان هذه الكتب لا تضم الا عدداً قليلاً من المفردات التي لم ترتب الا باعتبار الحرف الأول منها ؛ وبحث الأدوية المفردة على ترتيب حروف الجمل (ابجدهوز) في كتاب القانون لابن سينا اكبر دليل على ما نقول [٥]

وليس يثبت أخذ الخليل عن اليونان ترتيبهم الا البرهان على اطلاعه على معاجمهم اللغوية ، وذلك امر لا دليل عليه ، والدليل على عكسه موجود ، اذ ان من المقرر أن علماء اللغة العربية والادب العربي لم يعنوا بمعرفة آثار الأدب واللغة اليونانية ، ثم تأمل قولهم في اسلوب كتاب العين ، تزدد يقيناً بعدم معرفتهم معاجم اليونان: قال ابو الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي ، وهو شيخ من شيوخ العربية : «أبدع مؤلف كتاب العين بدائع ، لم يسبق اليها ، فمن ذلك تأليفه كلام العرب على الحروف» [٦] . وقال الزبيدي وهو من اللغويين المشهورين : «ثم ذهب الخليل في حصر جميع الكلام مذهبه من الاحاطة ، التي لم يتعاطها غيره ، ولا تعرضها أحد سواه ، فثقف جميع الكلام وزم جميعه ، وبين قيام الابنية من حروف المعجم وتعاقب الحروف لها بنظر لم يتقدم فيه وابداع لم يسبق اليه» [٧] . ولم يقتصر هذا القول على اللغويين ، بل قال به المؤرخون المطلعون على تواريخ القدماء

---

(١) الفهرست ، ٢٥١ ، ابن القفطي ٤١ - ٤٣ (٢) الفهرست ٢٨٥، ٢٩٨، ٣٠٩

(٣) ابن ابي اصيبعة ١ : ١٩٦ وقد يكون ماذكر عنه في ذلك ترجمة لا تأليفاً ، ويؤيد ذلك ان ابن النديم ذكر له ترجمة كتاب اسمه كتاب الأدوية المفردة لجالينوس ولم يذكر له تأليفاً في ذلك (الفهرست ، ٢٩٠) (٤) الفهرست ، ٢٩٨ (٥) طبعة روما سنة ١٥٩٣ ، من صفحة ١٢٤

(٦) المزهر ١ : ٩٢ ، كشف الظنون ٢ : ٢٩٠ عن المزهر (٧) المزهر ١ : ٤١

لحمزة بن الحسن الأصبهاني ، فقد قال : [1]« صنع صاحب كتاب العين مالم يصنعه احد منذ خلق الله الدنيا ... من تأسيسه بناء كتاب العين الذي يحصر لغة امة من الأمم قاطبة » . اتراهم كانوا يقولون ذلك لو اطلعوا على معجم من معاجم اللغة اليونانية المخرجة على الحروف ؟ الا إن الصلة كانت معدومة بين علماء العربية وبين كتب اللغة اليونانية . واما قول ابن جلجل بأن حنين بن اسحق اتصل بالخليل وأخذ عنه العربية [2] ، فدعوى باطلة ، لأن مولد حنين كان سنة ١٩٤ [3] ، اي بعد وفاة الخليل بكثير ، وبطلانها ينقض كل ماقد يخطر بالبال من ايحاء حنين للخليل بطريقة اليونان . اما إن القول الفصل ان الخليل لم يعرف شيئاً عن أسلوب اليونان .

ألا ترى انه لو كان عرف شيئاً من ذلك لاتبع اسلوبهم ، وحذا حذوهم ، لا سيا وأسلوبهم أسهل من إسلوبه ، واقرب الى افهام الخاصة والعامة ، فترتيبهم هو الترتيب المعروف اليوم في معاجم اهل الغرب وفي معاجمنا المحدثة ، فقد درجت فيه الألفاظ باعتبار حرفها الأول ثم الثاني ثم ما يليها [4] ، وكل ذلك واضح سهل . فلِمَ يدع الخليل هذا الترتيب ، ويعمد الى أخذ مختلف مضاريب الحروف بعضها مع بعض كما رأيت ؟

ونعود إلى ما قلناه آنفاً من أن الخليل توصل الى إبداع الترتيب على حروف المعجم عرضاً ، آل به الى ذلك غايته في حصر ألفاظ العربية ، فلا علاقة لمعاجم اليونان في ذلك . بل نستطيع أن نقول اكثر من ذلك ، فندعي ان لغويي العرب

(١) وفيات الاعيان ١ : ١٧٣ ومرآة الجنان ٢ : ٣٦٣ (٢) في ابن ابي أصيبعة ١:١٧٢، ١٨٥ وابن العبري ، ٢٥٠ وصاعد الأندلسي في طبقات الأمم ، بيروت ١٩١٢ ، ص ٣٦

(٣) مايرهوف ، مقدمة كتاب العشر مقالات في العين ، - وسوتر Suter في معلمة الاسلام ، الطبعة الافرنسية ٢ : ٣٥٧ وابن ابي أصيبعة ١ : ١٩٠ (٤) معظم المعاجم اليونانية القديمة اقتصرت على اعتبار الحرف الأول والثاني وحيناً الثالث اساساً للترتيب (VII.679,Paulys) ، وهذا تأييد لدعوانا ، اذ كيف يعقل أن يأخذ المقلد بأبعد مما وصل اليه من ينقل عنه ، فترى الخليل يعتبر حروف الكلمة اجمع لا الحروف الثلاثة الاولى .

أدركوا أسلوب اليونان المخالف لأسلوب الخليل ، دون ان يطلعوا على معاجمهم ، فقد مروا بمراحل أدت بهم بنتيجة تطور متتابع الى ما يشابه اسلوب اليونان . فأسلوب كتاب العين وتطور هذا الأسلوب رويداً رويداً خلال العصور أديا بهم الى حيث وصلوا ، دون ان يفتقروا الى معرفة طريقة اليونان ، وهاك ايضاح ذلك :

رأينا كيف أن الخليل لم يجد أوفق لغايته التي دفعته الى تأليف كتاب العين — الا وهي حصر أبنية العرب — من ترتيب الحروف على مخارجها ، وانه عندما فعل ذلك وجد من الخير ان يجمع في محل واحد مختلف الألفاظ التي تتكون من ضرب الحروف بعضها ببعض ، وان يفصل الثنائي عن الثلاثي عن الرباعي عن الخماسي . وسوف نرى كيف ان اللغويين بعد ان شعروا — والغاية من ترتيب الخليل قد حصلت — بالحاجة الى تأليف المعاجم على طراز يقرب سبيل الوصول الى الكلمات ومعرفة معناها ، لم يوفقوا دفعة واحدة الى ذلك ، كما لو كانوا عرفوا نهج اليونان ، بل عبروا زمناً طويلاً يدخلون التعديل تلو التعديل على اسلوب الخليل . حتى اذا قربوا من الوصول الى اسلوب اليونان تعدوه الى أسلوب آخر ، أصبح نهجهم الذي اختصوا به .

وهذا ابو اسحق ابراهيم بن الحربي (١٩٧ — ٢٨٥) لم يجد معجماً ينسج على منواله غير كتاب العين ، او ما نحا نحوه[1] ، وقد دل كتابه في غريب الحديث على انه قلد الخليل دون ان يفهم غايته ، فلم يتبع من أسلوبه الا حرصه على درج مختلف مضاريب الحروف بعضها ببعض ، كذكر (رم مع مر) و (شعر مع عشر مع شرع) ، مع خلو الفائدة من هذا الترتيب في معجم للحديث . أما درج الحروف تبعاً لترتيب ما ، وأما

(١) لم نزنسخة خزانة الاسكوريال ٥٧٢ من كتاب الجيم لابي عمرو شمر بن حمدويه الهروي (— ٢٠٥ او ٢٠٦) الذي « أسسه على الحروف المعجمة وبدأه بحرف الجيم » وقيل انه ضن به في حياته ، وتفرق بعدوفاته (تهذيب اللغة للازهري ٢٦ — ٢٥ وانظر المزهر ١ : ٤٦ والبلغة ١٥٧) وذهبت كتب اللغة التي هذب فيها كتاب العين او عورض كالبارع للمفضل بن ابي سلمة (توفي نحو ٢٥٠) (ابن خلكان ٢ : ٣٥٠) ، والغالب ان هذه الكتب حذت حذو الخليل كما يدل على ذلك اسلوب الكتب التي تلتها فهي لا تظهر تجدداً بالنسبة الى أسلوبه .

فصل الثنائي عن الثلاثي وغيرهما فلا [(١)] ، ولعل عذره في ذلك ان موضوع كتابه جديد ، وانه لم يستطع أن يجد طريقاً لجمعه ضابطاً منظماً في أبواب الكتاب الصغيرة التي لا تدخل في حصر . وسار على نهج الخليل احمد بن محمد البشتي الخازرنجي من القرن الرابع . ومع انه حاول ان ينتقد عليه ، وان ينقض كتابه ، لم يجد بداً من ترتيب كتابه على مخارج الحروف وفصل الأبنية الى ثنائي وثلاثي وغير ذلك وذكر ضروب الحروف ومقاليب الكلمات [(٢)] . وحذا حذو الخليل أيضاً الأزهري في تهذيبه [(٣)] والزبيدي (— ٣٧٩) في مختصره [(٤)] وابو الحسن علي بن اسماعيل بن سيده (— ٤٥٨) في محكمه [(٥)] ، وينتقد ابن منظور اسلوب كتاب التهذيب والمحكم ويقول « ان كلاً منهما مطلب عسر المنال ... وكأن واضعه شرع للناس مورداً عذباً وحلأهم عنه » [(٦)] وقد خفي عليه انهما اتبعا طريق الخليل ، واقتديا به دون ادخال تعديل عليه ، يقتضيه تغير الغاية والحاجة . ويشعر ابو بكر بن دريد بالحاجة الى ادخال التعديل ولكنه وقع في ابلغ مما وقعا فيه ، فهو بعد ان عدل عن ترتيب الحروف على مخارجها ، واعتز بذلك قائلاً « وأجرينا كتاب الجمهرة على تأليف الحروف المعجمة ، اذ كانت بالقلوب أعلق ، وفي الاسماع أنفذ ، وكان علم العامة بها كعلم الخاصة ، وطالبها من هذه الجهة بعيداً من الحيرة » [(٧)] بعد ان فعل ذلك لم يستطع أن

---

(١) المجلدة الخامسة من غريب الحديث للحربي (مخطوطة الظاهرية ، لغة ٤٢) ومجمل ترتيب هذا الكتاب انه يأخذ غريب أحاديث كل صحابي على حدة فيعدد هذه الأحاديث ويدرج في كل عدد مضاريب عدد من الحروف فاذا ذكر غريب حديث عبد الله بن عباس قال مثلاً : الحديث الخامس ، باب فرع ... باب عرف ... باب عفر .. باب رعف (٢) يعدد الازهري في التهذيب بعض عيوبه ومنه استدللنا على ترتيب كتابه ففي ص ٣٠ يذكر في باب العين والقاف والزاي (قوزع) وفي ص ٦م في باب العين والضاد مع الباء ابضعين وفي ص ٣٧ في باب العين والقاف والدال قعود

(٣) طبعة سترستين وانظر البلغة ص ١١٦ وفهرس دار الكتب المصرية ٢:١٠ وبروكلمن ١:١٢٩

(٤) فهرس دار الكتب المصرية ٢:٣٦ والمقدمة لابن خلدون باب اللغة وابجد العلوم ٦١٥

(٥) المقدمة في باب اللغة وابجد العلوم ٦١٥ والبلغة ١٦٧ واكتفاء القنوع لفانديك ، مصر ١٨٩٦ ص ٣٢٠ (٦) لسان العرب ١:٣ (٧) الجمهرة ١:٣ وفي المزهر عنه ١:٤٧

يدع نهج الخليل في أخذ مختلف ضرب الحروف بعضها ببعض وعكسها وقلبها وفصل ثنائيها عن ثلاثيها . وأخذ لفيفها ومعتلها ، وكأنه لم يدر ان ما فعله الخليل في ذلك يوافق ترتيب حروف الحلق لا ترتيب حروف الالفباء ، وان الخليل لو كان أخذ بترتيب الالفباء لاختط لنفسه طريقاً آخر . وتبع ابن دريد الصاحب بن عباد (— ٣٨٥) دون ادخال تعديل على أسلوبه[1] ، وأدرك ابو العباس احمد بن محمد بن ولاد (— ٣٣٢) مافاتهما ، وعرف أنه لا يمكن « طالب الحرف في كتاب العين ان يعرف موضعه من الكتاب من غير ان يقرأه ، الا ان يكون قد نظر في التصريف ، وعرف الزائد والاصلي والمعتل والصحيح والثلاثي والرباعي والخماسي ... وتصريف الكلمة على ما يمكن من وجوه تصريفها في اللفظ على وجوه الحركات ، والحاقها ما تحتمل من الزوائد ومواضع الزوائد ، بعد تصريفها بلا زيادة ؛ ويحتاج مع هذا الى ان يعلم الطريق التي وصل الخليل منها الى حصر كلام العرب : فاذا عرف هذه الأشياء عرف موضع ما يطلب من كتاب العين »[2] .

وفهم ان على من كان غرضه غير ما قصد الخليل ، ان يتخذ طريقاً آخر ، وهذا ما فعل مقدماً الألف على سائر الحروف ، وذاكراً في باب الألف كل الكلمات المقصورة والممدودة ، التي تبدأ بها ، وفي كل حرف من الحروف الكلمات التي أولها ذلك الحرف . وقد سبق في ذلك جميع اصحاب المعاجم اللغوية ، لكنه لم يفكر بأن يجعل الترتيب يعم الحرف الثاني والثالث وما بعدهما ، فورد كتابه مضطرباً في ذلك ، ومن اراد ان يعثر على كلمة فيه ، وجب عليه ان يتصفح كل الكلمات التي أولها يماثل أول حرف من هذه الكلمة ، وشأنه في ذلك شأن المبتدئ الذي لابد أن يأتي عمله ناقصاً ، على انه كان أوسع فكراً من ابي بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز بن القوطية (— ٣٦٧) الذي شعر بالحاجة الى درج الكلمات التي تبتدئ بحرف مماثل في مكان واحد ، ففعل كما فعل ابن ولاد ، قاصراً ترتيبه على الحرف الأول ، ولكنه حافظ على ترتيب الحروف

(١) الصاحب بن عباد لخليل مردم بك ، دمشق ١٩٣٢ ، ص ١١٥ — ١١٨ وفهرس دار الكتب المصرية ٢:٣٥ (٢) المقصور والممدود له ، مصر ١٩٠٨ ، ص ٣ وعنه في المزهر ١:٦٤

الحلقي[1] . وهذب ابو محمد بن عزيز السجستاني (— ٣٣٣) طريقة ابن ولاد ، فلم يقتصر على جمع الألفاظ المتماثلة بحرفها الأول ، بل رتبها على حركاتها الخفيفة في حرفها الأول من فتح وضم وكسر[2]

وترتيبا ابن دريد وابن ولاد مهدا السبيل لابي الحسين احمد بن فارس بن زكريا القزويني (٣٢٩ — ٣٩٥) ، فأخذ بترتيب الالفباء ، وجمع الكلمات التي أول حرف منها متماثل ، وزاد الى ذلك اعتبار الحرف الثاني والثالث في الترتيب ، غير ان اثر الخليل يظهر في عمله ، فهو يتابعه في تقسيمه للابنية الى ثنائية وثلاثية واكثر من ذلك ، فيذكر الكلمات الثنائية على حدة ، ويتبعها في الحرف نفسه بالابنية الثلاثية ، ثم « بما جاء من كلام العرب على اكثر من ثلاثة أحرف . » وقد اتبع هذا الترتيب في مجمل اللغة[3] وعرف انه أتى بشيء جديد ، فقال « هذا آخر مجمل اللغة فاحفظه وتدبر ترتيب ابوابه »[4] وحافظ على الترتيب نفسه في كتابه مقاييس اللغة[5]

وقبل ان يظهر معجم لغوي ، يوافق تماماً ترتيب اليونان ، يظهر كتاب الصحاح للجوهري بترتيب جديد مبتكر ، لا يشابه ترتيب اليونان ولا ترتيب ابن فارس ؟ وبه

---

(١) في الأفعال الثلاثية والرباعية له ، طبعة غويدي ، ليدن ١٨٩٦ (٢) تفسير غريب القرآن له ، نسخة الظاهرية ، لة ٣٠ والنسخة المطبوعة ، يعدد في باب الهمزة المفتوحة مثلاً : انذرتهم ، اليم ، انداداً الخ (٣) مطبعة السعادة ١٩١٣ الجزء الاول (٤) الجزء الاخير من مجمل اللغة ، مخطوطة الظاهرية ، لة ١٢٣ ، آخر ورقة . ولكن يجب القول ان ترتيبه في ابنية الثلاثي ليس كاملاً فأول الأبواب لا يبتدئ بالناء الذي يجب ان يبتدئ به وخذ مثالاً على ذلك باب العين والذال وما يثلثهما يبتدئ بعذر وينتهي بعذب والذي بعده يبتدئ بعرز وينتهي بعرج ولم نر تعليلاً شافياً لما يفعل ولعله أخذ دولابين متحركين مسننين على عدد حروف العربية على كل سن حرف من حروف الالفباء فكان يدير احد الدولابين حين يأخذ صور الثاني ويدير الدولاب الثاني حين ينتقل الى الثلاثي ويسجل الابنية المستعملة التي تخرج معه في هذا الدوران بترتيبها الذي لا يخطئ والذي يسهل له سبيل تركها والرجوع الى معاجم اللغة دون ان يختل ترتيبه . واذا فرضنا وجود صلة مابين الدولاب الاول والثاني تجعل الثاني يتحرك مع الاول حين الانتقال من حرف الى حرف أدركنا كيف أن الدولاب الثاني يستقر على حرف وجب ان لا يستقر عليه فيخطئ بذلك ابتداء الألفاظ الثلاثية (٥) النسخة المصورة في المجمع العلمي العربي

تنفك الحلقة التي كانت تربط مختلف اجزاء تطور ترتيب المعاجم . وترتيب الجوهري هو اعتبار الحرف الأخير من المصدر أساساً للترتيب على حروف المعجم ، ومتى اجتمعت الكلمات ذات الحرف الأخير المتماثل ، رتبت باعتبار حرفها الاول ثم الثاني [١] ويرى الاستاذ مارسيه لترتيب الجوهري سببين : اولهما ان الجوهري اراد ان يكون معجمه عوناً للسجاع ، الذين انتشروا في عصره انتشاراً كبيراً ، وثانيهما ان اشتقاق الابنية يغير حرفها الأول اكثر مما يغير حرفها الأخير [٢] . وسار الترتيب على ما خطه الجوهري النابغة ، فألف تمام بن غالب بن التيان (— ٤٣٦) موعبه باعتبار الحرف الأخير أساساً للترتيب [٣] . وأخذ بهذا الترتيب محمد بن ابي الحسن صاحب المستنصر ، الذي لخص كتاب المحكم [٤] ، وتبعهم في ذلك جل اصحاب المعاجم [٥]

وقد يقال ان اصحاب الحديث ينقضون قولنا في التطور على ما درجناه عليه ، فمنهم محمد بن اسماعيل بن ابراهيم البخاري (١٩٤ — ٢٥٦) رتب اسماء المحدثين في تاريخه الكبير على حروف المعجم [٦] ، والجواب على ذلك ان اصحاب الحديث ابعد الناس معرفة بطرائق يونان ، واتصالاً بكتبها ، وكل امرهم ان عبقرياً منهم ادرك ان اللغة غير تعداد الأسماء ، فرتب الأسماء على حروفها الأول ، لكنه لم يتعد في ترتيبه الحرف الأول [٧] ، وقلده في ذلك ابو بشر محمد بن احمد بن حماد الدولابي (٢٢٤ — ٣١٠) في كتاب الكنى والأسماء [٨] ، وتبعه من غير اصحاب الحديث دون أي تعديل ابو القاسم الحسن

(١) تاج اللغة وصحاح العربية ، بولاق ، ١٢٨٢ وانظر مقدمة نصر الهوريني ١ : ٧ من الكتاب والمقدمة لابن خلدون باب اللغة وابجد العلوم ٦١٥ (٢) من درسه في ١٣ مارس ١٩٣٦ التقاط الاستاذ محمد المبارك والاستاذ خلدون الكناني (٣) لغة العرب ٤ : ١٧ عام ١٩١٤ على ان ابن التيان يضيف شيئاً آخر وهو جمع الكلمات ذات الوزن المماثل الواحدة تلو الاخرى (٤) المقدمة لابن خلدون في باب اللغة وابجد العلوم ٦١٥ (٥) ومن اللغويين من يرون ان الحرف الاخير اكثر عرضة للتغير من الحرف الاول فيرتبون معاجمهم على الحرف الاول ثم على الاخير ثم على ما بينهما كاثير الدين محمد بن يوسف بن علي الاندلسي الجياني (٦٥٤ - ٧٤٥) في كتابه تحفة الاريب بما في القرآن من الغريب ، حماه ، ١٩٢٤ (٦) الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ للسخاوي ، ص ١١٠

(٧) الجزء الاول من تاريخ البخاري الكبير ظاهرية مجموع ٦٦ (١٥) .

(٨) طبعة حيدر اباد ١٣٢٢ ، راجع أقسامه المختلفة بالتتابع في ١ : ١٢ و ١ : ٦٣ و ١ : ٩٥

ابن بشر الآمدي (— ٣٧٠) في المؤتلف والمختلف في اسماء الشعراء ، وابو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني (٢٩٧ — ٣٨٤) في معجم الشعراء [١] . ولكنهم كلهم لم يدركوا شأو اليونانيين في اعتبارهم الحرف الثاني والثالث ، وما فعل ذلك الا محدثو العصر الخامس ، اكمالاً لنهج من سبقهم ، وتحرياً في تسهيل المراجعة [٢]

ومجمل القول : ان العرب اخذوا بترتيب الكتب على الحروف ، دون ان ينقلوه عن اليونان ؛ وأوصلوه بمراحل طويلة الى نهج يخالف نهجهم ، دون ان يستفيدوا مما فعلوه قبلهم ؛ ولئن كانوا جميعاً يجهلون أسلوب اليونان ، فكم أحرى بالخليل ان لا يكون مطلعاً عليه ، مع بعد زمانه عن اثر اليونان ، واختلاف اسلوبه عن اسلوبهم ، وغايته عن غايتهم .

يتبع

يوسف العش



(١) نشر هذين الكتابين الاستاذ كرنكو (٢) انظر ما يقول في ذلك الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ١ : ٢١٣ والطوسي في الفهرست ص ٢

مخطوطات ومطبوعات

أقاصيص تيمور

أخرج الاستاذ محمود تيمور بك في السنوات الأخيرة مجموعات من الأقاصيص ، امتازت بالدقة في الوصف ، والسهولة في التعبير ، والجمال في القص . منهـا « قلب غانية » ، و « فرعون الصغير » و « نداء المجهول » و « مكتوب على الجبين »

وان نستطيع ان نسهب في الكلام على هذه الأقاصيص ، وتبيان مافيها من جمـال وفن وبراعة ورشاقة ، لأن ذلك يتطلب الصفحات الطوال ، على أننا سنوجز في سردها ، ونبين الأشاوي التي امتازت بها .

اما « قلب غانية » فمجموعة أقاصيص ، صدّرها المؤلف بمقدمة عن «حافظ القصصي» وهي المحاضرة التي ألقاها المؤلف بدار الاوبرا الملكية ، في الاحتفال بذكرى حافظ ابراهيم (٧ مايس ١٩٣٧) ، وفي هذه المجموعـة : سراب ، حورية البحر ، حنين ، السجينة ، الشحاذ ، الفطائر العشر ، قبلة ، أم .

اما « فرعون الصغير » فمجموعة ثانية ، صدّرها الاستاذ المؤلف بحديثه الذي تحدّث به في قاعة المحاضرات في الجامعة الاميركية (٥ مارس ٩٣٨) عن « المصادر التي ألهمتني الكتابة » . ذكر فيه الاستاذ كيف اصبح قاصّاً ، وحبذا الطريقة يتبعهـا الكتاب والأدباء فيبينوا للناس ما خفي من حياتهم الأدبية ، وما ورثوه من آبائهم ، وأثر البيئـة فيهم ، والحوادث الخاصة التي كان لها أثر في إنتاجهم . وهذا ما أبان عنه الاستاذ تيمور فأجاد فيه وبرع . وأقاصيص هذه المجموعـة هي : غريم ، حزن أب ، غانية الحانة ، انقلاب ، أركان الوضوء ، عزرائيل القرية ، افنديك بالروح ، رجل رهيب ، زمـان الهنا ، غرام قديم ، ...

اما المجموعة الثالثة ، فهي « مكتوب على الجبين » وهي آخر ما جمعـه الاستاذ . وفيها يظهر نضجه وكماله . قدّم لها بكلمة القاها في جمعية الشبان المسيحيين عن « فن كتابة القصة » ثم نشرت هذه الكلمة في مجلة « الرسالة » المصرية . وقد كشف فيهـا

السبيل التي ينبغي للقاص الناشئ اتباعها . ومن أقاصيصها : « كان في غابر الزمان وفيها يبلغ تيمور الذروة ، وأغلال ، مكتوب على الجبين ، العيون الخضر ، بيوش ، بسمة اللبنانية ، تاج من ورق ، في خميلة الحب ، مأساة نفس ، قلب كبير ، ابتسامة ، ذات مساء ، صحبة الورد ...[1]

* * *

أما الأشاوي التي يراها القارئ واضحة في أقاصيص تيمور فهي

١ : البساطة . وهي من ابرز عناصر فنه ، فلا تكلف ولا تعقيد ، ولا لف أو دوران ، وإنك لتحسب اسلوبه الناعم كأنه الحمل يثغو وراء راعيه ، او الجدول المازج ينساب بين الأزاهير . ولذلك تجد لأقاصيصه رفيفاً وطلاوة ، وترى عليها الرشاقة والجمال . والفرنسيون يقولون « البساطة هي الجمال » . وهو لا يعمد في اقاصيصه الى المشوقات المبتذلة ، او المفاجآت التي تعقد القصة ، لأنه يعتقد انهذه من وسائل القاص الضعيف ، وان قوة القصة تظهر في بساطتها وصدقها وصوغها في قالب فني رفيع . (انظر المصادر التي الهمتني الكتابة) .

وقد جمع الاستاذ في أقاصيصه البساطة التي عرف بها القصص الروسي ، والوضوح والاتزان اللذين عرف بهما قصص « موباسان »

٢ : يعنى الاستاذ تيمور بالتحليل النفسي عناية ظاهرة ، ويستمد مادة أقاصيصه من النفس الانسانية على اختلاف أشكالها ومحالها . لأن الأدب الحق كما يقول هو أن يولي الإنسان وجهه شطر النفس الانسانية . فمنها يستمد الأديب كل خالد جميل ، ويصبح الأدب الذي يصورها في أهوائها وميولها وأذواقها وطبائعها ورعونتها وحمقها وسذاجتها ، ادباً باقياً لا يفنى .

ولذلك تجده يبرع في وصف هذه النفس وتحليل عواطفها ، ويجنح الى الواقعية جنوحاً كبيراً ، فتحسب في أحايين كثيرة انك تعرف أولئك الأبطال الذين تقرأ

(١) اما « نداء المجهول » فسنفرد لها كلمة خاصه بها .

عنهم وأنك قد شهدتهم مرات ومرات . وقد يخيل اليك انهم امامك تشهد حركاتهم وتسمع احاديثهم ، لأن الحياة تتدفق منهم ، ولقد وصف الشباب واهواءهم والكهول وطباعهم ، والشيوخ وشذوذهم ، والنساء وميولهن ، والمعلمين والتلاميذ ، والفنان الهيمان بالجمال ، والمصري المحافظ ، والمصري المتفرنج ، ووصف أرياف مصر ، وجبال الغرب ؛ والفقراء والفلاحين والأغنياء والحضر بين ...

٣ : لا تجد في اقاصيص تيمور غلاظات بعض القصاص في النصح والوعظ والارشاد ، ولكنه يعمد للتلميح ، او يدع الحوادث تنطق ، او يصور فيبرع في التصوير ، فاذا هو قد ملك على القارئ امره ، وإذا بالقارئ يعلم مما اوحي اليه ان هذا حسن وذاك قبيح ، وقد ذكر الاستاذ انه لا يرى القصة منبراً للوعظ ، بل هي معرض للتصوير والتحليل (انظر فن كتابة القصة) والقاص يوحي برموزه وظلاله وإرشاداته الى القارئ بالغرض الذي يرمي اليه .

٤ : اسلوب تيمور في اقاصيصه ناعم حلو ناصع ، له رفيف وعليه سناء ، وهو يعني بلغته ويتخير الفاظها (وخاصة في مجموعته الأخيرة) اما الفاظه فعلى قدر معانيه ، لاحشو ولا إطناب . على أنك قد تجد في ثنايا كتاباته هنات لغويات او كلمات عاميات لاضرورة لهن ، وقد كان يستطيع ان يستبدل بهن غيرهن . وقد تلمس ضعفاً في اللغة في بعض اجزاء القصة لا يستدعيه سياقها ، وقوة في اجزاء أخر لا يتطلبه المقام .

٥ : يتتبع الأستاذ أثر « موباسان » في اقاصيصه ، وقد تجد له اقاصيص على النمط الروسي . ولعل تتبعه لموباسان نتيجة لشغفه به ، فهو يرى « ان فنه كامل توفرت به جميع العناصر اللازمة لبناء قصة قوية من حيث عرض الموضوع ومعالجته وتحليل اشخاصه وتسلسل حوادثه ، مع الوضوح والاتزان ... » (انظر المصادر التي الهمتني الكتابة)

* * *

هذا قول موجز في اقاصيص تيمور . والحق انه ابدع لوناً رفافاً في ادبنا الحديث وهو القصة ، فبرع به واجاد ، وسبق وجلى .

أفلا يدفعنا ، بعد ذلك ، ذيوع اقاصيصه(١) ، وفرادة احاديثه ، ورفيف أسلوبه ، وحلاوة تصويره ، وجمال قصه ، أن نلقبه بحق : [امير القصة في الشرق]

صلاح الدين المنجد



(١) نقلت أقاصيص الاستاذ تيمور الى الفرنسية بعنوان

Les Amours de Sami

Les écrivains Contemporains 26, Rue des Tournelles. Paris IVe

ونقلت الى الألمانية بعناية المستشرق السويسري الدكتور ويدمار

Mahmūd Taimūr

Von Dr G. Widmer

Arthur Collignon, Buchhandlung für kunst und Wissenschaft, G. m. b. H.
Berlin N W 7.

آراء وأنباء

حول «الاجابة» ايضاً

تصفحت كتاب «الاجابة» الذي رجا ناشره الاستاذ الأفغاني [1] من المطلعين عليه ، بيان مافيه ليصححه ، وإني ذاكر ماعثرت عليه

(١) ص ١٥ س ٥ . المختصر في الحديث ؛ هو في مصطلح الحديث ، كما في شرح البيقونية «قال الزركشي في مختصره : يدخل القلب والشذوذ والاضطراب في قسم الصحيح والحسن .»

(٢) ص ١٧ س ١٦ : قال ابو الفضل ابن حجر : » «الف (ابن) غير موجودة في الأصل ، انظر الشكل الأول ، واثبات الألف هنا مردود عند العلماء ، بلا فرق في العلمين بين ان يكونا اسمين او كنيتين او لقبين او مختلفين [2]

(٣) ص١٨ س ٤ : «وغيرها» وغيرهما ، كما في الأصل انظر الشكل الأول

(٤) ص ١٨ س ٨ : «أما» هي «نا» وأصلها اخبرنا » » »

(٥) ص ١٨ س ١٩ : «قيل له» لا وجود للفظ «له» في الأصل انظر الشكل الأول من الحاشية التي أولها «نقلت الخ»

(٦) ص ٧١ س ١٥ : انها حبيبة رسول الله : انها «حبة رسول الله» طبقاً لصحيفة الأصل التي صورها في كتابه «١٦» وهي بهذا اللفظ في مسند احمد (ج ٦ ص ١٣٠ فكان ينبغي الإشارة إليها ، وإن جاءت في المستدرك بلفظ «حبيبة»

(٧) قوله : «وعروة وابن الزبير مقصود لا سهو فيه» فيه إيهام ان عروة غير اخي عبد الله بن الزبير ، وحافظا المشرق والمغرب ابن حجر وابن عبد البر يقولان في رواية هذين الأخوين عن خالتهما عائشة هكذا : «عبد الله وعروة ابنا الزبير» وابنا اختها عبد الله وعروة ابنا الزبير (ص ٣٦٠ و ص ٣٦١ ج ٤) من الاستيعاب والاصابة ، فمتابعتهما في هذا خير من ذلك التركيب العجيب

---

(١) مجلة المجمع العلمي العربي الغراء (م ١٦) ص ٣٣٥ (٢) انظر المطالع النصرية ص ١١٧

(٨) ص ٧٣ س ١ : ابو حجاج المزي : هو ابو الحجاج (بالألف واللام) طبقاً لصحيفة الأصل أيضاً

(٩) قوله :«أعلى الدلاء من اسفلها غير صحيح » هو تصحيح لقوله : «من اسفله» فقط وهو صحيح ،وقوله « انظر شرح شرح المواهب للزرقاني » هو استدراك على نفسه وتصحيح لغلطه .

(١٠) قوله : ومراعاة النطق في لفظ (داوود) اولى ، وكل جائز ومثله طاووس ص ٩١ من الاجابه — ليس بسديد لدى أولي العلم والرسم ، ففي المطالع النصرية مانصه « المختار عند اهل العلم ان يكتب داود وطاوس ورؤس وفؤس بواو واحدة استخفافاً لكثرة الاستعمال » اه ص ١٣٠ قلت وهو الذي يراه الناظر في المعاجم و كتب التراجم

(١١) وهم العلامة الاستاذ كرنكو فقال في دفع وهم الافغاني في الامام البزار : المتوفى سنة ٢٤٢ (انظر انساب السمعاني) : ففي كتاب الأنساب لأبي سعيد او سعد السمعاني : مات بالرملة سنة ٢٩٢ (ص ٧٨ الوجه الأول من طبعة الزنكوغراف) وفي لسان الميزان في ترجمة البزار : توفي بالرملة سنة ٢٩٢ ، وقال ابن قانع اخبرني ابنه انه توفي بالرملة سنة ٩١ «ص ٢٣٧ و ص ٢٣٨ ج ١» وفي حوادث سنة ٢٩٢ من كتاب الشذرات : وفيها الحافظ ابو بكر البزار ، احمد بن عمر بن عبد الخالق البصري صاحب المسند الكبير في ربيع الأول بالرملة (اي توفي فيها)

(١٢) ص ١٩٣ س ٣ : من العمود الثاني «حفصة بن عمر » ؟ الصواب حفصة بنت عمر

(١٣) ص ٢١٠ س ٥ : من العمود الأول ، « الاربعة (الأئمة في الحديث) ص ١٦٥ » لا وجود لهذه العبارة في الصفحة المشار اليها

(١٤) ص ٢١٨ س ١٥ : من العمود الأول ؟ « شرح جامع الجوامع » ؟ هو شرح جمع الجوامع للسبكي

(١٥) ص ٢٢٠ س ٢٠ : من العمود الأول ؟ « الصباح المنير » هو المصباح المنير

(١٦) أما ما سكت عنه من ملاحظات أستاذنا الجليل البيطار فهو اعتراف منه بصحته ، وهو مما لا يمكن أن يصحح اعتباطاً أو عفو الخاطر كما ذكر .

مسلم الغنيمي الميداني

بحث عن اثرين

عثرنا في دار الكتب الظاهرية على رسالة خطية كتب عليها [ديوان ابي العلاء المعري] وفيها قصائد على عدد حروف الهجاء كل قصيدة منها عشرة أبيات وقد التزم في كل منها ان يكون أول حرف من البيت وآخره سواء فمن اطلع على مثل هذه الرسالة أو علم بموضعها فليتفضل بابلاغ المجمع العلمي العربي في دمشق وهذا مثال من أول القصائد

أمالك ياداء المحب دواء بلى عند بعض الناس منك شفاء
بكت رحمة للصب عين عدوه فما لحبيب القلب لا يرحم الصبا

ويبحث المجمع عن قصيدة تائية منسوبة الى عامر بن عامر البصري عارض بها تائية ابن الفارض ويقول انه نظمها في سيواس وتبلغ نحو خمسمائة بيت مرتبة على اثنى عشر نوراً كل نور يتضمن بحثاً من مطالب الصوفية الكبرى ومطلعها

تجلى لي المحبوب من كل وجهةٍ فشاهدته في كل معنى وصورةٍ

فالمجمع يهمه ان يعرف من هو عامر بن عامر البصري فمن عثر على شيء من هذه القصيدة او معرفة ناظمها فليتفضل باعلام المجمع ذلك

مجلة المجمع العلمي العربي

الجزء الثاني عشر كانون الاول سنة ١٩٤١ ذو القعدة سنة ١٣٦٠

العناصر الاجنبية في الاسلام (١)

أدخل الاسلام في حظيرته أذكياء من أجيال الناس ، وأهل الملل والأديان القديمة ، تمثلوا تعاليمه وخدموه أجلّ خدمة . وكان للموالي أثر عظيم في نقل الشريعة وبثها ، حتى جاء زمان وعدد الموالي القائمين على بث العلم أكثر من عدد العلماء الذين كانوا من أصول عربية لا تشوبها شائبة العجمة . ونحن في هذا الحديث نكتفي بالالماع الى ثلاثة عظماء جاء الأولان في القرن الثالث وهما ابراهيم الحربي وابو عبيد القاسم بن سلاّم وجاء الثالث في القرن السابع وهو ياقوت . كانت أم ابراهيم الحربي تغلبية « وأخواله نصارى اكثرهم » قالوا لم تخرج بغداد أعلم منه . قال صاحب تاريخ بغداد كان إماماً مصنفاً ، عالماً بكل شيء ، بارعاً في كل علم ، عارفاً الفقه ، بصيراً بالأحكام ، حافظاً للحديث ، مميزاً لعلله ، قيماً بالأدب ، جماعة للغة ، وصنف كتباً كثيرة ، وكان يقاس بأحمد بن حنبل في زهده وعلمه وورعه . جاءه رجل من اصحاب الخليفة المعتضد بعشرة آلاف درهم ، يسأله عن أمر أمير المؤمنين تفرقة ذلك فرده ، فانصرف الرسول ، ثم عاد فقال : ان امير المؤمنين يسألك أن تفرقه في جيرانك ، فقال عافاك الله ؛ هذا مال لم نشغل أنفسنا بجمعه فلا نشغلها بتفرقته ، قل لأمير المؤمنين : إن تركتنا والا تحوّلنا من جوارك !

حدث القاسم بن الحنبلي قال : اعتلّ ابراهيم الحربي علة حتى أشرف على الموت :

(١) من حديث للاستاذ محمد كرد علي ألقي في محطة بيروت (راديو الشرق)

فدخلت اليه يوماً فقال لي : يا ابا القاسم أنا في أمر عظيم مع ابنتي ، ثم قال لهـا : قومي اخرجي الى عمك ، فخرجت فألقت على وجهها خمارها ، فقال ابراهيم : هذا عمك كلميه . فقالت لي : ياعم نحن في أمر عظيم ، لافي الدنياولا في الآخرة ، الشهر والدهر مالنا طعام إلا كسر يابسةوملح ، وربما عدمنا الملح ، وبالأمس قدوجه اليه المعتضد مع بدر الف دينار فلم يأخذها ، ووجه اليه فلان وفلان فلم يأخذ منها شيئاً ، وهو عليل . فالتفت الحربي اليها وتبسم فقال لها : يا بنية إنما خفت الفقر ؟ قالت : نعم ، فقال لها : انظري الى تلك الزاوية فنظرت فاذا كتب . فقال : هناك اثنا عشر الف جزء لغـة وغريب كتبتها بخطي ، اذا مت فوجهي في كل يوم بجزء تبيعيـه بدرهم ، فمن كان عنده اثنا عشر الف درهم ليس هو فقير !

* * *

كان والد القاسم بن سلام مملوكاً رومياً لرجل من هراة من عمل خراسان فنشأ ابنه نشأة اسلامية عربية . وكأن أباه شعر بذكاء ابنه فقال يومـاً برطانته العجمية لمعلم الكتاب الذي يتعلم فيه ابنه مع ابن مولاه : « علمي القاسم فانهـا كيسة » . ونبغ قاسم وعُرف في خراسان فضله ، فعهد اليه بعض الخاصة تأديب بنيهم ، على عادة العلية من الناس في تلك الأيام ، يدفعون الى العلماء اولادهم ليثقفوهم ويهذبوهم . ونزل طاهر بن الحسين شيخ قواد المأمون بمَرْوَ حين مضى الى خراسان ، فطلب رجلاً يحدثه ليلة ، فقيل له ما ههنا إلا رجل مؤدب ، فأدخل عليه ابو عبيد القاسم بن سلاّم ؛ فوجده اعلم الناس بأيام الناس والنحو واللغة والفقه فقال له : من الظلم تركك أنت بهذا البلد . فدفع اليه الف دينار وقال له : انا متوجه الى خراسان الى حرب ، وليس أحب استصحابك شفقةً عليك ، فأنفق هذا الى ان أعود اليك . ولما عاد حمله معه الى سُرَّ مَنْ رأى ودخل بغداد .

وظلّ ابو عبيد على وَلائه لآل طاهر بن الحسين ، وأعلى ابنه عبد الله بن طاهر منزلته ، وهو من اعاظم قواد الخليفة المأمون ايضاً . وكان ابو عبيد اذا الف كتاباً أهداه الى عبد الله بن طاهر ، فيحمل اليه مالاً خطيراً استحساناً لذلك ، ولمـا انجز

كتابه « الغريب المصنف » وكان صرف في تأليفه ثلاثين سنة عرضه على عبد الله بن طاهر فاستحسنه وقال : « إن عقلاً بعث صاحبه على عمل مثل هذا الكتاب لحقيق ألا يحوج الى طلب المعاش » فأجرى له عشرة آلاف درهم في كل شهر أي الف دينار . وعمل كتابه « غريب الحديث » للمأمون وما ندري بما كافأه عليه ، إن كان احد عماله يجري عليه في كل شهر الف دينار .

أدّب ابوعبيد في بغداد غلاماً في شارع بشر وبشير ، واتصل بعد بثابت بن نصر ابن مالك الخزاعي يؤدب ولده ، وأدب ايضاً ابناء هرثمة ، ولعله هرثمة بن اعين اعظم قواد المأمون وثقاته ، ولما ولي ثابت بن نصر الثغور ودامت ولايته ثماني عشرة سنة ، كان ابو عبيد يتولى قضاء طرسوس طول تلك المدة ، وحسن أثره فيها كما حسن أثر صديقه واليها .

وذكروا ان ابا عبيد لما كان في أسباب عبد الله بن طاهر بعث ابو دُلف القاسم بن عيسى العجلي احد ائمة البلاغة يستهديه أبا عبيد شهرين ، فأنفذه اليه ، فأقام شهرين في الكرج ، وهي مدينة بين همذان واصفهان ، مصرهـا ابو دُلف وجعلها وطنه ، وقلده الرشيد اعمال الجبل فلم يزل عليها الى ان توفي سنة ٢٢٥ واليها قصده الشعراء وذكروه في اشعارهم — ولما اراد الانصراف وصله ابو دُلف بثلاثين الف درهم فلم يقبلهـا . وقال: انا في جنبة رجل لم يحوجني الى صلة غيره . فلما عاد الى ابن طاهر وصله بثلاثين الف دينار فقال : أيها الأمير قد قبلتها ، وقد اغنيتني بمعروفك وبرّك ؛ فرأيت ان اشتري بها سلاحاً وخيلاً وأوجه بها الى الثغر ليكون الثواب متوفراً على الأمير ، ففعل .

وهكذا عاش ابو عبيد بين أشراف القادة والسادة ، يعرف لهم مقامهم ويعرفون له قدره ، يتهادونه ويبرونه ، ويرغبون في الأخذ عنه ، ويعهدون اليه في تخريج ابنائهم . اما هو فلم تبطره الدنيا ، ولم تخلب لبه المظـاهر ، واشتهر بورعه وعفته وكرم نفسه وجوده ، حتى قيل فيه لو كان ابو عبيد في بني امرائيل لكان عجباً . قالوا إنه كان يقسم الليل اثلاثاً ، فيصلي ثلثه ، وينام ثلثه ، ويصنف ثلثه . وكان فاضلاً في دينه وعلمه ربانياً قانتاً مفنناً « في اصناف علوم الاسلام ، صحيح النقل لم يطعن عليه في شيء من امره ودينه »

شهد اعلام الناس بعلمه ، ومنهم اسحق بن راهويه قال : يحب الله الحق ، ابو عبيد اعلم مني ومن احمد بن حنبل ، ومن محمد بن ادريس الشافعي . وقال بعضهم : إنه لم يكن عنده ذاك البيان ، إلا انه كان اذا وضع وضع . وقال ابراهيم بن الحربي : رأيت ثلاثة تعجز النساء ان تلد مثلهم . رأيت ابا عبيد ما أمثله إلا بجبل نُفخ فيه روح ، ورأيت بشر بن الحرث فما اشبهه إلا برجل عُجن من قرنه الى قدمه عقلاً ، ورأيت احمد بن حنبل فرأيت كأن الله قد جمع له علوم الأولين من كل صنف ، يقول ما يشاء ويمسك ما يشاء .

وسئل يحيى بن معين صاحب الجرح والتعديل — وهو الذي قال فيه احمد بن حنبل كل حديث لا يعرفه يحيى بن معين فليس هو بحديث عن الكتابة عن ابي عبيد والسماع عنه ، فتبسم وقال : مثلي يُسأل عن ابي عبيد ؟ ابو عبيد يسأل عن الناس . لقد كنت عند الأصمعي يوماً اذ اقبل ابو عبيد . فنفذ اليه بصره حتى اقترب منه ، فقال : أترون هذا المقبل ؟ قالوا : نعم . قال : لن تضيع الدنيا — او لن يضيع الناس ما حيي هذا المقبل . وقال عبد الله بن طاهر . كان الناس اربعة : ابن عباس في زمانه والشعبي في زمانه ، والقاسم بن معن في زمانه ، وابو عبيد القاسم بن سلاّم في زمانه . وذكره الجاحظ في المعلمين وقال : كان مؤدباً لم يكتب الناس اصح من كتبه ، ولا اكثر فائدة .

غلب على ابي عبيد جمع المتفرق في الكتب وتفسيره ، وذكر الأسانيد ، وصنف المسند على حدته ، واحاديث كل رجل من الصحابه والتابعين على حدته ، واجاد تصنيفه فرغب فيه اهل الحديث والفقه واللغة ، لاجتماع ما يحتاجون اليه فيه . قالوا ان الناس رووا عن ابي عبيد بضعة وعشرين كتاباً في القرآن والفقه وغريب الحديث والغريب المصنف والأمثال ، وعانى الشعر ، وكتابته كتابة ارقى المؤلفين في القرن الثاني والثالث . والغريب المصنف زعموا انه اجلُّ كتبه ، وقالوا ان كتابه « الأموال » وهو المطبوع الذي نجا من التلف من جميع كتبه ، هو احسن ماصنف

في الفقه واجوده . وكتاب الاموال صورة ناطقة بعلمه الواسع ، وتحقيقه وتدقيقه ، يرجح من الاقوال ماهو أولى بالترجيح ، ويبين عن رأيه في أحكام الأموال وصنوفها ، آخذاً بالأقوال الصحيحة المأثورة عن صاحب الشرع ، ومشيراً الى عمل الصحابة والتابعين من بعده ، والى ما استخرجه الحكام والملوك من هذه الأموال بعد ذلك ، وفي كل أولئك يتجلى للقارئ نور العقل ، وبُعد النظر ووفرة العلم .

* * *

أما الرومي الثاني ياقوت فقد نفع التاريخ والجغرافية والادب بما نقل وحرر وبوب وصنف ، وكان مولد ياقوت عبد الله شهاب الدين في بلاد الروم سنة ٥٧٤ وأخذه المسلمون اسيراً وهو طفل واشتراه في بغداد تاجر يعرف بعسكر الحموي فنسب اليه فقيل له ياقوت الحموي كما قيل له الرومي وجعله سيده في الكتاب يتعلم ما يستفيد هو منه في ضبط متاجره وقرأ شيئاً من النحو واللغة وشغله مولاه بالأسفار وفي سنة ٥٩٦ أعتقه فاشتغل بالنسخ بالاجرة وحصل بالمطالعة فوائد . ودعاه مولاه القديم فأعطاه شيئاً وسفره الى كيش وعُمان ولما عاد من سفرته كان سيده قد مات فأعطى أولاده وزوجته ما أرضاهم به وبقيت بيده بقية جعلها رأس ماله وسافر بها وجعل بعض تجارته كتباً ، وسهل عليه ان يطوف الشام والعراق والجزيرة وخراسان واستوطن مرو ودخل خوارزم وجاء البلاد ما بين جيحون والنيل . وشهد غارات التتر في خراسان ايام كونه فيها ووصف أعمالهم في بلاد الاسلام وفقد ثروته غير مرة فعدّ من المفلوكين .

قيل انه كان طالع شيئاً من كتب الخوارج فاشتبك في ذهنه منها طرف قوي ، وتوجه الى دمشق في سنة ٦١٣ وقعد في بعض أسواقها وناظر بعض من يتعصب لعلي وجرى بينهما كلام أدى الى ذكره علياً بما لا يسوغ فثار الناس عليه ثورة كادوا يقتلونه فسلم منهم ، وخرج من دمشق منهزماً الى حلب وأقام فيها مدة عند وزيرها القفطي فأهداه كتابه معجم البلدان وفي حلب مات سنة ٦٢٦

ويدرك المرء بعد هذه الالمامة اليسيرة بسيرة ياقوت كيف ساعدته الاقدار

فدرس الكتب واستفاد من نسخها وزاده تنقله في البلاد توسعاً في المعارف فاطلع على مالم يطلع عليه غير قلائل من المؤلفين فكان ذلك مما ضاعف الامتاع بكتبه فكتب لها البقاء لحاجة الناس اليها ، ولأن صاحبها كتبها عن درس ومشاهدة وخبرة ، ويمتاز على غيره بأنه عرف جزءاً عظيماً من بلاد الاسلام معرفة اكيدة وأدرك الرجال ولقي شيوخ عصره .

كان ياقوت رقيق العاطفة مرهف الحس دؤوباً على العمل يحمل نفساً زكية دراكة . كان صريحاً في قوله لا يدالس ولا يصانع يقول ما يعلم وان اغضب وارضى ، فيه صدع العلماء بالحق وصدق الصادقين من الرواة . قال عن نفسه اني كنت قدمت نيسابور في سنة ٦١٣ وهي الشاذياخ فاستطبتها وصادفت بها من الدهر غفلة خرج بها عن عادته واشتريت بها جارية تركية لا ارى الله تعالى خلق احسن منها خلقاً وخلقاً ، وصادفت من نفسي محلاً كريماً ، ثم أبطرتني النعمة فاحتججت بضيق اليد فبعتها فامتنع علي القرار ، وجانبت المأكول والمشروب حتى أشرفت على البوار ، فأشار عليّ بعض النصحاء باسترجاعها فعمدت لذلك واجتهدت بكل ما امكن فلم يكن الى ذلك سبيل لأن الذي اشتراها كان مولاً ، وصادفت من قلبه أضعاف ما صادفت مني ، وكان لها ميل اليّ يضاعف ميلي اليها فخاطبت مولاها في ردها عليّ بما أوجبت به على نفسها عقوبة فقال في ذلك قصيدة يصف الحال تقرؤها في مادة شاذياخ من معجم البلدان

ثلاثة كتب طبعت لياقوت اشتهر بها وخلد ذكره (معجم البلدان) و (المشترك وضعاً والمختلف صقعاً) و « ارشاد الاريب الى معرفة الاديب » . اوطبقات الادباء ، وكلها مما أحياه المستعربون من الغربيين لهذا الرومي المستعرب العظيم .

رتب المؤلف معجم البلدان على حروف المعجم وذكر فيه اسماء البلدان والجبال والاودية والقيعان والقرى والمحال والأوطان والبحار والأنهار والغدران والاصنام والاوثان معتمداً في تأليفه على من كتب قبله في تقويم البلدان من العرب وعلى اللغويين ودواوين العرب والمحدثين وتواريخ أهل الادب والتقط من افواه الرواة وتفاريق

الكتب وما شاهد في أسفاره وحققه بنفسه من اسماء البلدان ما عظمت به فائدته ·

كان ياقوت محتاطاً فيما ينقله عن غيره قال مثلاً في احدى المدن : ولها قصة بعيدة من الصحة لمفارقتها العادة وانا بريء من عهدتها انما اكتب ما وجدته في الكتب المشهورة التي دونها العقلاء · وقال فيما نقل عن الصين « وهذا شيء من أخبار الصين الاقصى ذكرته كما وجدته لا أضمن صحته ، فان كان صحيحاً فقد ظفرت بالغرض ، وان كان كذباً فتعرف ما تقوله الناس فان هذه البلاد شاسعة مارأينا من مضى اليها فأوغل فيها وانما يقصد التجار اطرافها » وكأنه بما ينقل من الاوهام والخرافات يحاول ان لا يخلي كتابه من كل أطروفة ولو كانت سخيفة ، ليستفيد منه الجاهل ويتفكه به العالم ، ويزيد به المتعلم الاديب درساً ، وقد توسع خاصة في الكلام على المدن التي أنشأتها العرب ·

حرص في معجم البلدان علي الالمام باخبار فتوح البلاد وعمرانها واموالها ومرافقها وعادياتها واخلاق اهلها ومن خرج منها من المشاهير وما وقع فيها من الوقائع التاريخية وما قيل فيها من الاشعار البديعة ، فأمتع قارئه بكل مفيد حسب ما وصل اليه علمه ، ووقع عليه في كتاب او استقراه بنفسه ونقله عن الثقات · وهذا جماع مافي معجمه مما أدركه في عصره او اقتبسه من الاصول المتقنة في خزائن مرو قال : « كانت سهلة التناول لا يفارق منزلي منها مائتا مجلد واكثر ، وبغير رهن ، تكون قيمتها مائتي دينار فكنت ارتع فيها واقتبس من فوائدها وانساني حبها كل بلد والهاني عن الاهل والولد واكثر فوائد هذا الكتاب (معجم البلدان) وغيره مما جمعته فهو من تلك الخزائن ، وما كان له ان يفارق مرو لولا ورود التتر الى تلك البلاد ·

ومن معجم البلدان فقط يتألف ديوان لطيف من المقاطيع والقصائد التي استشهد بها وكتاب في عجائب البلدان والخليقة واخلاق الناس وعاداتهم ودرجة الرفاهية والثروة في عصره او قبل عصره · ويفيض في كلامه على الحواضر يذكر من خرج منها من الاعيان ولا سيما رجال الحديث وقد تظفر فيه بتراجم مطولة لرجال

أغفل اكثر مصنفي الطبقات ذكرهم . وهو كتاب خاص ببلاد الاسلام والشرق كتب بكثير من الاحتياط والتحفظ اذا وقع التنظير بين ما نقله وما نقله المؤلفون في عصره وبعد عصره . فقد قال في الروم مثلاً « وفي اخبار بلاد الروم اسماء عجزت عن تحقيقها وضبطها ، فليعذر الناظر في كتابي هذا ، ومن كان عنده اهلية ومعرفة وقتل شيئاً منها علماً ، فقد أذنت له في اصلاحه مأجوراً » وهذا ديدن العلماء في القديم والحديث يدعون العارفين الى تصحيح هفواتهم او الى نقدهم للوصول الى الحقائق .

أما كتاب « المشترك وضعاً والمفترق صقعاً » فقد انتزعه بنفسه من معجم البلدان واقتصر فيه على ما اتفق من اسماء البقاع لفظاً وخطاً ووافق شكلاً ونقطاً وافترق مكاناً وعملاً ، توفيراً لوقت المطالع الذي يحب السرعة في تلقف الفوائد ، وبعداً به عما ذكره في معجمه الكبير من الاشتقاق والشواهد والنكت والفوائد والاخبار والاشعار . ودعا ياقوت على من يختصر بعده كتابه معجم البلدان وما نجا مع هذا من أناس حاولوا اختصاره ، ومنهم صفي الدين عبد المؤمن اختصره وسماه « مراصد الاطلاع » .

بقي ان نطلق القول في كتاب ياقوت الثالث وهو « ارشاد الاريب الى معرفة الاديب » وفيه جمع ما وقع اليه من أخبار النحويين واللغويين والنسابين والقراء المشهورين والاخباريين والمؤرخين والوراقين المعروفين والكتاب المشهورين واصحاب الرسائل المدونة وارباب الخطوط المنسوبة وكل من صنف في الادب تصنيفاً ، مثبتاً وفياتهم ومواليدهم وتصانيفهم واخبارهم وأنسابهم وأشعارهم . قال فأما من لقيته أو لقيت من لقيه فأورد لك من أخباره وحقائق أموره مالا اترك لك بعده تشوقاً الى شيء من خبره وانه جمع للبصريين والكوفيين والبغداديين والخراسانيين والحجازيين واليمنيين والمصريين والشاميين والمغربيين وغيرهم على اختلاف البلدان وذلك على حروف المعجم أيضاً . وقال في الاعتذار عن نفسه ولمن يقول له ان الاشتغال بأمر الدين أهم ، ان هذه اخبار قوم عنهم أخذ القرآن والحديث وبصناعتهم تنال الامارة ويستقيم

أمر السلطان والوزارة وبعلمهم يتم الاسلام ، وباستنباطهم يعرف الحلال من الحرام ، وان كتابه هذا هو علم الملوك والوزراء والكبراء يجعلونه ربيعاً لقلوبهم ونزهة لنفوسهم ·

قال وربما قال بعضهم انه (معجم الادباء) تصنيف رومي مملوك وما عسي ان يأتي به ؟ ان القوم لا ينظرون ما قيل انما يسألون عمن قال · ولو عاش ياقوت ورأى اليوم بعد ان أتى على كتابه سبعة قرون كيف اشتهر كتاباه معجم البلدان ومعجم الادباء لا يستغني عنهما باحث ولا أديب وأثبتت الايام انهما من الكتب التي حوت كل طريف مفيد تزيد على القرون حسناً لاغتبط وأدرك أن ما كان يقدّر ان الناس يقولونه في كتبه قالوه في امثاله في كل عصر ثم ذهب لغط القوالين والطاعنين وثبت علم العالمين والمتأدبين الباحثين ·

محمد كرد علي

نظرات لغوية

١ – تصدير

وقفتُ على ماجادت به يراعة الاستاذ احمد رضا وهو مقالة عنوانها (أسماء منتخبة لمسميات حديثة) (مجلة المجمع العلمي العربي ١٦ : ١٧) فأحببت ان أقول كلمتي في هذا الموضوع ٠

٢ – القِنْع والقِناع

ذكر حضرته هذين اللفظين ، وخصها بما يقابله عند المعاصرين : « الطبق المتخذ للفاكهة يكون على موائد الطعام ، واكثر ما يكون من عُسب النخل ، او من قصب او من خيزران » ٠ وقد ذكر حديثاً نبوياً هو هذا : « وفي النهاية أنه صلى الله عليه وسلم أتي بقناع جرد (كذا) الجرد (كذا) صغار القثاء ٠٠٠ » والذي اعرفه في عبارة الحديث : أتي بقناع جرو[1] ٠ الجرو [بواو في كلا اللفظين] : صغار القثاء ٠ واما الجرد هنا فليس لهُ هذا المعنى ٠

والذي أعلمه أيضاً ان القناع والقنع من الكلام المعرب من قديم الزمان ، بل مُنذ عهد الجاهلية ، وهما من اليونانية Kaneon, Eou بهذا المعنى عينه ٠ وقد اشتقوها من قَنا Kanna ومعناها الأَسل ، والخيزُران ، والقصب ، والعسب (جمع عسيب) لأنهم كانوا يتخذون تلك القنع من هذه الموادّ المذكورة ٠ اما في العربية فليس ما يوجه هذا الوَضع ٠ زد على ذلك ان لا مقابل للقناع بهذا المعنى في الإرَمية ولا في العبرية ولا في سائر اللغات السامية ، بخلاف القناع بمعنى ما تتقنع به المرأة فانها تُرى بهذا المعنى في الارمية والعبرية ٠ وكان اليونانيون الأقدمون يَضعون في القنع الاثمار والخبز والشعير التي يقدمونها في هياكلهم الوثنية (كل ذلك عن معجمنا المطوّل المسمى المساعد) وقد استحسنا ماذهب اليه المجمع بأن يُخصص

(١) هذا الذي وجدناه في لسان العرب والنهاية وتاج العروس ولم نجد (الجرد) بالدال في الآخر بهذا المعنى ٠

القنع بالكسر لهذا الضرب من الطبق ويبقي القناع لما تغطي به المرأة رأسها (١٦ : ١٧ حاشية)

٣ – السفن

السفن بالتحريك اطلقه حضرته على مايسميه عوام سورية : ورق البرداخ ، وورق الزجاج . واما اهل العراق فيسمونه : كاغد السنباذج وهو كقول الافرنج Papier à l'Émeri . واما السفن[1] فقد اشتهرت عند الاقدمين بمعنى« جلد سمكة خشنة الجلد . ولا أرى في صدري حاجة الى وضع هذه اللفظة لما يعرفه العرب والعراقيون بكاغد السنباذج وذكر هذه الكلمة الاخيرة القاموس وتاج العروس والاوقيانوس وغيرها من كتب اللغة .

٤ – الحَسَك

لا أوافق الاستاذ احمد رضا على تخصيص الحسك بالسلك الشائك ، فيقع حينئذٍ في التاريخ ، وكتب اللغة ، خبط وخلط . فالحسك الذي وصفه الاستاذ يقابل الفرنسية Chausse-trape واما السلك الشائك فيقابله فيها Fil-barbelé والواحد غير الآخر .

٥ – الجَنَاح[2]

لما وصف الاستاذ اللغوي الجناح ، وصفه وصفاً صحيحاً ، ولما أراد تخصيصه بما اصطلح عليه المصريون : أدباؤهم ، ولغويوهم ، وعلماؤهم ، بالشقة وبالفرنسية Appartement لم يوفق ؛ فان الجناح يقابله عند الافرنج Aile d'un édifice واما

(١) راجع كتاب الذخيرة في علم الطب المنسوب ظلماً ووهماً الى ثابت بن قرة المطبوع في المطبعة الاميرية بالقاهرة سنة ١٩٢٨ وقد جاءت في ص ١١ بصورة السفن (كذا) والتصحيح منا .

(٢) فرق الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده بين الروشن والجناح في شرح نهج البلاغة المطبوع في بيروت عند شرحه لهذه العبارة : «ويل لسكككم العامرة ، والدور المزخرفة ، التي لها أجنحة كأجنحة النسور» إذ قال : أجنحة الدور رواشنها . وقيل : أن الجناح والروشن يشتركان في إخراج الخشب من حائط الدار إلى الطريق ، حيث لا يصل إلى جدار آخر يقابله ، وإلا فهو (الساباط) ، ويختلفان في أن الجناح توضع به أعمدة في الطريق بخلاف الروشن» اه كلام الشيخ .

قول الاستاذ ان الجناح « ورد في عامة بلاد العرب » .. (المجلة ١٦ : ٢٠) ، فغير موافق لما يجري في العراق .

٦ – الحيفة والطريدة

ماذكره الاستاذ نقلاً عن اللسان في مادة (ط ر د) : ان الطريدة : السفن وهي قصبة تجوّف ثم « يفغر منها مواضع » هو من خطأ الطبع . والصواب مافي التاج ، أي : « ثم ينقر » اي يحفر . وانا لا أرى فائدة في إبدال الخراطة بالطريدة ، فالخراطة مولدة وقديمة . وأصلها يؤيد معناها ويوجهه توجيهاً حسناً . والبرّاءة : حسنة في مكان البرّاية واشتقاقهـا صحيح . وأما ما يسميه المصريون (المطوة) واصطلح عليه الجمع اللغوي المصري بالمبراة فالمبراة حسنة ، لكن احسن منها المدية ، بتثليث الميم ، على مافي كتب اللغة والمدية في أصل وضعها للشفرة وما (المطوة) إلا مدية في بيت تطوى فيه .

٧ – الدسكرة

هيهات ان توافق الدسكرة للطزر اي الثلاّ . فالدسكرة يقابلها عند المصريين العزْبة . وقد صرح بهذه التسمية غير واحدٍ منهم . وأما الطزر فمن الكلام الذي لا ينال لمناعتهِ وفصاحتهِ ، واذا كان يثقل على لسان بعضهم فهو لا يثقل على من يستعمل أثقل منها : كخلع ، وخلق ، وطرّز ، والطرازْ ، الى مالا يحصى عدُّهُ والدسكرة بالفرنسية Ferme وهي العزْبة عند المصريين والطزر من الفارسية تزَر بتاء مثناة مفتوحة في الأول ، يليها زاي مفتوحة ، فراء ، وهي الكلمة التي تذكرها جميع معاجم الفرس كبرهان قاطع ، وبهـار عجم ، وفرهنك شعوري ، وقُلرس ، ومنتهى الارب ، في لغات العرب وهو معجم كبير من العربية الى الفارسية وقد وقع في أربعة مجلدات ضخمة .

واما قول الاستاذ اللغوي (ص ٢٢) : « وصاحب المخصص يقول : الطرز البيت الصيفي بلغة بعضهم » فهو عندنا مصحف عن الطزر ، بتقديم الزاي ، لوجود هذه

الكلمة (اي تزر) في جميع المعاجم الفارسية بمعنى البيت الصيفي ، بخلاف الطرز (بتقديم الراء على الزاي) ، فلا وجود لها البتة في كتاب قديم ، وقد ذكر الطرز الزمخشري ، وهو من هو في اللغة — في مقدمة كتاب الادب ص ٢٤ س ١٨ اذ يقول : « طَزَر : خانهٔ دراز » اي بيت طويل ·

فقول الاستاذ : « والعجب كيف صار المجمع المصري الى اختيار الطرز بثقلها ، وما صحبها من التهجان (كذا) كاد يكون عامًّا فيما رأيت ، ولم يختر الطِرْز وهو يؤدي نفس المعنى المراد ، وموافق للأصل الفارسي » — فنحن نسأل حضرته في أي كتاب لغة فارسية وجد الطِرْز بالكسر بمعنى البيت الصيفي · نعم · قد ذكره بعض العرب لكنهُ مصحف الطزَر (او تَزَر) الفارسية ليس إلاَّ · وأما الطِرْز براء فزاي فيعني في الفارسية الحسن والزينة والجمال ·

فالنتيجة ان ما ذكرهُ مجمع فؤاد الأول للغة العربية هو عين الصواب وما سواه فخطأ لا يحتمل التفنيد ، ولا الجواب ·

٨ — طيلة

ما قاله الأستاذ المغربي على سوء استعمال (الطيلة) في غير مكانها هو حاقُّ الصواب ·

٩ — القصف بمعنى اطلاق القنابر على المدن

استحسن الاستاذ المغربي القصف لمعنى اطلاق القنابر على ديار الاعداء · ونحن لا نوافقه ، ولا يوافقه كل لغوي صميم ؛ عارف أسرار لغته · فالقصف في اللغة لم يرد بالمعنى الذي يشيرون اليه ؛ والتخريج الذي جاء به حضرة أستاذنا ؛ لا يرضى به اللغويون البصراء في لسان الضاد · والأحسن في هذا المعنى ان يستعمل (الصعق) لأنهم قالوا : « صعقتهم السماء كمنعَ صاعقةً ، وهو مصدر على فاعلة كالراغية ، والثاغية ، والصاهلة للابل والشاء والخيل : اصابتهم بها · وفي حديث خزيمة ، وذكر السحاب : فاذا زجر رَعدَت ، واذا رَعدَتْ صعقتْ أي أصابت بصاعقةٍ » اه (التاج) ·

فاذا أطلق الأعداء من طياراتهم تلك القنابر ، فكأن السماء نفسها ترسلها فتصعق الناس وديارهم . فهذه الكلمة هي التي تستعمل في هذا المعنى دون غيرها .

وقولهم : القنابل فكلام غير صحيح . فالقنابل في اللغة جمع قنبل وقنبلة كجعفر وزلزلة ، وتعني كل منهما : الطائفة من الناس . ومن الخيل ما بين الخمسين فصاعداً . وقيل : مابين الثلاثين الى الاربعين . فأين هذا من القنبرة التي استعملها المولدون لهذه الكرة المجوفة المحشوة باروداً ومفرقعات مختلفة . قال المرادي (المتوفى سنة ١٢٠٦ للهجرة) في سلك الدرر في ١ : ٥٥ : « ثم بعد أيام ، حاصر القلعة الدمشقية ، ونصب لها الأطواب (أي المدافع) من المرج الأخضر وضربها بالقنابر » . قال الناشر في الحاشية : « قنابر ، أصله خمبرة ، بضم الخاء المعجمة ، وسكون الميم ، وفتح الباء الموحدة والراء . كلمة فارسية . فقمبر محرف والمؤلف سمعه في الشام محرفاً على محرف بالنون ، وجمعه حتى أدخل عليه حرف التعريف . وقال القنابر ، وألحقها على الأطواب تعريباً ... » اه .

وفي ٢ : ١٨٤ منه : « واستعد لذلك استعداداً عظيماً في البحر والبرّ وأنزل بالمراكب (كذا) والجبخانة والمدافع والقنابر » ... ورمى عليها بالمدافع والمكاحل والقنابر » اه . وفي سنة ١٢١٣ للهجرة (اي ١٧٩٨ للميلاد) كتب السيد خليل البكري ، نقيب أشراف الديار المصرية رسالة طويلة : ذكر فيها الأهوان (أي مدافع الهاون) والقنابر (راجع كتاب الانيس المفيد للطالب المستفيد ٣:٣٥٧) فمن هذا نتحقق ان رواية الأقدمين من السلف ، ممن عرفوا القنبرة أو سمعوا بها لأول مرة ، كانت بالراي (أي القنبرة) ، لا باللام اي القنبلة .

وجاء في مقالة الاستاذ ص ٣٦ : « جلجة الرعد » ونظنها جلجلة الرعد ، وتلك من خطإ الطبع .

وقال في تلك الصفحة : الديبلوماسيون . ولو قال : الدبلوماسيون بحذف الياء الأولى لكان أقرب الى الصورة العربية . ثم لو استغنى عن الكلمة التي نطق بها

بقوله السياسيون ، لكان أحسن ؛ ففي مثل هذا المقام لا يُطلب من الكاتب الدقة في النقل ، بل ما يقارب المعنى ·

١٠ — المحارب والحيادي والمسالم

فهمنا المحارب والمسالم لكن لم نفهم الحيادي (ص ٢٦ و ٢٧) ولماذا لم يقل المحايد · افيقول مجانب من جانبه أم يقول : مجانبي وجنابي ؟ فالذين قالوا حيادي في المحايد ، هُمْ قوم من زعانف الكتاب وجهلتهم · والعراقيون لا يقولون إلا محايد ومحايدين ·

١١ — المحارب واللامحارب او العُدى (بالضم) والعِدى (بالكسر)

يعرض علينا الاستاذ المغربي ان نستعمل العدى والعدى في مكان المحاربين واللامحاربين ونحن لا نوافقه لأسباب ، أولها : أن الفرق بين الكلمتين ضبط الكلمتين وأغلب الجرائد والصحف والمطبوعات تُهملُ التقييد · — الثاني : ان المعنيين اللذين أشاراليهما ، منقولان عن لغويين حديثين معاصرين كثيري الاغلاط والأوهام ، وقد قلنا مراراً انه لا يحتج بكلام أحد اللغويين المعاصرين او المحدثين ، إلا اذا أسند كلامهُ الى نقل الاقدمين ، او اتفق كلامهم مع كلام الصرفيين والنحاة ، واللغويين القدامى · — الثالث : ان هذا التفريق بهذا الشكل دقيق ، والناس في حاجة الى جلاء اللفظ والمعنى من غير الالتجاء الى كتب اللغة والمعاني والبيان · — الرابع : ان قولنا محارب وغير محارب لا غبار عليه · وكذلك القول محارب ولا محارب · فالتعبير (بغير) من كلام الأقدمين ، والتعبير (بلا) من كلام فصحاء المولدين وقد رضي به المجمع ·

فاستعمال (غير) في غير محارب لا يشبههُ تعبير أجلى منه ، ألا ترى أنه ورد في فاتحة الكتاب : « اهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمتَ عليهم « غير » المغضوب عليهم » وكان يستطيع أن يقول مثلاً الذين رضيتَ عنهم · لكنْ في قوله : « غير المغضوب عليهم » حلاوة وقوة وأمر غير موجودة في ماورد من مرادفاتها ·

وفي سورة النساء : « أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً » . فاستعمال « غَير » في مثل هذين الحرفين اكثر من أن يحصى في آيات عديدة .

وأما ادخال لا (على) كلمة ثانية فقد ورد في كلام الأقدمين منا . قال عامر بن الظرب العدواني من خطباء الجاهلية : « اني أرى أموراً شتّى وحتّى . قيل لهُ : وما حتّى ؟ قال : حتى يرجع الميتُ حياً ، ويعود (اللاشيُ) شيئاً » اه . وقال الفلاسفة والمناطقة : اللاأدْرية ، واللادوام ، واللابقاء ، واللانهاية ، واللاضرورية ، واللادائمة ، الى نظائرها وهي كثيرة في مصطلحاتهم . وكان يمكنهم ان يستغنوا عنها ، ويضعوا كلمة واحدة تدل على مبتغياتهم ، لكنهم لم يفعلوا ، لأنهم وجدوا في هذه الاوضاع معاني لا تؤديها الالفاظ الأخر المرادفة لها .

ثم لا نفهم لماذا قال الاستاذ En état de guerre ليقابل بها Non belligérant وكان يحسن به ان يقول في الاول Belligérant

١٢ — حرب الدولة الفلانية لا مع الدولة الفلانية

ونرى كثيرين من أرباب الصحف والمجلات ، بل من فريق من المؤلفين يقولون « الالمان يحاربون الآن « مع » الروس » وهذا خلاف ما يريدون . والصواب ان يقال : الالمان يحاربون الروس ، لكنهم يحاربونهم « مع » الايطاليين . وقد انتقل هذا الخطأ الى فصحاء الكتاب حتى قال استاذنا رئيس المجمع : « بذكر اضطرابها بين الحجاز ونجد وأطراف الشام وحروبها مع طيئ » (ص ٤٦) والصواب وحروبها لطيئ .

١٣ — الكهربا لا الكهرباء والكهربي لا الكهربائي

ولا أزال أرى في مجلة المجمع تكرر الغلط الكهرباء بالمد والكهربائي ، بهمز قبل الياء . وقد قرّر مجمع فؤاد الأول للغة العربية ان صحيح الاستعمال هو : الكهربا بالقصر والكهربي في النسبة وراجع تاج العروس في كهرب .

١٤ – البدء بالتاريخ

وقال الاستاذ السيد محمد سعيد العرفي : « ارجو ان تلفتوا نظر الحكومة لاستعمال الاعداد حسب القواعد العربية بالبدء من اليمين والعدول عن التراكيب التركية ...» (ص ٩٦) . ولكن العرب أجازت الاستعمالين قال احمد فارس الشدياق في غنية الطالب ، ومنية الراغب ص ١٠٧ من الطبعة الاولى : « أما المعطوف في العدد ، فجائز ان يكون القليل أو الكثير . تقول : عندي مائة وخمسون نعجة ، او خمسون ومائة نعجة . وفي الحديث : « فذلك خمسون ومائة في اللسان ، والف وخمسمائة في الميزان » فجمع بينهما . أما في التاريخ ، فالاشهر تقديم القليل على الكثير نحو : سنة ست وثمانين ومائتين والف . وليس بواجب » انتهى .

١٥ – فرنسي لا فرنساوي

قرأت مقالة لأحد أعضاء المجمع العلمي العربي ، يذكر فيها اللغة الفرنسوية (ص ١٧٥) والنصّ الفرنسوي (ص ١٧٨) والأداتين الفرنسويتين واستعمالاتها الفرنسوية (ص ١٧٩) والأداة الفرنسوية وبالفرنسوية (ص ١٨٠) وفي الفرنسوية والانشاء الفرنسوي (ص ١٨١) فتعجبت من هذا الاستعمال المغلوط فيه ، والكاتب من أعضاء المجمع أفلم يقرأ في كتاب سيبويه ٢ : ٧٨ من طبعة القاهرة : « هذا باب الاضافة الى كل اسم كان آخره الفًا وكان على خمسة احرف . تقول في حُبارَى : حُبارِيّ ، وفي جُمادَى : جُماديّ ، وفي قرقرى : قرقريّ . وكذلك كل اسم كان آخره الفًا ، وكان على خمسة احرف » إذن يقال في النسبة الى فرنسا : فرنسي والى مصطفى : مصطفيّ ، والى مرتضًى مرتضيّ . واما النسبة الى مثل النمسا ، فيقال فيها نَمسيّ ونَمسِوي ونمساويّ ، كما يقال في النسبة الى حُبلى : حُبلوي وحُبلاوي وحُبليّ (كتاب سيبويه ٢ : ٧٧) وأفصحهن حُبليّ ونَمسيّ .

واما اذا كتبتَ فرنسة بهاء في الآخر ، وهو احسن من كتابتها بالألف ، جرياً على ما سار عليه العرب في كتابة اسماء المدن الاندلسية ، إذ لم يكتبوا

اسم مدينة واحدة منها بألف في الآخر ، بل كتبوها كلها بالهاء : كغرناطة ، وبلنسية ، وطليطلة ، وسرقسطة ، وطرطوشة ، ومرشانة ، وباجة ، ولشبونة ، وقطلونية ، الى مالا يحصى عدّه — فالنسبة اليها والى أمثالها بالياء . فيقال : فرنسي كما يقال : غرناطي ، وبلنسي ، وطليطلي ، وسرقسطي ، وطرطوشي ومرشاني ؛ وباجي ، ولشبوني ، وقطلوني الى نظائرها ولا يقال خلاف ذلك . بخلاف كتاب هذا العصر فانهم يفسدون الألفاظ . قلنا : وبهذا القدر كفاية لما ورد في الاجزاء الستة الاولى ، من غير الامعان في البحث عما ورد فيها من أوهام الطبع وغير الطبع . والله الواقي .

الأب أنستاس ماري الكرملي

اولية تدوين المعاجم

وتاريخ كتاب العين المروي

عن الخليل بن احمد

(الخاتمة)

٤ — صورة اتمام الكتاب بعد تأسيس بنائه : —

رأينا مع دليل من التاريخ واضح ان الخليل هو الذي رتب ابواب كتاب العين ووضع نهجه وصور بناءه ، ولم نر احداً من اهل العلم ينفي عمله هذا بدليل الا ان يكون نتفاً من ترتيب الحروف على مخارجها ، ذهب على بعضهم حاجة الخليل الى جعلها مخالفة لما روى عنه بعض تلامذته ، وذلك قياماً عند ضرورة التأليف الواضح والنهج المستقيم . وتنتهي معرفتنا باليقين للكتاب الى هذا الحد الذي رسمناه ، ويتسرب الشك في نفسنا بعد ذلك حيث لا نرى نصوصاً تاريخية قويمة تذكر بالدليل الثابت أثراً للخليل في الكتاب ابعد مما ذكرنا .

ولكنّ للريب الذي ينبعث حداً ، فلئن فقدنا أقوال التاريخ الثابتة فلن نعدم دليل العقل والمنطق ، ولن يعوزنا الا عرضه على ما نعرف لنستدل على صحته . ولنقرر قبل أي شيء آخر مبادئ لا نخطئها : أولها ان علم الخليل في اللغة والصرف من الثقة بحيث لا يتسرب اليه الاضطراب ، فما يعرض من خلل لغوي أو صرفي في الكتاب فالخليل براء منه الا ما ندر . ومبدؤنا الثاني ان الليث ، على ما عرف عنه من تقى وورع ، صادق فيما ينسب الى صاحبه الا اذا أخل بالمبدأ الأول ، حتى اذا لم يخل به أصبح كلامه حجة . فاذا قرنا هذين النظرين قسنا عليهما ؛ فنظرنا في الخطأ الذي ورد في كتاب العين ، مما ذكره العلماء ، وحاولنا ان

نعتبر صدق الليث به ، فما هي دعواه ، وهل نستطيع ان نوفق بينها وبين الاضطراب الواقع في الكتاب ؟

ينسب الليث الكتاب الى أبي عبد الرحمن الخليل بن احمد ، ويريد بذلك انه مبدعه وواضع نهجه وشيئاً آخر نراه فيما يلي ، ولا يقصد بذلك ان الخليل الف الكتاب برمته . ودليلنا على ذلك ان الليث نفسه يقول : كان الخليل « يملي علي ما يحفظ ، وما شك فيه ، يقول لي : سل عنه ، فاذا صح فأثبته الى ان عملت الكتاب »[1] . وقوله هذا يثبت ان الخليل لم يضع الكتاب كاملاً ، وان الذي أتمه ووضعه على صيغته النهائية هو الليث نفسه ، كما يوضح ذلك قوله : « الى ان عملت الكتاب » . وما أتمه الا معتمداً على أقوال العلماء الذين استفاد من علمهم ، ولم يذكر استفادته فنسب اليهم أقوالهم وآراءهم ، وذكر اسمهم في الكتاب ، وجلهم من الأعراب الذين حلوا خراسان كزائدة[2] وابي ليلى وعرام والضرير[3] ، ومنهم العراقيون كسيبويه[4] والاصمعي وابن الاعرابي وابي عبيد[5] . ولا يدخل في هذا الشأن اسماء وروايات متأخرة في الزمن عن هؤلاء ، ولعلها كانت تعليقات على الكتاب ثم أضافها الوراقون الى أصله ، فقد ظهر على ما يقول ثعلب « اختلاف في نسخه واضطراب في رواياته ، ووقع فيه الحكايات عن المتأخرين والاستشهاد بالمرذول من أشعار المحدثين »[6] . وكل ذلك مما لا نقع تبعته على الخليل او الليث ، وليس لنا كما فعل الزبيدي[7] ، ان نتخذ من ذلك حجة على ان الكتاب ليس

(١) في كتاب العين رواية ابن درستويه (الفهرست ٤٣ ، إرشاد الأريب ٦ : ٢٢٧ .)

(٢) في مادة عدق من كتاب العين ص ٦٧ وفي مادة عجر ، عن دروس الأستاذ مارسيه نقل الأستاذ الكناني . (٣) عن دروس الأستاذ مارسيه نقل الأستاذ المبارك .

(٤) في مادة جدع من كتاب العين ص ٦٢ . ويرى الأستاذ مارسيه أن الكتاب عرض عليهم فكانوا يبدون رأيهم في مواده . (٥) المزهر ١ : ٤٢ .

(٦) في المزهر ١ : ٤٢ نقلاً عن الزبيدي في استدراكه يقول ابن فارس في المقاييس (نسخة المجمع ص ٤٥٠) بعد أن ذكر بيت شعر سخيف من كتاب العين :« وأرى كتاب الخليل إنما تطامن عند أهل العلم لمثل هذه الحكايات » . (٧) النص السابق من المزهر

للخليل؛ وكل ما علينا ان لا نثق بهذه الروايات ثقتنا بها كما لو كانت من اصل الكتاب .

على أن الأمر لا يقتصر على ذلك بل الكتاب يتضمن أخطاء يجل مقام الخليل عن نسبتها اليه ، وتلك هي كما يعددها الزبيدي ويحتج بها على ان الكتاب ليس للخليل : « ادخال الرباعي المضاعف في باب الثلاثي المضاعف ، وهو مذهب الكوفيين خاصة ، وعلى ذلك استمر الكتاب من أوله الى آخره ... ولو ان الكتاب للخليل لما أعجزه ولا أشكل عليه تثقيف الثنائي الخفيف من الصحيح والمعتل والثلاثي المعتل بعلتين ، ولما جعل ذلك كله في باب سماه اللفيف ، فأدخل بعضه في بعض ، وخلط فيه خلطاً ، لا ينفصل منه شيء عما هو بخلافه ، ولوضع الثلاثي المعتل على أقسامه الثلاثة ليستبين : مثل الياء من معتل الواو والهمزة ، ولما خلط الرباعي والخماسي من أولهما الى آخرهما . »[1] انها لأخطاء فادحة كما ترى ومعظمها يرجع الى أصل بناء الكتاب لأنها ابواب مفردة منه ، وقد رأينا ان لا شك في ان الخليل هو الذي وضع نهج الكتاب وابوابه ، فكيف نعللها ؟ لا تعليل لها الا فرضها ملحقة بالكتاب بعد وفاة الخليل مع البرهان على أن موضعها لحظ في وضع الكتاب الأصلي وغرب عن بال الليث فألحقها خطأ . والحق ان هذا الفرض صحيح والبرهان ممكن . ألم تر ان الخليل لا يعتد بالمضاعف من الابنية فلا يدخل فيما أحصاه من كلام العرب الالفاظ التي يتكرر حرف من حروفها[2] ، وكذلك فالثنائي الخفيف من الصحيح يدخل عنده في أبنية الثنائي وكذلك المعتل منه والثلاثي المعتل بعلتين . الا ان الخليل ادرك ذلك حين تعداده الابنية ورسمها ، ولكن الليث ظن انه لم يلحظها فجمعها في باب خاص اسماه اللفيف ، كما ان الليث اخطأ « من جهة التصريف ، فذكر حرفاً مزيداً في مادة أصلية او مادة ثلاثية في مادة رباعية » ، وهذا مما عيره به الزبيدي وعدده في جملة أخطاء الكتاب فتتبعه السيوطي[3] ولم يجد غيره مما يعير به الكتاب . وماذا يعني وجود هذه الاخطاء الا ان الخليل وضع

(١) المزهر ١:٤٣ وكشف الظنون مختصراً ٢:٢٩٠ وانظر في هذه المقالة ٨٤٦ ص من مجلة المجمع العلمي العدد ١٠ المجلد ١٦

(٢) المزهر ١:٣٧ وبغية الوعاة ٢٤٣

(٣) المزهر ١:٤٣

ابنية العرب وميز المهمل من المستعمل منها دون ان يأتي على ذكر مشتقاتها ، ولو فعل ذلك لما تسرب الخطل الى الكتاب .

وبعدُ فهل يدعي الليث خلاف ذلك ؟ انه ان فعل فقد ثقتنا . ولكنه لم يفعل بل هو يؤيد قولنا حين يستفسر من الخليل عن علة عده بناءً ما مهملاً وحين يسأله عن معنى المشتقات فيقول في الحالة الاولى وقوله في كتاب العين : « من أين قلت عكش مهمل »[1] . ويقول في الثانية في الكتاب نفسه : « قلت للخليل اذ لقيته : ماذا تقول في الخلع ، قال الخلع ضرب من البسيط وأورده »[2] . ان كل ذلك إلا يدل دلالة بينة على ان الخليل لم يأخذ على نفسه تحشية ابواب الكتاب بل ترك ذلك الليث ، على ان يستشيره ويهتدي بهديه .

وهذه النتيجة التي يفضي اليها البحث تجد مصداقًا لها في الألفاظ التي وُجدت مصحفة في كتاب العين ، فذكرها الزبيدي ونقلها عنه السيوطي[3] . وليس بينها ما يشك في انه مصحف في أصل بنائه الا لفظين : اللخج والترم ، قال الزبيدي ان لا وجود لهما . ولكن الفيروزبادي خالفه في ذلك فذكر اللخج وقال هو « أسوأ الغمص »[4] وذكر الترم وقال « هي وجع الخوران »[5] وكذلك فلا يمكن تأييد قول الزبيدي فيهما دون جدال . والذي يبقى أن التصحيف يقع في الكلمات المشتقة او عرضًا في وضع معنى مشتق لبناء من الابنية مصحف . وهذا تأييد لما قلنا ، من أن الخليل لم يضع بنفسه اشتقاق الكلمات ولا معانيها ، بل عهد بذلك الى الليث .

وهكذا يبدو واضحًا ان الليث لم ينسب الى الخليل غير ماقال فكان صادقًا في دعواه ، وحق لنا أن نثق به . اما ان يكون اخطأ فيما عهد به اليه الخليل ، فذلك يرجع الى انه لم يكن في معرفة اللغة بمكان وثيق . ثم إن الاخطاء التي وقع فيها بسيطة ، لا كبير شأن لها . اسمع ما يقوله السيوطي بعد ان تتبع الأغلاط من كتاب

(١) كتاب العين ص ١٥٣ عن دروس الأستاذ مارسيه في مذكرات الأستاذ المبارك .

(٢) كتاب العين مادة خلع عن دروس الأستاذ مارسيه . (٣) المزهر ٢ : ١٩٣ — ١٩٦ . وانظر مايقوله ثعلب في تصحيف كتاب العين (ارشاد ، طبعة فريد الرفاعي ١٧ : ٤٤)

(٤) القاموس ، وانظر تاج العروس ٢ : ٩٦ (٥) القاموس وانظر تاج العروس ٨ : ٢١١

العين التي نوه بها الزبيدي في استدراكه عليه قال : « وقد طالعت استدراك الزبيدي الى آخره فرأيت وجه التخطئة فيما خطئ فيه ، غالبه من جهة التصريف والاشتقاق . وبعضه ادعي فيه التصحيف ، واما انه يخطأ في لفظة من حيث اللغة ، بأن يقال هذه اللفظة كذب ، او لا تعرف ، فمعاذ الله لم يقع ذلك . »[1]

وهنا يجول في الذهن سؤال كبير الشأن ، عظيم النتيجة ، وهو : كيف صح لليث ان لا يخطئ في سرد معاني الكلمات مع انه اخطأ فيما هو دون ذلك بكثير : اخطأ في التصريف وصحف في الألفاظ ؟ والجواب عن ذلك لا يخرج عن شيء واحد ، وهو انه ليس الذي وضع معاني الالفاظ وتحراها ، ولو فعل ذلك لامتلأ الكتاب خطأ ، فهو كما يدعي ذلك في نسبته الكتاب الى الخليل اخذهـا منه . ولكن كيف يأخذ عن الخليل معاني الكلمات (مما يشعر بأن الكتاب قد تم) ثم يغير في أبواب الكتاب ويخطئ في توزيع الكلمات في ابواب الكتاب وكيف يأخذ عن الخليل معاني الكلمات ثم يصحفها ؟ لا جواب عن ذلك الا انه خلا ما املى عليه الخليل او سأله عنه ، اخذ منه ما كان أجمعه ودوّنه في صحفه من معاني الالفاظ . ويشهد سيبويه بكثرة تدوين الخليل للغة حين سأله ابو بكر بن السري قائلاً : « هل رأيت مع الخليل كتباً يملي عليك منها ، فقال : لم اجد معه كتبـاً الا عشرين رطلاً فيها بخط دقيق ما سمعه من لغات العرب ، وما سمعت من النحو فاملاء من قلبه . »[2] اما إن هذه الارطال العشرين ذات الخط الدقيق كافية لأن يدون منهـا كتاب اكبر من كتاب العين ، فهل يشعر الخليل بدنو أجله او ببعد يده عن كتاب العين فيبخل بها على الليث ولا يوصي بها اليه ، والكتاب كتابه والوضع وضعه ؟ الا ان المنطق يقضي بقبول هذه الفكرة ، لا سيما وهي تفسر كيف وقع التصحيف ، والتصحيف لايكون إلا بالنقل من خط غير معجم لابشيء آخر وهي تفسر كيف وقع الخطأ في اشتقاق الكلمات حين عمد الليث إلى توزيع

(١) المزهر ١ : ٦٣ . (٢) تهذيب التهذيب ٣ : ١٦٤ .

ماكتب في صحائف الخليل على أبواب الكتاب ، وكيف أنه خيل إليه أن بناء الكتاب تنقصه الأبنية المضاعفة والمعتلة بعلتين فأضافها في آخر الكتاب بباب أسماه اللفيف .

الخلاصة . — وهاك الآن زبدة ما تظهره نتيجة البحث عن تاريخ كتاب العين : أقام الخليل زمناً يفكر بحصر أبنية اللغة العربية ، وأدى به حسن خاطره وصفاء قريحته إلى الرجوع إلى عناصر الكلمة العربية ألا وهي الحروف ، فاتخذها سبيلا إلى حصر ألفاظ اللغة العربية بضرب بعضها ببعض مرة للحصول على الثنائي وضرب ماخرج معه من الثنائي بالأحرف نفسها لاستخراج الثلاثي وابنية الثلاثي بحروف العربية للبلوغ إلى الرباعي وأبنيه الرباعي بها للوصول إلى الخماسي ، وذلك بعد ترتيب الحروف على مخارجها في النطق حصراً للمهمل من الألفاظ بأمكنة متقاربة ، وأغلب المهمل إنما يتركب من حروف متقاربة المخرج أو مما لم يدخل فيه حرف من الحروف المحسنة للنطق أي حروف الذلاقة . واضطره أسلوبه في الحصر المتقارب للمهمل أن يغير شيئاً من ترتيبه الأول لمخارج الحروف مما كان لقنه لسيبويه . وبعد أن انتهى من عمله هذا وضبط أبنية اللغة ضبطاً لايدخلها فيه خلل وجد أن أسلوبه في الحصر مكنه من ترتيب الأبنية على حروفها فأشار إلى ذلك في مقدمة كتابه فكان مبدع الترتيب على الحروف دون أن يعرف طريقة اليونان في ذلك وكان يطلع أحد تلامذته أو أصدقائه — الليث بن المظفر — على مراحل عمله فيجد منه اهتماماً شديداً ، ولعله شعر بعدم استطاعته إتمام الكتاب بنفسه فناوله إياه ، وصار يملي عليه شرح بعض فصوله ومنها مقدمة الكتاب على الأغلب ، ويطلب إليه أن يسأل عما تعسر عليه معرفته . ثم شعر بدنو أجله أو باضطراره إلى ترك الكتاب ، فأوصى أو قدم لتلميذه صحائفه في اللغة كان سمعها من الاعراب ونقلها عنهم ، وبعضها من ملاحظاته اللغوية خلال حياته . وكان قد اجتمع في هذه الصحف التي تزن عشرين رطلاً مفردات ومشتقات عديدة كان على الليث أن يوزعها في طيات

الكتاب حيث يقتضي مصدر اشتقاقها ، غير أن الليث لم يكن أماماً في اللغة ، لا بل لم يكن قديراً . وكان إلى ذلك قد قرأ التصريف والنحو على القاسم بن معن المسعودي [١] (— ١٧٥ او ١٨٨ والأول أصح) والقاسم هذا عالم من علماء الكوفة ، ولم يكن علم الكوفة بالتصريف والنحو عالي القدر عند غير الكوفيين ، فامتد أثره إلى كتاب العين وانضم إليه بعض الضعف في معرفة الليث . فظهر في الكتاب خطأ من حيث توزيع الاشتقاق على الأبنية وظهر تصحيف في ألفاظه التي لم يستطع الليث أن يضبط أعجامها من صحائف أستاذه . وزاد الأمر خطورة أن الليث عمل بنصيحة أستاذه فسأل كثيراً من الأعراب واللغويين عن اشتقاقات لم تنكشف له معانيها وأصولها ؛ ونسب أقوالهم وأجوبتهم إليهم ، فكان هذا مما أخذ على الكتاب وقد ذكر أن مؤلفه الخليل . على أن كل ذلك لم يستنفد المشتقات أجمع ، وبقي منها عدد لم يذكر ، ولم يرو الكتاب عن الليث إلا بعض أصحابه ، ووقع بين أيدي الوراقين فأضافوا إليه ماخيل إليهم أنه يزينه في أعين الناس . ورأى علماء العراق هذا الكتاب وشعروا بضعفه هذا فاستنكروه وأبوا أن يقروا له بجلالة قدره إلا قليلاً منهم . ولما نبذه بعض العلماء كثر المتهجمون عليه . واعتز بعضهم بزيادة ألفاظ مشتقة عليه بما يقرب من ضعف الكتاب ، وتجرأ بعضهم فاعترض على المادة التي وضعها الخليل بنفسه ، وهي تمييز المهمل من المستعمل [٢] فكان من أمرهم شطط فانتصر فريق من العلماء للكتاب وخطأ بعضهم بعضاً ، وأثبت ذلك أن في الكتاب أشياء حكم وضعها فلا تنقض . وفيما كان العلماء يتجادلون فيه ، كانت مادته ونهج تأليفه ينتشران في المعاجم التي تبعته والتي نسجت على منواله دون فارق كبير : من مختصر له أو مغير لترتيب حروفه أو موسع لبعض فصوله . أما الكتاب نفسه فقد ظل منبوذاً محسوراً يساعد على انتشار اللغة العربية دون أن يظهر ، وإذا بالمعاجم تنمو ، وإذا باللغة العربية تضبط ضبطاً ما كان ليتهيأ لها لولا الخليل بن أحمد

(١) إرشاد الأريب ، طبعة فريد الرفاعي ١٧ : ٦ (٢) انظر ذلك في الفهرست ص ٦٣

فيما وضع وأبدع ، ولولا الليث بن المظفر فيما أقدم عليه بشجاعة وإخلاص ، فاللغة العربية مدينة لهما ماشاء الله أن تعيش ، وستحيا طويلاً .

هذه قصة كتاب العين في ماضيه ، وهي قصة فيها سوء حظ عظيم ، ولكن أليس من الغرابة أن يتابع سوء البخت كتابنا حتى عصرنا هذا ، فلا يقيض الله له في شخص الأب انستاس ماري الكرملي ناشراً عالماً مدققاً يشرع في إخراجه بالطباعة ، حتى يرسل الحرب العامة سنة ١٩١٤ فتوقف طبعه عند جزء صغير منه ، على أن هذا الجزء نفسه يحمل مكر الدهر بأصله ، فلا ينتشر إلا بمقدار هزيل ، حتى لاتكاد ترى منه اليوم نسخة في دمشق .

ولا ندري أيكون مستقبله أبهى من ماضيه وحاضره فيعزم العلامة الكرملي على طبعه كاملاً ، توآزره في نفقاته وزارة المعارف العراقية ، التي لها أن تفاخر بأن واضعه ممن نشؤوا في العراق ورفعوا اسم البصرة عالياً ، أم يأتي الإهمال على النسخة او النسختين المخطوطتين الوحيدتين منه ، فتفقد اللغة العربية اول معجم واشرفه ، فيه ذكاء الخليل وعلمه وتتبعاته مما روى عنه تلميذ تقي لايعرف الكذب . وما اجل علم الخليل في اللغة ، وما احسن ماينقل عنه فيها .

(انتهى البحث)

يوسف العش

جواهر الخلفاء العباسيين

كان لرفيف الحضارة أيام العباسيين اثر كبير في رقي العواطف والأذواق ، والاندفاع نحو الترف والبذخ ، ولعل الجواهر والخواتيم والتيجان والوشح المرصعة والقلانس المجوهرة والقضبان العاجية الثمينة والأعمدة المذهبة ، كانت اكبر مظهر من مظاهر ترف الخلفاء وبذخهم ؛ثم تعدوا ذلك الى ماهو ابعد واروع ، فزينوا الحيطان والسقوف والأبواب والرواشن بالدر وحلوها بمثل حليهم [1]

وكانت الجواهر منذ الزمن البعيد ، قنية للأكاسرة ، يلتقطونها من كل مكان ، ويرسلون في اثرها الرسل ويجودون بالمال ، وكانت هذه الجواهر مجتمعة من لدن اردشير بن بابك يرثها عنه القائمون بعده كابر عن كابر ، حتى إذا ما جاء الاسلام ، وقوض عرش كسرى ، القت فارس الى الدولة العربية جواهرها وأفلاذها ، على أن هذه الكنوز لم تجد عند الخلفاء الراشدين هوى ، ولم يكن لهم ميل الى هذه الأعراض الدنيوية ، فصدفوا عنها ، وصرفوها الى سائر المسلمين . ولم يكن لبني أمية شغف بالغ بأشباه هذه الأمور ، فقد كانت دولتهم عربية لم يترعن فيها غير نفر او نفرين ، فاتسعت الجواهر المذكورة في ايامهم وامتلأت بها خزائنهم [2] وتناقلها الناس حتى قالوا إنه كان يُعمل منها أوانٍ ، ولهذا قال الشافعي في كتاب حرملة « لا يجوز استعمال أواني الياقوت والبلور لأن قيمتها تفوق قيمة الذهب » [3] وواضح انه لو لم يكن هناك أوان من هذا الضرب لما قال الشافعي قوله . فلما فاجأتهم الدولة العباسية ، وجدوا خيراً كثيراً وجوهراً وافراً ، ولم ينتفعوا الا بالقليل منه فقد حدث بعض أهل مروان « لم يكن لنا في هربنا شيء أنفع من الجواهر الخفيف الثمن الذي لا يجاوز قيمته الخمسة دنانير .. » [4] .

(١) الجماهر للبيروني (طبع حيدر آباد ، الدكن — كرنكو) ٣٢ (٢) الجماهر ص ٥٧
(٣) الجماهر ص ٥٤ (٤) الجماهر ص ٦٦

وقد شغف بنو العباس بالجوهر شغفاً كبيراً ؛ فقد ذكر ابن خلدون ان السفاح والمنصور اتخذا الأسرة الذهبية المرصعة بالجوهر ، والحصر المنسوجة بالذهب المكللة بالدر والياقوت [١]

وذكروا انه كان لهشام بن عبد الملك درة اسمها « الدرة اليتيمة » أتي بها يوماً وعنده امرأته عبدة بنت عبيد الله بن يزيد بن معاوية ، وكانت مفرطة السمن ، لم تكن تستغني في الحركة عن معونة نفر . فقال لها هشام : إن قمت بنفسك من غير استعانة بأحد فلك هذه الدرّة . فزاولت القيام بشدّة ومشقة ، وما تمّ نهوضها حتى خرّت على وجهها وسال الدم من أنفها ، فسلمها هشام وأعطاها الدرّة . وكانت ثلاثة مثاقيل ، حائزة جميع محاسن الصفات ، مدحرجة نقية رائقة رطبة من كثرة الماء . فلما انقضت دولة بني أمية ، وانتدب عبد الله بن علي لبيع ودائع مروان بن محمد ، غُمز اليه بأن عند عبدة الدرّة اليتيمة وقرطان لها بقيا لديها . فأحضرها وطالبها بذلك ، فأجابته بأني إن دفعت اليك ما تريده فهل تريد مني شيئاً غيره ؟ قال لا . فسلّمت ذلك اليه . وكانت قد حملته مع نفسها . فقال لها : اختاري لك موضعاً أحسن لك فيه ، فسمت موضعاً بالشام ، فسيرها اليه . ثم خاف أن يطلع السفاح على ذلك ويستخبرها فأتبعها عبداً ، حتى عدل بها عن الطريق وذبحها [٢]

وكان مما أُخذ منها بَدَنة مجوهرة كانت عندها . ذكر الشابشتي في كتابه « الديارات » ان المهدي لما زوج ابنه الرشيد بأم جعفر ابنة اخيه ، استعد لها مالم يستعد لامرأة قبلها : من الآلة وصناديق الجوهر والحلى والتيجان والأكاليل وقباب الفضة والذهب والطيب ، واعطاها بَدَنة عبيدة ابنة عبد الله بن يزيد امرأة هشام . قال : ولم يُرَ في الاسلام مثلها ومثل الحبّ الذي كان فيها . وكان في ظهرها وصدرها خطان من ياقوت أحمر ، وباقيها من الدرّ الكبار الذي ليس مثله [٣] ويقال ان المقومين لم يقفوا على قيمة هذا الدرع لنفاسته [٤]

(١) التمدن الاسلامي ج٥:١٠٦ (٢) الجماهر ١٥٢ (٣) الشابشتي (مخطوطة المجمع العلمي التي فرغنا من تحقيقها) (٤) تحفة العروس ٣٦

وذكر ابراهيم بن المهدي أن اباه اشترى فصاً من ياقوت احمر على أقصى النهاية في النفاسة بثلاثمائة الف دينار ، وكانت اكياسا — لاتنضد بعضها على بعض — كالجبل ، وقد وهبه للهادي[١] وقيل بل الذي اشتراه هو المنصور باربعين ألف دينار[٢]

ثم صار الى الرشيد فقرنه الى الخاتم «الاسماعيل» الذي كان للمنصور . وكان من زمرّد على وزن مثقالين يسمى «البحر» تشبيهاً له بخضرته ، وكان شراؤه بأربعين الف دينار[٣]

وذكر البيروني في موضع ثان أن الجبل كان احمر معصفراً بهرماناً صافياً يتزن ثلاثة مثاقيل غير دانق ، وقيمته مائة الف الف دينار .[٤] وفي القولين تناقض

وكان الرشيد شديد الولوع بالجواهر حريصاً على اقتنائها ، بعث بالصباح الجوهري ، جدّ الكندي ، الى صاحب سرنديب لابتياع جواهر في ناحيته[٥]

وذكروا ان الرشيد كان ينثر الجوهر بغير حساب . وكان في جملة حظياته واحدة لم ترزق جارية من الجمال مارزقته هي . وكان الرشيد إذا أتحفهن بشيء ردّت هذه حصتها ، وهو يغتاظ من ذلك . فاتفق يوماً أنه نثر عليهن جواهر لها قيم عظام فالتقطنها ، ولم تمدّ تلك اليها يداً . ثم أحضر جواهر غيرهـا وخيرهن ، فاخترن ، وقال لتلك : لِمَ لا تختارين أسوة بصواحبك ؟ قالت : إن كان لي ما أختاره فسأفعل ، وجاءت وأخذت بيده وقالت له : هذا اختياري من جميع جواهر العالم . فأعجب الرشيد بها وسماها خالصة وفاقت سائرهن في الحظوة منه وفي الصلات والثوائب والمواهب[٦]

وذكر البيهقي انه اشتُري للرشيد جوهر بمائتي الف دينار فوهبه لدنانير البرمكية[٧]

ولم تكن زبيدة زوجه بأقلّ منه عناية بالجواهر ، فقد كان لهـا سبحة من يواقيت رُمانية كالبنادق[٨] وكان شراؤها خمسين الف دينار . وجرى بين الرشيد

(١) الجماهر ٦١ (٢) المحاسن والمساوي للبيهقي ٥٠٣ (٣) الجماهر ١٥٢
(٤) الجماهر ٦٢ (٥) الجماهر ٦٣ (٦) الجماهر ٥٨ (٧) المحاسن والمساوي ٥٤٦
(٨) الجماهر ٥٨

وبينها يوماً ذكر نزاهة عمارة بن حمزة وعلو همته . فقالت : إن الأقدام الثابتة تزلْ عن مواطئها عند روائح المال ، فادْع به وهبْ له سبحتي هذه فان ردّها عرفنا نزاهته . ففعل ، وخلا به الرشيد في امر مهم ، ثم اتبعه السبحة ، فوضعها عمارة بين يديه بعد ان شكر برّه . ولما قام تركها مكانها . فقالت زبيدة : قد أنسيها ، فأتبعه خادماً بها . فقال للخادم : هي لك ان صدقت . فرجع قائلاً : إن عمارة قد وهبها لي ، فأعطته زبيدة الف دينار وارتجعتها منه [1]

وقد بلغ من اعجاب زبيدة بالدر ان أمرت ان يُتخذ ثياباً لوصائفها من الدر المثقوب بالتصليب . [2] ثم ازداد هذا حتى انها اتخذت الخفاف المرصعة بالجوهر تلبسها في قصرها [3] .

وقيل إنها اشترت لعبد الله ابن المخلوع قضيباً من زمرّد قدر ذراع بأربعة وثمانين الف دينار ليلعب به يوم إعذاره (طهوره) وكان على رأسه طائر من ياقوت احمر [4]

أما المأمون فأخباره متناقضة ، تدل على شغفه بالجواهر تارة ، وتظهر نفوره منها أحياناً . فقد ذكروا نه لما قدم بغداد منصرفاً من خراسان اهدى اليه الفضل بن الربيع فصّ ياقوت لم يُرَ مثله . فأخذ المأمون يقلبه ويحوّله من يدٍ الى يد ، ويقول لجلسائه « ما رأيتُ أحسن من هذا الفصّ . ثم حدّثهم أن أبا مسلم سرّح زياد بن صالح الى الصين ، فوجه اليه بفصّ وقع له من جهته الى ابي العباس السفاح ، فوهبه لعبد الله بن علي ، وصار منه الى المهدي ثم الى الرشيد ، فبينا هو يرمي قوس جلاهق اذ بدر الفصّ من خاتمه وكرّ في ذلك الموضع حواليه ، فلم يُعثر له على اثر ، واغتم جداً . فاشترى له صاحب المصلّى فصّاً عديم المثل بعشرين الف دينار ، وبعث به اليه ليسليه عنه فلما نظر اليه قال واين هذا من فصي ؟

ثم قال المأمون : « لأضعنّ من قدر هذه الحجارة التي لا معنى لها » ثم ردّ الفصّ على الفضل [5]

(١) الجماهر ١٥٦ (٢) الجماهر ٥٨ (٣) المسعودي ٣٦٦ (٤) الجماهر ١٦٥
(٥) الجماهر ٦٥

وذكر ابن خلدون وابن شاكر أن المأمون أعطى زوجه بوران ليلة زفافها الف حصاة من الياقوت ، وبسط لها فرشاً كان الحصير منه منسوجاً بالذهب مكللاً بالدرّ والياقوت ، فكان بياض الدرّ يشرق على صفرة الذهب ، ونثر الحسن بن سهل على المأمون في تلك الليلة الف جوهرة .[1]

وقيل ان زبيدة لما دخلت على المأمون عند دخوله بغداد ، هنأته بالخلافة ، فأعجب بكلامها وحشى فاها دراً[2]

وذكروا ان المأمون كان يحب الواثق ويجتهد في تخريجه وعادله في السفر مرة فأخذ الجمّال في الحداء ، وأشفق المأمون ان يستيقظ الواثق من نومه ، ولم يمكنه النداء بالجمال ، فقطع سلك سبحة من الدر واخذ يرميه بدرّة بعد أخرى الى أن أصابه ، فالتفت اليه وأومأ اليه بالسكوت . ثم دُل احد الثقات بالغداة على الموضع فالتقطها من الطريق[3]

ولم يكن الأمين بأقل شغفاً بالجوهر من أُمه وابيه ، حتى بلغ به ذلك ان كان يشرب بأقداح من بلور كللت جوانبها بالجوهر الثمين[4]

اما المعتصم فقد ورث ما كان عند أبيه واخيه ، وقالوا انه لما قتل الإفشين اخذ من داره اصناماً محلاّة بالذهب والجواهر[5]

وكانت هذه الجواهر تقع أحايين كثيرة في أيدي الحاشية والوصائف ، وربما عادت الى خليفة آخر مرة اخرى . فذكروا ان المتوكل جلس يوماً لهدايا النيروز ، فقدّم اليه كل عِلق ثمين ، فدخل عليه طبيبه جبريل بن بختيشوع ، وكان يأنس به ، فقال : ما ترى في هذا اليوم ؟ قال جبريل : مثل خرباشات الشحاذين ! إذ ليس لها قدر .. أقبل على ما معي . ثم أخرج من كمه درج آبنوس مضبب بالذهب ، وفتحه عن حرير اخضر ، فانكشف عن ملعقة كبيرة من الجوهر لمع منها

(١) عيون التواريخ (مخطوط) ج ٦ سنة ٢٠٤ (دار الكتب الظاهرية)

(٢) عيون التواريخ ٦ : سنة ٢٢٦ (٣) الجماهر ١٥٦ (٤) المحاسن والمساوي ٣٦٢

(٥) عيون التواريخ ٦ : سنة ٢٢٦

شهاب . فوضعها بين يديه . فرأى المتوكل مالا عهد له بمثله . فقال : من أين لك هذا ؟ قال من الناس الكرام . ثم حدّث انه صار الى ابيه من ام جعفر زبيدة في ثلاث شكايات عالجها فيها ، بثلاثمائة الف دينار (١)

ودخل بختيشوع على المتوكل يوم مهرجان . فقال اين هديتك ؟ فقال هديتي لم يملكها خليفة قبلك ، واخرج ملعقة زبرجد توزن ثمانية مثاقيل ، وحكى عن أبيه جبريل انه قصد دنانير جارية يحيى بن خالد فوجدها تأكل رماناً بهذه الملعقة ، فقالت له خذ هذه الملعقة ، فأخذها ، ففرح المتوكل ، واحضر عتاباً الجوهري لتقويمها فقال « ما أعرف لهذه قيمة ! .. » (٢)

وقد كان الواثق يملك الدر الكثير . وحكى محمد بن بشير النديم انه دخل على الواثق فاذا هو في دار مفروشة الأرض والحيطان بالوشي المنسوج بالذهب على سرير مرصع بالجوهر والى جانبه جاريته فريدة ، وذكر ان الواثق اغضب فريدة يوماً فاسترضاها بحقٍ فيه عقد جوهر ما رؤي مثله لخليفة (٣)

ولا ندري ما كان يفعل المعتز بالجواهر لو طالت خلافته ، على انّ امه قبيحة — زوج المتوكل — كانت تجمع الجواهر وتدخرها . ولكنها لم تنتفع بها في دين ولا دنيا . ولم تغث به ابنها حين طلب منه الاتراك خمسين الف دينار على ان يقتلوا صالح بن وصيف ويريحوه منه . فلاذ بأمه فشحت عليه وقالت : لا مال عندي . فلما قُتل المعتزّ وجد لها صالح ثلاثة اسفاط فيها زمرّد وجوهر وياقوت أحمر ، ما ظُنّ ان يقع مثله ويكون في أيدي العالم . وقوّم هذا كله بألفي الف دينار . وقوّمت الأسفاط بالف الف دينار (٤)

ولما اشارت قبيحة هذه ، على ابنها المعتز بقتل أخيه المؤيد بعثت قبيحة الى امه في شهر رمضان بسبحة درّ قيمتها اربعة آلاف دينار وقالت لها سبّحي

(١) الجماهر ٥٤ (٢) الجماهر ١٦٥ (٣) عيون التواريخ ٦ : سنة ٢٣٢
(٤) الجماهر ٦٨

بها يا أختي . فسحقتها في الهاون ولفتها في كاغد وردّتها الى حاملتها وقالت لها : اقرئي عني اختي السلام وقولي لها : التسبيح لا يذهب بحزازات الدماء [١]

وكان بعض الخلفاء يبتاعون المتاع والأثاث بالجواهر بدلاً من الدنانير . فذكر ابن شاكر ان المستعين اشترى من المعتز كثيراً من المتاع والأثاث بما قيمته عشرة آلاف الف دينار وعشر حبات جوهر [٢]

وما انتقلت الخلافة الى المقتدر حتى كانت خزانة الدولة مترعة بالجواهر . ومن جملتها حجر الياقوت الذي اشتراه الرشيد بثلاثمائة الف دينار ، والدرة اليتيمة التي قومت بمائة وعشرين الف دينار وغير ذلك . [٣] على ان المقتدر اضاع ما وصل اليه على النساء وبذّرها فيهن . ولما احتشم وزيرَه العباس ورام اسكاته بالاشتراك في في النهب وتلويثه بالخيانة انفذ اليه من الجواهر ما يعظم مقداره تكرمة له ، فردّها العباس قائلاً « انها زينة الاسلام وعدّة الخلافة وليس تفريقها بصواب » [٤]

وكان لخالة المقتدر هذا فص يلقب بورقة الآس ، لانه كان على مقداره وزنه مثقال الا شعيرتان ، وشراؤه ستين الف درهم [٥]

* * *

تلك لمح موجزات عن الجواهر التي وصلت الى خلفاء بني العباس ، وإذا اضفنا الى هذا تلك الجواهر التي كانوا يزينون بها قصورهم ، كبرج المتوكل ، وقصر الثريا ، وقصور المقتدر وقصور سامرا ، رأينا الترف والبذخ الذين رتع فيها الخلفاء ، فكانا سبباً في وهن ملكهم واندثار حضارتهم .

دمشق صلاح الدين المنجد

(١) الجماهر ١٥٨ (٢) عيون التواريخ ٦ : سنة ٢٤٨ (٣) الفخري ١٩١
(٤) الجماهر ٥٧ (٥) الجماهر ٥٧ .

مخطوطات ومطبوعات

تاريخ البيمارستانات في الاسلام

تأليف الدكتور احمد عيسى بك

مطبوعات جمعية التمدن الاسلامي بدمشق

للدكتور أحمد عيسى بك يد بيضاء في خدمة اللغة العربية بما وضعه فيها وبما نقله اليها من المؤلفات العلمية الطبية التي بعث فيها كثيراً من الألفاظ والتعابير القديمة المندثرة وبما أودعه فيها من المصطلحات العلمية الحديثة . ومن خيرة ما طلع به علينا أخيراً تاريخ البيمارستانات في الاسلام الذي أسدى به الى العالم الاسلامي خدمة جلى لما حواه من مفاخر تنطق بسمو ما كانت عليه الحضارة الاسلامية من الرقي في مضمار التمدن والأخلاق الانسانية العليا وذلك لأن خير المظاهر الدالة على تقدم الأمم المدني والاجتماعي ما عندها من المصانع الخيرية واهمها المستشفيات العامة والملاجئ ودور الاسعاف .

وقد ألمَّ الكتاب في قسمه الأول بصورة اجمالية بنشأة البيمارستانات ونظامها وأطبائها وأرزاقها ثم درس في قسمه الثاني بيمارستانات البلاد الاسلامية على التفصيل : في جنديسابور والعراق ومصر وسورية وفلسطين والحجاز وايران وتركيا والمغرب والاندلس ويربو عددها على التسعين مارستاناً مع ذكر أسماء من اشتهر من الاطباء الذين خدموا فيها وترجمة من عثر على ترجمته منهم بصورة مقتضبة . وفي الكتاب وصف مسهب للبيمارستان الكبير المنصوري او مارستان قلاوون في القاهرة وللبيمارستان النوري بدمشق وهو محلى بكثير من الصور والرسوم والكتابات الاثرية .

وقبل أن نختم هذه الكلمة بالثناء العاطر على المؤلف نرى من الفائدة ان نشير الى عدم ذكر دار الجذام في دمشق التي قد تكون اقدم دار للمجذومين آهلة بالمرضى منذ تأسيسها حتى اليوم . ولعلها هي الدار التي أعدها الوليد بن عبد الملك في دمشق للمجذومين

وأمر بحبسهم فيها لئلا يخرجوا على الناس وأجرى عليهم الأرزاق ونوه بذكرها الزميل تحت عنوان بيمارستان الوليد « وانه لم يصل الينا علم او إشارة عن المكان الذي انشئ فيه » .

وهي كائنة خلف سور المدينة خارج بابها الشرقي وعلى بعد خمسمائة متر تقريباً منه . على يمين الطريق الممتدة منه الى الشمال . ويعرف موقعها بالاعاطلة : وهي مؤلفة من حظيرة فيها عدة غرف مبنية من اللبن المطلي بالطين الأحمر يقيم فيها المجذومون من قرون بعيدة ؛ وبجانب هذا البناء الحقير الحديث العهد آثار لبناء عظيم قديم مازالت أنقاضه من الاعمدة والأحجار الضخمة باقية وهي ملقاة على الارض وحائطه الغربي قائماً وفيه الباب وهو مردوم بالتراب حتى قنطرته التي يستدل من شكلها على أنها من اعمال القرن السادس ويحيط بهذا البناء بستان كبير هو وقف عليه . وقد تكون الحظيرة الآنفة الذكر حوشاً لهذا البستان ثم انتقل اليها المرضى عندما تهدم هذا البناء التاريخي .

والمتواتر ان الوليد أقام مارستانه المذكور في التاريخ للمجذومين في هذا المكان وان الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي جدد ذلك البناء ووقف عليه البستان المجاور له مع غيره من الاراضي الزراعية ومنها قرية جلين المشهورة في حوران وتسمى هذه الاوقاف بوقف الجذامى وكان يتولى إدارتها في السابق وانفاق ريعها على المجذومين أسر دمشقية معروفة الى ان وضعت مديرية الاوقاف العامة في دمشق يدها عليها بعد الحرب العامة واخذت تنفق من ريعها على المجذومين المقيمين في هذه الحظيرة وذلك حتى سنة ١٩٣٥ حيث وجدت مصلحة الصحة العامة في سورية بالاتفاق مع مديرية الصحة في المفوضية الفرنسية العليا ان بقاء هذه المؤسسة التاريخية في الموضع الذي هي فيه وعلى ما هي عليه لا يتلائم مع مقتضيات الفن الصحي الحديث فنقلت الى محل يقال له القصير قرب دومة على بعد ١٦ كيلو مترا من دمشق حيث أنشئ لها بناء كبير مؤلف من ستة اقسام متفرقة اثنان منها للذكور واثنان للاناث وقسم للاعمال الطبية وقسم للادارة وهو مجهز باحدث الادوات الصحية وفيه عدد من المجذومين يقرب

من المائة وقد عهد بادارته الى راهبات المحبة اللعازاريات وبرئاسته لكاتب هذه الكلمة بالاضافة الى رئاسة مستشفى ابن سينا للأمراض النفسية القائم على مقربة منـه . وقد اطلق عليه اسم «مستشفى الوليد بن عبد الملك»

اما آثار دار الجذام القديمة فما زالت مهملة تعبث بها حوادث الطبيعة يحيق بتاريخها وبهندستها الغموض تنتظر الساعة التي تمتد اليها فيها يد مصلحة الآثار السورية لتكشف عن حقيقتها اللثام .

هذا ولا بد لنا في الختام من شكر جمعية التمدن الاسلامي بدمشق على عنايتها بطبع هذا الكتاب القيم .

أسعد الحكيم



كتاب بلوغ المرام

ورلاهة

(لكل من القاضي حسين العرشي والاب انستاس الكرملي طبع بمصر سنة ١٩٣٩ صفحاته ٢٠٤٢)

نُشر هذا الكتاب المسمى (بلوغ المرام في من تولى اليمن من ملكٍ وإمام) على الطريقة (الشكيبية) أعني ان ناشره زميلنا الفاضل الأب انستاس اضاف الى الكتاب من نتائج علمه ومجهودات بحثه ملاحق جعلته في (٤٤٢) صفحة فقط بعد ان كان اصله في ٨٢ صفحة : مؤلف الكتاب القاضي حسين بن احمد العرشي يَمَنيّ معاصر : نظم قصيدة في ملخص تاريخ اليمن منذ الفتح الاسلامي الى زمنه الحاضر سماهـا (مسك الختام) ثم عمد الى القصيدة فشرحها شرحاً قليلاً في لفظه كثيراً في معناه . وسماه (بلوغ المرام في شرح مسك الختام) . ومن دأب الاب أنستاس ان يحرص على

استيعاب اخبار اليمن والاطلاع على ما وضع فيها من المصنفات : فكان يجد في بعضها قصوراً وفي بعضها تقصيراً ٠ حتى ظفر بكتاب القاضي العرشي فأعجبه واشتراه مؤملاً انه بخط المؤلف ثم تبين له انه بخلاف ذلك ٠ في قصة اشار اليها في مقدمة الكتاب ثم فصلها في ص ٢٤٠ ٠ وقد قال الاب في المقدمة انه لم يجد اثراً لترجمة المؤلف ولم يهده احد اليه : لافي صنعاء ولا في بغداد ولا في القاهرة ٠ وكل ما استنتجه بشأنه في مطاوي تأليفه انه زيديّ المذهب وانه كان حيًا سنة ١٣١٨ ه

ومن محاسن المصادفات ان يكون في زيارتي حين تصفحي للكتاب (جميل بك نوري) نزيل دمشق وهو ابن اخت محمود نديم باشا المشهور الذي تولىّ اليمن في آخر العهد العثماني ٠ فأطلعته على الكتاب وسألته عن القاضي حسين العرشي مؤلف(بلوغ المرام) وقرأت له ما ذكره ناشره الاب الكرملي في الملحق الأول (ص ٩٢ و ص ٩٣) من خبر البعثة الانكليزية التي جاءت الحديدة في طريقها الى صنعاء (سنة ١٩١٨ م) فصدّتها قبيلة (القُحَرى) ٠ فقال : ان ما قاله الاب في هذه الحادثة صحيح لكنه يحتاج الى تعديل في بعض اخباره : لأني كنت مع خالي (محمود نديم) يوم قدوم البعثة وقد شاركته في تلافي الحادثة وفي يدي وثائق باللغتين الانكليزية والعربية تتعلق بتلك الحادثة ٠

ثم أطلعني جميل بك على الوثائق المذكورة ٠ فقلت له : ان قراء مجلتنا لا يعنيهم تحقيق أمر هذه الحادثة من الوجهة السياسية وانما يهمهم امر القاضي حسين العرشي مؤلف (بلوغ المرام) الذي قال ناشره المحترم انه لم يجد له أثراً ٠ ولم يروِ له أحد عنه خبراً ٠ فقال : إني اعرفه معرفة شخصية كما أعرف القاضي عبد الله العرشي الذي عينه الامام معتمداً في (عدن) للمفاوضة مع البعثة والاعتذار اليها ٠ حسبما ذكره الأب الكرملي في ص ٩٣ ثم قال : والقاضي عبد الله هذا هو ابن اخي القاضي حسين مؤلف بلوغ المرام٠ وكلاهما من (العرش) وهي قرية صغيرة في بلاد (خولان)إحدى مخاليف اليمن ٠ وهذان القاضيان معروفان بالانتساب الى امام اليمن ومن المقربين لديه وكلاهما من قضاة اليمن ٠ و(القاضي) في اصطلاح اليمانيين لقب تبجيل وتعظيم يدل

على فضل صاحبه وعلمه . كما نقول في بلادنا (الفقيه فلان) وليس القاضي عندهم بمعنى الموظف الموكول اليه فصل الخصومات كما هو الشأن عندنا وانما ، هذا يسمى في اصطلاحهم الحاكم الشرعي »

ولكن الاب انستاس فسر (القاضي) في ص ٤٣١ بكل من يعرف القراءة والكتابة . وهذا التفسير يوشك ان يكون تفسيراً لكلمة (الافندي) التركية في اول نشأة استعمالها في بلادنا . على ان تفسيره هذا لا يلائم قوله في ص ٢٤٩ (بمناسبة سعة اطلاع القاضي العرشي على اخبار اليمن واحداثها) ما نصه (وهذا لأن العرشي كان قاضياً والقضاة يضطرون الى مراجعة كتب كثيرة بخلاف أهل العلم فانهم قد يتفردون ببعض الكتب دون غيرها) فان هذا القول على غموض المراد منه يشعر بأن القاضي العرشي كان ذا وظيفة أو عمل غير القراءة والكتابة وانه يقوم به دون سائر علماء بلاده . فأي التفسيرين لكلمة القاضي نعتمد ؟

نرجع الى الكتاب المنشور : رأى الأب الناشر ان كتاب (بلوغ المرام) على وفائه بالحاجة السياسية من تاريخ اليمن لا تزال فيه امور يعوزها البيان . فأتبعه بملاحق من عنده :

(الملحق الأول) بلغ المؤلف العرشي في سرد حوادث اليمن الى سنة (١٩٠٠ م) فتتبع الاب بقية حوادثها الى سنة ١٩٣٤ م التقطها من الجرائد ومن معلوماته الخاصة (الثاني) في بلدان اليمن وقبائله (الثالث) مطامع الغربيين في اليمن (الرابع) الاتفاقيات والمعاهدات بين اليمن والدول

فالقارئ يقول ها قد انتهى الكتاب . نعم ولكن إتقان الاب الكرملي لم ينته : فعقد الفصول التالية وضمنها قصة شرائه مخطوطة (بلوغ المرام) ثم وصف المخطوطة ونقدها من جهة الرسم والنحو واللغة والأسلوب . وعزا كل ذلك الى الناسخ لا الى المؤلف الذي اثنى عليه . ووازن بين تاريخه وتاريخ غيره ، فرجحه . وذكر شيئاً من محاسنه . ثم قال : انه هو عاد فعلقت يده بنسخة من الكتاب أجود وأتقن من التي

اشتراها . وعقد فصلاً للمراجع التي استند اليها في ملاحقه : وهي ستة عشر مرجعاً أو كتاباً . وتكلم عن كل واحد من هذه الكتب بالتفصيل . وقد عنون هذا الفصل بقوله (المنتجعات التي ارتدناها) ولم يعجبنا هذا العنوان : فان فيه تكلفا . واين قوله هذا من قولهم (المراجع التي اعتمدنا عليها أو استندنا اليها) . فان الفصحاء في مثل هذا المقام يقولون اشتبه علينا امر كذا فرجعنا الى كتاب كذا . وقد أصبحت كلمة (المرجع والمراجع) اصطلاحاً للمؤلفين مثل قولهم (الباب) و (الفصل) و (المقدمة) ونحو ذلك . أما كلمتا (انتجعنا) و (ارتدنا) فمن الكلمات الأدبية التي تستعمل في مقام الخطابة والشعر ونحوهما . وعند الافرنج كلمة (البيلبيوغرافيات) بمعنى (المراجع)عندنا . فهل تراهم يعدلون عنها الى غيرها حتي يجوز لنا نحن ان نصنع صنيعهم ؟!

وصلنا في الكتاب الى ص ٢٧٦ وبقي منه ١٦٧ صفحة فبماذا مُلئت ؟ مُلئت فصلاً تضمن تصحيح هفوات سبقت في الكتاب وملاحقه الاربعة مع اضافات وفوائد واستدراكات .

قال الناشر : اعتمدنا في بعضها على ولدنا (العلامة روكس بن زائد العزيزي) استاذ العربية في احدى مدارس شرق الاردن . وقد اثنى الاب على هذا الشاب الذي آزره في عدة مواطن من الكتاب .

ثم جاء دور النهارس وأولها فهرس لتحليل المباحث التاريخية وفهرس للكتب والجرائد الوارد اسمها في الكتاب وملاحقه وفهرس للنباتات وآخر للمعادن وآخر للأخلاق والعادات وآخر للجبال والآكام وآخر للبحار والأنهار والأودية وآخر للأديان والمذاهب وآخر لأسماء الأمم والشعوب وآخر للقرى والاماكن وآخر للملقبين بالباشا من ترك وعرب . وآخر للدول والبعثات والثورات والشركات والمجامع الخ . وآخر لأسماء الرجال والنساء والبيوت والعشائر . وآخر لأسماء أئمة اليمن خاصة وآخر للألفاظ المستعملة في اليمن . وآخر لألفاظ يمانية لم ترد في الكتاب المنشور وانما زادها الناشر للافادة . والفهرس التاسع عشر هو فهرس للفهارس السابقة كلها

أرأيت أيها القارئ كيف ان هذا الكتاب بملاحقه وفهارسه أصبح أشبه بدائرة معارف للمملكة اليمانية وقد وسع كل ماله علاقة بها ؟

أرأيت أننا تعلمنا معشر الشرقيين من ناشري الكتب الغربيين طريقة إلحاق الفهارس والاستدراكات فأربينا عليهم، ونقدّمناهم أشواطاً .

أرأيت كيف ان زميلنا العلامة رأى في كتاب (بلوغ المرام) جوانب مظلمة فألقى عليها من حسن بيانه نوراً بهرَ عيون القراء . وقد يكون من شدة الظهور الخفاء .

وقد أعجبنا من صنيع الناشر الفاضل احصاؤه طائفةً من الألفاظ المستطيرة في جنبات اللهجة اليمنية وتخصيصه فهرسين جمع فيهما شواردها وقيّد أوابدها : (الدِمَّة) هي القطة (الزامل) النشيد الوطني (الطفش) البرنيطة (العرك) صيادو السمك (الفرّار) الزئبق (النطار) حارس الزرع (النقل) الحجارة (البرعشية) السيوف (الجيد) الجبل (الزيم) مصرع القتيل (الزرط) الخفاش (سعْ) مثل : يقال فلان وفلان سع في نظري اي هما متماثلان (الشقران) الفراريج (شل) المكانَ احتله (الضاح) السراج (العنبرورد) الكمثرى (القشمي) الفجل (قنبر يقنبر) جلس يجلس (الكتان) البق الدبّاب الخبيث الرائحة (المردم) الزاوية (الهدس) شجر الآس (الوينان) يريدون اليونان . قال : والسفن المستعملة في سواحل بحر اليمن يسمى أصغرها : الهوري فالقطيرة فالزعيمة فالسنبك فالساعية فالبغلة فالسفينة . الى غير ذلك من الألفاظ التي كان للأب المحترم فضل عظيم في التقاطها وتنسيق دررها . ويا ليته عمد الى البحث في أصول هذه الألفاظ وبيان ما اذا كانت حميرية او حجازية أو أعجمية . ولو فعل لجرى من عادته على عِرْق . ولاستنَّ في ميدان لا يزال له فيه السبق .

ويتخلل قوائم هذه الألفاظ اليمانية التي جمعها الناشر الفاظ أخرى شائعة في جوانب لهجتنا السورية واللبنانية كما انها نفسها منبثة في اللهجة اليمانية . وما كان لذكرها معنى ولا فائدة في هذه القوائم : اذ أن المفيد للقارئ أن يعرف ما في لهجة

غيره مما ليس في لهجته . أما ما اشتركت اللهجتان (اليمنية والشامية) فيه فليس بالأمر العجيب ، ما دمنا عرباً في عنصرنا ، عرباً في لغتنا . وما الفائدة في أن يقال لنا ان اليمانيين يقولون في لغتهم اليومية : للآجر آجر . وللأركيلة أركيلة . وللألاجة الاجه وللألماس ألماس ولأمير الجيش امير الجيش . وللحنطة حنطة وللبرنيطة قبعة ولمن تبختر في مشيته تبختر . وحط على المكان نزل فيه ، واخذه بجذافيره . ورجال وجمعه رجاجيل (وهؤلاء اللبنانيون يقولون في أغانيهم الشعبية : لا تفتكر ياعلي حولك رجاجيل يابا) والزورق والطاقية والفلوكة وقش الزبد اذا كشطه والقهوة والكفتا واللبن والمحطة والمسرح والمقهى والنارجيلة والنبريش والنشا وإحنا (بمعنى نحن) واصحاب اي اصدقاء والبابور والببور والتتن والتنبك والتنور والجبّانة . والحزام والحلبة والخافقية (لنوع من آنية الطعام) والخبز والخزامى والخيار والشباك والطاقة (اي النافذة) والصحن للطعام . والصيني (للآنية المجلوبة من الصين) والطواشي للخصي . والعوّامة للحلوى المستديرة المدملكة . والغليون الذي يمص به الدخان والقثاء والماهية لراتب الموظف . والمحبوس وجمعه محابيس . والمكتب للمدرسة ووقعت صاعقة في مكان كذا) كل هذا مما ننطق به في شامنا كما ينطق به اليمانيون في يمنهم ومن البعيد ان يكون الأب المحترم شامياً لبنانياً ثم لا يعلم ان هذه الكلمات من بنات وطنه . فهل نسيها يا ترى ؟ !

ومما لاحظناه على الاستاذين مؤلف الكتاب وناشره أنهما لم يشيرا الى ان قصيدة (مسك الختام) التي نظمها المؤلف وشرحها – قد حذا فيها حذو قصيدة من اشهر قصائد الأدب العربي وقال النويري هي من أمهات القصائد : فان القصيدتين من فرد بحرٍ وقافية وموضوع . وليس هذا فقط بل ان سرد حوادث التاريخ في القصيدتين متشاكل . وجرس الكلمات وإيرادها متوائم . حتى ان من سمع قصيدة العرشي خيل اليه أنه يسمع القصيدة الأخرى وان كان بين القصيدتين فرق كبير من جهة بلاغة القول ونقاء الديباجة وجودة السبك . واعني بها قصيدة الوزير ابن

عبدون التي رثى بها أولياء نعمته الملوك من بني الأفطس : فقد سرد ابن عبدون الكوارث التي حلت بالملوك الماضين كارثة كارثة واتخذ من فجائعهم أسوةً للفجيعة ببني الأفطس :

مطلع قصيدة العرشي اليمني :

في صورة الدهر ما أغنى عن العبر ... لذي فؤادٍ وذي فهم وذي نظر
خدّاعة وهي في التحقيق شيمتها ... مكّارة وهو عيب غير مستتر
وفرّشت ذهباً للمالكين بها ... لكن حشتها حِدّاد الشوك والإبر

وقال ابن عبدون :

الدهر يفجع بعد العين بالأثر ... فما البكاء على الاشباح والصور
فلا يغرنك من دنياك نومتها ... فما صناعة عينيها سوى السهر
تسرُّ بالشيءُ لكن كى تغرَّ به ... كالأيم ثار الى الجاني من الزهر

وقال العرشي :

وما أمدَّت بني العباس نجدتها ... الا بجيشِ زوالٍ غير منتهر
وألبست ثوب هولٍ من خياطتها ... بني زيادٍ على منصوبة الجدر
ولا ابن مهديّ لما قام معتجراً ... زادته الا مزيد النقص في العمر
وما حمت جعفراً في داره وله ... معاقل مُلئت بالحزم والحذر
وفوّقت لبني الضحاك أسهمها ... ولم تدع لبني المنتاب من أثر

وقال ابن عبدون :

هوَت بدار وفلّت غربَ قاتله ... وكان عضباً على الأملاك ذا أثر
واسترجعت من بني ساسان ما وهبت ... ولم تدع لبني يونان من أثر
وما أعادت على الضليل صحته ... ولا ثنتْ أسداً عن ربها حُجر
وخضبت شيب عثمان دماً وخطت ... إلى الزبير ولم تستحي من عمر
ولم تراقب مكان ابن الزبير ولا ... رعتْ عياذته بالبيت والحجر

وهذه المقارنة بين القصيدتين ان كانت فاتت المؤلف الشارح فما كان ينبغي ان تفوت المحقق الناشر لما في ذلك من الفائدة للناشئين المتأدبين

ولا يقدح هذا في قيمة الكتاب المنشور · ولا في جهود ناشره الذي بلغ من الشهرة في خدمة لغتنا الشريفة والحرص على نشرها وتحقيق ألفاظها مبلغاً لا يحتاج معه الى ثناء · وانما يحتاج الى دعاء ، بأن يطيل الله عمره ، ويدني من يد المجتنين ثمره

المغربي



الجاحظ وفن القصص في كتابه البخلاء

رسالة للاستاذ محمد المبارك في ٧٦ صفحة

طبعت في مطبعة الترقي بدمشق سنة ١٣٥٨ هـ / ١٩٤٠ م

استطاع الاستاذ المبارك في رسالته هذ ان يكشف عن فن الجاحظ في كتابه عن البخلاء بنهج لم يسبق اليه معتمداً على نصوص من الكتاب شرحها وعللها ، فوجد ان قصصه مأخوذة من الواقع وانه يصور الأشياء بدقائقها والانسان بحركاته ولهجته وهيأته وأنه ينفذ الى أعماق نفسه فيعرض شعورها غير أنه لا يستحسن ولا يستقبح ما يعرض اللهم الا ساخراً او من وراء ستار ، كل ذلك بأسلوب يلبس لكل حال لبوسها ، دقيق في التعبير ، يثير صوراً واضحة تظهر القصة وكأن القارئ قد حضرها بنفسه ، ورأى المؤلف ان كل ذلك يدخل في مضمار مايسميه الافرنج بال «Réalisme» اي المذهب الواقعي فأقر بأن فن الجاحظ في قصصه واقعي قبل ان يخلق أدباء الغرب مذهب الواقعية · ولعله بالغ في ذلك فالمذهب الواقعي نجم في أحوال خاصة وتبعاً لتطور خاص لم يشهده عصر الجاحظ فكانت له صفته الخاصة وبالغ في ايجاد نظير لتطور

الآداب الغربية حين جعل الجاحظ يبغي تصوير طبقة المتمولين التي ظهرت ببغداد في عصر الجاحظ (ص ١٣ و١٦) ، فأبو عثمان يصور البخلاء أين سكنوا : في بغداد او البصرة او مرو ، والى أي طبقة انتسبوا أكانوا كباراً جشعين او متمولين نهمين او كانوا طفوليين او معولين او محتالين . وعلى كل فالاستاذ المبارك يحمد على رسالته التي تشعر بقدرة وتتبع وجهد تنبئ بمستقبل حسن في التأليف .

وتلك بضع ملاحظات عرضت لنا :

ص ١٢ : فاته ان يذكر ثبت أهم ما كتب عن الجاحظ

من ص ٤٨ الى ٦٨ : اهمل أن يعنون كل القصص فصار القارئ يتوهم ان عنواناً وضع لقصة واحدة يسري على عدد منها متتابع

من ص ٤٨ الى ٧٣ : نسي ان يذكر اماكن القصص المنتخبة في كتاب البخلاء من الطبعة التي اعتمد عليها .

وكان حرياً به أن يفرد في اول رسالته وصفاً عاماً لكتاب البخلاء ليعرف القارئ ما يقرأ عنه ، وان يقارنه بما ورد في كتب الأدب في باب البخل والبخلاء وان ينسب فن الجاحظ القصصي الى فنه في مجمل تأليفه ، ولعلنا نطلب شططاً من مؤلف يقدم عجالة ويعرض جديداً .

يوسف العش

آراء وأنباء

تعزيز اللغة العربية في لبنان

تأليف جمعية دائمة مهمتها السهر على لغة القرآن

نشرت الصحف المحلية في لبنان وسوريا الخبر الآتي

في أواخر الاسبوع الفائت جرى اجتماع مرخص به من قبل الحكومة اللبنانية في منزل المحامي الاستاذ الياس نعوم بركات للمداولة والبحث بشأن تعزيز اللغة العربية في البلاد . وقد حضره رهط كبير من كبار علماء البلاد وأدبائها ومحاميها ، وافتتح الجلسة الاستاذ بركات صاحب الدعوة بكلمة بين فيها الغاية من الاجتماع ثم انتخب سماحة الشيخ مصطفى الغلاييني رئيساً للجلسة والاستاذ روبير ابيلا امين سر لها وبعد مناقشات طويلة سجل لسماحة الشيخ رئيس الجلسة اقتراح مفاده ان تكون اللغة العربية اللغة الرسمية الوحيدة في جميع المحاكم الوطنية وسائر دوائر الحكومة والبلديات كذلك اقترح ان يبحث المجتمعون بشأن تعزيز اللغة العربية في جميع نواحي حياتنا الاجتماعية

وسجل لنقيب المحامين الاستاذ فؤاد خوري اقتراح آخر بأن يكون للغة العربية المقام الأول في جميع المعاهد العلمية على اختلاف أنواعها وان يكون تدريسها اجبارياً في كل صف من صفوف الدراسة ، رسمية كانت أو خصوصية ، ثم اقترح ان ينبثق من هذا الاجتماع جمعية رسمية تستحصل على إجازة من الحكومة للاهتمام بهذا الموضوع واتخاذ جميع الوسائل الممكنة لتعزيز اللغة العربية .

وأخيراً اقترح صاحب الدعوة ان لا تعطى البكالوريا باللغات الاجنبية قبل ان ينالها الطالب باللغة العربية .

وبعد موافقة الجميع على هذه المقترحات وتوقيعهم اياها انتخبت لجنة موقتة تكون مهمتها العمل على تحضير مجتمع اوسع من المجتمع المعقود يدعى اليه فريق من اهل

العلم والأدب والغيرة على تعزيز اللغة العربية ورفع مستواها في هذه البلاد لانتخاب جمعية دائمة تقوم بتنفيذ المقررات الآنفة الذكر وغيرها مما يعمد اليه فيما بعد ، وقوام اللجنة المذكورة سماحة قاضي الشرع الشيخ مصطفى الغلاييني رئيس الجلسة وامين السر فيها الاستاذ روبير ابيلا نقيب محرري الصحافة اللبنانية ، ونقيب المحامين الاستاذ فؤاد الخوري ، والنقيب السابق للمحامين الاستاذ جوزيف خوري ، ووزير المعارف ونقيب الصحافيين سابقاً الاستاذ خليل كسيب ، والشاعر الكبير الاستاذ بشارة الخوري ، والاديب المعروف الاستاذ جرجس المقدسي ، وصاحب الدعوة المحامي الاستاذ الياس نعوم بركات .

وقد قررت اللجنة المذكورة عقد اجتماعها يوم الاثنين الساعة الرابعة بعد الظهر في ٢٤ تشرين الثاني سنة ١٩٤١ في دار سماحة الشيخ مصطفى الغلاييني .

(المجمع العلمي) سره هذا الخبر جد السرور وهو يهنئ القائمين به ويغتبط بعملهم ومسعاهم الجليل في خدمة اللغة العربية

اهداء كتب

أهدتنا وزارة معارف العراق الجليلة طائفة من الكتب المدرسية المقررة لمدارسها وعددها ٤٤ كتاباً مطبوعة طبعاً متقناً ومزينة برسوم جميلة وجميعها تأليف كبار أساتذة التعليم في العراق وترجمتهم وهي :

	اسم الكتاب	اسم المؤلف	عدد الأجزاء	مكان طبعه
١	القراءة الخلدونية	ابو خلدون	١	بغداد
٢	تمارين الحساب للمبتدئين	الدكتور داود القصير	٢	〃
٣	القراءة العربية	محمد بهجة الاثري	١	دمشق
٤	دروس الاشياء	جعفر خياط وتحسين ابراهيم	٣	بغداد
٥	الصحة للاحداث	الدكتور محمد حسن سلمان	٣	〃

	اسم الكتاب	اسم المؤلف	عدد الأجزاء	مكان طبعه
٦	الجغرافية الاولية الحديثة	عزيز سامي وابراهيم شوكة	٣	بغداد
٧	الحساب	جماعة من مدرسي الرياضيات	٢	〃
٨	المطالعة العربية	اكرم زعيتر وعز الدين آل ياسين	٢	بيروت وبغداد
٩	الحساب الثانوي	محمد علي مصطفى	٢	بغداد
١٠	مبادي العلوم الطبيعية	تحسين ابراهيم وجليل جواد وجعفر خياط	١	〃
١١	الهندسة المستوية	علي وجلال امين زريق	٢	〃
١٢	الجبر	حكمت عبد الحميد وشريف يوسف	١	〃
١٣	الجغرافية المتوسطة الحديثة	ابراهيم شوكة وعزيز سامي	٢	〃
١٤	الكيمياء الأولية	تحسين ابراهيم	١	بيروت
١٥	تاريخ الامة العربية	درويش المقدادي	١	بغداد
١٦	الفيزياء العملية	بشير اللوس وحسن الجواد	١	〃
١٧	علم الحيوان	عبد العزيز مهدي وبشير اللوس	١	〃
١٨	مبادي المثلثات المستوية	محيي الدين يوسف	١	〃
١٩	دروس الرياضيات العامة	عبد الله غوبدياو محمد علي مصطفى	٢	〃
٢٠	علم النبات	عبد العزيز مهدي وجعفر خياط	١	〃
٢١	الهندسة المجسمة	علي مظلوم وجلال امين رزق	١	〃
٢٢	التربية والتعليم في تركيا الحديثة	الدكتور محمد فاضل الجمالي	١	〃
٢٣	اتجاهات التربية والتعليم في المانيا وانكلترا وفرنسا	〃 〃	١	〃
٢٤	بيت الأمة أي التعليم الريفي في المكسيك	ترجمة نجلا طنوس عقراوي	١	〃

	اسم الكتاب	اسم المؤلف	عدد الأجزاء	مكان طبعه
٢٥	هذه اهدافنا	الدكتور سامي شوكة	١	بغداد
٢٦	مشروع التعليم الاجباري في العراق	الدكتور متى عقراوي	١	〃
٢٧	نهج الدراسة الابتدائية والمتوسطة والثانوية	وزارة المعارف	٣	〃
٢٨	الكيمياء العامة في الفلزات واللافلزات	تحسين ابراهيم وجبرائيل فتح الله كساب	١	〃
٢٩	الكيمياء العامة	ابراهيم اسماعيل وفرح الله ويردي	١	〃
٣٠	التاريخ العام	الدكتور مجيد خدوري	١	〃



الفهرس العام

(لما في هذا المجلد من المواد والموضوعات مرتباً على حروف الهجاء)

(حرف الألف)



الصفحة

(حرف الباء)

(حرف التاء)

الصفحة

(حرف الجيم)

(حرف الحاء)

(حرف الخاء)

(حرف الدال)